

الذِّكْرَةُ الْخَيْرُودَةُ

تَرْجُومَةُ

الْبَيَاقُوتِ الْفَرَنْدَةِ

لِلْمُرُتَّبِ الضَّعِيفِ الرَّاجِي مَعْمَةَ عَفْوِ مَوْلَاهُ الْكَافِي
عَمْرِ قُتَيْبِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ السُّوَيْدِيِّ الْخَطِيبِ

الْمَكْرَمِ الْخَلِيقِ

طَبَاعَةُ
مَدِينَةِ الْقُدْسِ وَبَنِيهَا

الدُّرَّةُ الْخُسْرَى

شَرْحٌ

الْبَيَاقُوتِ الْفَرِيدِ

لِلْمَذْنَبِ الضَّعِيفِ الرَّاجِي سَعَةَ عَفْوِ مَوْلَاهُ اللَّطِيفِ

مُحَمَّدِ فَتْحِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ السَّوْسِيِّ النَّظِيفِ

عَامِلِهِ اللَّهُ وَأَهْلُ الْإِيمَانِ بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ

بِحَاثِ سَيِّدِ الْأَكْوَانِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

مَا اخْتَلَفَ الْمُلُوكُ آمِينَ

الْجُزْءُ الثَّالِثُ

الطبعة الأخيرة

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

دار الفكر

أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَامُ اقْتَدِهْ
(مُرَّان كَرَم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[فصل في التحذير من الرياسة]

قال رحمه الله :

(وَلَا تَقْرَبَنَّ أَخِي الرِّيَاسَةَ إِنَّمَا تَطُوفُ بِهَا الشُّرُورُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ
فَلَا تَرَكَنَّ لِكَمْبَةِ الشَّرِّ وَالرَّدَى وَفَرًّا كَأَ يَقْرُ مِنْ أَضْدٍ بِيَشَّةٍ)

(ولا تقربن) بفتح الراء وضمها من قرب ككرم وعلم (أخى) أى يا أخى فى الله (الرياسة)
فلانها أصل كل فتنة وبلية وتقمه ورزية ، وفى المرشد المعين :

واعلم بأن أصل ذى الآفات حب الرياسة وطرح الآت

وعن بعضهم : الزهد فى الرياسة أفضل وأعظم من ألف زهد فى المال . وفى [خل] ثم إن الزهد
فى الرياسة أعظم من الزهد فى كل ما تقدم لأن النفس والمال يتفقان فى الرياسة ، والرياسة لا تنفق فيهما
فالزهد فيها متعين ، ولا يظن ظان أن الرياسة إنما هى فى رتب الدنيا ليس إلا ، بل هى عامة فى رتب
الدنيا والآخرة فمن كان عند نفسه شيئاً فهو عند الله لاشئ ، ومن كان عند نفسه لا شئ فهو عند ربه
شئ ، ولذا قال بعضهم رحمه الله : من رأى أنه خير من الكلب فالكلب خير منه . ثم قال : وأعنى
بالزهد فى مراتب الآخرة أنه يعبد الله تعالى لوجهه الكريم لا لعوض ، قال الله تعالى - يريدون وجهه -
وصاحب هذا الحال يرى نفسه أنها ليست أهلاً لشيء لاستحقاقه نفسه وترك النظر إليها وصغارتها
عنده لعظيم ما هى فيه من الخطر ، انظره . وفى [جص] « إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هى : أولها
ملازمة وثانيها ندامة وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل » وفيه : « من ولى شيئاً من أمور المسلمين
لم ينظر الله فى حاجته حتى ينظر فى حوائجهم » وفيه : « مامن أحد يؤمر على عشرة فصاعداً إلا جاء يوم
القيامة فى الأصفاد والأغلال » وفى رواية : « حتى يفكه عدله أو يوبقه جورده » وفيه : « مامن أحد
يكون على شئ من أمور هذه الأمة فلا يعدل فيهم إلا كبه الله تعالى فى النار » وفيه : « مامن إمام أو وال
يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته »
وفيه : « لكل شئ آفة وآفة هذا الدين ولالة السوء » وفيه : « لست أخاف على أمتى غوغاء تقتلهم ولا عدواً

يحتاجهم ولكني أخاف على أمتي أئمة مضلين إن أطاعوهم فتنوهم وإن عصوهم قتلوهم وفيه: « مامن عبد بستره الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة » وفيه: « أيا مال ولي أمر أمتي بعدى أقيم على الصراط ونظرت الملائكة صحيفته فإن كان عادلا نجا بعدله وإن كان جائرا انتفض به الصراط انتفاضة تزيل بين مفاصله حتى يكون بين كل عضوين من أعضائه مسيرة مائة عام ينخرق به الصراط فأول ما يتقى به النار أنفه وحر^(١) وجهه » وفيه: « تكون أمراء يقولون ولا يرد عليهم يتهاقون في النار يتبع بعضهم بعضا » وفيه: « إن رجلا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » اللهم الطف بنا وبولادة أمورنا واغفر لنا ولهم وارحمنا وإياهم وشفع فينا وفيهم نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم (أنها) بفتح الهزرة وكسرها لأنها في قوة التعليل (تطوف بها الشرور) والبلايا والخن والفتن والزبايا (من كل وجهة) بكسر الواو الناحية وإذا علمت ذلك (فلا تركز) بفتح الكاف وضمها من ركن إليه كنصر وعلم ومنع : مال إليه : أي فلا تمل أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (لكعبة) بفتح الكاف ما يكعب به والغرفة وكل بيت مربع والبيت الحرام صانها الله من أيدي اللثام (الشر) نقيض الخير (والردى) الهلاك فإنها منبع الخن والفتن ومركز البلايا والنقم ومستقر الشرور والهلاك الديني والأخروي. وفي [جه] : واتركوا التعرض للرياسة وأسبلها فإنها كعبة تطوف بها جميع الشرور وهي مقر الهلاك في الدنيا والآخرة اه :

وقد مر عنه رضي الله عنه وعنايه آمين التحذير من الخجاس وما أخذ العلم التي تؤدي إلى الدخول في مدخل العامة أو الأحوال الخزنية ، فإن من تبس ذلك لا يفلح لا في الدنيا ولا في الآخرة ، انظره . فكيف بمن دخلها ورتع فيها رتع الأنعام على مر الليالي والأيام زاعما أن ذلك من سوايغ النعم بل إن ذلك من أتم الاستدراج وأخبث النقم - ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون - اللهم إنا نسألك العفو والعافية لنا وإخواننا المؤمنين ولولاة أمور المسلمين آمين يا أرحم الراحمين (وفر) أي اهرب من الرياسة ومن قرب ساحتها (كما يفر) أي فراراً مثل الفرار (من أسد) بضم فسكون جمع أسد بفتحيتين ويجمع أيضا على أسود وآساد وأسدان كزغفان ، ومأسدة (بيشة) بكسر موحدة وسكون تحتية وقد تهمز : اسم واد بطريق الإمامة كثير الأسود وضرف للقافية . وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل عبادة بن الصامت رضي الله عنه على الزكاة فقال له : « اتق الله يا أبا الوليد لا تأتي يوم القيامة ببغير تحمله له رضاء أو بقرة لها خوار أو شاة لها ثؤاج ، فقال عبادة رضي الله عنه : إن ذلك كذلك . قال إى والذي نفسى بيده إلا من رحم الله . قال : والذي بعثك بالحق لا أعمل على اثنين أبداً » وعنه صلى الله عليه وسلم : « اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به » وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول : أعوذ بالله من إمارة الصبيان . قيل وما إمارة الصبيان ؟ قال إن أطعتموهم هلكتم وإن عصيتموهم أهلكوكم . وعنه صلى الله عليه وسلم : « هلاك أمتي على يد أغيلة من قريش » ولقد صدق الصادق المصدوق - وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى - صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

إن الأمور إذا الأحداث دبرها دون الشيوخ ترى في بعضها خللا

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من استرهي رعية

(١) قوله حر بضم مهملة : ما يندو من الوجه اه .

فلم يحطها^(١) بالنصيحة حرم الله عليه الجنة « ونقل أن سيدنا عمر رضى الله عنه كان يقول : « إن نمت ليلاً ضيعت نفسي ، وإن نمت نهاراً ضيعت رعيتي فأى وقت يطيب فيه النوم » فحفظ رعيته بما حفظ به نفسه رضى الله عنه وأرضاه وعنا به آمين . وفي [جد] سألت شيخنا رضى الله عنه عن علامة استحقاق أهل المراتب لها ؟ فقال رضى الله عنه : علامته أن يكون أحدهم مسئولاً في الدخول فيها من جميع رعيته فإن لم يكن مسئولاً فيها فليعلم أنه ليس من أهل تلك الولاية وهذه قاعدة لا تخطئ ، فقلت له فإذا تولاهما عن سؤال من رعيته فتي يستحق أن يكون معزولاً منها ؟ فقال رضى الله عنه إذا اشتغل عن النظر في مصالح رعيته فإن كل من اشتغل عن مصالحهم فليس بإمام وقد علته المرتبة بهذا الفعل فلا فرق إذا بينه وبين العامة فمن أراد أن تدوم ولايته فلا يشتغل عن رعيته بشيء من حفظ نفسه أبداً فإن الله تعالى مانصب الأئمة في الأرض إلا في استقصاء حوائج الخلق لا غير ، كما درج على ذلك أئمة العدل كعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه اه . قال رحمه الله :

(وَإِنْ رُمْتَ مَعْنَى فَأَيْقَا فَأُضِفَ أَخَا إِلَيْهَا وَذَكَرْنَا ضَمّاً زَرْ غَيْبَةً)

(وإن رمت) أى أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (معنى فائقاً) المعنى المتقدم (فأضيف أخا إليها) أى فأضيف لفظ أخ إلى الرياسة وانصبه على المفعولية (وذكرنا) بنون مؤكدة خفيفة (ضائر غيبة) وقل ولا تقربن أخا الرياسة إنه تطوف به الشرور الخ قال تعالى - ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار - وورد أن الظلمة يحشرون وأعوانهم حتى من مد لهم مدة . وفي [جص] : « سيكون بعدى سلاطين الفتن على أبوابهم كبارك الإبل لا يعطون أحداً شيئاً إلا أخذوا من دينه مثله » قال الحنفى : لأن من أخذ جائرتهم تسكف في كلامه لرضاهم كقوله أنتم سهام الله على أعدائه ولستم الرحمة ونحو ذلك . وقد حجج هارون الرشيد في زمن مالك رضى الله عنه وكان بمكة فقال له : ألك بيت ؟ فقال لا ، فدفع له ثلاثة آلاف دينار وقال له خذك بها بيتاً ، فلما حجج ورجع ، قال له أحب أن تكون معى وفي صحبتى ، فقال له : لا أوثر على جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً وهذه دنائيرك خذها ، ودفعها له خوفاً أن يكون ذلك لأجل أن يرغبه في صحبتته مع أن مثل هذا له وجه في أخذها من بيت المال ونفسه مطهرة لا يخشى عليه الميل عن الحق اه . وفيه : « إياكم وأبواب السلاطين فإنه قد أصبح صعباً هبوطاً » أى مهبطاً للدرجة من لازمه مذلاً له في الدنيا والآخرة قاله العزيزى . وفيه : « سيكون أمراء تعرفون وتنكرون فمن نابذهم نجاً ومن اعتزلهم سلم ومن خالطهم هلك » وفيه : « من سكن البادية جفاً ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن » وفيه : « من سود مع قوم فهو منهم ومن روع مسلماً لرضاه سلطان جىء به يوم القيامة معه » وفيه : « من أعان ظالماً ساطه الله عليه » وفيه : « من أرضى سلطاناً بما يخطر به خرج من دين الله ، ومن أرضى الناس بسخط الله وكله إلى الناس ، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس » وفيه : « من مشى مع ظالم وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام » وفيه : « إن صاحب السلطان على باب عنت^(٢) إلا من عصمه الله » قال العزيزى : فمن أراد السلامة فليحذر قريتهم ويتقيهم كما يتقى الأسد ، ومن ثم قيل : محالط السلطان ملاعب الثعبان اه . وقال أبو الدرداء

(١) قوله يحطها بفتح تحتية وضم حاء من حاط كقال رعاها وصانها اه .

(٢) قوله عنت بفتح عين : تعب ومشقة اه .

للأحنف بن قيس : خذ العطاء ما كان تحلة فإذا كان أثمان دينكم فدعوه . وفي [شب] وكان بعض العارفين يقول : اتقوا الله وموتوا (١) أنفسكم بالورع وقوة الثقة والاستغناء بالله عن طلب الحوائج إلى ذي سلطان ، فإن من خضع لصاحب سلطان أولن يخالف دينه طلبا لما في يديه من دنياه مقته الله ووكله إليه ، فإن تحصل على شيء من دنياه نزعتم البركة منه ولم يؤجر عليه ، انظروا وأخبرني من أثنى به أنه كان عند بعض من يدرس العلم عند بعض الولاة رحمه الله فرأى كأنه يحلب بقرة في حجره ففتى حلب شيئا خرج من حجره للأرض ، فعلم أن ما يأخذ من الأجرة عند ذلك الولاة لبركة فيه ولاخير فيه ، فترك ذلك تركا كلياً ونبذه وراءه ظهريا واستكنفى بمولاه الذي لا كافي سواه سبحانه وتعالى - ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - وفي [ثيق] أخذ علينا العهد أن لا نتقرب من الأمراء وأركان الدولة إلا لمصلحة ترجع على البعد منهم وأن لا نقبل منهم قط هدية ولا نأكل لهم طعاما مدة صحبتهم ، وذلك لأن غالب من يتقرب إليهم يتعسر عليه الإنكار عليهم فيما يراهم يفعلونه من المحرمات كالظلم وأخذ البص شفاه (٢) وكأنه تعاطى بدخوله لهم تقريرهم على المنكر ، فإنه إن قال لهم لا تبصوا ولا تظلموا لم يسمعوا له ويمنعونه من دخول بيوتهم ويقطعونهم بهم له ويثقل على قلوبهم فيندم على إنكاره . ثم قال : ومن كلام سيدي عمر بن عبد العزيز : لا تجالس أميرا ولو أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر فإن إثم مجالسته أكبر من نفعه . ثم قال : فليحذر كل من خالط الأكابر من سوء العاقبة ومن شك فليجرب . أما إذا علم منهم قبول شفاعته في ترك المظالم والبص وإغاثة الملهوفين فهذه مصلحة ترجع على البعد منهم وينكر عليهم ما يشاهده منهم ولو بقلبه ، هذا ما يتعلق بصحبة أهل العلم وأما صحبة آحاد الناس من الحاشية لهم فلا تسأل عما يقع لهم في صحبتهم من المصائب لاسيما إذا عزل ذلك الأمير مثلا وسلب السلطان نعمته فيقول الحاسدون ما كان مقربا عنده إلا فلان فيطلبه الحكام ويقولون له : أين مال الأمير؟ أين ودائع الأمير التي أودعها عندك؟ فيبهدلونه غاية البهدة (٣) ، وأما عدم قبولنا هديتهم وأكلنا طعامهم فلئلا يحصل لنا الاستهانة في عيونهم والذل في نفوسنا فإن من أكل من طعام رجل ذل له وإذا ذل له سقط جاهه وإذا سقط جاهه ردت شفاعته فاعلم ذلك اه . ورحم الله من قال :

أنفت (٤) من الذل عند الملوك وإن أكرموني وإن قريوا
إذا ما صدقت لهم خفتهم ويرضون مني بأن يسكنوا

وفيه : أخذ علينا العهد أن لا نتصدر للشفاعة في الناس عند الحكام إذا دخل النصف الثاني من القرن العاشر ، إلا إن كان عندنا حال وتصريف في الحكام بالولاية والعزل ، فإن من لا كشف عنده ربما أغلظ على الحاكم فقال الحاكم إن كنت صالحا فافتحنى فلا يقدر على نفعه فيفتضح عند الحاكم . وسمعت سيدي عليا الخواص يقول : كان عند الناس والحكام بقية خوف من الله يمتنعون به عن ظلم العباد فرفع الله ذلك خامس عشر صفر سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة قال : وعن قريب يصير حاشية الحاكم يأخذون من الإنسان الجعالة (٥) ولا يقضون له حاجة ويطلب فلوسه مثلا فلا يصل إليها ، والله غفور رحيم اه . وهذا أمر مشاهد بالبيان عند الولاة والأعوان - إنا لله وإنا إليه راجعون - وفي [عم] أخذ علينا العهد

(٢) قوله شفاه : كجهار وزنا ومعنى اه .

(١) من التويع اه .

(٤) قوله أنفت بكسر نون كفرح : استنكت اه .

(٣) البهدة : الخفة أي يستخفون به اه .

للعام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدخل على ظالم إلا لضرورة شرعية بشرط أن نعلم من نفوسنا عدم تصديقه وعدم معاونته ، وهذا العهد يقع في خيانتة كثير من الناس الذين يقبلون من الظالم الهدايا ويأكلون على سباطهم فتدخل رأس أحدهم الجراب ، ويقوم مع ذلك الظالم ويصدق على مقالته على ذلك ، ومن أراد عدم معاونتهم فليستغف على قبول هداياهم والأكل من طعامهم . وقد وقع أن بعض فقراء العصر دخل على بعض الولاة ليشفع عنده في مظلوم فأغلظ القول على الوالي فصبر عليه حتى فرغ ، ثم قال لأصحابه سرا : أى شيء قلتم فيمن يلقي عليه الإكسير فينقلب معنا على من جاء يشفع فيه؟ فقالوا : كيف؟ فقال : هاتوا لى ورقة ودواة فكتب له خمس قناطير عسلا وخمسة وعشرين أردبا قمحا محمولة إلى زاويته ، وأعطى ذلك الموصول لتقيب فأعلم به الشيخ في الحال فتحول الشيخ على ذلك المظلوم وصار يقول : الحق مع شيخ العرب وأنت مالح الرقبة تنهى إلى الفقراء خلاف الواقع ثم رده من غير قبول شفاعته . فادخل بالأخى إلى قبول شفاعتك عندالحكام من باب التعفف إن أردت قبولها ودوامها وإلا فتب من الدخول على الظلمة والله يتولى هداك اه .

قلت : ومن هذا الداء عز الدواء ، ومر أن المنصور قال : ألقينا الحب للعلماء فالتقطوه حاشا سفيان الثوري . وفي [جه] وأما زهده في الجاه والظهور فإنه رضى الله عنه لزال يلتمس الخفاء والإخمال في زاويا الإغفال والإهمال لا يبالى بإدبار من الخلق ولا بإقبال ، ويفر من ملاقة ذوى الوجاهة والرياسة ويحذر من ملاقاتهم ويقول : إنها فتنة في الدين ويكره أن يعرفه أحد منهم إلا أن يتخيل صدقه ويعلم أن يجيئه لله فيرجوله الخير ويعظه ويذكره وينصحه ، أنظره . وفي [هب] الخامس : أى مما يوجب الانقطاع عن الله الطمع في الظالم فيتقرب إليه لينال منه رزقا ، ولو تحقق بأن الله سبحانه هو الرازق لم يصدر منه ذلك اه . قال رحمه الله :

(سوى ما إذا به استجرت من الأذى أبو بكر استجار بابن الدغنة
وقد رجع الإسلام وفتى كما بدا تنز من الرها بأقوى محنة
ووصى بدا بعض الأنبياء قائلا فلا تنزعن بدا من أصحاب شوكة
ولكن بآوت الوقت كم أر من يف بعهد ووعيد والجوار وخلة)

(سوى ما إذا به استجرت) أى اللهم إلا إذا استجرت بجوار صاحب الرياسة واستحسنت بحماه (من الأذى) أى من أذى الناس الذين لا يراقبون الله تعالى ولا يخافونه ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر (أبو بكر) الصديق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في السراء والضراء وكان اسمه عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وكانت له ولأبويه وولده وولد ولده الصحبة ولم تحصل هذه المزية والمنقبة لواحد من الصحابة الحائزين قصص السبق في كل مرتبة رضى الله عنهم وعنا بهم آمين . وفي [جص] : « أبو بكر خير الناس إلا أن يكون نبي » وفيه : « أبو بكر منى ومؤنس في الغار سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر » : أى تسكروا له وإظهاراً لفضله وإيماء بأنه خليفته بعده . وفيه : « أبو بكر وعمر منى بمنزلة السمع والبصر من الرأس » انظره (استجار) السين والتاء زائدتان إذ هو مطلوب لأن يجار لاطالبه لما أخرجه قريش (بابن الدغنة) بضم دال مهملة وغين معجمة وتشديد النون كدجنة وقيل كنبقة وقيل كغرفة والصحيح الأول ، وهى أم ربيعة بن رفيع الذى

أجار أبا بكر رضى الله عنه انظر [س] وفي البخارى : « أن عائشة رضى الله عنها قالت : لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشية ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً قبل الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة ، فقال أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجنى قومي فأنا أريد أن أسيح فى الأرض فأعبد ربى . قال ابن الدغنة : إن مثلك لا يخرج ولا يخرج فإنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نواب الحق وأنت لك جار فأرجع فأعبد ربك ببلادك ، فأرحل ابن الدغنة فرجع مع أبى بكر فطاف فى أشراف كفار قريش فقال لهم : إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج ، أنتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ، ويعين على نواب الحق ، فأفقدت قريش جوار ابن الدغنة وآمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة : مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره فليصل وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فإننا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا . قال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر فطفق أبو بكر يعبد ربه فى داره ، ولا يستعلن بالصلاة ولا القراءة فى غير داره ، ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بقاء داره وبرز ، فكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فيتقصف عليه نساء المشركين وأبنائهم يعجبون وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكاء لا يملك دمه حين يقرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش والمشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا له إنا كنا أجرين أبا بكر أن يعبد ربه فى داره ، وإنه تجاوز ذلك فابتنى مسجداً بقاء داره وأعلن الصلاة والقراءة وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا فأتته فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد إليك ذمتك فإننا كرهنا أن نخفرك ^(١) ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان . قالت عائشة : فأتى ابن الدغنة أبا بكر فقال قد علمت الذى عقدت لك عليه فلما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترد إلى ذمتى فإنى لأحب أن تسمع العرب أنى أنضرت فى رجل عقدت له . قال أبو بكر : إنى أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله ، انظره . قال تعالى - إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون . ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون - (وقد رجع الإسلام) أعزه الله وأعز أهله وأيد ولاته بتأييده وسددهم بتسديده وحى حماه ^(٢) بحمايته وعنايته أمين : وفى [جص] : « الإسلام ذلول لا يركب إلا ذلولاً » وفيه : « الإسلام نظيف فتتظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف » ونقل أن سيدنا عمر رضى الله عنه وجد فى فناء دار أبى سفيان قمامات فضربه بالدرّة وأمره بتنظيفها (وقتى) أى فى زمنى هذا غريباً (كما بدا) وروى الترمذى « بدا الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدا فطوى للغرباء . قيل يا رسول الله من الغرباء من أمتك ؟ قال الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى » وفى رواية : « والذين يحبون ما أماتوه من سنتى » وفى حديث آخر : « ناس قليلون صالحون بين ناس كثير من يبغضهم أكثر ممن يحبهم » وفى [جص] : « لتتقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولهن نقضا الحسك وآخرهن الصلاة » قال العزيرى : حتى إن أهل البوادر لا يصلون أصلاً ، أى رجلاً ونساء كما هو مشاهد بالعيان ، والغالب فيمن يصلى فيهم أن يكون من المصلين الذين هم عن صلاتهم

(١) قوله نخفرك بضم نون وكسر فاء من أخفركه : نقض عهده وغدره اه . (٢) جمع حام اه .

سأهون أو ينقرها نقر الديك للحبة - إنا لله وإنا إليه راجعون - نسال الله السلامة والعافية لنا ولجميع إخواننا المؤمنين (تترس) من تترس بالترس تستر به (من الرعا) قصره للوزن جمع راع أى من إذايتهم وشرهم (بأقوى مجنة) بكسر الميم الترس (ووصى بذأ) أى بما ذكر (بعض الأئمة) رضى الله عنه بعض تلامذته : نقل أن الإمام مالكا أوصى الإمام الشافعى رضى الله عنهما وأرضاها وجعل أعلى عليين مأواها عند فراقه له فقال له : لا تسكن الريف يذهب علمك ، واكتسب الدرهم لا تسكن عالة على الناس ، واتخذ لك ذاجاه ظهرا لثلا تستخف بك العامة ، ولا تدخل على ذى سلطنة إلا وعنده من يعرفك ، وإذا جلست عند كبير فليكن بينك وبينه فسحة لثلا يأتى من هو أقرب منك إليه فيدنيه ويبعدك فيحصل فى نفسك شيء اه حال كونه (قائلا) له فى وصيته (فلا تنزعن) بنون خفيفة من نزع يده أخرجهما من جيبه (يذا) وهى الكف أو من أطراف الأصابع إلى الكف والمراد ذاته وهو من إطلاق البعض وإرادة الكل (من أصحاب شوكة) بفتح معجمة السلاح أو حديثه أى لا تخرج نفسك من حمى وصحة من له الشوكة والسطوة والجاه والسلطنة على العامة . وقد قيل لا يعبد الله تعالى فى هذا الزمان إلا تحت جناح ظالم (ولكن بلوت) اختبرت أهل (الوقت) وولاته (لم أر) فيهم (من ينفى) من الوفاء ضد الغدر (بعهد) الموثق واليمين ورعاية الحرمة والأمان والذمة قال تعالى - وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين - وقال - وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً - وقال : - وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم - الآية - والموفون بعهدهم إذا عاهدوا - وفى [جص] « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » وفيه « إنى لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد ^(١) » وفيه « إن حسن العهد من الإيمان » وفيه : « ثلاث معالقات بالعرش : الرحم تقول : اللهم إنى بك فلا أقطع ، والأمانة تقول اللهم إنى بك فلا أخان ، والنعمة تقول اللهم إنى بك فلا أكفر » وفيه « ثلاث إذا رأيتن فعند ذلك تقوم الساعة : إخراج العامر ، وعمارة الخراب ، وأن يكون المعروف منكرا والمنكر معروفا ، وأن يتمرس الرجل بالأمانة تمرس البعير بالشجرة » أى يلعب بها كما يلعب البعير بالشجرة ، وفيه « خمس بخمس : مانقص قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ، ولا طفقوا المسكيات إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر » انظره ، اللهم إنا نسألك العفو والعافية فى الدارين آمين - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - (ووعده) وفى الحديث « العدة دين » أى كالدين فى طلب الوفاء به ، ورحم الله من قال :

إذا قلت فى شيء نعم فأتمه فإن نعم دين على الحر واجب ^(٢)

وعن النبى صلى الله عليه وسلم « إذا وعد الرجل أخاه ومن نيته أن ينفى له فلم ينف ولم يجى للميعاد فلا إثم عليه » وكان ابن مسعود رضى الله عنه لا يعد وعدا إلا قال إن شاء الله قال الله تعالى - ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله - الآية ، وقال - لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا - وفى [جص] « اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ،

(١) جمع بريد : الرسول ٥١ . (٢) وبعده : ولا أقل لا تنزع وترحمنا لثلا يقول الناس إنك كاذب اه

وأدوا إذا أوتمتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم « ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه من قصيدة كتبها لبعض أحبائه يستشير به في مفارقة أناس غفر الله لنا ولهم آمين :

إني عزمت على استبدالى البلدا لفقد من يستفيد العلم والرشدا
كم من سنين مضت من بينهم همدرا فما رأيت بهم صدقا ولا سدا
ولا خليلا وفيالى بما وعدا لاخير فيهم ولا في قريهم أبدا
كيف الإقامة من بينهم هملا لم أتخذ فيهم أهلا ولا ولدا الخ

(والجوار) بكسر الجيم وتضم أن تعطى الرجل ذمة فيكون بها جارك ، وفي الحديث « النية الحسنة تدخل صاحبها الجنة ، والخلق الحسن يدخل صاحبه الجنة ، والجوار الحسن يدخل صاحبه الجنة » وفي آخر « إن أحببتكم أن يحبكم الله ورسوله فأدوا الأمانة إذا أوتمتم ، واصلدقوا إذا حدثتم ، وأحسنوا جوار من جاوركم » (وخلة) بضم معجمة الصداقة المختصة التي لا تطل فيها تكون في عفاف وفساد وفسق وبالفتح الفاقة وبالكسر ما بين الأسنان ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

وخلة بفتح خاء فاقه وخلة بضمها صداقه
وخلة بالكسر يا إخواني بقية الطعام في الأسنان
ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

فلما بلوتهم نبذت جوارهم فبالله منهم استجرت مدى الدهر
وبالمصطفى وبالتجاني أحدا فنعم الجوار والخير مدى العمر

قال رحمه الله :

(فَلَا تَكُ قَاضِيًا وَعَدَلًا وَمُفْتِيًا عَرِيفًا وَشُرْطِيًّا وَصَاحِبَ حِصْبَةٍ
وَإِنْ حُفَّتْ لِقَابُكَ فَبِاللَّهِ فَاسْتَمِرْ وَزَاعِ حُقُوقَ اللَّهِ فِي كُلِّ خُطَّةٍ
وَكَنْ مُسْطَطًا عَدَلًا وَلَا تَكُ قَاضِيًا فَتُجْزَى بِنِيرَانِ الْجَحِيمِ الْفَقِيمَةُ)

(فلانك) أى لانكن أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (قاضيا) وهو كما في التحفة :

منفذ بالشرع للأحكام له نيابة عن الإمام

وفي [جص] : « من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين » وفيه : « لسان القاضى بين جمرتين إما إلى جنة وإما إلى نار » وفيه : « الله مع القاضى ما لم يجر فإذا جار تخلى الله عنه ولزمه الشيطان » قال الحفنى : ليس في زماننا هذا بل وقبله بأمد طويل - من قاض إلا والله متخل عنه والشيطان ملازم له بالغواية التي منها الجور في الحكم وأكل أموال الناس بالباطل - أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون - وقد قسم الرسول القضاء على ثلاثة أقسام : أحدها في الجنة والآخرة في النار ، فالأول من علم الحق وعمل به وقد تعمس بل تعذر وجوده فيما أعلم . والثاني من علم الحق ولم يعمل به وهو كثير . والثالث من جهل الحق ولم يعمل به وهو أكثر عاقبنا الله من ذلك . يحكى في شأنهم السافل أن حجرا كان في مرحاض فشكا إلى الله تعالى طول مقامه فيه وسأله أن ينقذه من ذلك فقال له عز وجل من قائل تأدب يا حجر وعزنى وجلالى إن لم ترض بقضائى لأجعلنك

في مصطبة^(١) قاض يجلس عليك فأبى ذلك: وأن شخصا اجتمع بقاض عند مغطس الحمام فقال له عندي كذا وكذا من الدراهم إن قضيت لي حاجتي فقال له ما آخذ إلا كذا وكذا أكثر من ذلك أنستكثر على ذلك بغطسة في النار كغطسة في هذا الماء وغطس فلم يوجد بعد ذلك فأصدق الله تعالى مقالته وأوصله إلى سقر. وأن الله تعالى أرسل إليهم ملكا راكبا على فرس امتحانا لهم فمر على شخص معه بقرة فأشار إليها الملك فتبعتها فنازعه صاحبها في ذلك فترافعا إلى قاض من الآخرين المتقدمين ونحا كما على يده فأشار الملك إليه أن اقض لي أن البقرة بلت فرسي ولك عندي كذا فحكم له بها ودفع له ما ذكر فلم يرض صاحبها، ورفع أمره إلى الثاني وادعى على يده بذلك فكان ما ذكر فلم يرض صاحبها أيضا، ورفع أمره للقاضي الثالث وادعى على يده بذلك فأشار إليه الملك بما ذكر فقال له القاضي لا أحكم في هذا الوقت لأنني حائض، فقال له الملك عجيب أرجل يحبض؟ فقال له القاضي عجيب وفرس تلد بقرة؟ فدفعها لصاحبها وعلم أنه على الحق والأولين على الباطل، والله در القائل في شأنهم:

قضاة زماننا أضحوا لصوصا	عموما في البرية لاختصوصا
أباحوا أكل أموال اليتامى	كأنهم رأوا في ذا نصوصا
ولو أمروا بقسمة ألف ثوب	لما أعطوا لعريان قيصا
ولو عند التحية صافحونا	لسلوا من أصابعنا فصوصا
فدعنى يا أنخى من أناس	باعوا دينهم بيعا رخيصا

ولما أطلت الكلام في هذا المقام وإن كان الذي تركته أكثر مما ذكرته لما شاهدته منهم من قلة الإنصاف أو عدمه خصوصا من كان قليل الدراهم ولو كان شريفا فلنا لله وإنا إليه راجعون اهـ. وفيه: «القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة، قاض قضى بالهوى فهو في النار، وقاض قضى بغير علم فهو في النار، وقاض قضى بالحق فهو في الجنة» وفيه: «شرار أمتي من يلي القضاء إن اشتبه عليه لم يشاور وإن أصاب بطر وإن غضب عنف، وكاتب السوء كالعامل به» وفيه «عجج^(١) حجر^(٢)» إلى الله تعالى فقال إلهي وسيدى عبدتك كذا وكذا سنة ثم جعلتني في أس كنيف فقال أو ما ترضى أن عدلت بك عن مجالس القضاة؟ «أى فيجعل لك مجاورا للقدر الحسى أطف من مجاورتك للقدر المعنوى. وفي [خل] ويكنى في التنفير عن القضاء ما حكى أن بعض القضاة كان إذا جلس للأحكام جلس إلى جنبه رجل أسود الوجه أبيض البدن فكان إذا أراد أن يفصل الحكم بين الخصمين نظر إلى وجهه ثم يفصل الحكم بعد ذلك، فستل عن موجب ذلك فقال أسأله فأسأله فأخبرهم أنه كان ينشئ^(٣) القبور فأتى قاضى البلد قال فذهبت إليه ليلا فنيشت عليه حتى وصلت إليه وجئت أخذ الكفن، وإذا بشخصين قد دخلا فرعبت منهما فرجعت في ناحية من القبر، فقال أحدهما للآخر تقدم فجاء إلى قدميه فشهما فقال هاتان قدما ماعصتا الله قط، فقال له تقدم فجاء إلى فرجه فشمه فقال هذا فرج ماعصى الله قط، فقال له تقدم فجاء إلى بطنه فشهما فقال هذه بطن ما أكلت الحرام قط، فقال له تقدم فجاء إلى فيه فشمه فقال هذا لسان ماعصى الله قط فقال له تقدم فجاء إلى عينيه فشهما فقال هاتان عينا ماعصتا الله قط، فقال له تقدم فجاء إلى أذنيه فشهما فسكت، فقال له ما باللك؟ فقال له هاتان أذنان جاءه يوما خصمان فأصغى إلى أحدهما أكثر من الآخر فارتفعوا يضربانه، فهربت فحصل لي هذا من هوى المقمعة فأصبح وجهي

(١) مصطبة بكسر الميم: كالدكان للجلوس. (٢) رفع صوته. (٣) بضم موحدة من نبش كنصر اهـ.

كما ترى، انظره . ونقل أن علما من علماء بني إسرائيل لما مات قاضى بلده ركب قصبية وجعلها جواده وتبالة ليسلم من القضاء، اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام واجعلنا فى كنفك الذى لا يضام أمين . وفى [ثيق] أخذ عاينا اليهود أن لا نقول ببطلان أحكام القضاة وشهادة شهودهم من جهة قبضهم فلوس القانون حيث كنا لانعلم غلبة معاصيهم على طاعتهم، بل نجعل قبضهم فلوس القانون إن لم يكن اضطرابا ولا شبهة فهو معصية قد تتلاشى فى جنب مانحنى عاينا من طاعتهم ونقول بقبول شهادتهم ونفوذ أحكامهم على رأى القائل بعدالة من غلبت طاعته على معاصيه أديبا مع السلطان الذى ولاهم وأديبا مع علماء الإسلام الساكتين على ذلك . وقد قال بعض العلماء : من غلبت طاعته على معاصيه فهو عدل وجميع من نعرفه من القضاة بمصر كذلك غلبت طاعتهم على معاصيهم، وقالوا لو ولى السلطان القضاء فاسقا نفذ قضاؤه للضرورة . ثم لا يخفى أنه يلزم من القول بإبطال أحكامهم أمور شنيعة منها عدم صحة جميع عقود أنكحتهم وعدم صحة الدعوى بالحقوق الثابتة عليهم من الأموال وغيرها ولا يخفى ما فى ذلك ، والعاقل من عرف زمانه والله أعلم اهـ (وعدلا) وهو من نصب نفسه للشهادة تحملا وأداء . وفى [خل] وقد ذكرت لبعض المباركين شخصا وأثنت عليه عنده وقلت له إن والده يطلب له العدالة ، فقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هو الآن عدل كيف يجرحونه؟ فقلت له العدالة تجريح؟ فقال نعم فى هذا الزمان ترك العدالة هو العدالة اهـ . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

ترك العدالة هى العدالة بل إنها اليوم غدت ملامه

واعلم أن الخطر فيها أعظم مما تقدم فى القضاء : لأن القاضى ليس له أمر ولا نهى فى الغالب إلا بشهادتهم فكأنه أسيرهم لأنه بحسب ما قالوا يحكم فهم الباعثون له على الحكم ، وفيها من المفسد أشياء عديدة فى هذا الزمان لا يمكن تتبعها لتشعبها ، وفى الحديث : « إنا لانتعمل على أمرنا هذا من طلبه » فكل من طلب العدالة فهو قدح فى عدالته سيما فى هذا الزمان لما احتوت عليه من الأمور الفظيعة الشنيعة ، ولو لم يكن فيها من القبايح إلا ما أحد ثوه من بذل المال فيها وإن كان ذلك ليس خاصا بها بل هى وغيرها من المناصب الدينية رجعت إلى بذل المال والاستعانة معه بمن لا يرضى حاله فى الشرع الشريف فكان ذلك سببا قويا فى أن يأخذ المناصب من لا يستحقها ويحرمها من يستحقها فى الغالب ، قال الأمر فى ذلك إلى أشياء فظيعة من إبطال الأنكحة والعقود وغير ذلك من أمور المسلمين إذ أن الربط والحل إنما هو بالعدول ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم « أكرموا الشهود فإن الله يستخرج بهم الحقوق ويدفع بهم الظلم » ولكن أكثر العدول أو كلهم فى زماننا حاكم معلوم بالمشاهدة والعيان نعوذ بالله من الضلال والخذلان إذ لو أخذ العدالة وغيرها من المناصب الدينية أهلها لقلت المفسد أو عدمت بالكلية ، انظره تردد . وفى الخفى عند ذكره هذا الحديث الشريف : والمراد بالشهود العدول بخلاف شهود الجور الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويسمون ذلك بأسماء باطلة كالرسم ونقل القدم فلا يكرمون بل تطلب إهاتهم إلا إذا خيف من شرهم اهـ . ورحم الله من قال (١) :

اسمع أخى نصيحتى والنصح من أصل الديانة
لا تعرضن إلى الشهاد دة والوساطة والأمانة
تسلم من أن تعزى لزور أو فضول أو خيانه

وفي [د] حكى عن أبي عبد الله بن أبي زيد القيرواني أنه بات عنده ضيف وأتى رجل من خاصته بعشاء إلى منزل ابن أبي زيد وكان الرجل من الشهود ، فقال ابن أبي زيد إنه من شهود العدالة إن شئت أكلت وإن شئت تركت ، وما علمنا أن سيدنا رضى الله عنه أكل طعام الشهود أصلا . وجىء به إليه فامتنع من أكله مرارا اه (ومفتيا) وهو من ينجر بالحكم الشرعى لاعلى وجه الإلزام . وفي [جص] : « أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار » وفيه : « من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض » قال الحنفى : لأنه نجرأ على الله ورسوله وكذب عليهما سواء كان عالما بذلك أو جاهلا إذ كان من حقه أن يسأل قبل أن يفتى ومعنى لعنته دعت عليه بالطرد عن مقام الاختيار اه . وفيه : « من أفتى بغير علم كان لثمه على من أفتاه ، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خاناه » وفيه : « إذا قعد أحدكم إلى أخيه فليسأله تفقهها ولا يسأله تعنتا » ولذا أجاب بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه من سأله تعنتا بقوله :

فلمست فقيها ولا عالما	ولكن عبيد ظلوم جهول
فسل غيرنا من نجوم الورى	هم العلماء الأتقيا والفحول
أقول أعوذ برب الفلق	من الخلق طرايحاه الرسول
عليه الصلاة وأزكى السلام	بكل غداة وكل أصيل

وله فيمن استنشأ منه شعرا :

فلمست بمفلق ولا بملفق	ولا شاعر لكن كثير الجرائم
أتوب إلى الكريم من كل مامضى	فيارب فاغفرلى جميع المآثم

وله في قصيدة رضى الله عنه :

ألا فاشهدوا على حيا وميتا	يأتى ملق للسلح وهارب
إلى الله من فتوى قضاء وثيقة	لأنى فى دجا الغياهب راسب

(عريفا) أى ولاتك عريفا وهو رئيس القوم وتقييمهم ، وسمى عريفا لكونه يتعرف أمورهم حتى يعرف بها من فوقه عند الاحتياج ، وهو فعيل بمعنى فاعل ، وقد قال صلى الله عليه وسلم للصحابة في قضية هوازن «ارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم» وفي [جص] : «إن العرافة حق ولا بدل للناس من العرفاء ولكن العرفاء في النار » وفيه : « العرافة أولها ملامة وآخرها ندامة والعذاب يوم القيامة » أى في حق من لم يعدل ، والمقصود التنفير من الرياسة والتباعد عنها ما أمكن لخطرها ولأنها مزلة الأقدام والأقوام : وروى أبو داود رحمه الله « أن المقدام بن معدى كرب رضى الله عنه قال : ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم منكبي فقال أفلحت يا قديم^(١) إن مت ولم تكن أميرا ولا كاتباً ولا عريفا » وروى ابن حبان في صحيحه « لبأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها فمن أدرك ذلك منكم فلا يكون عريفا ولا شرطيا ولا جاييا ولا خازنا » اه . وروى « من استعملنا منكم على عمل فكنتمنا خيطة^(٢) فما فوقه كان ذلك غلولا يأتى به يوم القيامة » وعن أبي حميد « هدايا العمال غلول » أى إن ما يهديه الناس إليهم وما يهدونه للإمام الأعظم من الغلول ومجاه بيت مال المسلمين ومن أخذ من ذلك شيئا

(١) قوله قديم كزير تصغير مقدم بحذف الزوائد اه . (٢) كئبر اه .

فقد غل قلل تعالى - ومن يغال يأت بماغل يوم القيامة (و) لانتك (شرطيا) كتركى ويقال شرطى كجهنى وشرط كصرد طائفة من أعوان الولاة والظلمة. وفى [جص] : «سيكون فى آخر الزمان شرطة^(١) يغدون فى غضب الله ويروحون فى سخط الله فإياك أن تكون من بطاتهم» وفيه : «الجلالودة والشرط وأعوان الظلمة كلاب النار» أى منهم ينبحون^(٢) على أهل النار نباح الكلاب حتى يتأذى أهل النار بأصواتهم فيكون ذلك زيادة فى عذابهم ، وفيه : «بادروا بالأعمال ستا : إمارة السفهاء ، وكثرة الشرط ، وبيع الحكم ، واستخفافا بالدم ، وقطيعة الرحم ، ونشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم لبغيتهم وإن كان أقلهم فقها» قال الحنفى : وجاء فى حديث : «إذا جاءت هذه الأمور لاسيما إمارة السفهاء وكانت روح أحدكم فى يده فليلقها فى الأرض» أى فليختر الموت فإن باطن الأرض حينئذ خير من ظاهرها ، انظره . وقد قيل : إن الله خلق ولد الزنى فأخفاه فإذا أراد أن يظهره جعله شرطيا أو مكاسا . وفى [عم] وسمعت سيدى عليا الخواص يقول : من كشف الله تعالى عن بصيرته رأى جماعة الولاة الذين يعاقبون الناس كالزبانية الذين يسحبون الناس فى الآخرة إلى النار ، وكما لا ينسب أحد الظلم إلى الزبانية ويخط عليهم فكذلك زبانية الولاة فى الدنيا وإن ذموا شرعا ، هذا نظر أهل الله فلولا أن الله تعالى ذم زبانية الدنيا لم يسع لأحد من أهل الله أن يذمهم فاعلم ذلك والله أعلم . ونقل أن سفيان الثورى رضى الله عنه قال لمن أراد أن يوقظ حرسيا للصلاة : لا توقظه دعه هذه الساعة نستريح منه ومن شره فيها اه . وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود إذا دعى أحد من إخواننا إلى بيت الوالى والعياذ بالله تعالى أن نعلمه الآداب المتعلقة بالحن ليخرج إن شاء الله تعالى سالما من بيت الوالى فنأمره إذا جاءه رسول الوالى أن يحسن له بما تيسر من الدراهم ويزيده على عادته مثل ذلك من الجرائم ، ثم يتصدق بما تيسر إذا خرج مع الرسول قبل الدخول إلى بيت الوالى ، ثم يرى نفسه من تحت نعال أصحاب النبوة الذين فى بيت الوالى ، ثم يقول عند عتبة بيت الوالى فى سره يا أصحاب النبوة أنا فى حسبكم اليوم فإن الوالى من حضرة اسمه تعالى الجبار فن لم يذل نفسه ابتداء ذل له انتهاء بالمقارع والكسارات ، ثم يقول أنا تحت نعالكم فلا تغمضوا عينكم على هذه القضية وعطفوا على الوالى وحاشيته بالرحمة والشفقة ، فإذا وقف بين يدى الوالى فليتوجه بقلبه إلى الله تعالى قائلا اللهم أنت ولى وناصرى وربى ومولاى لا تنكلى إلى نفسى طرفة عين ، ويتخيل أنه هو والوالى والأعوان والأخصام كلهم بين يدى الله عز وجل وهو ناظر إليهم كلهم ، وليحذر أن يهاب الوالى فإنه يسلط عليه بل يشهد الوالى كالجهد لا يتحرك إلا إن حركه الحق فينتظر ما ينطقه الحق به غير قاصر نظره على الوالى بل على مراقبة رب الوالى ، وليحذر أن يجيب عن نفسه بشىء وهو يعلم من نفسه أنه فعل ذلك الشىء فإن ذلك مباحة للحق جل وعلا ، ومن فعل ذلك فقد خلع ربقة الحياء واستحق المقت من الله تعالى عز وجل ، وأما إذا كان لم يفعل ذلك الشىء فله أن يجيب عن نفسه ولكن عدم الإجابة أفضل حيث لا يخاف ضررا لأن الله تعالى يقول أناولى من سكت ، ثم قال : ثم إذا حصل له السلامة فليعط الوالى عادته ولو عمامته وثيابه ويقبل يده ويخرج وإن حصلت العقوبة والعطب فليكثر من الاستغفار ليلا ونهارا وليعتبر بمن امتحن من الأئمة والصالحين قبله ولا يبخل على مقدم المقرعة بكل ما يطلبه منه ، ولا بد للبلاء من آخر إما بانقطاع العقوبة وإما بموت المعاقب ، انظره (و) لانتك (صاحب حسبة) ويعرف

(١) كهزة وغرفة اه . (٢) بفتح موحدة وكسرهما من نبح كضرب ومنع اه .

بالمحتسب وشيخ السوق لأن أكثر نظره إنما كان فيما يجري في الأسواق من غش أو خديعة ودين وتفقد مكبال وميزان وشبهه (وإن سقت) أى وإن ساقك القدر الذى لا ينفع منه الحذر (للبلوى) والمحنة . وفى [جص] : « إذا ابتلى أحدكم بالقضاء بين المسلمين فلا يقض وهو غضبان وليسو بينهم فى النظر والمجلس والإشارة » وفيه : « من ابتلى بالقضاء بين المسلمين فليعدل » وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نشير على أحد من الناس أن يتولى ولاية فى هذا الزمان لقصور نظرنا عمن يستحق تلك الولاية ، سواء كان المستشير ظلما أو قاضيا أو ناظرا على وقف ونحو ذلك فإن البلاء قد كثر على أهل هذه الوظائف ، فإذا أصابهم بلاء لا يطيقونه يصيرون يدعون على من أشار عليهم بذلك ، فعلم أنه ينبغى لمن عمل شيئا فى هذا الزمان أن يقول لمن يستشير فى ولاية استخر ربك واعمل بما يشرح به صدرك ، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نوالى كل من زهد فى الدنيا وترك مناصبها ونعزى كل من ولى ولاية لاسيما إن كان من جنس العلماء والصالحين أو كانت تلك الولاية نظرا على وقف ، وذلك لأمر : منها دخوله فى ورطة حب الرياسة فقل من يذوق ولاية ويسهل عليه بعد ذلك فراقها بل يعادى كل من نازعه فيها من أقرانه وقد كان قبلها فى غنية عن ذلك وربه يرزقه نحو الثمانين سنة لا ينساه يوما واحدا ، ثم قال ثم بعد أن كان الناس يتبركون بذلك العالم أو الفقير ويسألونه الدعاء لما هو عليه من العلم والعبادة والزهد صاروا يستعينون بالله من شره ، ثم إنه يتكدر وقته مع الله ضرورة فلا يكاد يحضر قلبه فى صلاة ولا غيرها فتلف حاله بالكلية ونقص اشتغاله بالعلم ضرورة وكذلك يسهره اللبالي وتهجدته فى الظلام والناس نيام ، وتأنفت نفسه إلى الملابس الفاخرة والطعام الفاخر والتزوج بالنساء الجميلات والسكن فى القاعات المرميات واختلط بأبناء الدنيا وصار أعظم رغبة منهم فيها ، فمن يصير حاله بالوظيفة إلى هذا الحال كيف يهتأ بها إنما يلقى بنا تعزيتة فى نقص دينه وهذا أمر مشهود ، فمن توقف فى وقوعه من صاحب وظيفة ليس من أصحاب القلوب الخالصة فكأنه كابر فى ضوء الشمس فإنا ما وينا قط أحدا من إخواننا فى هذا العصر تولى وظيفة فيها رياسة إلا وتذكر على جميع إخوانه ومعارفه وترفع بنفسه عنهم بل رأيت بعضهم أنكروا والدته حين جاءته من الريف تزوره وصار يقول غدوا الفلاحة عشوا الفلاحة خوفا من معارضة أمراته له ، وكان الواجب عليه أن يكسوها الثياب الفاخرة ، ثم قال : واعلم يا أخى أنه لا فرق فى تعزيتنا لأخيना إذا ولى وظيفة بين أن يكون أعطيها عن سؤال منه أو كان هو مسئولاً فيها ، بل كونه مسئولاً فيها أشد لأنه حينئذ تصير صورته صورة من باع دينه بديناه فإنهم لا بد أن يقولوا لمن يوليه فلان من أهل العلم والصلاح وهو ساكت ، ثم قال : وكان سفيان الثوري يقول : إياكم أن تجعلوا علمكم حرفة تحترفون بها معاشكم وتقولون أعطونا نحن أكثر علما وكيف تكونون أكثر علما وأنتم أقل زهدا اه . وكان إسماعيل بن علية يحط على من يتردد إلى أبواب السلاطين ، وكان بينه وبين عبد الله بن المبارك ود وإخاء ومشاكلة فى الزهد والعبادة : فولى إسماعيل للصدقات فتأثر عبد الله بن المبارك لذلك وأرسل له يعزیه فى دينه ثم أنشده :

(١) يا جاعل العلم له بازيا بصطاد أموال السلاطين
احتلت للدنيا ولذاتها بحيلة تذهب بالدين
وصرت مجنونا بها بعدما كنت دواء للمجانين

أين رواياتك والقول في لزوم أبواب السلاطين
إن قلت أكرهت فما هكذا زل حمار الشيخ في الطين

والله لصلاة ركعتين في جوف الليل أو كف العبد نفسه عن محبة الدنيا ساعة أو ضبط جارحة من جوارحه أو حفظ باطنه من سوء الظن بمسلم مثلاً أفضل من تلك الولاية التي يهتونه بها فلم لا يهتونه بذلك ، ثم قال كيف يتعنى الإنسان في هذا الزمان طول الحياة وهو يجد أصلح الصالحين اليوم لا يقدر على ضبط نفسه على حفظ حدود الله تعالى يوماً واحداً بل كل يوم يزيد في الحملة على ظهره من السيئات ولو قدر أنه جلس في بيته مثلاً يقرأ القرآن لا يكاد يسلم من الخواطر الردية وسوء الظن بأحد من المسلمين ، حتى إن الجارية في البيت لو قالت له على شيء حق فلم يصدقها وقع في الإثم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اهـ (فبالله فاستعن) قال تعالى -استعينوا بالله واصبروا- والله المستعان وهو خير معين وفي الحديث «إذا استعنت فاستعن بالله» وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله لا تستعن بغير الله بكلك الله إليه ، ورحم الله من قال :

إذا لم يعنك الله فيما تريده فليس مخلوق إليه سبيل
وإن هو لم يرشدك في كل مسلك ضللت^(٢) ولو أن السماء دليل

(وراع) من راعاه لاحظه وراقبه (حقوق الله) وحقوق عباده بإيصال كل ذي حق حقه (في كل خطوة) بضم معجمة وليتها ووسد إليك أمرها لنكن كم عسى أن يسبح من وقع في البحر ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

ولا تل خطة ما دمت حيا فلا تجنى بها إلا خسارا
فما من خطة إلا وفيها هلاك الدين والدنيا جهارا
فدع عنك المطامع والأمانى وسلم في الولايات احتذارا
ولازم قعر بيتك للمبات وذكر كل وقت وابتنكارا

والعلامة الزقاق في لاميته رحمه الله :

ولكن حذار يا علما بشرعة توفقه واهرب واعدل إن كنت مبتلى
تأمل حديث القاضيين وثالث وقول رسول الله يحيا مغلا
وقوله في ذبح بلا مدية وآية الجن فيمن جار تكفي لتعدلا
ويروى بتفضيل عتو ويغضه وبعد بمن قد جار إياك والبلا

ولابن الوردي رحمه الله في لاميته :

لا تل الحكم وإن هم سألوا رغبة فيك وخالف من عدل
إن نصف الناس أعداء لمن ولي الأحكام هذا إن عدل
فهو كالمحبوس عن لذاته وكلا كفيه في الحشر تغل
إن للنقص والاستقلال في لفظة القاضي لوعظا ومثل
لا تساوى لذة الحكم بما ذاقه الشخص إذا الشخص انعزل
فالولايات وإن طابت لمن ذاقها فالسم في ذاك العسل

وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحدا من إخواننا يسعى على وظائف الناس لا سيما إن كانت تلك الوظيفة فى يد فقير لا لسان له ولا نصير من الخلق، أو تخلفت عن ميث له أولاد أو إخوان ناظرون إليها ، وهذا الأمر قد حدث فى جنس طائفة أهل القرآن، وهو فى غاية القبح منهم، حتى رأيت من يسعى على شيخه الذى علمه ، ومن حرق قلب إنسان على إخراج وظيفته من يده أو سعى على من كان فى أمله أن يأخذ تلك الوظيفة من أهل الميت وإخوانه فقد عرض نفسه للمجازاة من فعله فيقبض الله تعالى له من يسعى عليه أو على ذريته من بعده ويحرق قلبه أو قلبهم ، وأصعب ما فى ذلك أن يكونا فى حارة واحدة أو فى مسجد واحد يقع الوجه فى الوجه كل ساعة، ولو عرض على العاقل جميع أموال الدنيا وفى ذلك تكدير لقلب مسلم لا اختار عدم تكدير قلب المسلم لأن حرمة أعظم ، ثم قال : وكان سيدى على الخواص يقول : لا ينبغي لمتورع الأكل من معلوم الوظائف الدينية لما فيها من استشراف النفس فإن صاحب الوظيفة لم تزل نفسه مستشرفة للمعلوم إلى أن يصل إليه من يوم أو شهر أو سنة ، وقد نهى الشارع عن أخذ ما جاء باستشراف نفس . وكان رضى الله عنه لا يقبل شيئا قط أعلم به قبل أن يجمع بين يديه ويقول : إن النفس تصير مستشرفة له اه (وكن) إذا ابتليت بشيء مما ذكر (مقسطا) من أقسط : عدل ، قال تعالى - وأقسطوا إن الله يحب المقسطين - وروى مسلم : «إن المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا» (عدلا) أى عادلا فهو من المصادر التى يوصف بها : وفى الحديث ، «يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة قيام ليلا وصيام نهارها ، وجور ساعة فى حكم أشد وأعظم عند الله من معاصى ستين سنة» وفى آخر : «أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل» وهو ممن يكون فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله (ولانك قاسطا) من قسط : جار وعدل عن الحق ، قال تعالى - وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا - ونقل أن الحجاج الثقفى لما أحضر سعيد بن جبير بين يديه قال له : ما تقول فى ؟ قال قاسط عادل ؟ فأعجب ذلك من حضر ، فقال لهم الحجاج : ويلكم ، لم تفهموا عنه ، جعلنى جائرا كافرا ألم تستمعوا إلى قوله تعالى - وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا - وقوله تعالى - ثم الذين كفروا بربهم يعدلون - وفى [خل] قال عمر رضى الله عنه : رشوة الحاكم من السحت . وقال ابن مسعود : من شفع لرجل ليدفع عنه مظلمة فأهدى إليه هدية فقبلها فذلك السحت ، فقبل له : كنا نرى أن السحت الرشوة فى القضاء ، فقال ذلك الكفر ، وتلاقوله تعالى - ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون - وإنما أراد أن من أكل الرشوة فى القضاء أكل السحت وكفر ، ثم قال : فكل ما اكتسبه ذو الوجاهة عند السلطان من ذوى الخوائج إليه بجاهه فهو عند مالك رحمه الله سحت ، والقضاء فيه أن يرد إلى أصحابه فإن لم يعلموا رفعه السلطان إلى بيت مال المسلمين . وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «هدايا العمال من السحت» وقال عمر رضى الله عنه : هدايا الأمراء غلول اه . قال تعالى - ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة - الآية . وفيه : وقد روى فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ستكون قتن كقطع الليل المظلم يصبح المرء مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا» اه . ولا شك أن من أخذ ما لا يستحقه فقد باع دينه بعرض من الدنيا اه . وفى مسلم أن سيدنا عمر رضى الله عنه قال : اللهم إنى أشهدك على أمراء الأمصار فإنى إنما بعثتهم عليهم ليعدلوا عليهم وليعلموا الناس دينهم وستة نبيهم ويقسموا فيهم فيثبم ويرفعوا إلى ما أشكل عليهم من أمرهم ، انظره . واليوم والعباد

بالله من ولى إنما يولى لنهب الأموال واستحلال الفروج واسترقاق الأحرار وإخاد معالم الدين قال تعالى :
- إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا - الآية - ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - إن الله
ولنا إليه راجعون - (فتجزى بنيران الجحيم القطيعة) المنظر والحرارة من فظع كسكرم اشتدت شناعته ،
وروى « إن شر الرعاء الحطمة » والحطمة كهزمة : الكثير الظلم لرعيته . واعلم أن الأحكام اليوم
صارت تدور على المنقوش وعلى اتباع الهوى حتى بلغنى عن بعض القضاة أنه كان يقول مرحبا بالنار
على وجه الأحباب قال تعالى - ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون - ومن لم يحكم بما أنزل
الله فأولئك هم الظالمون - ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون - إن الله ولنا إليه راجعون -
وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون - ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

ولاة الوقت حكمهم جميعا على الفانى من المنقوش دارا
فمن لم يأت ناديمهم بفلس ودينار ودرهم جهارا
يرى الإعراض منهم والصدودا وإيثار المن يعطى نصارا
فلا تدلى إلى نادى الولاة بمال ماحيت ولو حجارا
فأد حقوق خلق الله طرا وسامح احتسابا وادخارا

وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن نعطي كل حق وجب علينا قبل أن يطالبنا به صاحبه ، ومتى
أحوجناه إلى الشكوى لحاكم أو إلى سياق أحد من الناس فقد خنا عهد الفقراء : وكان سيدى على
الخواص رحمه الله إذا ادعى عليه إنسان بمال وهو مبطل يعطيه من غير توقف ولا مطالبة ببينة ويبرى
ذمته ويقول : أنا أستحي أن أفصح أحدا من عبيد الله إكراما لله عز وجل [قلت] وقد ادعى شخص
على رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا فى مرض موته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما إنا
لا نكذب أحدا ولا نستحلفه ولكن ماسييه ؟ فقال يا رسول الله مريك يوما سائل فقلت اعطه عنى ثلاثة
دراهم فقال نعم » فأعطى يا أخى الحقوق التى عليك وإن لم يطالبوك نسيانا أوحيا إن كنت تدعى أنك
من الصالحين فإننا مارأينا قط أحدا من الأولياء أصحاب القدم واقفا بين يدى حاكم يدعى عليه بحق زوجة
أو جار أو غيرهما أبدا . وحكى عن سيدى أحمد بن الرفاعى أنه عمر دارا فى ناحية أم عبيدة فلما انتهى
بناؤها ونقل إليها عياله ومتاعه جاءه فى ذلك اليوم شخص ادعى أن الأرض له فأمر الشيخ بإخراج
متاعه منها وعياله بمنجرد قوله ، فلما رآه أجابه ولم يتوقف قال يا أحمد ليس لى حق فى أرض هذه الدار
ولنما أردت امتحانك لأنظر كيف زهدك فى الدنيا وركونك إلى السكنى فيها . وكان سيدى أحمد يقول
بعد ذلك : يا أولادى الدنيا أهون علينا من أن نقف لأجلها عند حاكم ، فاعلم ذلك واعمل عليه ، والله
يتولى هداك اه وقد مر :

وأقبح الصفات فى الإخوان وأقبح الخلل بين الفقرا
تخاصم على الدنى والفانى تسابب والشتم من بين الورى
ولأن يكن من بينهم تداع لبنت وال قل بالاسترجاع
لأن ذا من أعظم المصائب فى الفقرا إذ هم كالآقارب
ثم الدنى أهون عند الفقرا من الوقوف عند باب الأمرا الخ

قال رحمه الله :

(وَمَنْ قَدْ كَبَا بِهِ جَوَادُهُ فَلْيَدُمْ عَلَى مِائَةٍ مِنَ الصَّلَاةِ الْفَرِيدَةِ
وَيَهْدِي ثَوَابَهَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ وَيَنْوِي الْقَجَاةَ مِنْ سِيَاهِ مُصِيبَةٍ
وَمِنْ بِالطَّيْفِ أَلْفَ إِثْرٍ الْفَرَاثِصِ وَمَنْ لَمْ يُطِقْ فَعُدُوَّةَ مَعَ عَشِيَةِ)

(ومن قد كبا) كدعا انكسب وسقط على وجهه (به جواده) يقال فرس جواد بين الجواده بالضم والفتح فإن الجواد قد يكبو والسيف قد ينبو والقلب قد يسبو واللسان قد يعدو (فليدُم) أى فيلواظب تعبد الله تعالى (على مائة من الصلاة) أى من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم المسماة بالياقوتة (الفريدة) وهو : اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق الخ (ويهدي) من الإهداء (ثوابها) أى ثواب المائة منها (لخير البرية) سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى [جمع] مثل سيدنا رضى الله عنه عن إهداء ثواب الصلاة له صلى الله عليه وسلم فأجاب : اهلّم أنه صلى الله عليه وسلم غنى عن جميع الخلق جملة وتفصيلا فردا فردا وعن صلاتهم عليه وعن إهدائهم ثواب الأعمال له صلى الله عليه وسلم ، فهو غنى بربه وبما منحه من سبوغ فضله وكمال طوله فهو فى ذلك عند ربه صلى الله عليه وسلم فى غاية لا يمكن وصول غيره إليها ولا يطلب معها من غيره زيادة أو إفادة يشهد لذلك قوله سبحانه وتعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى - وهذا العطاء وإن ورد من الحق بهذه الصفة نهلة المأخذ قريبة المحتد فإن لها غاية لا تدرك العقول أصغرها فضلا عن الغاية التى هى أكبرها ، فإن الحق سبحانه وتعالى يعطيه من فضله على قدر سعة ربوبيته ويفيض على مرتبته صلى الله عليه وسلم على قدر حظوته ومكانته عنده ، وما ظنك بعطاء يرد من مرتبة لا غاية لها وعظمة ذلك العطاء على قدر تلك المرتبة ، ثم يرد على مرتبة لا غاية لها أيضا وعظمته على قدر وسعها أيضا فكيف يقدر هذا العطاء وكيف تحمل العقول سعته ، ولذا قال سبحانه وتعالى - وكان فضل الله عليك عظيما - وأقل مراتبه فى غناه صلى الله عليه وسلم أنه من لدن بعثته إلى قيام الساعة كل عامل يعمل لله ممن دخل فى طوق رسالته صلى الله عليه وسلم يكون له مع ثواب عمله بالغاما بلغ فليس يحتاج مع هذه المرتبة إلى زيادة لهذا الثواب لما فيها من كمال الغنى الذى لا حد له ، وهذه أصغر مراتب غناه صلى الله عليه وسلم فكيف بما وراءها من الفيض الأكبر والفضل الأعظم الأخطر الذى لا تطيق حمله عقول الأقطاب فضلا عن دونهم . وإذا عرفت هذا فاعلم أنه ليست له حاجة إلى صلاة المصلين عليه صلى الله عليه وسلم ولا شرعت لهم ليحصل له النفع بها صلى الله عليه وسلم وليست له حاجة إلى إهداء الثواب ممن يهدى له ثواب الأعمال وما مثل المهدى له فى هذا الباب ثواب العمل متوهما أنه يزيد به صلى الله عليه وسلم أو يحصل له به نفع إلا كمن رمى نقطة قلم فى بحر طوله مسيرة عشرة مائة ألف عام وعرضه كذلك وعمقه كذلك متوهما أنه عند هذا البحر بتلك النقطة ويزيده فأى حاجة لهذا البحر بهذه النقطة وما عسى أن يزيد فيه ؟ وإذا عرفت رتبة غناه صلى الله عليه وسلم وحظوته عند ربه فاعلم أن أمر الله للعباد بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ليعرفهم علو مقداره عنده وشفوف مرتبته لديه وعلو اصطفاؤه على جميع خلقه وليخبرهم أنه لا يقبل العمل من عامل إلا بالتوسل إلى الله به صلى الله عليه وسلم ، فمن طلب القرب من الله والتوجه إليه دون التوسل به صلى الله عليه وسلم معرضا عن كريم جنابه ومدبرا عن تشريع خطابه كان مستوجبا من الله

غاية السخط والغضب وغاية اللعن والطرده والبعد، وضل سعيه وخسر عمله ولا وسيلة إلى الله إلا به صلى الله عليه وسلم كالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وامتنال شرعه ، فإذا فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فيها تعريف لنا بعلو مقداره عند ربنا وفيها تعليم لنا بالتوسل به صلى الله عليه وسلم في جميع التوجهات والمطالب لا غير هذه من توهم النفع لها صلى الله عليه وسلم لما ذكرناه سابقا من كمال الغنى . وأما إهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم فتعقل ما ذكرنا من الغنى أولا ثم تعقل مثالا آخر يضرب لإهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم بملك عظيم المملكة ضخم السلطنة قد أوتي في مملكته من كل متمول خزائن لا حد لعددتها طولها وعرضها من السماء إلى الأرض مملوءة كل خزانة على هذا القدر يا قوتا أو ذهبا أو فضة أو زرعاً أو غيرها من الممولات ، ثم قدر فقيرا لا يملك مثلاً غير خبزتين من دنيا فسمع بالملك واشتد حبه وتعظيمه له في قلبه فأهدى لذلك الملك إحدى الخبزتين معظمها له ومحبا والملك متسع الكرم فلا شك أن الخبزة لا تقع منه ببال لما هو فيه من الغنى الذي لا حد له فوجودها عنده وعدمها على حد سواء ، ثم الملك لا تساع كرمه علم فقره وغاية جهده وعلم صدق حبه وتعظيمه في قلبه وأنه ما أهدى له الخبزة إلا لأجل ذلك فلو قدر على أكثر من ذلك لأهداه فالملك يظهر الفرح والسرور بذلك الفقير وبهديته لأجل تعظيمه له وصدق حبه لا لأجل انتفاعه بالخبزة ويشيب على تلك الخبزة بما لا يقدر قدره من العطاء لأجل صدق المحبة والتعظيم لا لأجل النفع بالخبزة على هذا التقدير ، وضرب المثل نقدر إهداء الثواب له صلى الله عليه وسلم . وأما غناه صلى الله عليه وسلم فقد تقدم ذكره في ضرب المثل بعظمة البحر المذكور أولا وإمداده بنقطة القلم . وأما إثابته صلى الله عليه وسلم فقد ذكر المثل لها بإهداء الخبزة للمذكور انظره (وينوى) من فضل الله عند ذلك (النجاة) والخلاص (من سهام) جمع سهم النبل (مصيبة) أى غير مخطئة بسبب ما اقترفه من الذنوب والآثام قال تعالى - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير فله الحمد وله الشكر في الأولى والآخرة - (ومن بالطيف) بياء النداء والضم أو اللطيف بالتعريف بدون باء النداء وهو بيان لقوله (ألف) بالجر عطفاً على مائة أى وليدم أيضاً على ألف من بالطيف (لأثر) بكسر همزة وسكون مثالثة أى بعد (القرائض) أى الصلوات الخمس إذا كانت له قدرة على ذلك وسعة وفراغ ، وفي الحديث «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» اللهم متعنا بهما متاعاً حسناً إلى أجل مسمى بجاهه صلى الله عليه وسلم آمين (ومن لم يطق) أى ومن لم يقدر على ذلك إثر كل فريضة (فغدوة) بضم معجمة البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس فإنه ساعة نجاح وبركة وقسمة الأرزاق المحسوسة . وفي [جص]: «ياكروا في طلب الرزق والخوائج فإن الغدو بركة ونجاح» وفيه : «اللهم بارك لأمتي في بكورها» أى فليدم على ذلك غدوة (مع) بسكون العين (عشية) آخر النهار . وفي [جع] وليكن في علمكم أن جميع العباد في هذه الدار أغراض لسهام مصائب الزمان إما بمصيبة تنزل أو بنعمة تزول أو بحبيب يفجع بموته فمن نزل به منكم مثل هذا فالصبر الصبر لتجرع مرارتها فإنه لذلك نزل العباد في هذه الدار ، ومن كبا به منكم جواده عن تحمل ثقلها ومقاومة ما يطرأ عليها من أعبائها فعليه بملازمة أحدهذين الأمرين أوهما معا وهو: أكمل الأول ملازمة بالطيف ألفا خلف كل صلاة إن قدر وإلا ألفا صباحاً وألفا مساءً أو في الليل فإنه بذلك يسرع خلاصه من مصيبيته . والثاني مائة صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالفاتح لما أغلق وبهedy ثوابها إليه صلى الله عليه وسلم إن قدر مائة خلف كل صلاة وإلا

فائدة صباحا ومائة في العشاء أو في الليل ، وينوي بهما أعني اللطيف والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أن ينقذه الله من جميع وحلته ويعجل خلاصه من كربته فإنه تسرع إليه الإغاثة في أسرع وقت . وكذا من كثرت عليه الديون وعجز عن أدائها أو كثرت عياله واشتد فقره وانغلقت عليه أسباب المعاش فليفعل ما ذكرناه من أحد الأمرين أو هما معا فإنه يرى الفرج من الله عن قريب ، ومن دهاه خوف هلاك متوقع نزوله من خوف ظالم لا يقدر على مقاومته أو خوف من صاحب دين لا يجد منه عذرا ولا يجد من المال ما يؤديه له أو إيراد كل خوف فليلازم ما ذكرنا من أحد الأمرين أوهما معا فإنه ينقشع عنه عن قريب ، ولو أسرع مع ذلك بصدقة قلت أو كثرت بنية دفع ما يتوقعه من الخوف أو بنية تعجيل الخلاص من الله وكربه كانت أجدر في إسراع الخلاص والفرج - وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحة - انتهى .

[فائدة] نقل أن أبا المواهب السامعي رضى الله عنه وعنايه آمين ذكر لهذا اللطيف زجرا وهو : أن تتلو ألفا من ياللطيف فإذا كملته فأتل صلاة الفاتح مرة ثم ياللطيف أربعاً ثم اللهم بسرا اسمك اللطيف الطف بي في الأمور كلها واسلك بي مسالك النجا والطف بي ياللطيف ، ثم ياللطيف أربعاً ثم اللهم بسرا اسمك اللطيف اللطيف الطف بي فيما جرت به المقادير عندك ياللطيف ، ثم ياللطيف أربعاً ثم اللهم بسرا اسمك اللطيف اللطيف الطف بي لطفاً خفياً من دقائق لطفك الخفى الذى إذا لطفت به لعبد كفى ياللطيف ، ثم صلاة الفاتح ثلاثاً أو سبعا أو أحد عشر اه . وعن بعض الخاصة رضى الله عنه وعنايه آمين مانصه : ولسيدنا أبي العباس التجاني رضى الله عنه وأرضاه وعنايه آمين استعمال اللطيف : أن تصلى أربع ركعات في كل ركعة الفاتحة والإخلاص خمسا وعشرين مرة ، وبعد الفراغ من الصلاة تقرأ « إنا أنزلناه » مع الدعاء الآتى متصلا سبع مرات ، ونص الدعاء : اللهم الطف بي فإنك بي بصير ودبر لى فى لا أحسن التدبير وخذ بيدى إليك ودلى بك عليك ولا تحجبني عنك ولا تقطعنى بقواطع الذنوب ياغنيا عن التفسير يا من العسير عليه يسير أشكو إليك ما لا يخفى عليك يا الله ثلاثا يا أرحم الراحمين ثلاثا ، ثم تذكر ياللطيف بيا النداء أربعة آلاف وعند اختتام كل ألف تقرأ الدعاء المذكور مرة واحدة ، ثم بعد تمام الأربعة آلاف تصلى بصلاة الفاتح عشر مرات ثم سورة القدر مرة واحدة ثم الدعاء المذكور مرة واحدة ، ومن شرط ذلك الخلوة مع الطهارة البدنية والمكانة كالصلاة ، والسلام اه . وعنه أيضا والمكانية رضى الله عنه وعنايه آمين كيفية أخرى من اللطيف : تذكر الاسم اللطيف بحرف النداء أربعة وأربعين وأربعمائة وأربعة آلاف والزجر على رأس كل مائة وهو : اللهم ياللطيف يا خبير يا خالق يا خلاق أعثنا بالفرج والنصر والتمكين والفتح المبين ، والطف بنا فى قضائك السابق بحق لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحق اسمك اللطيف ياللطيف أربعاً من غير العدد المذكور ، والسلام اه . وعنه أيضا رضى الله عنه وعنايه آمين . وكيفية اللطيف الصغير : تبدأ بالفاتحة أربعاً بعد البسملة والفاتح مرة ثم آيات اللطيف وهى - لا تدركه الأبصار إلى الخبير - إن ربى لطيف لما يشاء - إلى الحكيم - ثم - الله لطيف بعباده - إلى العزيز - ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير - ثم تبدأ بالأقل تسعة ثم عشرين ثم الفاتح مرة ثم زجره ياللطيف أربع مرات سبحانه لا إله إلا أنت ياللطيف أسألك اللهم بسرا اسمك اللطيف اللطيف الطف بي فيما جرت به المقادير عندك ياللطيف واسلك بي مسالك النجا ، والطف بي لطفاً خفياً من دقائق لطفك الخفى الذى إذا لطفت به

والمكانية

لعبد كفى وشقى وعفى بالطيف مائة ، وهذا القدر فيه كفاية وإن شئت كررته أربعاً بجميع ما ذكر أعلاه يقوم مقام الكبير والله أعلم ، ثم صلاة الفاتح ثلاثاً ثم تقول : اللهم إني ضعيف فقوى رضاك ضعفى وخذنى إلى الخير بناصيتى واجعل الإسلام منتهى رضاى ، اللهم إني ضعيف فقوى وإني ذليل فأعزنى وإني فقير فأغننى يا أرحم الراحمين سبع مرات ، ثم تقول : بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم عشر مرات وتختتم بالفاتح أيضاً ثلاث مرات له . وعن بعض أصحاب سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنايه أمين ومن خطه نقلت مانصه : ومن ذلك أن تصلى ركعتين فى جوف الليل ثم تصلى على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ، ثم تقول يا رب أربعين مرة فى نفس واحد ، ثم تقول اللهم الطف بى فإنك بى بصير ودبرلى فإنى لأحسن التدبير وخذ بيدى إليك ودلى بك عليك ولا تحجبني عنك ولا تقطعنى بقواطع الذنوب يا غنيا عن التفسير يا من العسير عليه يسير أشكو إليك ما لا يخفى عليك يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين ، ثم بالطيف بيا النداء بالمد الطبيعى ألف مرة ، ثم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مائة أيضاً ، وتسكون النية لله وثوابه هدية للنبي صلى الله عليه وسلم ، فإن من دعا به فى أمرهم جعل الله له فرجاً لاسياً المداوم على ذلك والسلام اه . ورحم الله من قال :

يارب مازال لطف منك يشملنى وقد تجدد بى ما أنت تعلمه
فاصرفه عني كما عودتني كرماً فمن سواك لهذا العبد يرحمه

ومن قال :

فكم لله من لطف خفى يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر أتي من بعد عسر ففرج روعة القلب الشجى (١)
وكم أمر تساء (٢) به صباحا فتعقبك المسرة فى العشى
إذا ضاقت بك الأسباب يوماً فتق بالواحد الصمد العلى
تشفع بالنبي فكل عبد يغاث إذا تشفع بالنبي
ولا تياس إذا ماجاء خطب فكم لله من لطف خفى

قال رحمه الله :

(وَمَنْ كَثُرَتْ دُيُونُهُ أَوْ عِيَالُهُ) أَوْ اشْتَدَّ فَقْرُهُ كَفَسَرِ الْمَعِيشَةِ
أَوْ انْسَدَّ بَابُ الْخَيْرِ أَوْ خَافَ ظَالِمًا فَيَلْزِمُ مَاضِي بَصْدَقِ الْعُلُوِيَّةِ
يَرَى الْخَيْرَ وَتَتَبَّعُهُ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ تَصَدَّقْ أَخِي وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَالِدٌ كَرُّ أَفْضَلُ مَا بِهِ تَصَدَّقْ شَخْصًا وَهُوَ أَغْظَمُ جُنَّةً (١)

(ومن كثرت ديونه) واشتدت عليه أربابها فى اقتضاءها وسىء بهم وضاق بهم ذرعاً فيلزم ماضى من ألف بالطيف ومائة من صلاة الفاتح أو أحدهما بنية صادقة وهمة نافذة يأتية الفرج من حيث لا يحتسب . وفى [جص] « الدين يشين الدين » أى لأنه يشغل القلب بهمه وقضاءه والتدلل لربه فيشتغل بذلك عن

(١) يشين معجمة من شجى حزن اه . (٢) أى تحزن اه .

العباد، وفيه: «الدين راية الله في الأرض فإذا أراد أن يذل عبدا وضغها في عنقه» وفيه: «الدين هم بالليل ومذلة بالانهار» ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه:

إياك والدين فقي النهار مذلة في الليل هم سار
سوى إذا كنت لدى استدانته تنوى أدائه مع الإعانة
وكان عبد الله ذا تكثير في الدين للرجبة في التيسير

وفيه: «إن الله تعالى مع الدائن حتى يقضى دينه ما لم يكن دينه فيما يكره الله» وفي الحنفى: فكان عبد الله بن جعفر يقول لخازنه: اذهب فخذ لي بدين فإني أكره أن أبيت ليلة إلا والله معي، وفيه: «من كان عليه دين فهم بقضائه لم يزل معه من الله حارس» أي يحرسه من الشيطان أو السلطان أو منهما معا حتى يوفي دينه، وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من مشى إلى غريمه بحقه صلت عليه دواب الأرض وحيتان الماء وكتبت له بكل خطوة شجرة في الجنة وذنبه يغفر له» وفيه: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله» وفيه: «ألا أعلمك كلمات لو كان عليك مثل صير^(١) ديننا أداه الله عنك قل: اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عن سواك» وفيه: «ألا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله تعالى همك وقضى دينك قل إذا أصبحت وإذا مسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» قال العزيزي: سببه كما في أبي داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة جالسا فيه فقال: يا أبا أمامة مالي أراك جالسا في المسجد في غير وقت صلاة؟ قال هموم لزممتني وديون يارسول الله، فقال أفلا أعلمك كلاما فذكره» وفي آخره قال: فقلت ذلك أي لازمت هذا الدعاء صباحا ومساء فأذهب الله همي وقضى عني ديوني وذلك ببركة الدعاء وصدق نيته وإخلاصه اه: وروى الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمعاذ: «ألا أعلمك دعاء تدعوه لو كان عليك مثل جبل أحد ديننا لأداه الله عنك قل يا معاذ: اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتفرغ الملك من تشاء - إلى قوله - قدير - رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطيهم من تشاء وتمنع منهما من تشاء ارحمني رحمة تغنيني بها عن سواك» اه. ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه:

رب تداينت كثير الدين عليك يا كريم دون مين
فأده من فضلك العميم بالمصطفى وقطبنا المكتوم

وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننوى الوفاء لكل شيء استداناه من الناس ولو صداقا لامرأة خوفا أن لا يعيننا الله تعالى عن الوفاء إذا نوينا عدم الوفاء ويصير علينا التبعة في الآخرة ويزيد الصداق يكون الشارع جعل وطء تلك الزوجة التي نوينا عدم وفاء مهرها كالزنى، ثم قال ثم إذا وقعت يا أخي في الدين فإياك أن تظهر لصاحب الدين الفقر والأمر بخلاف ذلك فيسلطه الله عليك بالحبس ويقسى قلبه عليك، وإياك أن تتزوج وعليك دين أو تتسرى أو تعمل عرسا

(١) صير بالعباد المهمة والياء الثناء: اسم جبل لطفي قاله العزيزي اه مصححه .

أو سباطا بل قتر على نفسك كل التقدير وكل شيء دخل يدك مما زاد على ضرورتك فأعطه لصاحب الدين واشكر فضله في صبره عليك وقل له بحق وصدق والله أنا في خجل منك، ولكن ادع الله أن يوسع على حتى أوفيك وأوفى غيرك . وقد دخل جماعة كثيرة من إخواننا الحبوس بسبب الكلام المر لصاحب الدين وبسبب التزويج وعمل الأعراس والعزومات وقال أصحاب الديون أحق بذلك المال الذي ينفقه على شهوات نفسه وهو حق ، فإذا طلب صاحب الدين أن يحبس المديون فمن الأدب أن لا يتوارى عنه بل يحى بنفسه إليه ويقول أنا أسيرك في الدنيا والآخرة فإن شئت فاحبس وإن شئت فأطلق، وكذا من الأدب أن يشكره بين الناس ويدعو له فيما بينه وبين الله بتوسعة الرزق وتعطيفه عليه حتى لا يحبس ولا يضيق عليه، انظره . وفي [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نلقى بالنار إلى الدنيا ولا إلى مطالبة من لنا عليه دين إكراما لمن هو عبده ولمن هو من أمته صلى الله عليه وسلم ، ولكن من أتى لنا بشيء من ذلك من غير سؤال قبلناه وصرفناه ومن لم يأت بشيء فلا نطالبه لا في الدنيا ولا في الآخرة .

ولما رعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمال والغنى لخديجة في أيام الجاهلية هو ورفيق له فكان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : طالب لنا خديجة ، ويقول صلى الله عليه وسلم « أنا أستحي » وكان سيدي علي الخواص يقول : للفقير أن يطالب بدينه على وجه تخلص ذمة ذلك المديون في الآخرة إلا لمن تسمح نفسه بمساحة المديون بذلك الدين لا على نية التمتع بالدينار . وكان رضى الله عنه إذا كان له على أحد من إخوانه درهم يشدد عليه في المطالبة ويقول إنما أشدد عليه لئلا يتهاون في ديون الناس ، وكان يقول : من تحقق بالعبودية كره أن يكون له في الآخرة حق على أحد من عبيد الله انظره (أو) كثرت (عياله) جمع عيل كجياذ جمع جيد وهو من يلزم الإنفاق عليه (أو اشتد) عليه (فقره) بفتح الفاء وضمها ضد الغنى (كعسر) كقفل ضد اليسر أسباب (المعيشة) عليه (أو انسد) وانغلق عليه (باب الخير) والتيسير وانصبت عليه الشرور ونواكب الدهور فيلزم ماضى من ألف بالظيف ومن مائة صلاة الفاتح أو هما معا بنية صادقة وهمة نافذة فعن قريب يفتح له باب الخير والتيسير والفرح والسرور ، وليكثر من هذه الأدعية : اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي في رزقي . اللهم اجعل أوسع رزقك علي عند كبر سنّي وانقطاع عمري . اللهم الطف بي في تيسير كل عسير فإن تيسير كل عسير عليك يسير وأسألك اليسر والمعاونة في الدنيا والآخرة اه . وليكن ذلك ثلاثا أو سبعا بعد ما ذكر من اللطيف وصلاة الفاتح . وفي [جمع] وشكى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم الفقر فقال « إذا دخلت بيتك فسلم على ، واقرأ قل هو الله أحد » اه . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتعاطى أسباب تعسير الرزق كعدم الإيثار والمعاصى الظاهرة والباطنة من زنى وغيبة وحقد وحسد وتكبر وفخر وعجب ، وكالنوم في الأسحار ووقت تفرقة الغنائم وكالنوم بعد الفجر حتى يتعالى النهار . وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : إن الله تعالى يقسم الأرزاق الخمسة بعد صلاة الصبح والأرزاق المعنوية بعد صلاة العصر . قال : ولذلك نهينا عن النوم في هذين الوقتين لأن فيه إظهار عدم الفاقة وعدم الاعتناء بمشاهدة من يقسم الأرزاق من قبل الحق تعالى . وسمعته مرارا يقول : والله إنه ليصبح عندي نفقة الجمعة أو أكثر ويكون على النوم فلا أنام لأجل حضوري بقلبي مع الله تعالى وقت القسمة حتى لا أظهر عدم احتياجي إلى فضله في وقت من الأوقات ، ثم قال : وأيضا في النوم بعد الصبح علة أخرى وهو أنه يورث وجع الجنب

كما جربته وذلك أني كنت أسهر في ليلة الجمعة في مجلس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم من العشاء إلى صلاة الصبح فكنت أصلي صلاة الصبح وأنام فاعتزاني وجع الجنب ولا أعرف سببه ، فرأيت شيخني الشيخ الصالح المحدث الشيخ أمين الدين بن النجار إمام جامع العمري بالقاهرة فروى لي حديثاً سنده بالسرياني عن أنس بن مالك ومثته بالعربي وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من واضطج على النوم بعد صلاة الصبح ابتلاه الله بالبعج » فقلت للشيخ وما هو البعج ؟ فقال هو وجع الجنب ، فتركت النوم بعد الصبح حتى تطلع الشمس فزال المرض بحمد الله تعالى ، انظره . ونقل أن رجلاً شكى إلى يوسف بن عبيد ضيق حاله ، فقال له يوسف أيسرك أن لك ببصرك مائة ألف درهم فقال الشخص لا ، قال فبيديك ؟ قال : لا قال فبرجليك ؟ قال لا ، وعدد نعم الله تعالى عليه ، فقال أرى عندك هذا وأنت تشكو الحاجة اه . وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاءه اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه » قال تعالى - فإن مع العسر يسراً . إن مع العسر يسراً » - وقال صلى الله عليه وسلم : « لن يغلب عسر يسرين ^(١) » ورحم الله من قال :

لا تجزعن لعسرة من بعدها يسران وعدا ليس فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى لفزولها لله في أعطافها الطاف

ومن قال :

إذا اشتدت بك البلوى ففكر في ألم نشرح
فعسر بين يسرين إذا فكرته فافرح

قال ابن جرير رضي الله عنه : كان علي رضي الله عنه إذا كان في شدة استبشر وفرح ، وإذا كان في رخاء قلق ، فقليل له في ذلك ؟ فقال : ما من ترحة إلا وتتبعها فرحة ، وما من فرحة إلا وتتبعها ترحة ، ثم تلا الآية قال تعالى - فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون - الآية ، ورحم الله من قال :

سيفتح باب إذا سد باب نعم وتلين الأمور الصعاب
ويتسع الحال من بعد ما تضيق المذاهب فيه الرحاب
مع العسر يسران هون عليك فلا اليسر دام ولا الاكتئاب
إذا احتجب الناس من سائل فما دون سائل ربى حجاب

وفي [خل] وقع بعض الناس في شدة كبيرة فشكى ذلك للشيخ رحمه الله ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير على الشخص بأن يسبح مائة مرة ويحمد مائة مرة ويكبر مائة مرة ويقول : اللهم صل على محمد النبي الأمي مائة مرة ، ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له مائة مرة ، ثم يصلي اثنتي عشرة ركعة ويدعو بعدها بما يظهر له ، ثم يصلي ركعتين ثم يقرأ في الختمة خمسين آية من آخر سورة البقرة ، ثم يصلي أربعاً وعشرين ركعة ثم يدعو بهذا الدعاء وهو : اللهم لا فرج إلا فرجك ففرج عنا كل شدة وكربة يا من بيده مفاتيح الفرج ، واكفنا شر من يريد ضرنا من إنس وجن وادفعه عنا بيدك القوية بإذنك وقدرتك إنك على كل شيء قدير ، ففعله فذهبت تلك الشدة التي كان فيها ذلك الشخص .

(١) قوله : يسرين ياء واحدة تنفية يسر ، وأما يائين فهو تنفية يسرى ولا معنى لها في الحديث اه مصححه .

وكان سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقول في النوم للذي أخبره بما تقدم من التسبيح والصلاة والدعاء إن من يفعل هذا صادقا فرج الله عنه شدته في يومه ولو كانت أي شئ كان اه (أو خاف) على نفسه أو ماله (ظالما) لا يراقب الله ولا يخافه قال تعالى - إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب - وفي [هب] الرابع : أي مما يوجب الانقطاع عن الله تعالى الخوف من الظالم على العمر والرزق وغيرهما ، فيقول في نفسه لا أعصى هذا الظالم لأني إن عصيته قتلتني أو منع رزقي أو غير ذلك مما يوجب الخوف منه ، ولو تحقق بوجود الحق تعالى معه وتصرفه فيه وفي ذلك الظالم لعلم أنه هو الفاعل وحده لا يشاركه ذلك الظالم ولا غيره في فعل من الأفعال وحينئذ فلا يخاف إلا منه تعالى ، وبقدر ما يقوى هذا النظر في البعديقوى قربه من ربه تعالى وبقدر ما يقل أو ينعدم يكون بعده من الله عز وجل وانقطاعه اه . وفي الحديث : « من دعا على ظالمه فقد انتصر » وقال ابن ميسرة : إن ظلمت تدعو على من ظلمك فإن الله تعالى يقول : إن آخر يدعو عليك بأنك ظلمته فإن شئت استجبنا لك وأجبنا عليك ، وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة فيسعكما عفوى . وقال مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه : كل الظالم إلى ظلمه فإنه أسرع إليه من دعائك عليه إلا أن يتداركه بعمل وقن أن لا يفعل . وقيل مكتوب في الإنجيل : من استغفر لظالمه فقد هزم الشيطان . وفي [غص] وسألته رضى الله عنه هل ندعو على الظلمة إذا جاروا ؟ فقال لا لأن جورهم لم يصدر عنهم أصالة وإنما صدر عن المظلوم فإنه ما ظلم حتى ظلم نفسه أو غيره والحكام مسلطون بحسب الأعمال - إن لكم لما تحكمون - وإنما هي أعمالكم ترد عليكم وفي الحديث : الحاكم الجائر عدل الله في أرضه ينتقم به من خلقه ثم يصير إلى الله فإن شاء عفا عنه وإن شاء انتقم منه و - ربك فعال لما يريد - وهو الغفور الودود - والله أعلم اه . وفي [ثيق] أخذ علينا العمود أن لا ندعو قط على من ظلمنا ولا نقول قط : اللهم من كادنا فكده ومن بغى علينا فخذنه ونحو ذلك ، وإنما نرجع إلى نفوسنا فننظر السبب الذي تحكم فينا ذلك الظالم بسببه فتتوب منه ونستغفر ونرجع إلى الله فإن لم يتيسر لنا توبة صبرنا واحتسبنا ، وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قریش بالهلاك فأنزل الله تعالى عليه - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - فاستحيا من الله تعالى عز وجل وترك الدعاء عليهم وصار يدعوهم بالهداية . واعلم يا أخى أن شأن كل عارف أن يرى نفسه قد استحققت الخسف به لولا عفو الله وأن جميع مايقع عليه من البلايا والحن ، دون ما كان يستحق : ويرى جميع الظلمة في هذه الدار كزبانية جهنم ، إلا أنهم خالفوا الزبانية في هذه الدار في ظلمهم للعباد في كونهم تحت النهى بخلاف الزبانية فإنهم هناك تحت الأمر ، ومعلوم عند كل عارف أن حكم الإرادة لا مرد له لأنه لا يصح قط لأحد أن يخالف إرادة الله بخلاف أمره فيصيح مخالفته لقوة سلطان الإرادة فافهم ، ومن هذا المشهد قل تكدير العارفين لمن ظلمهم وآذاهم فإن الظالم حكمه حكم السوط الذي يضرب به فالغيظ حقيقة إنما يكون من الضارب الظالم لا من السوط فمن اغتاظ من السوط فهو عجوب عن كمال العقل والسلام ، وتأمل من استحق القتل في بيت الوالى إذا صولح بالصفع على رقبتة كيف يتلذذ لمشاهدته ألم القتل بالخوزقة مثلا ولولا هذه المشاهدة لتألم بالصفع فاعلم ذلك اه . وفيه : وسمعت صيدى عليا الخواص يقول : الحاكم ظل والرعية شاخص فإن كان الشاخص أعوج كان ظله أعوج وإن كان مستقيما كان ظله مستقيما ، فلا يزال الأمير الأعوج يقيم رعيته الصالحون بأعمالهم الصالحة شيئا فشيئا حتى يكون مستقيما كالرمح ، ولا يزال الأمير المستقيم تعوجه أعمال رعيته المارقين الفاسقين حتى

يكون كالخطاف ، فكل من شكنا من عوج أميره أو حاشيته عرفنا عوجه هو . ولا يخفى أننا الآن في زمان ظهور علامات الساعة فالعاقل يعذر أميره باطنا كما يعذر نفسه وينكر على الظالم برفق من غير عنف لأن ظلمه لم يقع إلا جزاء لأفعال صدرت من الخلق أحصاها الله ونسيها العباد قال تعالى - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير - فاعلم ذلك اه - إن الله بالناس لرؤف رحيم - وفيه : أخذ علينا اليهود أن نسأل الله تعالى أن لا يستجيب لنا دعاء قط في أحد من هذه الأمة الحمدية فضلا عن أولادنا وأهلينا وذلك حتى لا يستجيب دعاءنا في المستقبل حال غضبنا على ولد أو خادم أو صاحب أو نحو ذلك ، والحق تعالى أولى من وفي بالسؤال فلا يجيب دعاءنا على أحد إذا غضبنا منه . وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم وآخر الأمر إذا سأله أن يدعو على أحد عدل عن الدعاء عليه ودعائه وكان يقول : « اللهم إني بشر أغضب كما يغضب البشر اللهم فمن سبته أو شتمته فاجعل ذلك له كفارة وطهورا » فاعلم ذلك فإنه نافع جدا اه ، والله لقد صدق ونصح فالله يجازيه أحسن الجزاء آمين . وفي [شب] فائدة . قال الدميري : من دخل على من يخاف شره فليقرأ - الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون - الذين قال لهم الناس إن الناس إن الناس - إلى - عظيم - فإن الله ينجي من شره ، وفي الحديث : « حسبنا الله ونعم الوكيل أمان لكل خائف » وفيه : قال الدميري : من كتب هذه الآيات ووضعها في متاع أو غيره حفظ بإذن الله تعالى ، ومن حملها معه حفظ بإذن الله ولم ير في نفسه ولا عياله مكروها ، وإذا علفت على صبي حفظ من القرائن والتوايع وأم الصبيان ونشأ منشأ صالحا . قال : وحيث وصلت إليك هذه الذخيرة فعض عليها بالنواجذ فنافعها كثيرة وهي - ذلك تقدير العزيز العليم - وعلى الله فليتوكل المؤمنون - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه - تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى الرحمن على العرش استوى - يوم لا ينفع مال ولا بنون - إلا من أتى الله بقلب سليم - أثيا طوعا أو كرها قلنا أتينا طائعين - وفي السماء رزقكم وما تعدون - . وقال أيضا : ومما جرب لإذهاب الخوف والهم والغم أن يكتب هاتين الآيتين ويحملهما فإن الله تعالى يبارك له في جميع أحواله وينصره على أعدائه وهما قوله تعالى - ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة ناعسا - إلى قوله - عليم بذات الصدور - وقوله تعالى - محمد رسول الله - إلى آخر سورة الفتح . قال : وهما ينفعان أيضا للأمراض الباطنة والظاهرة التي تحدث في البدن كالدمامل والقروح والنفخ والحرارة ونحو ذلك ، فيكتب الآيتين في إناء نظيف ويمحوه بدهن ورد أو زيت طيب أو شيرج ويطل به ذلك فإنه يبرأ . قال : وهما من الأسرار المخزونة اه (فيلزم ماضى) من المائة من صلاة الفاتح وألف من بالطيف إثر كل فريضة أو صباحا ومساء (بصديق العلوية) أى النية أى بنية صادقة خالصة لله تعالى لا لأغراض نفسانية وشهوات ظلمانية (يرى) يبصر ويشاهد ببصره وبصيرته (الخير والتيسير) والتسهيل (فى الأمر كله) أى فى جميع أموره الدينية والدنيوية بمحض فضل الله وكرمه وجوده وإحسانه وامتنانه - وهو على كل شيء قدير . وفى [جه] وأما ما جاء من الأذكار والعبادات لسعة الرزق ودفع الضرر وهلاك الظالم ودفع الفقر وقضاء الحوائج إلى غير ذلك فما كان من ذلك من جلب رزق ودفع فقر وقضاء حاجة مطلوبا لذاته بذلك الذكر أو العبادة فهو من شرك الأغراض وهو حرام بالإجماع ، وإن كان ذلك المطلوب ليعين على عبادة الله عز وجل فلا يخلو من أمرين أيضا : إما أن يكون قصده فى ذلك الذكر الخاص

غير

أو العبادة الخاصة مجرد غرضه من سعة الرزق وغيره من مقصد وجه الله عز وجل بالذكر والعبادة فذلك من شرك الأغراض أيضا وهو حرام ، وإن قصد بالذكر والعبادة وجه الله عز وجل ورجامع ذلك قضاء غرضه ليستعين به على عبادة ربه ويدعو عقب عبادته لله بقضاء حاجته فهو جائز لا حرج فيه لكن بعد اعتقاد أن الله هو الفاعل باختياره لا بذلك الذكر بل عنده لا به وطلب بالذكر وجه الله عز وجل وأن الأذكار والعبادات لا تأثير لها وخواصها من الثواب هنا وهناك ، وأن الله عز وجل هو الفاعل عندها لا بها بمحض اختياره لا لعله فهذا وجه صحته ، وكل هذا تكشفه الأدلة الثقلية والله الموفق .

والحاصل من هذا كله أن من عبد الله عز وجل لوجهه لم يخرج عن دائرة الشرع دون غيره إلا أنهم مختلفون فبعضهم الحامل له على عبادة الله تعالى وجهه أعنى الذى نورهم ونهضهم إليها رجاء فضل الله تعالى واتقاء عقابه وهؤلاء هم أهل الشريعة ، وبعضهم حملهم على عبادة الله تعالى ونهوضهم إليها معرفتهم بجلاله وكبريائه وعظمته فعبادته على الحب والشوق إليه أداء لحق ربوبيته لا لغرض وهم العارفون ، وسوى ذين هالك لا عبادة له فضلا عن الثواب ، انظره ولا بد . وفيه مما كتبه لبعض أحبائه رضى الله عنه وعنايه آمين : وبعد ، فتعلقك بالخواص فى طلب الدنيا وأغراضها وشهواتها وأنت مشغول بإطلاق لسانك فى الغيبة والتمية وفيما لا يرضى الله ومنهمك فى البعد عن الله لا يربح فى هذه التجارة إلا التعب فلا تظفر منها بشيء وإن الخواص بحر الطمع متعلق بها كالذى يزيد الظفر بسراب ببيعة ، إنما الخواص وأسرارها لا يتمكن منها أحد من خلق الله إلا أحد رجلين : إما رجل ظفر بالولاية وإما رجل جعل أكثر أوقاته فى ذكر الله وفى صحة التوجه إليه سبحانه وتعالى وفى الصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم طلبا لوجه الله الكريم لا لغرض غير ذلك ، وداوم على هذا المنوال وصان لسانه عن الأقاويل التى لا ترتضى شرعا كالغيبة والتمية والكذب والسخرية وسائر ما لا يرتضى ، وصان قلبه عما لا يرضى الله كالكبر والحسد وظلم الناس والبغض بغير أمر شرعى إلى غير ذلك وهو فى هذا كله قائم لله تعالى فهذا هو الذى لعله يدرك بعض أسرار الخواص ، ومن سوى هذين لا يفيد التعلق بالخواص إلا التعب والذى يليق به وقته أن يجعل وردين لله تعالى من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ورد فى الليل وورد فى النهار فى كل ورد من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ثم تدرج كل ورد بالزيادة خمسين مرة فى كل أسبوع ، لا تزال كذلك حتى يصير الوردان ألف مرة فى كل ورد وداوم على الوردين هكذا أبدا سرمد لا تريد ولا تنقص واقصد بذلك صحة التوجه إلى الله تعالى لوجهه الكريم فقط لا لغير ذلك ، فإنك بالداوم على ذلك تنفج عنك الأمور ، وزد مع ذلك وردا من قولك يا لطيف ألف مرة بالليل أو بالنهار فقط واقصد بذلك الاستغاثة بالله من ضرر الفقر وداوم عليه يفرج الله عنك ما أنت فيه والسلام اه (تصدق) لوجه الله تعالى (أخى) أى يا أخى بما تيسر عندك من حلال طيب لأن الله طيب لا يقبل إلا الطيب (ولو بشقة) بكسر معجمة (تمر) أى ولو كان القدر المنتصدق به نصف تمر ، وفى مسلم عن عدى بن حاتم قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمره فليفعل » وفى [جص] « اتقوا النار ولو بشق تمره فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة » وفيه : « تصدقوا فإن الصدقة فسا كاكم من النار » وفيه : « تصدقوا ولو بتمره فإنها تسد من الجائع وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار » وفيه : « باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة » وفيه : « الصدقات بالغدوات يذهبن بالعاهات » وفيه : « الصدقة تمنع سبعين نوعا من أنواع البلاء أهونها

الجذام والبرص » وفيه : « الصدقة على وجهها واصطناع المعروف وبر الوالدين وصلة الرحم تحول الشقاء سعادة » قال الحنفى : ولذا احتطب شخص فلك خطبه فإذا فيه أفعى فقيل له ماذا صنعت حتى نجاك الله منها ؟ فقال تصدقت بكسرة . وحكى أن بعض السلاطين أمر بشخص ليقطله فجىء به وقد تصدق في طريقه بنصف رغيف وقال إنه صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » ونار السلطان أخف من نار جهنم فهذا يدفعها بالأولى ، فلما قدم عليه والناس مجتمعون أمره بالانصراف ، فسأله بعض أعوان السلطان ماذا صنع حتى نجا فأخبره بما وقع وقال إن نصف الرغيف أكبر من نصف التمرة ونار السلطان أخف من نار جهنم وهكذا شأن المخلصين ، انظره . ونقل أن رجلا وجه ابنه في تجارة فضت أشهر ولم يقع له على خبر فتصدق برغيفين وأرخ ذلك اليوم ، فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما فسأله أبوه : هل أصابك في سفرك بلاء ؟ فقال له غرقت السفينة بنا في وسط البحر وغرقت مع جملة الناس وإذا بشابين أخذاني فطرحاني على الشط وقالوا لي قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت بزائد على ذلك ؟ وإنه كان رجل من قوم صالح عليه السلام قد آذاهم فقالوا يا نبي الله ادع الله عليه ، فقال اذهبوا فقد كفيتهموه ، وكان يخرج كل يوم يحتطب فخرج ومعه رغيفان فأكل أحدهما وتصدق بالآخر فاحتطب ورجع سالما . قال : فدعاه صالح وقال أى شيء صنعت اليوم ؟ قال خرجت ومعى قرصان فتصدقت بأحدهما وأكلت الآخر ، فقال صالح عليه السلام حل خطبك فحلله فإذا فيه ثعبان أسود مثل الجذع عاض على جذع من الخطب ، فقال بهذا دفع عنك : يعنى بالصدقة . وحكى أن بعض الوعاظ قال في مجلسه : إن الرجل إذا أراد أن يتصدق فإنه يأتيه سبعون شيطانا فيتعلقون بيديه ورجليه وقلبه ويمنعونه عن الصدقة ، فلما سمعه بعض من حضر مجلسه قال إني أقاتل هؤلاء السبعين وخرج من المسجد وأتى المنزل وملا ذيله من الخنطة وأراد أن يخرج ويتصدق فوثبت زوجته وجعلت تنازعه وتجاربه حتى خر ذلك من ذيله فرجع الرجل خائبا إلى المسجد ، فقال له الواعظ ماذا عملت ؟ فقال صرفت السبعين فجاءت أمهم فهزمتنى اه . وأخبرنى من أثق به أنه قلما أن يتصدق بشيء إلا بعد محاربة أمهم والحرب سجال ودول - ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا - آمين . وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نأمر إخواننا التجار وغيرهم بالصدقة ولا يخلوا يوما واحدا منها ولو رغيفا أو فلسا أو بصلة أو تمرة أو زبينة أو صلاة ركعتين أو تسبيحة أو تهليلة ، وذلك لئلا ينزل عليهم فى ذلك اليوم بلاء قال صلى الله عليه وسلم : « باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها » وكلما كثرت الصدقة كان البلاء مدفوعا أكثر والله أعلم اه . وفى [جه] وعليكم بالمحافظة على الصدقات فى كل يوم ولو فلس نحاس أو لقمة واحدة بعد المحافظة على أداء المفروضات المالية فإن عناية الله تعالى بالعامل فى ذلك قريب من المحافظة المفروضات فى الجماعات اه ، وسيأتى أن للمداوم عليها من الله عناية عظيمة فكم يجبر له من كسرة وكم يستر له من عورة وكم يعفو له عن زلة وكم يأخذ له بيده فى كل كبوة اه . وفى [حص] : « ابدأ نفسك فتصدق عليها ، فإن فضل شيء فلاهلك ، فإن فضل عن أهلك شيء فلذى قرابتك ، فإن فضل عن ذى قرابتك شيء فهكذا وهكذا » ورحم الله من قال :

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه	تملكه المال الذى هو ماله
ألا إنما مالى الذى أنا متفق	وليس لى المال الذى أنا تاركه
إذا كنت ذا مال فبادر به الذى	يحق وإلا استهلكك مهالكه

وفي الحديث : « يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفريت أو لبست فألبيت أو تصدقت فأبقيت » وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق بكل ما فضل عن حاجتنا ولا ندخر منه شيئا إلا لضرورة شرعية سواء كان مالا أو طعاما أو ثيابا عملا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نخلى يوما واحدا من صدقة فإن لم نجد شيئا مما ذكرناه تصدقنا بالتسبيح وقراءة القرآن والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك من صنائع المعروف ، وفي الحديث : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء » ومعنى التصدق بالتسبيح وشبهه أن يجعل ثواب ذلك في صحائف المسلمين ، وهذا العهد يتعين العمل به على كل من كان قدوة في دين الله من العلماء والصالحين فينبغي لأحدهم أن يكون مقداما للناس في كل خير . انظره (فإن لم نجد) ماتتصدق به من حلال طيب (فالذكر) أى فذكر الله بأى نوع من أنواع الأذكار (أفضل ما به تصدق) أى أفضل شئ تصدق به (شخص) ذكر آ كان أو أنثى فإن النساء شقائق الرجال في الأحكام الشرعية (وهو) يسكون الهاء لغة أى الذكر (أعظم) وأحصن وأقوى (جنة) بضم الجيم ما يتقى به من السلاح جمعها جنن كغرفة وغرف . وفي [جص] « خذوا جنتكم من النار قولوا : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، فإني يأتين يوم القيامة مقدمات ومعقبات ومنجيات وهن الباقيات الصالحات » وفيه : « الذكر خير من الصدقة والذكر خير من الصيام » وفيه : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم » وفي رواية : « قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله » قال الحنفى : فهو أفضل شئ يتقرب به إليه تعالى والقرآن أفضل لمن يتدبر معانيه فيحصل له بتلاوته الزجر والتطهير ، أما الملوث بالمعاصى الذى يقرؤه بلسانه فقط فينبغي له الاشتغال بالذكر الذى يطهره من المعاصى ، وأفضل أنواع الذكر لا إله إلا الله أى للنفس الأمانة انظره ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « لذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً » وروى الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل : « أى العباد أفضل عند الله يوم القيامة ؟ قال الذاكرون الله كثيرا قلت يا رسول الله : ومن الغازى في سبيل الله ؟ قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة » . وروى الطبرانى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو أن رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر الله أفضل » وروى أيضا : « من كبر مائة وسبح مائة وهلل مائة كانت له خيرا من عشر رقاب يعتقها ومن سبع بدنات ينحرها » وروى النسائى أنه صلى الله عليه وسلم قال لأم هانئ : « سبحى الله مائة تسبيحة فإنها تعدل مائة رقبة من ولد إسماعيل ، واحمدى الله مائة تحميدة فإنها تعدل مائة فرس ملجمة مسرجة تحملين عليها في سبيل الله ، وكبرى الله مائة تكبيرة فإنها تعدل مائة بدنة مقادة متقبلة ، وهللى الله مائة تهليلة ولا أحسبه إلا قال تملأ ما بين السموات والأرض ولا يرفع يومئذ لأحد مثل عملك إلا أن يأتى بمثل ما أتيت » قال رحمه الله :

(عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ فَلَيْسَ بِمَحْدُودٍ وَلَا بِمَوْقِفٍ
وَلَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابٍ لَطْفٍ عَذَا مِنْ الذِّكْرِ عِنْدَ أَمْرِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ)

(عليك) اسم فعل للأمر بمعنى الزم (بذكر الله) عز وجل من تهليل وتسبيح وتحميد وتكبير واستغفار وتلاوة القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر الله أفضل ما يتقرب به المتقربون وأفضل ما أعطاه لعباده في الدنيا، وهو عنوان الولاية وصحة البداية ودلالة صفاء النهاية. وذكر الإمام الرازي أن جميع العبادة تزول يوم القيامة إلا الذكر قال تعالى - فاذكروني أذكركم - وقال - واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين - وقال - ولذكر الله أكبر - أي في النهي عن الفحشاء والمنكر من غيره وفي [جص] «علامة حب الله حب ذكر الله وعلامة بغض الله بغض ذكر الله» وفيه: «ذاكر الله في الغافلين مثل الذي يقاتل عن الفارين وذاكر الله في الغافلين كالمصباح في البيت المظلم، وذاكر الله في الغافلين كمثل الشجرة الخضراء في وسط الشجر الذي قد تحات من الصريد، وذاكر الله في الغافلين يعرفه الله مقعده من الجنة، وذاكر الله في الغافلين يغفر الله له بعدد كل فصيح وأعجمي» وفي [حى] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين» وقال صلى الله عليه وسلم: «يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفته بي» وقال صلى الله عليه وسلم: «ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع» وقال صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل» وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي الأعمال أفضل فقال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل» وقال صلى الله عليه وسلم: «أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة» وقال صلى الله عليه وسلم: «لذكر الله عز وجل بالغداة والعشي» الحديث، وقال صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تبارك وتعالى إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير من ملته، وإذا تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، وإذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، وإذا مشى إلى هرولت إليه» يعني بالهرولة سرعة الإجابة، وقال صلى الله عليه وسلم: «سبعة يظلهم الله عز وجل في ظله - يوم لا ظل إلا ظله - من حملهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله» انظره، وفي الحديث القدسي: «من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» وفي آخر: «إن الله عز وجل قال: يا عبدي اذكرني بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما بينهما» وقال بعضهم: «إن الله عز وجل يقول: أيما عبد اطلمت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه» ورحم الله من قال:

الذكر أفضل باب أنت داخله الله فاجعل له الأنفاس حراسا

والقاب أفضل بيت فيه تذكره فكن له في جنان القلب غراسا

وفي الحكم: أكرمك بكرامات ثلاث: جعلك ذا كرامة، ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك، وجعلك مذكورا به إذ حقق نسبته لديك، وجعلك مذكورا عنده فتتم نعمته عليك، وفيه: الخلدان كل الخلدان أن تنفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه، وتقل عوائقك ثم لا ترحل إليه، انظره. وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال: ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها» اهـ. وفي [مح] وقال سبدي لإبراهيم المتبولي: الذكر أسرع في الفتح من صائر

العبادات ، وقال : إن الحق تعالى لا يقرب عبداً إلى حضرته إلا إن استحي منه حق الحياء ، ولا يصح له أن يستحي كذلك إلا إن حصل له الكشف ورفع الحجاب ، ولا يصح له الكشف ورفع الحجاب إلا بملازمة الذكر ، وقال : ولا يحصل لأحد مقام الإخلاص الكامل إلا بالذكر فإن أول ما يتجلى للعبد إذا اشتغل بالذكر توحيد الفعل لله سبحانه ، فإذا تجلى له توحيد الفعل لله سبحانه خرج كشفوا يقيناً عن شهود كون الفعل له وخرج أيضاً عن طلب الثواب عليه وعن الكبر والعجب والرياء . وقال سيدى على الخواص : بمداومة الذكر تحمد^(١) الأمراض الباطنة من كبر وهجب ورياء ونفاق وسوء خلق وحسد وغل وحقد وحب رياسة وميل لتقبيل يد وقيام ، فإن الغم والهم فيها إنما هما بقدر الغفلة عن الله تعالى فلا يلو من العبد إلا نفسه إذا ترادفت عليه المموم والغموم فإن ذلك إنما هو جزاء بقدر إعراضه عن الله تعالى فمن أراد دوام السرور فليداوم على الذكر انظره ، ثم قال : إذا أكثر العبد ذكر ربه باللسان حصل له الحضور ، وإذا حصل له الذكر مع الحضور صار الحق مشهوده وهناك يستغنى عن ذكر اللسان فلا يذكر باللسان إلا في محل يقتدى به فيه لا غيره ، لأن حضرة شهود الحق سبحانه حضرة بيت وخرس يستغنى صاحبها في الجمعية بالمدلول ، فقد استغنى العبد عن الدليل ، انظره فقد أفاد وأجاد رضى الله عنه وعنا به آمين . وفي [شب] اعلم أن الذكر عند العارفين لغير أرباب الشهود لما في الحديث القدسي : « من ذكر لم يشهد ومن شهد لم يذكر » أي من كان يرى له وجوداً فقد كفى به فإنه محجوب ، والمحجوب لا يشهد ، ومن شهد أن الوجود لي ولا وجود لغيري علم أني الذاكر والمذكور والذاكر فلم يذكر ، وبهذا يتضح قول ابن العربي رضى الله عنه :

بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس السرائر والقلوب

وترك الذكر أفضل كل شيء فشمس الذات ليس لها غروب

وهذا من باب : حسنات الأبرار سيئات المقربين وقليل أهل هذا المقام الذين قال قائلهم :

الله يعلم أني لست أذكره وكيف أذكره إذ لست أنساه

ومنه قول بعضهم رضى الله عنه :

ما إن ذكرتاك إلا هم يلعني سرى وجهرى وفكرى عند ذكراك

حتى كأن رقيباً منك يهتف بي إياك ويحك والتله كار إياك

فاجعل شهودك من لقياك تذكرة والحق تذكاره إياك إياك

أما ترى الحق قد لاحت شواهد فواصل السكل من معناه معناك

قال في [جه] لأن تقادم الذكر في جميع مراتبه كان وسيلة إلى الوصول إلى هذه المرتبة فإذا وصلها انقطع الذكر من أصله وصار ذاكرة على كل أحيانه استوى نومه ويقظته وحضوره وغيبته واستوى الأمر عنده أكان مع الخلق أم كان وحده وصاحب هذا الحال لو اجتمع في مكان مع جميع الخلق شيئاً ولا يسمع في خطابهم وأكثروا اللغظ والصخب لم يعلم من خطابهم إلا خطاب الحق سبحانه وتعالى يخاطبه انظره (في كل حالة) من حالاتك وفي كل وقت من أوقاتك (فليس بمحدود) بحال من الأحوال ولا بعدد من الأعداد (ولا بموقت) أي بوقت من الأوقات - ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون - وعن عائشة رضى الله عنها وعنا بها آمين قالت : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه »

(١) من غدت النار كقعد : سكنت وذهبت اه .

أى أنه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله تعالى متطهرا ومحدثا وجنبا وقائما وقاعدا ومضطجعا وماشيا
فما من وقت إلا والعبد مأمور بذكر مولاه الذى خلقه فسواه ورزقه وأغناه ووفقه وهدهاه وأسبغ عليه
نعماه - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - وهذا من خصائص الذكر من بين العبادات . قال ابن عباس
رضى الله عنهما فى قوله تعالى - فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم - وقوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا - لم يفرض الله فريضة إلا جعل الله لها حدا معلوما ثم عذر أهلها فى حال العذر
غير الذكر فإنه لم يجعل له حدا ينتهى إليه ولم يعذر أحدا فى تركه إلا مغلوبا على عقابه وأمرهم به
فى الأحوال كلها فقال - فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم - وقال - اذكروا الله ذكرا كثيرا - أى
بالليل والنهار وفى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل
حال انظر الخازن (ولا شيء) من العبادات بأسرها (أنجى) أى أكثر نجاة (من عذاب لظى) اسم
طبقة من طبقات النار أجازنا الله والمسلمين منها بمحض فضله وكرمه آمين (غذا) هو يوم القيامة (من
الذكر) أى من ذكر الله تعالى أى من ذكر عذابه وعقابه وثوابه وإحسانه (عند أمر) ونهى (رب
البرية) أى عند أمره بشيء بالامثال أونبيه عن شيء بالاجتناب وكثيرا ما يقول سيدنا أبو الفيض رضى
الله عنه وعنا به آمين : أفضل الأذكار ذكر الله عند أمره ونهيه . وفى [حى] وقال الحسن : الذكر
ذكران : ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره ، وأفضل من ذلك
ذكر الله سبحانه عندما حرم الله عز وجل اه . وفى [جص] « إن لكل شيء سقالة وإن سقالة القلوب
ذكر الله ، وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله ولو أن تضرب بسيفك حتى ينقطع » وفيه
مأعمل آدمى عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله » قال الحنفى : فجميع أعمال الخير تنجى من عذاب
الله لكن الذكر أعظم نجاة من غيره بأى صيغة كان من صيغ الذكر اه : وفى مسلم عن عائشة رضى الله
عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنه خلق كل إنسان من بنى آدم على ستين وثلاثمائة مفصل
فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وصبح الله واستغفر الله وعزل حجرا عن طريق الناس أو شوكة
أو عظما عن طريق الناس وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى فإنه يمضى
يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار » اه . فينبغى للعاقل أن يواظب كل يوم على هذا العدد من هذه الأذكار
ولا يضرك بأيمن بدأت فقل أستغفر الله وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر حتى تعد ثلاثمائة
ومستين - والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - آمين والله تعالى أعلم وأحكم .

[فصل فى السبحة]

قال رحمه الله :

(وَقَدْ كَانَ شَيْخُنَا يُلَازِمُ سُبْحَةَ فَإِنْ اتَّخَذَهَا شِعَارُ الْأُيُمَةِ
وَفِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ جَاءَ أَصْلُ سُبْحَةِ وَأُخْتُبَ فِي ذَلِكَ السُّيُوطِي بِمِصْحَةِ
فَكَمِ مِنْ صَحَابِيٍّ يُسَبِّحُ بِالنُّوَى كَمِثْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَصَفِيَّةِ)

(وقد كان شبيخنا) وسيدنا وسندنا وعدتنا أبو الفيض أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه وعنايه آمين (يلزم) في جل أوقاته وأحواله (سبحة) بضم السين خرزات تعد للذكر . وفي [جه] ويذكر الله عز وجل في كل أحيائه لاتفارقه سبحته يحب الإكثار من ذكر الله ويحضر عليه ويقول كل شيء حمد الله لنا إلا ذكره فإنه قال جل وعز - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا - وقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا - الآية انظرو (فإن اتخاذا) أى السبحة (شعار) بكسر شين معجمة ويفتح ماتحت الدثار من اللباس وما يلي شعر الجسد ، ودثار ككتاب مافوق الشعار من الثياب وهو كناية عن ملازمة العبادات (الأئمة) الصوفية لها وهي من شعار وعلامة الصالحين . وفي [شب] وقيل للجنيذ أنت مع شرفك تأخذ سبحة بيدك ؟ فقال طريق به وصات إلى ربي لا أفارقه : يعنى أنه لم يزل ملازما على ما اعتاده في بدايته من الأوراد فإن المدد في مداومتها وهي مجموع الأذكار والأدعية ونوافل الخيرات كما قال سيدى إبراهيم الدسوقي : ما قطع مريدورده يوما إلا قطع عنه الإمداد في ذلك اليوم ، فإن طريق القوم تحقيق وتصديق وعمل وتزهد وغض بصرو طهارة بدو فرج ولسان ، فإن خالف شيئا من ذلك رفضته الطريق ولو كررها اه .

[تنمة] من شعار الصالحين أيضا حمل العصا لأنهم دائما مسافرون إلى الآخرة ، وروى أن الشافعى رضي الله عنه كان يمشى على العصا فقبل له في ذلك ؟ فقال لى أذكر أنى مسافر من الدنيا . ورحم الله من قال :

حملت العصا لا الضعف أوجب حملها على ولا أنى تحنيت من كبر
ولكننى ألزمت نفسى حملها لأعلمها أن المقيم على سفر

وفي [جص] « حمل العصا علامة المؤمن وسنة الأنبياء » قال تعالى - وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاى أنوكأ عليها وأمش بها على غنمى ولى فيها مأرب أخرى - وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم عزة أى عصا يتكىء عليها إذا مشى ويغرسها إذا صلى فيسن حمل العصا لذلك لا لغرض فاسد ، وقد شوهدت لها بركات ورؤيت لها كرامات :

(١) وثم أمور ليس يمكن كشفها ولكن أهل الله أدرى بحكمة

(وفي مسند الفردوس) لأبى منصور الديلمى (جا) قصره للوزن (أصل سبحة) في الشرع ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نعم الذكر السبحة » وروى أيضا ابن أبى شيبه عن ابن عمر رضي الله عنهما « أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يعقد السبحة بيده » (وأظن) من الإطنا ب ضد الإيجاز (في ذلك) أى في أن لها أصلا في الشرع والسنة خلافا لمن قال إنها محدثة وبدعة مستحسنة الإمام جلال الدين أبو الفضل سيدى عبد الرحمن (السيوطى) (٢) رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه آمين (بمنحة) أى في كتابه المسمى بالمنحة في استعمال السبحة . وذكر فيه أن جمعا من الصحابة رضى الله عنهم منهم عائشة وأبو هريرة وأبو الدرداء كانت لهم السبحة وكذلك جمع من الأولياء كالجنيد والجيلاني ومعروف الكرخي ، وذكر فيه عن مولانا على رضى الله عنه أنه قال : نعم الذكر السبحة ، وذكر عن زاذان أنه قال : أخذت عن أم يغفور تسابيح لها فلما أتيت عليها قال اردد على أم يغفور تسابيحها .

(١) وهذا البيت لم يوجد في الأصل إلا صدره وأكلته بنظمى تنميا لفائدة اه مصححه .

(٢) بضم سين : نسبة لسيوط اسم قرية من مصر اه .

و ذكر عن فاطمة بنت الحسين بن علي أنها كانت تسبح بحيط معقود في يدها انظر [غ] وفيها : وذكر الشيخ أبو الفضل العقباني في جواب له مسلسل للقاضي عياض بسنده إلى الحسن البصري كل واحد يقول رأيت فلانا وفي يده سبحة فسألته عما سألتني عنه إلى الحسن البصري فقال للسائل : يا بني هذا شيء استعملناه في البداية ما كنا لنتركه في النهاية إني أحب أن أذكر الله بقلبي ولساني ويدي اهـ . وفيها : قال في [المنحة] ولم ينقل عن أحد من السلف ولا من الخلف المنع من عدم الذكر بالسبحة بل كان أكثرهم يعدونه بها ولا يرون ذلك مكروها اهـ . وأما ما نقل عن بعضهم من أن عد الذكر بالأنامل أفضل للحديث الوارد في ذلك عن ابن عمر رضي الله عنهما فهو مقيد بما إذا أمن من الغلط في العدد ، وقد قيل إن أكثر الذكر المعداد الذي جاءت به السنة الشريفة لا ينحصر بالأنامل غالبا ولو أمكن حصرها لكان الاشتغال بذلك يذهب الخشوع والسبحة يؤمن معها ذهاب الخشوع فهي معينة على الحضور أيضا ، ورحم الله القائل فيها ونسبه في المنحة لعماد الدين المنوي رحمه الله :

ومنظومة الشمل يلهو بها الله يب فتجتمع من همته

إذا ذكر الله جل اسمه عليها تفرق ^(١) من هيئته

(فكم من صحابي) أي فكم من واحد من الصحابة رضي الله عنهم (يسبح) الله تعالى بكثرة وعشيا (بالنوى) مفردة نواة بلا حصر في عدد بل كل واحد بحسب حاله ووقته (كمثل أبي هريرة) بالصرف للضرورة وأخرج الترمذي عن أبي عبد الله بن أبي رافع قال : قلت لأبي هريرة لم كنيت بأبي هريرة ؟ قال كنت أرعى غنم أهلي وكانت لي هرة صغيرة فكنت أجعلها بالليل في شجرة وإذا كان بالنهار ذهبت بها معي فكُنيت بها فكُنوني أبا هريرة . وروى ابن عبد البر عن أبي هريرة أنه قال : كنت أهل يوما هرة في كمي فرآني النبي صلى الله عليه وسلم فقال « ما هذه فقلت هرة فقال لي يا أبا هريرة فتحصل أنه كني بها لأنه كان يصحبها إما صغيرا يلعب بها وإما كبيرا يحسن إليها لأنه الذي روى أن امرأة عذبت في هرة فلعاه أخذ بقياس العكس فرجا الثواب في الإحسان إليها الحديث « في كل ذي كبد رطب أجر » واسمه عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه وعنايه أمين . وعن خالد بن عكرمة أن أبا هريرة كان يسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة ويقول : أسبح بقدر ذنوبي . وعن نعيم ابن الحر عن أبي هريرة أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به انظر بعض مناقبه في الفتوحات الوهية على الأربعين النووية ، وروى عنه رضي الله عنه أنه كان له كيس فيه حصي أونوى يسبح به وكذا روى عن أبي الدرداء أنه كان له نوى من العجوة في كيس فإذا صلى الغداة أخرجهن واحدة واحدة يسبح بهن ، وروى البغوي في معجم الصحابة عن أبي صفية مولى النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يوضع له نطع ويخاء بزنبيل فيه حصي فيسبح به إلى نصف النهار ثم يرفع فإذا صلى الأولى أتى به فيسبح حتى يمسي ، وروى أيضا عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه كان يسبح بالحصي أو النوى انظر [غ] (و) كمثل (صفية) بنت حيي أم المؤمنين رضي الله عنها وعن صواحبها وعنايتها أمين ، وروى الطبراني عنها أنها قالت « دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يدي أربعة آلاف نوى أسبح بهن » وروى الحاكم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال « دخلت مع النبي صلى الله عليه وسلم

على امرأة بين يديها نوى أو حصى تسبح بهن « يحتمل أنها صفة أو غيرها . وفي [جص] « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس واعقدن بالأنامل فلنهن مسئولات مستنطقات ولا تغفلن فتنسين الرحمة » قال الحنفى : فالأفضل إذا أريد العدد الضبط بالأنامل وبالأصابع إلا إذا خيف الغلط فيضبط حينئذ بالسبحة أو بنحو خيط فيه عقد وإذا أصل في ندب السبحة لخوف الغلط ، وقد روى بعض الأكابر ويده سبحة فقيل له مثلك في مقام الشهود والكمال يحتاج للسبحة؟ فقال شيء تعودناه في البداية فلا تركه في النهاية ، أما من يتخذ السبحة لأجل التزين ويزخرفها ويتحدث مع الناس وهو يقلبها في يده فذلك علامة على سوء حاله اه . وفي [م] :

واتخذ السبحة للإعانة وعمل الإمام ذى الديانة

وللساحل رحمه الله :

ولا بد يا هذا من أعمال سبحة تنظمها وترا فحافظ على الوتر

لحديث « إن الله وتر يحب الوتر » ولتوافق أسماء الله الحسنى في كونهم تسعة وتسعين ، ولكن المعمول بها عندنا الكمال والتمام - ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير - قال رحمه الله :

(وَقَدْ سُمِّيَتْ حَبِلُ الْوُصُولِ فَكَمْ لَهَا مِنْ الْفَضْلِ كَأَسْتَشْفَا بِأَصْدَقِ نِيَّةٍ)

(وقد سميت) السبحة عندهم رضى الله عنهم (حبل الوصول) إلى الله تعالى كما سميت أيضا [رابطة القلوب على ذكر علام الغيوب] ومذكرة لصاحبها عند الفترة ومنبهة له عند الغفلة ومعينة لأنها تعين صاحبها على الحضور القلبى وعلى ضبط الأوراد وعلى نهوض الهمة للذكر (فكَمْ لها) للسبحة (من الفضل) والشرف وذلك (كاستشفاء) قصره للوزن أى كالاستشفاء من الأمراض الحسية والعلل المعنوية لكن (بأصدق نية) أى بنية صادقة « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » وفي [غ] ولا شك أنها آلة مباركة شريفة كيف وهى سبب موصل إلى دوام اذكر الله تعالى وقد شوهدها فيها ولها بركات عظيمة : منها ما فى المنحة عن أبى مسلم الخولانى رضى الله عنه أنه كان له تسبيحة فقام ليلة والسبحة بيده قال : فاستدارت السبحة والتفت على ذراعه وجعلت تسبح ، فالتفت أبو مسلم والسبحة فى ذراعه وهى تقول : سبحانك يا منبت النبات وبادائم الثبات . قال : هلمى يا أم سلمة فانظرى إلى أعجب الأعاجيب . قال : فجاءت أم سلمة والسبحة تدور وتسبح ، فلما جلست سكنت ، ثم قال : وفى [المنحلة] أيضا أن سبحة الشيخ أبى الوفاء التى أعطاها للشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه كانت إذا وضعها على الأرض تدور وحدها حبة حبة ، وفيها أيضا مانصه : أخبرنى من أثق بقوله أنه كان مع قافلة فى درب بيت المقدس فقام عليهم سرية عرب فجردوا القافلة كلهم وجردونى معهم ، فلما أخذوا عمامتى سقطت سبحة من رأسى فلما رأوها قالوا هذا صاحب سبحة فردوا على ما كان أخذنى وانصرفوا سالما منهم . قال : فانظر يا أخى إلى هذه الآلة المباركة الزاهرة وما جمع فيها من خير الدنيا والآخرة اه . ونقل أن سيدى عبد الله بن حسين القباب شيخ سيدى محمد بن ناصر رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أهلى عليين مأواهم كان إذا علق سبحة واشتغل بتجارته تدور بنفسها وتذكر الله . قال تعالى - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده - الآية :

وكن صادقا في حبهم ومصداقا بأحوالهم واحلهم مخالفة الشمس

قال رحمه الله :

(فَصْنَهَا بِكَيْسٍ أَوْ يَحْيَى وَلَا تَكُنْ بِهَا مُغْلِبًا فِي الْعُنُقِ خَوْفًا لِشَهْرَةٍ
بِهَا خَنَقَ الْفَارُوقُ مَنْ كَانَ مُغْلِبًا وَقَالَ تَقُولُ فَأَعْرِفُونِي بِسُبْحَتِي)

(فصنها) أى فاحفظ السبحة من الأقدار والأوساخ (بكيس) بكسر الكاف وعاء الدراهم (أو يحيى) بفتح الجيم طوق القميص ونحوه. وفى [غ] ولهذا تجد الصادقين من أهل الطريق يتحفظون بها عن القاذورات وكل ما فيه امتحان لها ويتبركون بها فيضعونها على الألف بقصد الاستشفاء بها ، وقد رأيت الناظم رحمه الله تعالى يعظمها أشد التعظيم ويصونها عن الأقدار وعن وضعها بمحل يكون مظنة للامتحان حتى إنه كان إذا أصاب بيده بزاقا أو نجاسة يغسلها لأجل أن يأخذ بها السبحة ، وربما كلم فى ذلك فيجيب بما حاصله ماتقدم من عمل الصديقين من أهل الطريق ، ثم بعد ذلك رأيت كلا ما للشيخ أبى الفضل العقباني رحمه الله تعالى صرح فيه بذلك ونصه : وقد بلغنى أن هؤلاء الذاكرين بهذه السبحة يتحفظون بها عن القدر وعن كل ما يظن به أذى تكريما وتشريفا لها وإن فعلهم لسداد لأن ما أعد لذكر الله تعالى من تكبير وتسبيح وتحميد وتمجيد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم جدير بأن يصابن عن الأخباث والأدران وأن يتبرك بلمسه ويستشفى به ويرفع غاية . قال : ومن ثم وضعها سحنون رضى الله عنه فى عنقه إلى آخر كلامه ، فليراجعه من أراد ذلك فى [النوازل المازونية] اهـ . (ولا تكن) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (بها) أى بالسبحة (معلنا) من أعلن الشيء أظهره (فى العنق) كقفل الجيد ويقال عنق بضميتين وكأمر وصرده (خوفا لشهرة) بضم معجمة ظهور الشيء فى شناعة ، وعن إبراهيم بن أدهم : ماصدق الله من أحب الشهرة والظهور . وفى [خل] وأما الشهرة وإشارة الناس إلى العبد فإنها لن تضر إلا من أرادها والمرء يلبس بزي عمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، فكم من مستر بعمله قد شهره الله به وكمن متزين بعمله يريد به الاسم واتخاذ المفزلة عند الناس قد شانه الله به ، وإنما يصلح ذلك ويفسده الضمير فإن أحب الشهرة جمع الشهرة والرياء والعجب جميعا وإن أراد الله وحده وكان مخلصا لم يضره ذلك عرف أو لم يعرف ، انظره . وفى [غ] بعد مامر عن العقباني قلت : فيؤخذ من هذا أن جعل السبحة فى العنق لأبأس به بل هو حسن لمافيه من رفع هذه الآلة المباركة حسبا صرح به العقباني من فعل الإمام سحنون رضى الله عنه وعلى هذا فيطلب حسبا نص عليه بعض شراح المباحث من فاعل ذلك إخفاؤها وجعلها تحت الثياب تجافيا عن المباهاة والتظاهر بدعوى الفقر وأسباب الشهرة وهذه طريقة المحققين من أهل الطريق ، وأما جعلها فى العنق فوق الثياب ظاهرا فهو جوار على طريقة أهل الزى ^(١) والشهرة ، ثم قال : وهذه الطريقة الأخيرة ليس عليها عمل أهل طريقتنا فلا ينبغي أن يقر على ذلك من فعله لأن ربح المرید إنما هو فى متابعة أستاذه متابعة الظل شاخصه وليسلم لأهل الطرق ما أخذوه عن أساتذتهم . وبالجمل فطريقنا أن لا نجعل السبحة فى العنق إلا بقصد رفعها وصونها تكريما وتشريفا لها وعليه يحمل عمل أصحابنا الذين بالصحراء ومن يتابعهم على ذلك وما عدا ذلك فليس من طريقنا فى شيء والله الموفق انظرها (بها) بالسبحة (خنق) أبو حفص سيدنا عمر رضى

(١) بكسر الزاى لا بفتحها : الهبة .

الله عنه وعنايه آمين (الفاروق) لقب بذلك لأنه فرق بين الحق والباطل وأظهر الإسلام بمكة ففرق بين الإسلام والكفر لقوله صلى الله عليه وسلم « اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين » فسبقت السعادة لسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعن حذيفة رضى الله عنه قال : لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لايزداد إلا قوة فلما قتل كان الإسلام كالرجل المدبر لايزداد إلا ضعفا . وفي [جص] « عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدى مع عمر حيث كان وماترك الحق لعمر من صديق » وعن مصعب بن سعد أن حفصة رضى الله عنها قالت له : يا أمير المؤمنين لو لبست ثوبا هو ألين من ثوبك وأكلت طعاما هو أطيب من طعامك فقد وسع الله عليك من الرزق وأكثر عليك من الخير ؟ فقال إني سأخاضمك إلى نفسك أما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقي من شدة العيش ، فإزال يذكرها حتى أبكاهها ، فقال والله لأشاركته في مثل عيشه الشديد لعل أدرك عيشه الرخي . ونقل أنها رضى الله عنها قدمت إليه مرقا باردا وصبت عليه زيتا ، فقال أدمان في إناء ؟ لا آكله حتى ألقى الله عز وجل ، وكان لا يجمع في سباطه بين إدامين رضى الله عنه وعنايه آمين :

هكذا هكذا ولا فلا لا طرق الجدد غير طرق المزاح

ونقل أن سيدنا العباس رضى الله عنه وعنايه آمين كان خليلا له فلما أصيب جعل يدعو ربه أن يريه إياه فرآه بعد حول وهو يمسح العرق عن وجهه فقال ما فعلت ؟ فقال هذا أوان فرغت من الحساب إن كاد عرشى ليهطل لولا أنى لقيت رءوفا رحما اه - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - وعنه رضى الله عنه قال لبعض إخوانه : أوصيك بستة أشياء : إذا أردت أن تقع في أحد وتذمه فذم نفسك فإنك لا تعلم أحدا أكثر عيوبها منها ، وإن أردت أن تعادى أحدا فعاد البظن فليس لك عدو أعدى منها ، وإن أردت أن تحمد أحدا فاحمد الله تعالى فليس أحد أكثر منه منة عليك والطف بك منه ، وإن أردت أن تترك شيئا فاترك الدنيا فإنك إن تركتها فإنك محمود ولا تركتك وأنت مذموم ، وإن أردت أن تستعدي شيئا فاستعد للموت فإنك إن لم تستعد له حل بك الحسران والندامة ، وإن أردت أن تطلب شيئا فاطلب الآخرة فليست تنالها إلا بأن تطلبها اه (من كان معلنا) بسببته في عنقه وهو سيدنا تميم الدارى رضى الله عنه وقد وضعها في عنقه فلقبه سيدنا عمر رضى الله عنه فزجره عن ذلك (وقال) له أنت (تقول) للناس بلسان الحال (فاعرفوني بسببتي) وفي [خل] ومن هذا الباب ما يفعله بعضهم من تعليق السبحة في عنقه ، وقد تقدم قول عمر رضى الله عنه لتميم الدارى رضى الله عنه : أنت تريد أن تقول أنا تميم الدارى فاعرفوني ، وما كان مراده إلا أن يذكر الناس بالأحكام الشرعية المأمور بإظهارها وإشاعتها وإظهار السبحة ، والتزين بها لا مدخل له في ذلك ، بل للشهرة والبدعة لغير ضرورة شرعية . وقريب من هذا ما يفعله بعض من ينسب إلى العلم فيتخذ السبحة في يده كاتخاذ المرأة السوار في يدها ، ويلازمها وهو يتحدث مع الناس في مسائل العلم وغيرها ، ويرفع يده ويحركها في ذراعه ، وبعضهم يمسكها في يده ظاهرة للناس ينقلها واحدة واحدة كأنه يعد ما يذكر عليها وهو يتكلم مع الناس في القيل والقال وما جرى لفلان وما جرى على فلان ، ومعلوم أنه ليس له إلا لسان واحد فعده على السبحة على هذا باطل إذ أنه ليس له لسان آخر حتى يكون بهذا اللسان يذكر واللسان الآخر يتكلم به فيما يختار ، فلم يبق إلا أن يكون اتخاذاها على هذه الصفة من الشهرة والرياء والبدعة ، انظره : فكل ما ذكره رضى الله عنه صحيح مشاهد بالعيان بل اتسع الخرق على الراقع - إنا لله وإنا إليه راجعون -

قلت : اللهم لا يكون من باب خرق العادة والكرامة وكثيرا ما يقع ذلك لأكابر الأولياء ، وقد مر عن سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنايه أمين أنه كان يطالع الكتاب ويده تجذب عقد السبحة ويسبح بلسانه حتى يختم ورده فيجمع بينهما ولا يشغله واحد عن الآخر ، راجع مامر . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

من بدع شاعت لدى الآفاق	تعاق السبحة في الأعناق
وجعلها في اليد كالسوار	وسردها بين ذوى الأسفار
بالقيل والقيل وبالأخبار	بما جرى في الناس والأقطار
صنها أخى بالسكيس أو بالجيب	والعنق تحت الثوب دون ريب
ومعلن بها من الطوائف	دعه وحاله ولا تخالف
إياك والجidal والمماره	معهم وجادل نفسك الأماره
بالسوء والذنوب والآثام	على ممر الدهر والأيام
فإنها لك عدو سرمد	بالله فاستعن عليها أبدا
فإنه خير معين مقتدر	إني مغلوب إلهي فانتصر

[تتمه] لو اتخذت للخيل والرياء حرمت كما لو نظمت في تحرير كذلك وإلا فلا حرمة كما أفتى بذلك ابن الصلاح وغيره من العلماء رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين ، والله تعالى أعلم وأحكم .

[فصل في مسائل شدد فيها سيدنا أبو الفيض أحمد بن محمد التجاني] رضى الله عنه وعنايه آمين . قال رحمه الله :

(وَشَدَّدَ شَيْخُنَا أَبُو الْفَيْضِ فِي الْإِمَا بَيْعِ أَوْ انْكَاحِ تَسَرُّ لِسَهْوَةٍ
وَرَخَّصَ بَعْضُ قَالَ ذَلِكَ تَوَرُّعٌ مِنَ الشَّيْخِ خُذْ بِرُخْصَةٍ أَوْ عَزِيمَةٍ)

(وشدد) من التشديد ضد التخفيف (شيخنا أبو الفيض) أحمد بن محمد التجاني رضى الله عنه وعنايه آمين النهي والزجر (في) شأن (الإما) قصره للوزن جمع أمة لتهاون الناس وتساهلهم في حقوقهم وعدم مبالاهم بهن قال تعالى - واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا - إلى - وما ملكت أيمانكم - وقال صلى الله عليه وسلم « إخوانكم خولكم جعلهم الله قنية تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه ولا يكلفه ما يغلبه فإن كلفه ما يغلبه فليعنه » . وفي [جص] « اتقوا الله في الصلاة وما ملكت أيمانكم » وفيه « اتقوا الله في الضعيفين المملوك والمرأة » وفيه « خيركم خيركم للمالك » وفيه « حسن الملكة يمن وسوء الخلق شؤم وطاعة المرأة ندامة والصدقة تدفع القضاء السوء » وفيه « للمملوك على سيده ثلاث خصال : لا يعجله عن صلاته ، ولا يقيمه عن طعامه ، ويشبعه كل الإشباع » وفيه « إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه قد كفاه علاجه ودخانه فليجلسه معه فإن لم يجلسه فليتناوله أكلة أو أكلتين » وفي الحنفى : ونقل ابن المنذر عن جميع أهل العلم أن الواجب إطعام الخادم من غالب القوت الذى يأكل منه مثله في تلك البلدة ، وكذلك القول في الإدام والكسوة فإن للسيد أن يستأثر بالنفيس من ذلك وإن كان الأفضل أن يشرك معه الخادم في ذلك ، انظره . وفيه « من ابتاع مملوكا فليحمد الله

وليكن أول ما يطعمه الخلواء فإنه أطيب لنفسه » (يبيع) لمن يتسرى بها أو ينكحها العبد أو لحر خشي العنت (أو إنكاح) لعبد أو حر كذلك قال تعالى - ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم - (تسر) أى أو يتسرى بها يقال تسرى بأمته اتخذها سرية بضم السين نسبة إلى السر . وفى [جص] « عليكم بالسرارى فلنهن مباركات الأرحام » يعنى الحبشيات . قال العزيزى : قال (عمر) ليس قوم أكيس من أولاد السرارى لأنهم يجمعون فصاحة العرب ودهاء العجم اهـ . فأولادهن نجباء ذو وحدى وفصاحة بخلاف أولاد الزوجات كما هو مشاهد اهـ . وفيه « تخيروا لنطفكم واجتنبوا هذا السواد فإنه لون مشوه » قال الحنفى : أى صاحبات السواد وهن الزنج ، وفيه : « الزنجى إذا شبع زنى وإذا جاع سرق وإن فهم لسباحة ونجدة » وفيه « الحرائر صلاح البيت والإماء فساد البيت » أى كما هو مشاهد بالعينان فبكثرة الإماء فى الدار يكثر فسادها وبقلتها ينقل فسادها ومن شك فليجرب (لشهوة) وهى اشتياق النفس إلى الشيء ، وفى [جص] « فضلت المرأة على الرجل بتسعة وتسعين جزءا من اللذة ولكن الله ألقى عليهن الحياء » قال الحنفى : فالشهوة مائة جزء منها جزء فى الرجل والباقي فى المرأة ولولا الحياء لتخطفن الرجال من الأسواق ، وفيه « فضل ما بين لذة المرأة ولذة الرجل كأثر الخيط فى الطين إلا أن الله تعالى سترهن بالحياء » وفيه « الحياء عشرة أجزاء فتسعة فى النساء وواحد فى الرجال » قال العزيزى : وتماه « ولولا ذلك ما قوى الرجال على النساء » وفيه « إن الرجل إذا نظر إلى امرأته ونظرت إليه نظر الله تعالى إليهما نظر رحمة ، فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما » قال العزيزى : ويظهر أن محل ذلك إذا كان قصدهما الإعفاف أو الولد لتكثير الأمة اهـ . وفى [د] من يملك الأمة من غير أن يتسرى بها أو يزوجها لغيره أو يبيعها بهذا الشرط فليحط سبحتى ما بينى وبينه شىء اهـ : وفى [غ] وأما المسألة الثانية فهى أن الشيخ رضى الله عنه كان فى مرض موته يتكلم مع أصحابه ويذكرهم على عاداته عظيمة أمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فعجى ذكر الرفيق فقال رضى الله عنه : من يملك أمة من غير أن يتسرى بها أو يزوجها من غيره أو يبيعها على هذين الشرطين فليطرح سبحتى من يده اهـ . ولا شك عندنا أن هذا خرج منه رضى الله عنه مخرج الزجر والتغليظ لما بلغه تساهل الناس فى ذلك مع ما فيه من تضييع الحق الشرعى ومصادمة الوارد فى قوله صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » ثم قال : [لطيفة] سمعت بعض خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه وفضلائهم يقول فى مسألة الأمة هذه إن سيدنا رضى الله عنه ذكر ذلك فى مرض موته حسبا سبق قريبا فهو نعى نعى به نفسه لأصحابه رضى الله عنه أخذنا من الوارد عنه صلى الله عليه وسلم من أنه كان آخر ما أوصى به « الصلاة وما ملكت أيمانكم » وللوارث قسط مما لم يورثه والله در هذا السيد فيما فهمه فى هذه المسألة ولا محالة أنه عثر على السرف فيها بلا ريب عند من أنصف وعقل - وما يعقلها إلا العالمون - اهـ . ولذا قال رحمه الله : (ورخص) من الترخيص وهو التسهيل والتخفيف (بعض) أى بعض الخاصة رضى الله عنه وعنايه آمين . (قال) أى حال كونه قائلا (ذاك) أى التشديد المروى عن سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنايه آمين فى شأن الإماء إنما هو (تورع) من تورع من كذا تخرج وتأثم منه (من الشيخ) رضى الله عنه وعنايه آمين (خلد) أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (برخصة) وهى ترخيص الله للعبد فيما يخففه عليه لحديث « الرخصة هدية الله فاقبلوها » وفى [جص] « إن الله تعالى يحب أن تقبل رخصه كما يحب العبد مغفرة ربه » قال العزيزى : فينبغى استعمال الرخص فى محلها سيما العالم يقتدى به اهـ : وفيه « إن الله

يجب أن تؤتي رخصه كما يجب أن تؤتي عزائمهم وفيه : « أدوا العزائم واقبلوا الرخص ودعوا الناس فقد كفيتهم » وفيه : « أفضل أمتي الذين يعملون بالرخص » وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نجب إتيان الرخص في الشريعة في بعض الأحيان لإظهارها للضعف وتحصيلها لمقام محبة الله عز وجل لأعماله على يدينا قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب أن تؤتي رخصه كما يحب أن تؤتي عزائمهم » لكن مع مراعاة شرط الرخصة وهو حصول المشقة الشديدة فلا يتكافى فعل ما لا يقدر عليه إلا بمشقة شديدة ولا ينزل إلى الرخص مع القدرة على فعل الأعلى بسهولة في العادة ، فمن أظهر الضعف من نفسه أحبه الله وصارعت إليه الرحمة ، والله تعالى أعلم اهـ (أو عزيمة) وعزائم الله فرائضه التي أوجبها على عباده . وفي [ثيق] ثم لا يخفى عليك يا أخى أن من مصطلح القوم أن يأخذوا العهد على المرید بالعزائم دون الرخص طلبا للترقى إذ الرخص لا ترقى فيها غالبا إلا بحسب النية الصالحة ، فإياك أن تبادر إلى اعتراض على أحدهم في أخذ العهد على مرید بأنه لا يفعل مباحا وتقول : كيف يمنعه مما أباحه الله تعالى لعباده فإنك في واد والقوم في واد آخر . وقد أجمعوا على أن من تمهد الرخص لا يفلح في طريقهم إنما هي طريق جد واجتهاد وأخذ بالعزائم فإن المباح إنما شرعه الله تعالى تنفيسا للضعفاء من مشقة التكالييف ، فمن لم يحصل عنده مشقة من التكالييف فليجعل موضع المباح واجبا أو مندوبا اهـ . وفي [غ] فمعلوم أن أهل الطريق رضى الله عنهم يأخذون بالاحتياط في الدين بغاية الجهد فيجتنبون المكروه حتى كأنه حرام ويؤكدون العمل بالمندوب حتى كأنه واجب ، انظره . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

وينبغي إحالة للعمل	للفرض والندب ابتغاء الأفضل
فالفرض والمندوب أولى ما به	يطلب لإنسان رضاء ربه
حال الفقير بين باء وألف	فهو بالله إليه قد ألف
وفي حديث المصطفى تخلقوا	بخلق الله به تحققوا
واستغرق الأنفاس في الأذكار	فإنها بضاعة الأعمار
فالليل والنهار ينهان	منك وفي الموقف يشهدان
فكل ساعة خلعت عن ذكر	فهى حسرة ييوم الحشر
لاتقرن ما كان من حرام	وجنب المكروه بالتمام
الحقه بالحرام عند القوم	إذ لا سبيل لاقتحام اللوم
قد صيروا المباح فرضا يمثل	إذ ليس عندهم مباح في العمل
وصيروا النفل من المفروض	لنيل أجر عمل مفروض
وسامحوا في ما لهم والعرض	بدينهم ضنوا ^(١) ليوم العرض
واسلك سبيلهم أخى في العمل	والجد والتشمير من غير كسل

وفي [جه] فأما سيرته فتجده رضى الله عنه شديد الحزم في الدين على الهمة فيه شديد الحرص على مهماته بعد القيام بواجباته ، وقافا على الحدود والأحكام غاية حاثا للوقوف عليها ويقول كثيرا : أفضل الأذكار ذكر الله عند أمره ونهيه حافظا لحقوق الله مراعيها لها شديد التحرز والورع في الدين كثير التحفظ فيه والتحرز للأحوط ما رأيت أشد حزما وأعظم ورعاً منه ، كله حزم وعزم ، لا يجب

(١) أى بخلوا .

التأويلات ولا يميل إلى ارتكاب الرخص ويفرى على فعل المأمورات ويحذر من الوقوع في المنهيات ويعظم أمر الشرع العزيز ويحل أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يخالف ، وكثيرا ما يستشهد بقول الله تعالى - فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم - ويجب أن يفعل ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن فعله على سبيل الأمر لنا ويقول : ينبغي للإنسان إذا سمع شيئا من هذه الآداب النبوية والمباحات التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعلها بقصد الموافقة ولو مرة واحدة ، ويحافظ على السنة في محاولاته ومناولاته لله ويجب موافقتها في كل شيء ولا يجب الخروج عنها في شيء من الأشياء ولودعت إليه الضرورة وكان لا بأس به ويقول الخير كله في اتباع السنة والشر كله في مخالفتها ، ويحض على العمل بالعلم كثيرا وخصوصا لمن يشتغل به فعلى قدر رباح السفينة جريانها وعلى قدر طبخ الحديد لإحكام الصنعة فيه وإتقانها ، انظره . وفي [خل] وكان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول : إني لا أتكلم بالورع في هذا الزمان والناس يحملون ما أتكلم به على سبيل الورع وليس كذلك فصار لسان العلم عندهم ورعا ، وترتبت على هذا مفسدة عظيمة وهي أنهم ينسبون كثيرا من الشريعة إلى الورع فيتركون بسبب ذلك الإتيان ، وباب الورع ضيق لا يدخله إلا الأفذاذ إذ ليس هذا زمان الورع غالبا ، وما يتعلمون به من ذكر الورع إنما هو من تسويل النفس والهوى والشيطان ليثبت (١) عن بركة الإتيان ، انظره . قال رحمه الله :

(وَنُكَّحَ بَنَاتُ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا فِرَاراً مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حُسْنِ عِشْرَةٍ
فَذَاكَ إِذَا بَيْتُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَفَاحِشَةُ الْفُضْلَى عَلَى كُلِّ نِسْوَةٍ
وَلَوْ مَرِّمِ الْفُضْلَى وَبِمَتْ خَوْبِلِيدٍ قَمَا خُلِقَتْ أَنْتَى تَقَاسُ بِبِضْعَةٍ
وَقَالَ بَرِيءٌ مِنْكَ إِنْ أَنْتَ حُزَّتْهَا لِيْنِ اسْتِشَارَةُ بِنُكْحِ شَرِيفَةٍ)

(ونكح) بضم النون وكسر ها النكاح والتزوج وبفتحها البضع : أي وقد شدد سيدنا أبو الفيض رضي الله عنه وعنايه أمين النهي عن نكاح (بنات أهل بيت نبينا) محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهن كل من لسيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها وعنايه أمين عليها ولادة إلى يوم القيامة (فرارا) وهروبا (من التقصير) والتفريط (في حسن عشرة) بكسر العين : المخالطة والصحبة المأمور به شرعا وطبعها قال تعالى - ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف - وقال - فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان - وقال - فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا - وقال صلى الله عليه وسلم : « استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا » (فذلك) أي التقصير والتفريط في حسن عشرتهن رضي الله عنهن (إذاية النبي) بتشديد تحتية أو بهمزة (محمد) صلى الله عليه وسلم (و) إذاية لابنته سيدتنا (فاطمة) رضي الله عنها وعنايه أمين اللهم شفّعها وأبويها وابنيها وبعلمها فينا وفي أصولنا وفصولنا ديننا وبدنا وفي كل من أحبنا ومن أحسن إلينا ولو بشرط كلمة أمين (الفضلى) بضم الفاء تأنيث الأفضل (على كل نسوة) بكسر النون وضمها . وفي : [جص] « فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني »

وفيه: «فاطمة منى يقبضني ما يقبضها وييسطني ما ييسطها وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسبي وصهرى» وفيه: «أتاني ملك فسلم على نزل من السماء لم ينزل قبلها فبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة» قال الحنفى: «هى أحب أولاده صلى الله عليه وسلم، وكانت إذا قدمت عليه قام لها تعظيها لها ومحبة، وكان يقبلها فى فمها ويطلب منها أن تخرج لسانها ليمصه، وكانت أحسن الناس شعرا. ويؤخذ من الحديث تفضيلها على جميع النساء حتى المختلف فى نبوتها كسيدتنا مريم وهو كذلك لكن لا مطلقا بل من حيث أنها بضعة وجزء منه صلى الله عليه وسلم وسلم وسيدتنا مريم أفضل من حيث أوصاف أخر قامت بها لقوله تعالى - واصطفاك على نساء العالمين - وترتيبهن فى الفضل كما فى البيت:

أفضل النساء بنت عمران ففاطمة خديجة ثم من قد برأ الله انظره اه
والصحيح عندنا أنها أفضل من جميع النساء على الإطلاق لما سيأتى والله أعلم، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه:

وأفضل النساء على الإطلاق	فاطمة الزهراء بالإطباق
ثم من بشرت ببيت من قصب	فى جنة من لؤلؤ ومن ذهب
ثم التى قد برأ الرحمن	من قول أهل الإفك ذا بهتان
ثم التى قد اصطفاه الأكرم	على نساء عالمها مريم
بنت مزاحم فأم موسى	والفضل بالتقى بعيد فى النساء

وفيه: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران» قال العزيرى: قال السبكي: الذى ندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة اه. والحديث: «فاطمة خير نساء عالمها» قال العلقمى: يؤخذ منه أن فاطمة أفضل من مريم اه. وقوله تعالى - واصطفاك على نساء العالمين - أى عالمى زمانها (ولو) كانت المفضل عليها سيدتنا (مريم الفضلى) الصديقة بنت عمران رضى الله عنها (و) لو كانت سيدتنا خديجة المبشرة على لسان جبريل عليه السلام ببيت فى الجنة (بنت خويلد) رضى الله عنها وعنا بها آمين. وفى [جص]: «خديجة خير نساء عالمها» ومريم خير نساء عالمها، وفاطمة خير نساء عالمها» وفيه: «خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون» اه (فما خلقت) ولا وجدت على وفق ما اقتضته الإرادة الربانية وحكمت به المشيئة الصمدانية سبحانه وتعالى - لا يستل عما يفعل - (أنثى) جمعها إناث (تقاس) من قاسه بكذا وعليه قدره على مثاله (ببضعة) أى يبضعته صلى الله عليه وسلم وهى بفتح موحدة وتكسر وتضم قطعة من اللحم، وفى ذلك قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه:

وبضعة بفتح با وكسرها وقد تضم قطعة اللحم اه

وفى [جمع] سئل سيدنا رضى الله عنه عن الأخبار الواردة فى السيدات الطاهرات: سيدتنا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وأما خديجة وأما عائشة رضى الله عن جميعهن: فكل واحدة ورد فى حقها أنها أفضل من غيرها من النساء، وعن القول بنبوة مريم وأم موسى؟ فأجاب رضى الله عنه بقوله: «أما نبوة مريم واحتجاج القائل بقوله تعالى - ولما قالت الملائكة يا مريم - والقول بنبوة أم موسى تمسكا بقوله تعالى - وأوحينا إلى أم موسى - فكل هذه

الأقوال باطلة لايعول منها على شيء : والقول الحق الذى يجب المصير إليه أن النبوة مستحيلة على الإناث لاسبيل لمن إليها ، ثم إن آسية ومريم قال فيهما صلى الله عليه وسلم : « كل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران » والمراد بذلك أنهم أدركن مقام الصديقة التى ليس فوقها فى المعرفة بالله والعلم به والرسوخ فى العلم إلا القطبانية فهذا غاية ما أدركن .

وأما خديجة فقد صرح صلى الله عليه وسلم بفضلها فى أحاديث حتى قالت عائشة رضى الله عنها : ما كنت أغار من امرأة من نساءه صلى الله عليه وسلم إلا من خديجة بنت خويلد من كثرة ما يذكرونها صلى الله عليه وسلم ويعظمونها . وقد نقل ابن سبيع فى [شفاه] أنه صلى الله عليه وسلم قال يوما للناس : « ألا إن صفوتى من نسائى عائشة بنت الصديق إلا ما جعل الله من الفضل لخديجة بنت خويلد » فأظهر فضلها هنا عليها ، وقد نقل ابن سبيع أيضا حديثا أنه صلى الله عليه وسلم قال يوما لفاطمة رضى الله عنها : « أنت سيدة نساء العالمين ، فوضعت يدها على رأسها حياء فقالت له : أين آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد ؟ فقال لها صلى الله عليه وسلم : آسية سيدة نساء عالمها ، ومريم سيدة نساء عالمها ، وخديجة سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك » وقد قال يوما لعلى رضى الله عنه بعد ما عقد له على فاطمة « زوجتك سيدة نساء العالمين » .

وأما عائشة فقال صلى الله عليه وسلم : « فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وقد تعارضت أقوال العلماء فى التفضيل بين فاطمة وعائشة كل طائفة مالت إلى تفضيل أحدهما من محتجين بهذين الحديثين . وقد قال مالك رضى الله عنه : أما أنا فلا أفضل أحدا على بضعته صلى الله عليه وسلم ، مع كون جماعة من العارفين أجمعوا من طريق الكشف لامن طريق السمع على أن فاطمة أدركت بعد أبيها صلى الله عليه وسلم مرتبة القطبانية العظمى ، وحيث كان هكذا فلا نسبة بين فاطمة وعائشة قال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وليس فى خالق الله كله عموما وإطلاقا من بعد الأنبياء من البشر والملائكة من يتأتى منه أن يصل إلى جزء من ألف جزء من تقوى قطب الأقطاب ولو بلغ ما بلغ فهو أفضل جماعة المسلمين فى كل عصر إلا ما كان من مفاتيح الكنوز فهو أفضل منهم فى أمور وهم أفضل منه فى أمور .

فإذا تعقلت هذا ففاطمة أفضل من عائشة قطعا ومن مريم وآسية ، وكونها رضى الله عنها أدركت القطبانية دون سائر النساء لكونها لا تحيض ، ومن كونها أعطيت مرتبة الكمال من أبيها مما لا مطمع للنساء فيه فلذلك أدركت القطبانية . والقطب سيد الوجود فى كل عصر إلا ما كان من مفاتيح الكنوز ، وسبب عدم حيضها تكوين نطفتها التى تكونت فى صلبه صلى الله عليه وسلم تكونت من أكله تفاحة من تفاح الجنة ، فلذا قال أبوها فيها : « هى حوراء آدمية » وكونها حوراء لم تخلق من فضلات التراب التى مادتها سارية فى جسد آدم عليه السلام إلى سائر بنيه فإنما كانت مادة نطفتها من معانى الجنة وأسرارها التى خلق الله منها الحور فكمملت طهارتها من ملابس أحوال البشرية التى تلبس النساء فكانت بذلك حوراء آدمية ، وبذلك وصلت المرتبة العليا بين يدى الحق سبحانه التى ليس فوقها إلا النبوة وعائشة وغيرها لا مطمع لمن فى هذا فبان لك حينئذ أنها أفضل من جميع النساء الفاضلات .

وأما القول بنبوة مريم فقلنا إنه باطل . ووجه إبطاله أن القطب فى كل عصر له وجاهة إلى كل ذرة من الموجودات يملؤها ويقيمها كل الوجود ذرة ذرة مستمدون فى ذلك ، فما من ساجد سجد لله تعالى

في الوجود أو راعى ركنه الله أو قائم قام الله أو متحرك تحرك الله أو ذاكر ذكر الله بأي ذكر في جميع الوجود ،
فالقطب في ذلك هو المقيم له فيه سبى المسيح وبه عبد العابد وبه سجد الساجد وبه وقعت الوجاهة
الأخرى التي لا تذكر . فحاصل الأمر فيه أنه للوجود كله بمنزلة الروح للجسد كما أن الجسد لا قيام له إلا بالروح
ولا تعقل له إلا بالروح ، ولا حركة له إلا بالروح وجميع خواص الجسم الظاهرة والباطنة من حيث ما هي كلها
بالروح الحيوانى المتعلق به فإذا انعدمت الروح منه انعدمت جميع خواص الجسد وصار ميتا معدوما كذلك
جميع أجساد الوجود في نسبتها إلى القطب هو لها كالروح للجسد فلو زالت روحانيتها منها لانعدم الوجود
كله فهو روح الوجود ، وكل خواص الوجود بأسرها على الثامها واقتراقها وعمومها وخواصها
وإطلاقها وتقيدها كلها لا تلازم ذوات الوجود إلا بوجود روحانية القطب فيها فإذا أزال القطب
روحانيتها عنها انعدم الوجود كله وصار ميتا وهذه القوة بها تحمل سر الاسم الأعظم وسريانه في كلية
عوالمه ، وبسر الاسم الأعظم صار بين يدي الله تعالى قائما مستكلا آداب الحضرة الإلهية ومستكلا
آداب حقوق الله تعالى في جميع تجلياته الأسماوية والصفائية والذاتية في كل آن وفي كل مقدار طرفة
عين ، ولانهاية لما يتجلى به ربنا سبحانه في كل مقدار طرفة عين من استمرار الزمان من أسمائه وصفاته
وتقلب شؤونه ، والقطب في ذلك بين يدي الله تعالى يعطى جميع التجليات ما تستحقه من الآداب والوظائف
والخدمة في كل مقدار طرفة عين وإن كثرت التجليات إلى غير نهاية فهو يوفى جميع حقوقها وآدابها
فليس في الوجود من يقدر على تحمل جميع ما يتجلى به الحق سبحانه في جميع الوجود غيره فهو في
هذا في كل مقدار طرفة عين من عمره ، ولو أن جميع الصديقين وقفوا مع الله في هذا الموقف لانعدما
في أسرع من طرفة عين وهذا دأبه وديدته . فإذا عرفت هذا فالنساء لا قدرة لهن على هذا التحمل
لضعفهن ولكون الحيض شاغلا لهن عن إقامة الحقوق الإلهية ، فلو أن امرأة قامت مقام القطبانية
لتعطل القيام بحقوق الله في تجلياته في أيام من عمرها وهي أيام الحيض فإذا تعطل القيام بواجبات حقوق
الله انهدمت المرتبة أعنى القطبانية وبهدمها ينهدم الوجود . فإذا عرفت هذا علمت أنه لانسبة للنساء في
تحمل مرتبة القطبانية ، هذا في القطبانية فانقطاع طمعهن في النبوة أخرى وأولى لأن النبوة أكبر من
القطبانية . وأما فاطمة رضي الله عنها فإنها وصلت مرتبة القطبانية لأنها استمدت الكمالات الإلهية التي
تتحمل بها سر الاسم الأعظم والثبوت في مرتبة القطبانية ، ولا مطمع للنساء في استمداد تلك الكمالات
منه صلى الله عليه وسلم إلا فاطمة فقط فلذلك كانت أفضل النساء على الإطلاق .

وإذا عرفت هذا عرفت منه أنه لا مطمع للنساء في درك الاسم الأعظم وأما ما استدلوا به على نبوة
السيدة مريم بنت عمران بكلام الملائكة وعلى نبوة أم موسى بالوحي . فالجواب أن الله كلم إبليس
بذاته ولا يقال فيه نبوة إذ الرب سبحانه وتعالى أعلى وأولى من الملك وليس نبوة في حق إبليس ، وأما
أم موسى فوجه إبطال نبوتها بالوحي قال سبحانه وتعالى - وأوحى ربك إلى النحل - وليست بنبوة في
النحل - وقوله تعالى - وأوحى في كل سماء أمرها - ولا قائل بنبوة السماوات ، وقوله سبحانه وتعالى -
بأن ربك أوحى لها - يعنى الأرض ولا قائل بنبوتها ، فدل على أن الوحي لا يستلزم النبوة ، انظره :
وفي [هب] لما سئل عن اختلاف العلماء في نبوة من ذكر من النساء مانصه : الصواب مع أرباب
القول الثاني وهو نفي النبوة عن نوع النساء ولم تكن لله نبوة في ذلك النوع أبدا وإنما كانت مريم
صديقة ، والنبوة والولاية إن اشتركتا في أن كلا منهما نور وسر من أسرار الله عز وجل فنور النبوة

مباين لنور الولاية ومابه المبينة لا يدرك على الحقيقة إلا بالكشف غير أن نور النبوة أصل ذاتي حقيقي مخلوق مع الذات في أصل نشأتها ولذا كان النبي معصوما في كل أحواله ونور الولاية بخلاف ذلك ، ثم قال : وأما ما ذكره في الفرق بين النبي والولي من نزول الملك وعدمه فليس بصحيح لأن المفتوح عليه سواء كان نبيا أو وليا لا بد أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هم عليه ويخاطبهم ويخاطبونه ، وكل من قال : إن الولي لا يشاهد ولا يكلمه فذلك دليل على أنه غير مفتوح عليه ، انظره ولا بد .

(وقال) رضى الله عنه وعنا به أمين أنا (برىء منك) في الدنيا والآخرة (إن أنت حزتها) أى الشريفة بالتزويج بها (لمن استشاره) من الأصحاب في ذلك لحديث : « ماخاب من استخار ولا ندم من استشار » وفي آخر : « المستشار » وتضمن فإذا استشير أحدكم فليشر بما هو صانع لنفسه » ونقل أن الشافعي رضى الله عنه كان يقول : لا تشاور من ليس في بيته دقيق : أى لأنه مشتت الذهن والبال . وفي [جص] « استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا » . قال المناوى : فيشاور في شأن الدنيا من جرب الأمور ومارس الخبور والمخذور ، وفي أمور الدين من عقل عن الله أمره ونهيه . قال الحفنى : ولا يسأل أهل الآخرة عن أمور الدنيا إذ لا تعلق لهم بذلك ، ولذا في قصة النخل قال صلى الله عليه وسلم « أنتم أعلم بأمر دنياكم » للتشريع بأن يعلم أن أمور الدنيا لا يستل عنها أهل الآخرة وهو قبل إعلامه صلى الله عليه وسلم بذلك . ويؤخذ من كون المستشار لا بد أن يكون عاقلا أنه لا يطلب مشاورة النساء لنقص عقولهن وكذا ورد « لاخير في مشورتهن » فإن وقعت مشورتهن فينبغي مخالفتهن لحديث « شاوروهن وخالفوهن فإن في مخالفتهن البركة » اهـ . وفي [جـه] وإذا جاءه أحد يستشيره في أمر ديني أو دنيوي كأمر المعاش مثلا بين له مراحجه وأرشدته مصالحه ونديه لما فيه نجاح حاله وفلاح مآله فينجمع مطلوبه ويحصل مرغوبه ويبين له حسن العاقبة وما كان راجيه ومراقبه فتقع بصيرته رضى الله عنه على الأمور كلها كما هي لأنها ناشئة عما كمن فيه من النور الإلهي . ومن المعلوم منه في الاستشارة أن الاعتبار عنده الذى عليه المعول هو ما نطق به من الكلام الأول ، وبذلك صرح أيضا غير مأمرة إذ علم هؤلاء القوم رضى الله عنهم ليس عن رواية ولا فكرة وإنما هو العلم اللدني والفتح الرباني ، وما حصل أولا فهو ذاك ولا يحصل إلا عن الحكمة والصواب فإن النقطة المستشير عثر على حكمة الاستشارة وانقلب بغنيمة وتجارة ، وإن لم يأخذه وراجعته في الكلام فإنه يجاريه فيه حتى ينصرف فإن عمل بمقتضى الكلام الأخير كان بعزل عن إصابة التدبير ومضيعة للفائدة المقصودة فلم ينجح عمله ولا أمله ، وقد لا يتيسر له ذلك العمل أصلا فيرجع لمقتضى الإشارة في الكلام الأول ويعلم أن حكمة الله فيه ويتبين الأمر تبينا ويقف عليه عيانا ، وهذا مما اشتهر وشاع ذاع عند جل الأصحاب في المنع والانتفاع ، انظره . وفي [مع] وأما كيفية استشارته رضى الله تعالى عنه فإنه قال رضى الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به : من أراد أن يشاورني وكان بيني وبينه بعد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم مائة مرة ، ثم يذكر حاجته وهو مشخص نفسه بين يدي ، فالجواب ما يقع في قلبه اهـ (ينكح) بضم النون وكسر ها : أى في نكاح امرأة (شريفة) من أهل بيته صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم أمين اهـ . وفي [جـه] عن سيدنا أبي التيمض رضى الله عنه وعنا به أمين أنه كان يحب آل البيت النبوي المحبة العظيمة ويودهم المودة الجنسية ويهتم بأمورهم ، لا يزال سريضا على إيصال الخير لهم ويضرع إلى الله فيما

يصلحهم ويكرمهم غاية الإكرام ويبرهم أشد البر ويتواضع لهم أشد التواضع ويتأدب معهم أحسن الأدب ، وينصحهم ويذكرهم ويرشدهم إلى التخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم والعمل بسنته ويقول : الشرفاء أولى الناس بالإرث من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحض الناس على محبتهم وتوقيرهم والتواضع لهم والأدب معهم ، ويبين عظيم مجدهم ورفيع قدرهم ويرى أن التواني في أمورهم ومحبته نقص في الإيمان ، ولا يحب من يناوئهم^(١) أو يباريهم أو يخل بالأدب معهم وشدد النكير على من فعل ذلك معهم رضى الله عنه وأرضاه ومتعنا برضاه آمين .

ومن عظيم محبته إياهم وأدبه معهم وتواضعه لعل قدرهم أن لا يترك من استشاره من أصحابه أن يصاهرهم مخافة تقصيرهم في شيء من الحقوق التي تجب عليه لهم أو وقوعه في بعض الحقوق ، ورأته يوما شدد على بعض أصحابه حين أراد تزويج شريفة فنهه من ذلك وقال له إن فعلت فأنا برى منك في الدنيا والآخرة ، نعوذ بالله من مخالفتك في غيبته وحضرته وذلك لثلا يقع منه ما يغضبهم ويسوءهم ، فيغضب بذلك فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ويغضب أباهما صلى الله عليه وسلم ما أغضبها للحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده والطبراني والحاكم في المستدرک والبيهقي عن المسور ابن مخزومة رضى الله عنه حيث خطب ابنه الحسن المثنى على ابنة عمه فاطمة بنت الحسين رضى الله عنهما فاعتل له بحديث « فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها ويسخطني ما يسخطها » وبأن عنده ابنتها وذلك يغضبها ويغضب جدتها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم : فوافق فعل سيدنا رضى الله عنه فيمن استشاره فعل هذا الصحابي الكريم وسلك مسلكه في الإجلال والتعظيم ، وإن المصاهر لهم قد يرى في نفسه شيئا من المساواة فيخل بالوقار ، وكثيرا ما يوصى بتوقيرهم واحترامهم والاحتياط في تعظيم مقامهم بعدم المصاهرة لهم مخافة أن يرى الإنسان نفسه أهلا لذلك فينكح منهم كما نكحوا منه فلا يرى لهم مزية ويستخف بمرتبتهم العلية ، وهذه آفة قلبية وعلة خفية لا يراعيها أو يحترز منها إلا أرباب القلوب ، ومن شدة تعظيمه لقدرهم وغيرته عليهم أنه لا يحب من يخالطهم على حظ ويخادعهم في شيء أو يكتم عنهم نصيحة ويقبح ذلك غاية التقبيح ويكره فاعله . والحاصل أن محبته لآل البيت النبوي وتعظيمه إياهم أمر عظيم لم نر مثله لأحد من أهل زماننا ولا سمعنا به ، بل هو شيء انفرد به وتحقق منه تحقيقا وبقينا ، والمحبة وإن كانت وصفا قلبيا تعلم زيادتها بالأحوال الدالة عليها والأمارات المرشدة إليها ، وإنا لا نعلم من يحب الشرفاء ويعظمهم في هذا الزمان مثل محبته وتعظيمه وليس ذلك بمستغرب في أمثاله ، ومحبة آل النبي صلى الله عليه وسلم رزقنا الله منها أوفر حظ ونصيب من نتائج الإيمان الحقيقي وثمراته ، انظره . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا نتزوج قط شريفة إلا إن كنا نعد أنفسنا من خدامها لأنها بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان يرى نفسه رقيقا لها ويعتقد أنه متى خرج عن طاعتها أبق وأساء فليتزوج ومن لا فلا ينبغي له ذلك ، ويقال لمن تزوجها للتبرك السلامة مقدمة على الغنيمة لاسيما إن تزوج عليها أو تسرى أو غيرها أو آذاها ببخله وشحه ويمكن للمؤمن التبرك بها بالإحسان إليها وزيارتها من غير تزويج . وبالجملة فلا يقدر على القيام بحق الشريفة وإكرامها إلا من ماتت نفسه وصح له مقام الزهد في الدنيا وباشر الإيمان قلبه بحيث صار أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليه من أهله وولده وماله ، فإن كل شيء يؤذى الشرفاء فإنه

يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان سيدي على الخواص ينهى من ينظر للشريفة وهي في الإزار والنقاب والخف ، ويقول للرائي أنت لو رأيت شخصا يمن النظر إلى بنتك في الإزار أما كنت تتشوف فكنكلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : وينبغي للمتدين إذا بايع الشريفة أو فصدها أو داواها أن لا يفعل ذلك إلا وهو في غاية الخجل والحياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما بائع الأخفاف ، ثم قال : وإن كنت يا أخي كامل المحبة لأولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهد إليهم ما يريدون يشترونه منك فإن الهدية لا تتوقف على رؤية والله تعالى أعلم ، وفيه : أخذ علينا العهود إذا كان لنا بنت أو أخت لها جهاز كبير وخطبها شريف فقير لا يملك غير مهرها وقوت يومه وليته أن تزوجه ولا نرده ، وذلك أن الفقر ليس بعيب نرد به الخطبة بل هو شرف ، وقد تمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بل سأل ربه عز وجل أن يحشره في مرة الفقراء والمساكين وقال : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » أي لا يفضل منه لا في غداء ولا عشاء ، فشيء اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لذريته وأهل بيته فهو غاية الشرف ، ومن رد شريفا فقيرا طلب تزويج ابنته يخاف عليه من المقت والله غني حميد انظره ، وفيه : أخذ علينا العهود أن لا نرى نفسنا على أحد من الشرفاء ولو كان جاهلا ونحن علماء وكذلك لا نتزوج له مطلقة ولو ثلاثا ولا نستخدمه في حاجة ، هذا هو الأدب مع كل شريف فإن الله تعالى فضل الشرفاء علينا لا بعمل عملوه ولا بخير قدموه بل بسابق عناية من الله عز وجل لهم . ثم اعلم يا أخي أن تعظيمنا للشريف الذي طعن بعض الناس في صحة نسبه ربما كان أوجه لنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعظيم الشريف الذي صح نسبه لأن المحقق شرفه يتعين على كل أحد تعظيمه بالطريق الشرعي ، انظره . وفي الحديث « كيف وقد قيل » فافهم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . وأخبرني من أثق به من أهل العلم والشرف أن بعض الشرفاء أتى بعض الولاة ليعطيه شيئا من بيت المال فاستقله وقال له ائت بيينة تشهد على شرفك لتعطيك فتعنه من العطاء ، ولما نام الوالي رأى النبي صلى الله عليه وسلم رؤية إهانة فقال له : هل أنت مسلم ؟ فقال : نعم أنا مسلم يا رسول الله ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ائت بيينة تشهد أنك مسلم أو كما قال صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم : قال رحمه الله :

(وَسُكَّرَ قَالِبٌ لِمَا قِيلَ إِنَّهُ
وَلَمَّا أَتَى التَّيْمِينَ عِنْدَ جُهَيْنَةَ
فَقَالَ نَبَذْنَاهُ لِرَبِّ الْجَبَرَةِ
فَمِنْ صَحْبِهِ شَرِبَ بِمَرْئِيٍّ جَهْرَةً
وَتَارَكُهُ رَأْسًا وَمُسْتَفْ غَهْرَةً
فَمَا لَمْ شَارِبًا عَلَى شَرْبِهِ وَلَا
عَلَى تَارِكِهِ قَدْ عَابَ إِبْقَاءَ فَسْحَةِ)

(وسكر) بضم مهملة وتشديد الكاف كصلب . وفي [س] السكر بالضم وشد الكاف معرب شكر^(١) واحدته بهاء اه : أي وقد شدد سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين النهي عن سكر (قالب) بكسر اللام وفتحها مثال يفرغ فيه الجواهر ونحوها (لما) بكسر اللام وتخفيف الميم (قيل) أي لأجل قولهم (إنه) أي السكر (بصفي) من التصفية يقال صفي الشيء إذا هذبه وخلصه من الكدر

(١) بفتح شين معجمة وكاف اه .

والقدر (بخزير) أى بدمه المسفوح (وأعظم) جمع عظم وهو قصب الحيوان كان عليه اللحم أم لا (جيفة) بكسر الجيم جثة الميتة جمعها جيف وأجياف . وفى [د] هو عندى يعنى سكر القلب بمنزلة الخمر وذلك لما ثبت عنده من استعمالهم الدم فيه لأجل التصفية وذكر ذلك تشديدا وتهديدا لشاربه اهـ . وفيها سكر القلب حرام أكله وبيعه ، ثبت عندى أنه مصفى بالدم ، وثبت عند أصحابه رضى الله عنه رفع الإذن فى الورد عن شربه بعد إعلامه لهم بتحريمه حتى تاب منه وطلب منه تجديد الإذن فجدده اهـ . وفى [غ] واعلم أرشدنى الله وإياك إلى سلوك مناهج التحقيق وهدانا جميعا بفضلته وكرمه لأقوم طريق أن الناظم جدد الله عليه سبحانه رحمته وأعاد علينا من عيم بركاته قد أفى فى هذا المحل بأبيات خمسة عقد فيها مسئلتين أجنبتين مما ترجم له [المسئلة الأولى] مسئلة تورع سيدنا الشيخ رضى الله عنه عن سكر القلب ولا شك عندنا أن تركه لذلك رضى الله عنه إنما هو لما كان عليه من التحقق بمقام الورع وما سمع منه رضى الله عنه فيه من الدم خارج مخرج الزجر والتغليظ لمن كان يراوده على التساهل فيه بعد الخروج عنه الله تعالى وغير خاف أن هذا حال من رسخت قدمه فى مقام الورع ، وإذا كان لا ينكر على الشيوخ الكاملين والعلماء العاملين تورعهم عن المباح البين الذى لا شبهة تطرق إليه بحال فكيف ينكر على سيدنا رضى الله عنه تورعه عما كثر فيه فى ذلك الوقت بين عامة الناس وخاصتهم القليل والقال ، وقد ذكر فى العوارف عن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه ترك أكل البطيخ لأنه لم تبلغه الكيفية التى عليها كان أكله صلى الله عليه وسلم له ، وأما السكر فقد وقع فيه بين علماء ذلك الوقت نزاع كثير إلى أن ألف كل بما ظهر له ، وكاد الخلاف بينهم فيه أن يكون كاخلاف فى الجنب الرومى قبل هذه الأزمنة وبسبب ذلك تورع عنه الشيخ رضى الله عنه هذا الذى عندنا فى هذه المسئلة اهـ . وفى [حاشية ميارة على ابن عاشر] وأما سكر القلب الذى يجلب من بلاد الروم فقد أخبر بعض الثقات ممن له مزيد فطنة وتيقظ أن الروم يجعلون الدم المسفوح فيه عند طبخه للتصفية ثم يبالغون فيه بالعمل طبخا وتصفية إلى أن يصير فى نهاية من البياض والصلابة مفرغا فى القوالب على الشكل الواصل إلينا ، ولما أخبر الوالد قدس الله سره بذلك أفتى بأنه لا ينتفع به أكلا ولا شربا لأن المشهور فى المذهب أن الطعام المانع إذا حلت نجاسة ولو بسيرة يمكن أن يتحلل منها شيء فيه أنه يتنجس ولا يقبل التطهير للزوجته ومخالطة النجاسة لجميع أجزائه . وفى [المختصر] وينجس كثير طعام مائع بئجس قل ، ثم نظم فى ذلك سؤالا نصه :

أسادتنا أهل العلى فى المواكب	ومن زاحموا بدر الدجى بالمناكب
وسعد التقي فى جبههم واضح الطلا	وطالعهم فى أفقهم غير غارب
أسائلكم سؤال مسترشد فإن	أجبتهم فقد وفيتهم حق واجب
وإلا وقيتهم فاللجام لكاتم	معد وحق الله أدعى لراغب
لقد حدثوا بأن سكر القلب	بصافى الدم المسفوح يصفو لشارب
فبعضهم عن رآه وبعضهم	رآه عيانا ليس عنه بغائب
وليس بزعم مابه قد تحدثوا	وما زعموا إلا مطية كاذب
لقد حدثوا بالحق والحق أبلج	وما الحق عن سمع الذكى بعازب
وفى تونس من قبل هذا تحققوا	به إذ أتاهم ذاك من كل جانب

فجنبه أهل العلوم تورعا
وهب أن منه ما يصنى بدونه
فإن قلم الذى ادعيت غلبا
إذا حكمة عند النصارى تحققت
بصيرها أصلا أصيلا لديهم
على أنه لو سلم الأمر جملة
كذلك الحلال والحرام مبين
وماذا الذى يدعو اللبيب إلى صلا
وعنه يرى مندوحة بوجود ما
فهذا الذى يبدو لنا ، ولعله
أجيبوا بما فيه كفاية طالب
وخلوا تعاليل العوام فإنه
فحاطب ليل ما تأمل قوله
وللناس فيما يعشقون مذاهب
وما عجزت خرقاء عن علة بها
وتلبس وجه الحق ردا لواجب

وأجاب عن ذلك العلامة ابن عبد السلام الناصرى وأبو الربيع الخوات برسالة يحصلها : يتعين في
هذا الخبر أنه غلط نشأ عن توهم أن الحمرة التى فى السكر أول طبخه هى حمرة دم يخالطه حينئذ وليس
الأمر كذلك ، بل ذلك الاحمرار الذى توهم أنه دم إنما هو عين السكر فى أول أطوار طبخه فإنه يكون
إذ ذاك أحر كأنه عين دم وحرته أصالة لا أنها عن دم ، ربما عاد إليه شيء من أثرها بعد استقصاء
أعماله إذا قابلته نار أو أصابته رطوبة باردة ، وقد استوفى الحكماء فى تأليفهم الكلام على السكر
طبعا وطبخا وإفرادا وتركيبا وكلهم يذكر أنه أحر فى أول أطواره ولم يذكر أحد منهم أنه يشاب بشيء
من الدم فى قسم من أقسامه ، ولو قيل : إن طبخه بالدم خاص بصناعة النصارى كالا أو بعضا لقلنا : إن
علماء الملة الإسلامية فى المعمور كله أكثروا من التنفير عما يصل إلينا للانتفاع به من صنائعهم ثم لم
يقفوا إلا على أفراد نادرة بطريق الشك فضلا عن غلبة الظن المعتبرة شرعا وما ذكر أحد منهم السكر
مع أنه لا يستغنى عنه فى الأطعمة الفاخرة ولا قوام الأشربة والمعاجين والجوارش والسفوف العجيبة
افعل ، إلا أنه وإن ادعى هذا الخبر نقي الغلط عنه بساعه من النصارى لهذه الخيانة وقد كانت قبله
عندهم مما يتوارى ، فهو غمر إمعة لا يعرف المضرة من المنفعة ، وليته لم يسأل وترك هذا الأمر من
جملة ما يجهل ، هل المسلم عندهم إلا مسخرة فأخبارهم له لا تختمل إلا الكذب ، أنظره . ونقل العلماء
أن صنائع الكفار ولو مجوسا كلها تحمل على الطهارة لأنهم يتوقفون فيها بعض التوقى لئلا يجتنبهم الناس
فتكسد صنائعهم ، هذا فيما صنعوا لغيرهم وكذا لأنفسهم كما للبرزلى ، وهب أن تنجيس النصارى للسكر
بما ذكر صحيح فلا يحرم بيعه ولا أكله إما لطهارته بعد الاستحالة إلى صلاح وعدم الاستقذار كالمسك
فإنه دم منعقد ظاهر لاستحالة إلى صلاح وإن كان جزء حيوان لاتصافه بنقيض علة النجاسة وهى
الاستقذار ، وعن ابن عمر « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نجبة فى تبوك فدعا بالسكين فسمى

وقطع وأكل» وسئل مالك رضى الله عنه عن جبن الروم الذى يوجد فى بيوتهم وقد قيل : إنهم يجعلون عليه أنفحة^(١) الخنزير فقال ما أحب أن أحرم حلالا وأما أن يكرهه الرجل فى خاصة نفسه فلا أرى فى ذلك بأسا ، أنظر الحاشية المذكورة . وفى مضمن ذلك قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

بدأت ببسم الله رب البرية
وللمصطفى والآل أهدى تحية
رأيت سؤالا فائقا نظم جوهر
عليه من الرحمن وبل السحاب
أقول فما المسئول أعلم سائل
لقول أناس قد رأوا بعيونهم
تبالغ فى صفاته وبياضه
فأقضى بما فيه كفاية سائل
وقد ألف الخوات فى ذار رسالة
فما قد توهموه من حمرة دما
فماهى إلا عينه وطواره
وما زعموا من أنها عن دم بدت
فإن صنائع النصارى بأسرهم
فهم يتحفظون من كل داس
وهب أن ما قلتم صحيح المساند
سواء رأى أو أخبروه بما أتى
فما مسلم لديهم غير ضحكة
يقاس بمسك فى إحالته إلى
وقد كان أصله دما متجمدا
وجىء رسول الله يوما بجينة
فسمى عليها أكلا صاح بعضها
وقد سئل الإمام عنها فقال ما
وأما رماد النجس إذ قيل إنه
فقد حرر اللخمى فيه طهارة
كما حررت طهارة فى وقيدهم
ختمت بحمد الله ثم صلاته

به مستعينا فى جميع المطالب
أنال بها خير المنى والمواهب
لسيدنا حمدون بدر الغياهب
من الرحمت الصيبات الجوانب
بنظمه عن حلال سكر قالب
نصارى تصفى بالدماء السواكب
بذا صار أبيضاً^(٢) بوسط القوالب
ثقات أهمة بدور الكواكب
ففيها كفاية وغنية طالب
بأول طبخه فليس بصائب
وأصلية فيه بدون الشوائب
فذلك زعم وهو مركب كاذب
مطهرة ، أفى بذا كل ثاقب
يدنسها خوف انقطاع الرغائب
وإن كان نقل ناقل غير لازب
به من وساوس الظنون الكواذب
ومسخرة ولعبة فى المواكب
صلاح بلا استقداره كل^(٣) راغب
فصار بذاك من خيار المكاسب
من اعمال أهل الكفر من غير رائب
به قد تأسى كل أهل المذاهب
أحرم ما قد حل من وهم شائب
بمحوقه التبييض عن عين راقب
كذا غيره من النجوم الثواقب
وشمهم أجب بذا كل طالب
على المصطفى وآله والأصاحب

وكذا قال رحمه الله (ولما أتى) الخبر (اليقين) من أن ما قيل من تصفيته بالدم المفسوح وتبييضه برماد

(١) بكسر الهزة وفتح الفاء وقد تكسر: كرش الجمل أو الجدى، انظر [س] .

(٢) بتووين للضرورة . (٣) كل برفع فاعل بالمصدر اه .

النحس غير صحيح (عند جهينة) بالصرف للقافية وهم ساداتنا العلماء مصابيح الأمة رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم ، وهذا من أمثال العرب ، فإن حصين بن عمرو السكلابي سافر ومعه رجل من جهينة يقال له الأخنس ، ففرلا منزلا فقتل الجهيني السكلابي وأخذ ماله ، وكانت صخرة بنت عمرو تبكيه في المواسم ، فقال الأخنس :

تسائل عن حصين كل ركب وعند جهينة الخبير اليقين
(فقال) سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به أمين لمن سأل منه الرجوع إلى شربه وأكله (نبذناه)
طرحناه (لرب البرية) أى لوجه الله تعالى فلا نعود إليه ولو كان حلالا وكثيرا ما كان يتمثل رضى الله عنه وعنا به أمين بقول الشاعر :

إذا انصرفت نفسى عن الشئ لم تكن إليه بوجه آخر الدهر تقبل
(فن صحبه) أى فصارت أصحابه بعد ذلك على ثلاث فرق فمنهم (شرب) بفتح معجمة كفلس جماعة يجتمعون على شرب الخمر وهو اسم جمع شارب عند سيديويه ، وجمع عند الأخفش كراكب وركب وصاحب وصحب : أى فمنهم قوم يشربونه (بمرثه) رضى الله عنه وعنا به أمين : أى بحيث يراهم يقال أنت منى بمر أى ومسمع : أى بحيث أراك وأسمعك (جهرة) أى عيانا غير مستترين ولا مستخفين (و) منهم (تاركه رأسا) أى أصالة : أى ومنهم من يترك السكر شربا وأكلا تأسيسا رضى الله عنه وعنا به أمين (و) منهم (مستف) من استفتت الدواء قمحته وأخذته غير ملتوت (غبرة) بضم معجمة وفتحها الغبار . وفي [س] الغبرة كتمرة الغبار ، كالغبرة بالضم والغبر كسبب التراب اهـ (فالام) سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به أمين (شاربيا) للسكر (على شربه) بضم معجمة وفتحها مصدر شرب كعلم (ولا على تارك) له بالكلية تأسيسا به (قد عاب) يستعمل لازما ومتعديا (إبقاء فسحة) بضم الفاء السعة لأصحابه إذ هو رضى الله عنه وعنا به أمين أرف وأرحم بنا من آبائنا وأمهاتنا ورائة محمدية قال تعالى - بالمؤمنين رءوف رحيم - وللعلامة الحوات رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه في مدح الأتاي والحض على شربه والنهي عن الخمر وكل مسكر مانصه :

دعوا شربكم للخمر فالخمر مسكر	وفي الشرع كل المسكرات حرام
وهيموا بشربكم أتاي فإنه	حلال وليس في الحلال ملام
وكونوا عليه مدمنين فإنه	شفاء النفوس إن عراها سقام ^(١)
يثير ^(٢) نشاطا يسط الكف بالندى	فن ثم كل شاربيه كرام
ويكشف غم النفس سرأ وجهرة	ويوقظ جفن الأنس حين ينام
ويفتح باب الشهوتين وخير ما أش	هته الطبايع بآء وطعام
ويكسو الوجوه حمرة ونعومة	كأن بها وردا سقاها غمام
ويصقل ^(٣) جوهر العقول لطاعة	فيكشف عنها في الفهوم ظلام
ويدفع نتن الأنف والقم دائما	فظابت به ذات وطاب كلام
ويبطى* بالإزال في الوطء باعثا	على لذة هي المنى والمرام

(١) سقام كغراب وسحاب اهـ . (٢) من أثارت الريح الغبار اهـ .

(٣) بفتح تحتية وضم قاف من سقل كنصر اهـ .

ويمنع من حر الظما ويدرما^(١)
ولو ان في الامعاء ريحا تعقدت
وأفعاله في المضم حدث بها ولا
يوافق جملة الطباع مطلقا
فإن شئت فاصطبر وإن شئت فاغتنق
إلى غير هذا من منافع جربت
وآدابه شتى ويزداد حسنه
هو النعمة الكبرى على كل شارب
ومذهبتنا أن لا يشاب بغيره
ورحم الله من قال في مدحه أيضا :

ا

ألا قل لمن رام كل المنى
عليك بشرب الأتاي تفز
ولا سيما إن تحافظ على
كعبير زيد وسمن صني

ا

[تمة] وأما القهوة فقد مدحها وحض على شربها من قال رحمه الله :

عليك بشرب البن في كل ساعة
نشاط وإمياط وإذهاب باغم

ا

ورحم الله من قال فيها أيضا :

قهوة البن حلال وشفأ
إن يكن في شربها من ريبة

ا

ولما سئل عنها العلامة اليوسى : أهى حلال أم حرام ؟ أجاب بقوله : ولا أقول لكم فيها إلا ما قال الإمام البكرى المصرى رحمه الله لأصحابه حين قبل له ماتقول في هذه القهوة فقال : ألا قل لأصحابي عن القهوة انتهوا فليست بمكروه ولا بمحرم وذيلهما بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

ولو قيل : هذا في الأتاي لقليل طا
فأواه مأوى غيبة ونجيمة
فكم صحف تطوى من الذنب وقته

ولذا قال بعضهم رحمه الله لما سئل عن شرب الأتاي :

أرى شرب الأتاي اليوم جرحه
فلم يحرم ولم يكره ولكن

بق النعل نعلا عند كل نبيه
وكل ذى لب لا يرتضيه
وكم ساعة ضاعت على شاربيه

(١) يدر بضم تحتية وكسر دال من أدر القى أخرجه اه . (٢) جم لائم اه . (٣) بقون للضرورة اه .
(٤) جم جام : إناء من فضة يشرب منه اه . (٥) ساحل بين عمان وعدن .

قال رحمه الله :

(وَفِي طَابَةِ الْخَيْثَةِ الطَّنِجِ مُطْلَقًا فَنَ لَمْ يَنْقُبْ مِنْهَا بَقْلَ سُوءِ خَتَمَةٍ
وَلَا تَكَ مُفْتَرًا يَمْذَحُ صِحَابَهَا يَنْظُمُ وَنَثَرُ : لَهَا كَالْخَيْثَةِ)

(وفي طابة) أى وقد شدد سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين النهى أيضا عن العشبة المسماة عند أهلها بطابة سموها باسم من أسماء الخمر . وفي [س] الطابة : الخمر اه . وعليه فيجوز تسميتها بذلك وباسم مدينته صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فيحرم تسميتها بهذا الاسم كما أفق به غير واحد من العلماء رضى الله عنهم ، وأولى ما سميت به عند كل فطن نبيه : نخابة من الخيبة ، وفي ذلك قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

حمداً لمن يهـدى إلى الرشاد	وهو الموفق إلى السداد
ثم صلاته على محمد	والآل والصحب وكل مهتد
فهاك ما عمت به البلواء	وصولته النفس والأهواء
عشبة تعرف بالتنباك	والتن وهى شرك الهلاك
وتابغا بالتاء أو بالطاء	قد كثروا لها من الأسماء
ولا تسمها أخى بطابه	بل سمها من خيبة بخابه
لأن طابة مدينة الرسول	وحرم اسمها بذلك بالقول
وصادف الصواب من لقبها	بالتن ما أنتنها وأتن بها
فإنها منتنة الدخان	تؤذى بئنتها ذوى العرفان
وكل مؤمن وكل ملك	فريحها أتن كل سهك
لكنها عند ذوى الخسران	أطيب من مسك ومن ريحان
لا تعجبوا فى ذاك يا إخوان	الخبث للخبث فى القرآن
ولتنظروا لحالة الخنافس	وما لها فى الخبث من تنافس
فالتن من روائح الشيطان	وحزبه من جن أو إنسان
مفسدة للفم والأسنان	مضرة الأمعاء والأبدان
مذهبة مروءة الإنسان	مجلبة الهلاك والخسران
تبا لها ولبنيتها مطلقا	شما وشربا قل بذلك مطلقا
فإنها من المفترات	بذلك قال سائر الثقاة
من أولياء ربنا العزيز	كختمهم وصاحب الإبريز
وكالعباشى وكابن ناصر	وكالتلمسان وكابن طاهر
وغيرهم من أولياء الله	ممن ينفر عن الملامى
فقد روى الحفاظ عن خير الورى	النهى عن مفتر بلا مرا
وعن مخدر وكل مسكر	وعن مرقد بدون منكر
فحرمت صاح إذا بالشرع	لأنها خبيثة بالطبع

وقل لمن قال بفقد الص
والنهج واضح لمن قد اهتدى
إياكم وسبل الشيطان
إياكم والتن يا إخواني
وكم لها من ضرر معجل
وليس إذن عند من شربها
إلا إذا تاب من الدخان
فكيف بالدخان أو بالشم
ويج ملقن بكسر انكسر
وكل من لقنه ذو التن
وكم مقدم بذو الزمان
وكل من كان على ذا الحال
ياويله إن لم يتب من الدخان
أما يخاف سطوة الجبار
وكيف يلقي أحمد التجاني
فإنها شئنة الأشرار
شاربها ليست له شهادة
بل إنها تذهب بالإيمان
توبوا إلى التواب يا إخواني
فدى نصيحة لسائر الوري
سميتها بالطعن بالستان
يارب نجنا من الدخان
بجاه سيد الوري محمد
وآله وصحبه الكرام
وجاه شيخنا التجاني أحمد
عليه دائما من الرحمن
أمين آمين ختام الله

فيها فنصها كمثل الفص
لكنها الأهواء أعمت الهدى
وحزبه من إنس أو من جان
فإنها مذهبة الإيمان
في الدين والدنيا بدون مهل
في وردنا إن لم يتب أو شتمها
والشم جرده بلا توان
فيمن يلقن طريق الختم
عسى ملقن بفتح انجبر
يلزمه التجديد دون مين
ولع بالشم وبالدخان
فإنه ضال وذو إضلال
يكسى غدا سرايلا من قطران
والطرد عن حوض النبي المختار
ذو الشم والشرب لذا الدخان
ومشرب الرعاع والأغمار
إن لم يتب منها ولا عداله
وتجلب الكفر مع العصيان
من هذه البلوى مدى الأزمان
إياك إياك الجدال والمرا
في نحر أهل التن والدخان
وكل ما يجر للنيران
صلى عليه الله دون عدد
وكل مؤمن من الأنام
ممد سائر الوجود أبدا
سحائب السلام والرضوان
على لسان عبده الأواه

ولها أسماء أخر : تابغا بألف بعد معجمة ، وتبع كسب ، وتبغة كقصبة ، وطابغا بطاء مهملة مشالة بدل فوقية ، والتتن بفتح نون وسكون فوقية ، والتنباك بفتح فوقية وسكون نون ، وكان القطب سيدى محمد بن ناصر رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه يسميها تبخج بخاء معجمة مشددة كراهية وذما لها (الخبيثة الطبع) ماجيل عليه الإنسان (مطلقا) شها وشربا . وفى [د] تبغة حرام والأصل فى تحريمها قوله صلى الله عليه وسلم : « كل مفتر حرام » وهى من المفترات ، وكان رضى الله عنه يشدد فيها غاية التشديد . ويسلم قول من قال : إن صاحبها الذى لم يقب من استعمالها لا يموت

على حسن الخاتمة ونسب ذلك لبعض الناصرين انتهى ، وفيها : سئل الشيخ محمود الكردي عن القهوة والدخان ؟ فقال للسائل اثنى غدا إن شاء الله ، فلما أتاه أخبره أنه رأى صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه صلى الله عليه وسلم وأتاه رجل بقهوة فشربها صلى الله عليه وسلم ، وأتاه رجل من أهل الدخان فطرده حتى غاب عن أعينهم يعني الصحابة رضي الله عنهم أجمعين اهـ . وأخبرني بعض الخاصة أن سيدنا أبا الفيض رضي الله عنه وعنا به أمين ، كان يأمر أصحابه أن ينجسوا من الحلقة من يستعملها ويخرجوه منها اهـ . وفي [هب] وسمعت رضي الله عنه يقول : الدخان المعروف بطابة حرام لأنه يضر بالبدن ولأن لأهله ولأهله به تشغلهم عن عبادة الله وتقطعهم عنه ، ولأننا إذا شككنا في شيء أحرام هو أم حلال ولم نجد فيه نصا عن النبي صلى الله عليه وسلم نظرنا إلى أهل الديوان من أولياء الله تعالى وهم أهل الدائرة والعدد فإن وجدناهم يتعاطون ذلك الشيء علمنا أنه حلال وإن وجدناهم لا يتعاطونه ويتحامون عنه علمنا أنه حرام ، وإن كان بعضهم يتعاطاه وبعضهم لا يتعاطاه نظرنا إلى الأكثر فإن اختلف معه ، وأهل الديوان لا يتعاطون هذا الدخان فإن الملائكة تتأذى برائحته ، ثم قال مؤلفه : فقلت فالثوم والبصل ونحوهما لها رائحة كريهة وأكلها ليس بحرام ؟ فقال رضي الله عنه : إذا اجتمع حق الآدمي وحق الملك قدم الآدمي لأن كل شيء إنما خلق من أجل بني آدم فما فيه منفعة لبني آدم لا يحرم وإن كان فيه مضرة للملك وفي الثوم والبصل منافع لا تحصى ، بخلاف الدخان فإنه لا منفعة فيه ، نعم يحدث بسبب شربه ضرر في الذات ويصير الدخان بعد ذلك قاطعا له فهو بمنزلة من قطع ورقع ولو لم يشربه صاحبه لم يحصل فيه قطع حتى يحتاج إلى ترقيع فيظن أربابه أن فيه نفعا وليس فيه إلا هذا اهـ . وأخبرني من أثق به أنه لام البعض على شربها فقال : له كنت تركتها فأصابني رمد سنة فارتكت دواء إلا وقد استعملته فلم ينفعني إلا شربها فلذلك كنت أشربها اهـ . إنا لله وإنا إليه راجعون - أفن زين له سوء عمله فرآه حسنا - الآية :

يغمي على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

وعن القطب الرباني سيدي محمد بن ناصر رضي الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه آمين : اتفقت كلمة علماء الظاهر وجميع أهل الباطن على تحريمها ، ولم يتكلم فيها بالحلية إلا أهل الأهواء ولا يشربها إلا المهتوفون ومن يشرب تبغا أو يشم الشم فليس عندنا بشيء اهـ . وعن مولاي عبد الله بن علي بن طاهر أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن عشبة الدخان ، وكان ممن يراه يقظة ؟ فقال له : هي حرام هي حرام هي حرام اهـ ونقل أن العلامة ابن زكري رحمه الله لما وصل مصر وتباحج مع علمائها فيها كان مما أفحمهم به أن قال لهم : أرأيتم لو دخل عليكم النبي صلى الله عليه وسلم أتشربونها أو تتركونها ؟ فقالوا نزعها من أيدينا ونخفيها منه حياء وأدبا ، فقال كل ما يستحي به من النبي صلى الله عليه وسلم ويخبا عنه حرام ، لأن الحياء في الحق بدعة ، والبدعة وصاحبها في النار ، وإخفاء المعصية وإظهار غير هاتفاق ، فسكتوا وأذعنوا اهـ وعن العلامة المحقق «بناني» أنه قال : العمدة فيها حديث أبي داود المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومخدر ومفتر » وعشبة تابغا هي المفتر والإفتار عندهم رخاوة وفنارة تحصل لمن شتمها أو شربها فتتلاشى أعضاؤه وربما غاب عن إحساسه بلذة ذلك ، ولا يجد الصبر عنها من أولع بها اهـ . وما استدلل به من قال بتحريمها قوله تعالى - شواظ من نار ونحاس - فقال اللهب والدخان من أوصاف أهل النار

فينبغي أن يحتجب ، ولأنه محروق والمحروق حرام باتفاق العلماء ، والعلامة الخرشبي رحمه الله في ذمها
وذم شاربيها ما نصه :

في الناس قوم سخاف لا عقول لهم استبدلوا هوض التسبيح دخانا
أنبوبة في فم والنار داخلها تجر للجوف دخانا ونيرانا
لو كان ذلك ذكر الله ما قربت إليهم النار لجلالا لمولانا
شتان في الحسن ما بين ذاك وذا هذا يشين وذاك للورى زانا
حر ونار وتسعير للحيته لكن من جهلهم قد كان ماكانا

ولبعضهم رحمه الله في ذمها أيضا :

الزم طريق الهدى وامش على السنن وخالف النفس وأنقذها من الهن
إياك من بدع تلقيك في عطب لاسيما ما فشا في الناس من تنن
مفتر الجسم لا تنفع به أبدا بل يورث الضر والأسقام بالبدن
أف لشاربه كيف المقام على ما ريحه يشبه السرجين في العطن
أفتى بحرمته جمع بلا شطط فاحذر مقالة من يوديك للوهن
فلا يغرنك من في الناس يشربه فالناس في غفلة عن واضح السنن
يغمى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

وفي العمل الفاسى :

وحرموا طاب للاستعمال وللتجارة على المنوال

ومن أفتى بإباحتها سيدى على الأجهورى ، والعلامة سيدى أحمد بابا السودانى ، والعلامة الشيخ
سيدى عبد الغنى النابلسى . وفي [حاشية مباركة على ابن عاشر] ما نصه : وحاصل كلامه أنها مما
مسكت عنه المولى في كتابه وهى مما عفا الله عنه لحديث الترمذى وابن ماجه « الحلال ما أحل الله في كتابه
العزير والحرام ما حرم الله في كتابه الكريم وما سكت عنه من غير نسيان رحمة لكم فهو مما عفا الله عنه »
قال المناوى في شرح قوله : وما سكت : أى لم ينص على حله ولا على حرمة نصا جليا ولا خفيا فهو مما
عفى عنه فيحل تناوله ما لم يرد النهى عنه . وفي إباحته والحض عليه قال النابلسى :

اشرب التبن حلالا طيبا ودع السفاسف ممن عنذك
إنه والله ثبت طاهر لكن الأغراض ترمى في الهلك

ونظم فيها قصيدة نبه فيها على أصلها وحكمها وما فيها من المنافع ، انظرها في الحاشية المذكورة

إف شئت :

وللناس فيما يعشقون مذاهب وحكمة ربى في اختلاف المشارب

ثم قال : لكن قال اللقانى في [شرح الجوهرة] لا أعلم من تكلم على الدخان من أطباء الإسلام
ولا غيرهم ممن يعول عليه ، وإنما أحدث القول فيها يهودى بالمغرب الأقصى وأبرز فيه نظما زاد فيه
السفهاء ونقصوا ولعبوا به فصفقوا ورقصوا وقد صرح الفقهاء في باب الشركة أن الأدخنة والروائح

السكرية مضره بالأمعاء والأكباد . وفي [الرحلة العياشيه] لامتفعة فيه أى فى الدخان أصلا ، واتفق أرباب العقول شرقا وغربا على التنفير منه وكرهيته اهـ . ثم قال : ومنها أى ومن مفايدها حيث ربحها فيؤدى ذلك إلى إذايه المسلمين والملائكة المحتفين به ولا يعلم عددهم إلا الله ، ومنها التشبه بالجوس عبدة النار فى ملازمها وبالشياطين فى ملازمة الدخان والخبيث من الروائح ومن تشبه بقوم فهو منهم ، ومنها أن صاحبها غير مقبول لأن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا ، ومنها أن صاحبها إن كان سوداويا أو صفراويا يفسد مزاجه وينحرف طبعه وتكثر فيه الوسوس والشكوك والأوهام وقبول الأمور التى لا حقيقه لها وكثرة الاحتمالات فى كل ما يرى ويسمع وإن كان بلغميا ربما سلم من ذلك ، ومنها ما نقل أن سيدى محمد العربى التلمسانى كان لا يأذن فى قراءة دلائل الخيرات إلا لمن كان غير شارب للدخان وكان يقول : إن النبى صلى الله عليه وسلم شرط عليه ذلك وكان ممن يراه يقظة اهـ (فمن لم يتب منها) أى من استعمالها شربا وشما (ينل) يصب ويدرك (سوء) بفتح مهملة وضمها (ختمه) أى بشر الخاتمة والعباذ بالله من كل ما يؤدى إلى سوء الخاتمة . ونقل عن أبى العباس المشوكى رحمه الله : أنه توفى رجل فى زمن القطب سيدى محمد بن ناصر رضى الله عنه وغسل وكفن ، فلما أرادوا حمله خرج من أنفه ماء أسود وأصفر فراقبوه لينقطع فدام حتى ابتل منه بعض السفن وله رائحة كريهة ، وكان الميت ممن يشرب تابغا ، وأنكر الشيخ رضى الله عنه عليه وقال : لا حول ولا قوة الا بالله كيف يلتقى ربه بهذه الحالة فأوصاهم أن لا يشموها . ولبعض أصحابه رحمه الله :

وقد تبرأ من فقير ضربا أخاه ظلما وكذا إن حربا

إلا إذا تبخ كان يشرب فهو لأنواع القلى مستجلب

(ولانك معترا) من اغتر بكذا انخدع به (بمدح صحابها) لها (بنظم) أى بكلام منظوم (ونثر) أى وبكلام مشور . ونقل أن أول من أحدثها بالمغرب رجل يهودى يزعم أنه حكيم وله فيها نظم ونثر فدحها ، وزاد عليه أرباب البطالة بتقولاتهم وافتراعاتهم - إنا لله وإنا إليه راجعون - وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون - (إنها كالخشيشة) فى كل شئ ، وتسمى اليوم بالكيف بكسر الكاف ، وللمتأخرين فيها قولان : هل هى من المسكرات ؟ وهو ما اختاره المتوفى قاتلا : لأننا رأينا من يتعاطاها يبيع أمواله لأجلها فلولا أن لهم فيها طربا ما فعلوا ذلك ، أو هى من المخدرات ، وهو ما اختاره القرائى قاتلا : لأنى لم أرى أحدا يميلون إلى القتال والنصرة بل عليهم الذلة والمسكنة ، وربما عرض لهم البكاء مع اتفاق الجميع على المنع من أكلها . وفى الحاشية السابقة : واعلم أن هذه الخشيشة لم يتكلم عليها الأئمة المجتهدون ولا غيرهم من علماء السلف لأنها لم تكن فى زمنهم ، وإنما ظهرت فى أواخر المائة السادسة وانتشرت فى دولة التتار^(١) قال القسطلانى فى [المواهب اللدنية] قد جمع فيها بعضهم مائة وعشرين مضره دينية وبدنية حتى قال بعضهم : كل ما فى الخمر من المذمومات موجود فى الخشيشة وزيادة ، فإن أكثر ضرر الخمر فى الدين لا فى البدن وضررها فيهما ، فمن ذلك فساد العقل وعدم المروءة وكشف العورة وترك الصلاة والوقوف فى المحرمات وقطع النسل ، والبرص والجذام والأسقام والرعشة والأبنة وتتن القم وسقوط شعر الأجناف وحفر الأسنان وتسويدها وضيق النفس وتصغير الألوان ، وتجعل الأسد كالجمل^(٢) وتورث الكسل وتصير العزيز ذليلا والصحيح غليلا والفصيح أباكم وتذهب السعادة وتنسى الشهادة ، فصاحبها بعيد عن السنة طريد عن الجنة موعود من الله باللعة ، وقد أحسن القائل :

قل لمن يأكل الحشيشة جهلا ياخسيسا قد عشت شر معيشه
دية العقل بكرة^(١) فلماذا يأسفها قد بعثها بحشيشه
وطوى منا بيت وهو :

فما صعبها إلا رعا ع أسافل أراذل خلق الله في كل بلدة
ورعا ع كسحاب سقطة الناس وسفلتهم وأوغادهم ومن لاخير فيه قال تعالى - وقل اعملوا فسيرى
الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون - والله يهدي
من يشاء إلى صراط مستقيم - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين - .

[فصل في شروط التلقين الورد الأحمدى والنور الحمدي]

هذا الفصل وما بعده إلى تمام هو زبدة الكتاب للإخوان والأحباب بمحض فضل الملك الوهاب ،
كما أن ما قبله هولب اللباب عند أولى الألباب - ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم - ربنا أتم لنا نورنا
واغفر لنا إنك على كل شيء قدير . قال رحمه الله :

(وَأَمَّا شُرُوطُ مَنْ يَكُونُ مُقَدِّمًا وَمَا قَدْ بُرِّعَ مِنْ أُمُورٍ أَكِيدَةٍ
فَإِذَنْ صَحِيحٌ ثُمَّ أَهْلِيَّةٌ لَهُ وَعِلْمٌ بِأَزْكَانِ لَوَزْدٍ وَظِيْمَةٍ
وَمَا يَلْزَمُ الْمُرِيدَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَبَعْدُ وَمَا يُقْضَى لِإِبْرَاءِ ذِمَّةٍ)

(وأما شروط) جمع شرط ، وهو إما شرط صحة أو شرط كمال (من يكون) أى من يستحق أن
يكون (مقدا) لتلقين الورد الأحمدى والنور الحمدي (وما قد برع) أى يلاحظ ويراقب فيه
(من أمور أكيدة) أى وثيقة منها ما ينبغي له أن يتخلى عنها ومنها ما ينبغي له أن يتحلى بها . فن شروط
الصحة قوله (فإذا) بكسر الهمزة مصدر أذن له فى الشيء كسمع أباحه له (صحيح) بلفظ صريح
من سيدنا أبى الفيض أحمد بن محمد التجانى الحسنى رضى الله عنه وعنايه أمين ، أو ممن ثبت له الإذن
منه ولو بوسائط عديدة مع دهور مديدة إذ الطريقة الأحمدية بمحض العناية الصمدية باقية بقاء الدهر
حتى يأتى أمر الله ، فله الحمد ومزيد الشكر فى الأولى والآخرة ، وهى أحق بقوله :
بقيت بقاء الدهر ياكهف أهله وهذا دعاء للبرية شامل

وفى [م] :

وليس يخلو الدهر من مقدم ملقن أوراد هذا العلم
(ثم) منها (أهلية) أى صلاحية وقابلية لأن يكون أهلا (له) أى الإذن فى التلقين للورد الأحمدى
والنور الحمدي لتخليته من الرذائل وتخليته بالفضائل ولو فى الجملة إذ الأبعد خير من الأسود كله :
ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه
وفى [غ] ثم إن الإذن فى التقديم : أى فى تلقين الورد تشترط فيه الأهلية على السنن المعروف
والنهج المؤلف ، فليس الإذن عندنا فى تلقين الورد جاريا على نهج الإذن فى ذكره فقط كما يفهمه
من لا علم عنده ، فإن الإذن فى ذكر الورد لا يشترط فيه عندنا إلا عرض الشروط المشروطة فيه على

(١) بكرة : كبس فيه ألف دينار أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار .

مريد الدخول في الطريق ويقرر ما له حتى يتعقلها فإذا قبلها أذن له في الورد أيا كان من المسلمين ذكرا كان أو أنثى كبيرا أو صغيرا حرا أو عبدا طائعا أو عاصيا من غير توقف في شيء ولا نظر إلى شيء إلا إلى ما ذكر من قبوله الشروط فقط ، وأما الإذن في تلقيه فيشترط فيه مراعاة الأهلية فلا يؤذن في ذلك إلا لمن ظهر عليه من الشواهد الحالية ما يفيد غلبة الظن في تأهيله لذلك ، وقد صرح سيدنا رضى الله عنه بهذا فيما وقفنا عليه من الإجازات بخط يده المباركة وهو من المتفق عليه من جميع أئمة الطريق قديما وحديثا ، واستألسوا رضى الله عنهم فيما استندوا إليه فيه بنحو قوله تعالى - يادادونا إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى - الآية ، ونحو قوله تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة - ونحو قوله تعالى - قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني - وغير ذلك ، فاتباع الحق وترك اتباع الهوى والدعاء إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وعلى بصيرة هو معنى الأهلية المشروطة عند أهل الطريق اه والله دره ما أغزر علمه وأدق فهمه رضى الله عنه وهنابه آمين :

هذه علتي وأنت طبيبى ليس يخفى عليك في القلب داء
الأمان الأمان إن فؤادى من ذنوب أتيتن هباء

قال تعالى - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا - الآية ، لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (و) منها (علم بأركان) وشروط (لورد) أحمدي معلوم لازم في الأحدية وعلم بأركان وشروط (وظيفة) معلومة لازمة في الأحدية وكذا أركان وشروط الهيئلة اللازمة يوم الجمعة (و) منها أن يعلم (ما يلزم المريد) أن ينخرط في سلك الأحدية (عند) إرادة (دخوله) فيها (وبعد) أى وما يلزمه بعد دخوله فيها (و) منها أن يعلم (ما يقضى) وجوبا إذا فات وقته وما لا يقضى (لإبراء) وإخلاص (ذمة) بكسر معجمة العهد والكفالة ، وفي العاصمية :

والشرح للذمة وصف قاما يقبل الالتزام والإلزام

وفي [غ] ومعنى الأهلية عندنا تقريبا معرفة ما لا بد منه مما يتعلق بالورد كأركانه التي لا يقوم إلا منها ومعرفة وقته الاختيارى والضرورى ومعرفة شروطه التي لا يصح إلا معها ، وكذلك الكمالية منها أيضا ، ولا أقل من معرفة شروط الصحة ، ثم معرفة ما يبطله وما يدخله من النقص والخلل وما ينجز به ذلك ثم ما يلزم مريد الدخول في الطريق عند إرادة الدخول وبعده ، ثم معرفة الأذكار اللازمة بلزوم الورد الأصلي وما لها من الأوقات وما يقضى منها كالورد وما لا يقضى إذا فات وقته ، فبمعرفة هذه الأمور يصح رجوع لإخوانه إليه فيما يشكل عليهم أو يعرض لهم في أمر طريقهم اه . قال رحمه الله :

(وَيَعْلَمُ أَنَّ صُحْبَةَ الشَّيْخِ تَجْدِبُ إِلَى حَضْرَةِ الْمَوْلَى بِصِدْقِ تَحَبُّبِهِ
وَأَنَّهُ مِنْ عَمِيدِهَا وَخَيْرِهَا وَكُنْ حَذِرًا مِنْ غَيْرِ ذَا فِي الْقَعِيدَةِ)

(ويعلم) أى ومنها أن يعلم المقدم بالفتح (أن صحبة) والمراد بالصحبة هنا الخدمة (الشيوخ) من حيث هو شيخ (تجدب) بكسر معجمة من جذب الشيء كضرب حوله عن موضعه (إلى حضرة) بفتح الحاء وفي [نيل الأرب في مثلثات العرب] :

القرب والمشهد يدعى حضرة وذكر غائب بخير حضرة
أو ضم والغيبة ضد الحضرة بالضم أو بالفتح أو بالكسرة

(المولى) جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته ، وعن بعض العارفين رضى الله عنه : اعلم أن المراد بحضرة الله تعالى حيث أطلقت في لسان القوم شهود العبد أنه بين يدي الله تعالى فإدام هذا مشهده فهو في حضرة الله فإذا حجب عن هذا المشهد فقد خرج عنها اه . وفي [هب] وسمعه يقول : إذا ذهب خاطر العبد مع غير الله فقد انقطع عن الله عز وجل ، ثم من الناس من يرجع إلى الله عز وجل عن ساعة ومنهم من يرجع عن ساعتين ومنهم من يرجع عن أقل ومنهم من يرجع عن أكثر ، فلينظر العبد كيف قلبه مع الله عز وجل ، انظره - رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا - ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه في ذلك :

فلج حضرة المولى شهودك دائما بأنك عنده بعين البصيرة
متى جلت في سواه أو غير حبه فتقطع عنه ولست بحضرة
فدونك . يرانا يطيش بذرة لتدري أنى الوصال أم في القطيعة

وفي [ثيق] واعلم يا أخى أن مرادهم بحضرة القرب حيثما أطلقت شهود القلب أنه بين يدي ربه عز وجل وكل قلب لا يشهد هذا المشهد في وقت فهو في ذلك الوقت في حضرة الشياطين . لأنه ما ثم لنا إلا حضرتان متى دخل في إحداها خرج من الأخرى كالصلاة وخارجها ، وكأن لسان الحق تعالى يقول لإبليس وجنوده كل من خرج من حضرتي فعلىكم به وهو قوله تعالى - وأجلب عليهم بنجلك ورجلك - الآية ، وفي بعض الهوائف الربانية التي سمعتها في المنام من خرج من حضرتي سلطت عليه أعدائى اه فلا يلوم من الخارج من الحضرة الإلهية إلا نفسه ، إذ ما من سكة من سلك الحضرة الإلهية إلا وعلى بابها شيطان ينتظر من يخرج لغير مرضاة ربه فيركبه كما يركب الإنسان الحمار ويصرفه كيف أراد ، ولا يخفى أن المباح داخل في حضرة الله ولا يحصى صاحبه من إبليس كما يحصى التلبس بما قبله من الواجب والمستحب والأولى ، وإنما كان المباح ليس في مباحة صاحبه عن الشيطان لأنه أدنى مراتب مرضاة الله تعالى إذ ما بعده إلا ما لا يراد من العبد أن تكابه فهو كالباب للحضرة ما لا يرضى الله تعالى من العبد وليس بعد الباب إلا الخروج من تلك الحضرة فافهم اه . وعن سيدى على الخواص رحمه الله : فوالله لقد فاز أهل الله تعالى بمجاهدتهم لنفوسهم حتى لم يبق لهم مانع يمنعهم من دخول حضرة الله تعالى في ليل أو نهار ، والله لو سجدوا على الجمر ما أدوا شكر الحق تعالى على إذنه لهم في الدخول إلى حضرة واحدة في عمرهم اه . وفسرها سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين كما في [جه] بمعنى عزيز لا يعرف إلا بالذوق وكل إناء بالذى فيه يرشح ونصه : حقيقتها هي محق الغير والغيرية فلا أين ولا كيف ولا رسم ولا وهم ولا خيال ولا عقل ولا تمييز إلا الطمس والعمى حيث لم يعقل هناك إلا الله بالله الله في الله عن الله فهذه هي نسبة الحضرة الإلهية . انظره (بصدق محبة) أى بمحبة صادقة وهمة نافذة لا لأغراض فاسدة وأهواء مبيدة دينية أو دنيوية ، فلا يصحبه لنيل سر أو فتح أو كشف أو ولاية أو أساء البركة أو كيمياء أو إكسير ، فإن ذلك مما يقطع المريد عن الله وعن شيخه وليس في كده إلا الخيبة والخسارة - قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه - قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة - الآية . وفي [جه] وذلك أن الشيخ لا يصحب إلا الله عز وجل لا لشيء وهو في أمرين ، يعنى الصحبة :

فلما أن بواليه الله بأن يقول هذا ولي الله وأنا أوليه ، وسر ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن الله «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب» وفي طيه : من والى لي وليا لأجل أنه ولي اصطفيته واتخذته وليا ، وهذا هو السر الأكبر الجاذب للمريد إلى حضرة الله تعالى ، والأمر الثاني : أن يعلم أن الشيخ من عبيد الحضرة ويعلم ما يجب للحضرة من الآداب وما يفسد المرء منها من الأوطار والآراب فإذا علم هذا يصحبه ليدله على الله وما يقربه إليه ، والصحبة في هذين الأمرين لا غير ومن صحب لغيرهما خسر الدنيا والآخرة . فإذا عرفت هذا فاعلم أن الرب سبحانه وتعالى يعبد لا لغرض بل لكونه إلها يستحق الألوهية والعبادة من ذاته لما هو عليه من محامد الصفات العلية والأسماء البهية وهذه هي العبادة العليا ، وكذلك الشيخ يصحبه لا لغرض بل لتجذبه مولاته إلى ولاية الله تعالى ويتعرف منه الآداب المرضية وما يشين العبد في حضرة الله تعالى ، وكل ما كان من متابعة الهوى ولو كان محمودا فهو شين على العبد في حضرة الله تعالى ، ولذا أمر الشيوخ بقمع المريدين وزجرهم عن متابعة الهوى في أقل قليل لأن المريد في وقت متابعة الهوى كافر بالله عند العارفين لكونه نصب نفسه إلها وعصى أمر الله وخالفه فهو بعيد من الله على الحقيقة ليس من الله في شيء ، وإن قال لا إله إلا الله في هذا الحال قال له لسان الحال كذبت بل أنت مشرك ، ومن هذا القبيل خرج قوله صلى الله عليه وسلم «ما تحت قبة السماء إله يعبد من دون الله أعظم من هوى متبع» فإذا عرف المريد هذا فلا يغضب على الشيخ ولا يتغير إذا لم يوافق هواه في غرضه فإن الشيخ أعرف بالمصالح وأدرى بوجوه المضار والتلميذ جاهل بذلك ، فإذا طلب منه غرضا من أي فن كان ولم يساعده الشيخ عليه فليعلم أن الشيخ منعه لأجل مصلحته ودفع مفسدته ، فإذا عود نفسه التغير على الشيخ في مثل هذا طرد عن حضرة الله تعالى وانقطع عن الشيخ ، فإذا غضب المريد على الشيخ بعد تغيره انقطع انقطاعا كلياً لارجوع له أصلاً . وفي [ثيق] أخذ علينا العهد أن نذبه الإخوان على آداب صحبتهم للأولياء وذلك بأن يصحبوهم لله تعالى أولياً أخذوا بيدهم في مواقف القيامة لا ليحموهم إذا ظلموا من مصائب الدنيا كما عليه جماعة من أكابر الدولة فيقصرون نيتهم في الصحبة للأولياء على أنهم يتوجهون في حوائجهم وفي منع من يسعى على وظيفتهم مع تلاميذهم في ظلمهم وإدخالهم الغم على الرعية ، ولعمري إن ذلك لا يصح لأكابر الأولياء اليوم أن يفعلوه لأن البلاء قد صب صبا فافهم . ثم من الأدب على من يصحب الأولياء أن لا ينخص نفسه عنهم بما كل ولا ملبس ولا منسكح ولا يخل على عيالهم ولا أولادهم ولا أصحابهم بشيء من حطام الدنيا ، وليعلم هذا المصاحب للأولياء أن ذلك الشيء الذي يعطيه لتلك الولي لا يساوى فلساً بالنسبة لما يحصل له على يديه من خير الدنيا والآخرة وعدم تحلفه عنه في الشدائد . وليحذر أن ينسکر على ذلك الولي إذا قال له إن لم تبرنا وتحسن إلى جماعتنا فلا تصحبنا لأن ذلك ربما يكون امتحاناً من الشيخ له لا محبة للدنيا إذ لو كان محبة للدنيا ما كان ولياً ولا رفعه الله على غيره ، ثم قال : وقد كان سيدي الشيخ يوسف العجمي رضي الله عنه يقول لبواب زاويته بالقرافة : إذا دق شخص الباب فانظر من الشق فإن رأيت معه شيئاً للفقراء فافتح له وإلا فهي زيارات فشارات : فقبل للشيخ في ذلك فقال أعز ما عندنا وقتنا وأعز ما عند أبناء الدنيا دنياهم فإن بذلوا لنا أعز ما عندهم بذلنا لهم أعز ما عندنا ، والله غني حميد اه . وفي [هب] وسمعت رضي الله عنه يقول : علامة كون المريد يحب الشيخ المحبة الصادقة النافعة أن تقدر زوال الأسرار والخيرات التي في ذات الشيخ حتى تكون ذات الشيخ مجردة من ذلك كله وتكون

مكشوات صائر العوام ، فإن بقيت المحبة على حالها فهي محبة صادقة وإن ترحزحت المحبة وزالت بزوال الأسرار فهي محبة كاذبة والله أعلم . وسمعت رضى الله عنه يقول : علامة المحبة الصافية سقوط الميزان من المريد على الشيخ حتى تكون أفعال الشيخ وأقواله وجميع أحواله كلها موقفة مسددة في نظر المريد فافهم له وجهها فذاك وما لم يفهم له سرا وكله إلى الله تعالى مع جزمه بأن الشيخ على صواب ، ومتى جوز أن الشيخ على غير صواب فيما ظهر له خلاف الصواب فيه فقد سقط على أم رأسه ودخل في زمرة الكاذبين ، وفيه : لما سئل عن المريد الذى يزيد إذا حضر الشيخ وينقص إذا غاب فأجاب رضى الله عنه بأن همه الشيخ الكامل هي نور إيمانه بالله عز وجل وبه يربى المريد ويرقيه من حالة إلى حالة ، فإن كانت محبة المريد للشيخ من نور إيمانه أمده الشيخ حضر أو غاب بل ولو مات وموت عليه آلاف من السنين ، ومن هنا كان أولياء كل قرن يستمدون من نور إيمان النبي صلى الله عليه وسلم ويربهم ويرقيه عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم لأن محبتهم فيه محبة صافية خالصة من نور إيمانهم ، وإن كانت محبة المريد في الشيخ من ذات المريد لا من إيمانه انتفع به مادام حاضرا فإذا غابت الذات عن الذات وقع الانقطاع ، وعلامة محبة الذات أن تكون محبة في الشيخ لتحصيل نفع أو دفع ضرر دنيوى أو أخروى ، وعلامة محبة الإيمان أن تكون خالصة لوجه الله لا لغرض من الأغراض ، فالمريد إذا وجد النقص من نفسه عند غيبة الشيخ فالتقصير منه لا من الشيخ والله أعلم اهـ . وفى [جه] وأما قول السائل : ما معنى قول ابن عطاء الله : سبحانه من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه ؟ معناه هو ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل من أولياء الله ؟ قال لهم : « هم الذين إذا رعدوا ذكر الله » لكن هذا الحديث لا يصدق إلا فى طائفة خاصة وهم مفاتيح الكنوز لا من عداهم حتى القطب ، ومعنى الحكمة هو أنه إذا أوصى الله عبدا إلى ولى وأقر سبحانه فى قلب ذلك العبد أن هذا من الأولياء قطعا لا يتردد ولا يشك ثم خدمه بالصدق والأدب وأشرقت محبة ذلك الولي فى قلبه ، ولتكن المحبة فيه من حيث أنه من أهل حضرة الله ومن اصطفاه الله تعالى لنفسه فيحبه لأجل هذا الغرض من غير هذه المحبة ، فلا شك أن هذا يصل إلى الله ولو بعد حين ، وأما إذا وصل إلى الولي وأقبل على أغراضه وشهواته ولم يزل من الولي إلا ما طابق أغراضه فليس هذا من أهل الوصول إلى الله تعالى ولا من أهل الوصول إلى الولي ، غاية الولي فى هذا أنه يديم معاشرته من باب الإحسان للخلق الذى أمره الله به ومعاشرتهم بالمعروف ويقبض عنه أسرارهم ، فهذا لو بقى مع الولي ألف عام لم يزل منه شيئا لأن لسان حال الولي يقول له ما وصلتنا لله ولا وصلتنا لأجلنا وإنما وصلتنا لغرضك الذى كنت تناله لانسبة بيننا وبينك والسلام اهـ (و) منها أن يعلم (أنه) أى الشيخ من حيث هو شيخ (من عبيدها) بفتح العين جمع عبد أى من عبيد حضرة المولى سبحانه وتعالى (وخبرها) أى وأنه عالم بها وبأحوالها وأوصافها ومسالكها وعوائقها ، ولابن القارض رضى الله عنه :

يقولون لى صفها فأنت بوصفها خبير ، أجل عندي بأوصافها علم

وفى [غ] ثم بعد هذا معرفة ما يراد من الدخول فى طرق المشايخ وفى أى شىء ولأى شىء يصحبون وأن النفع فى صحبتهم مقصور على شهود أمرين ، الأول : أن يعلم أن الشيخ المراد صحبته والدخول فى طريقه ولى الله تعالى فيصحبه ويدخل فى طريقه لتجذبه ، واللاته لموالاة الله تعالى ، والأمر الثانى : أن يعلم أنه من عبيد الحضرة الإلهية وأنه عارف من طريق التعريف الإلهي مكاشفة ومنازلة

بما للحضرة من الآداب فيصحبه ليدله على ذلك ، ومن صحب المشايخ ودخل في طريقهم لغير هذين
الأمرين فقد خسر الدنيا والآخرة قاله سيدنا رضى الله عنه اهـ (وكن حذرا) ككتف من حذر كعلم
احترز (من) اعتقاد (غير ذا) الذى ذكر في العقيدة أى في معتقدك ونيتك . وفى [هب] إن الغرض
من الولي هو الدلالة على الله تعالى والجمع عليه والتزهد فيما سواه ، فإذا جعل القاصد إليه يطلب منه
هذا الأمر فإنه يربح معه ، وإذا جعل يطلب منه قضاء الخوائج والأوطار ولا يسأله عن ربه ولا كيف
يعرفه مقتله الولي وأبغضه وهو السالم إن نجا من مصيبة تنزل به ، وذلك لأمر . منها : أن محبته للولي ليست
لوجه الله تعالى وإنما هي على حرف والمحبة على حرف خسران مبین لا ينزل عليها نور الحق أبدا ،
ومنها : أن الولي يراه في تعلقه بغير الله تعالى في عين القطيعة وهو يريد أن ينقله منها والعبد يريد منه
أن يزيده منها فإن الولي يراه ترك التمرة وأخذ الجمرة ، فالتمرّة معرفة الله تعالى والعكوف بين يديه ،
والجمرة هي القطيعة عنه والقبض في غيره والميل إلى الدنيا والركون إلى زخارفها ، ومنها : أن الولي
إذا ساعده في قضاء بعض الأوطار وقابله ببعض الكشوفات ربما يظن العبد أن هذا هو الذى ينبغي أن تقع
المعرفة عليه وفيه يرغب الناس وليس وراءه مطلب وكل ذلك ضلال وموجب لمقت الولي له .
[قلت] ومن مقتله له ومكره به أن يظهر على ذاته بعض المخالفات أو يخبره بشيء لا يكون أنه
يكون ليطرده بذلك عنه ، والله أعلم اهـ . وفيه : إن بعض الأكابر كان له عدة أصحاب وكان لا يتخيل
النجابة إلا من واحد منهم ، فأراد أن يختبرهم يوما فاختبرهم فقرروا بحملتهم سوى ذلك الواحد ،
وذلك أنه تركهم حتى اجتمعوا على باب خلوته فأظهر لهم صورة امرأة جاءت فدخلت الخلوة فقام
الشيخ ودخل معها ، فأيقنوا أن الشيخ اشتغل معها بالفاحشة ففرقوا كلهم وخسرت نيتهم إلا ذلك
الواحد فإنه ذهب وأتى بالماء وجعل يسخنه بقصد أن يغتسل به الشيخ ، فخرج عليه الشيخ فقال ما هذا
الذى تفعل ؟ فقال رأيت المرأة قد دخلت فقلت لعلك تحتاج إلى غسل فسخت لك الماء ، فقال له الشيخ
وتبعتني بعد أن رأيتني على المعصية ؟ فقال ولم لأتبعك والمعصية لا تستحيل عليك ، وإنما تستحيل في حق
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم أخالطك على أنك نبي لاتعصى وإنما خالطتك على أنك بشر وأنت أعرف
منى بالطريق ومعرفتك بالطريق باقية فيك فالوصف الذى عرفتك عليه لم يزل فلا تتبدل لى نية
ولا تتحرف ، فقال له الشيخ يا ولدى تلك الدنيا تصورت بصورة امرأة وأنا فعلت ذلك عمدا لينقطع
عنى أولئك القوم ، فادخل يا ولدى وفقك الله معى إلى الخلوة فهل ترى امرأة فيها ؟ فدخل فلم يجد
امرأة فازداد محبة على محبته والله الموفق اهـ ، وفيه : وسمعت عن رضى الله عنه يقول : كان لبعض العارفين
بالله عز وجل مرید صادق وهو وارث سره فأشبهه الله تعالى من شيخه أمورا كثيرة منكورة ومع
ذلك فلم يتحرك له وسواس ، فلما مات شيخه وفتح الله عليه شاهد تلك الأمور وعلم أن الصواب مع
الشيخ فيها وليس فيها ما ينكر شرعا إلا أنها اشتبهت عليه ، فمن ذلك أن امرأة كانت من جيران
الشيخ وكانت تذكر بالسوء وكان المرید يعرف شخصها وكان للشيخ امرأة على صورتها وكان المرید
لا يعرفها وكان للشيخ موضع يخلو به بين باب الدار وبين البيوت وكان المرید لا يبلغ إليه وإنما يقف بالباب
فاتفق أن دخلت المرأة المشهورة بالسوء على المرید وهو بالباب فجازت للدار ، واتفق أن خرجت
امرأة الشيخ الشبيهة بها فدخلت على الشيخ الخلوة وكان الشيخ أرسل إليها ليقضى حاجته منها فدخلت
وقام إليها الشيخ ومرت الشبهة بها نحو البيوت ، فرمى المرید ببصره نحو الخلوة فرأى المرأة مع الشيخ

وهو يقضى حاجته منها فما شك أنها المشهورة بالسوء وربط الله على قلبه فلم يستفزه الشيطان، ثم خرجت المرأة وحانت الصلاة فخرج الشيخ للصلاة وتيمم وكان به مرض منعه من الاغتسال فما شك المريد أن الشيخ يتيمم من غير ضرر وربط الله على قلب المريد . وكان بالشيخ مرض منعه من هضم الطعام فصنعوا له ماء قلنيس عصروه وأتوا له بمائه ليشربه فدخل المريد فوجده يشربه فما شك أنه ماء خمر وربط الله على قلبه فلم يتحرك عليه وسواس ، فلما فتح الله عليه علم أن المرأة التي وطئها الشيخ امرأته لا المرأة المشهورة بالسوء وعلم أن التيمم الذي فعله الشيخ لضرر كان يجده وعلم أن الماء الذي شربه الشيخ ماء قلنيس لاماء خمر ، والله الموفق انظره : وفي [جه] وأما كرازة المريد من ظهور بشرية الشيخ فإنها من جهله بالله تعالى وبراءته الخلقية ، وذلك أن الحق سبحانه وتعالى تجلى في كل مرتبة من مراتب خلقه بأمر وحكم لم يتجل به في غيرها من المراتب ، وذلك التجلي تارة يكون كاملاً في نسب الحكمة الإلهية وتارة يكون صورته صورة نقص في نسب الحكمة الإلهية ، ثم إن ذلك التجلي وإن كانت صورته صورة النقص في نسب الحكمة الإلهية فلا محيد لتلك المرتبة من ظهور التجلي فيها بصورة ذلك النقص ، لأن ذلك ناشئ عن المشيئة الربانية وكل تعلقات المشيئة يستحيل تحولها لغير ما تعلقت به فلا بد لكل عارف من ظهور النقص في ذاته ، ثم إن ذلك النقص تارة يلبسه بصورة كمال للدقائق التي بينه وبين ربه وتارة يلبسه متعمداً أنه نقص وليس له في هذه الملابس إلا معاينة الحكم الإلهي الذي مقتضاه القهر والغلبة بحيث أن لا محيد للعبد عنه ، فإذا رأى المريد من شيعه بشرية تقتضي النقص إما شرباً وإما مما يخل بالمرءة قليلاً حظ هذه المعاني التي ذكرناها وليعلم أن ذلك لا يخرج الشيخ عن حضرة ربه ولا يزحزحه عن محل قربه ولا يحطه عن كمال أدبه ، فإذا عرف هذا فلا يرفض شيعه لظهور البشرية . وكل مريد يطلب مرتبة للحق يتعلق بها للقرب والوصول يريد أن لا يظهر فيها نقص كأن لسان حاله ينادي لا مطمع لك في دخول حضرة الله تعالى ، لأن كل المراتب لا بد لها من نقص فليس يظهر الكمال صورة ومعنى وحساً بريثاً من النقص بكل وجه وبكل اعتبار إلا في ثلاث مراتب فقط لا ماعداها وهي : الرسالة لمن دخل حضرتها ، والنبوة لمن دخل حضرتها ، والقطبانية لمن دخل حضرتها فإن هذه الثلاث لا صورة للنقص فيها والباقي من المراتب يظهر فيه النقص في الغالب وقد لا يظهر ، فإن هذه المراتب الثلاث ولو ظهر للمرء فيها صورة نقص فذلك النقص هو غاية الكمال وإنما ينتقصها المرء لجهله وإليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم : « ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أفعله فوالله إني لأعلمهم بالله وأخشاهم له » اه . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للصحابه رضي الله عنهم لما ثبثوا على الحل في حجة الوداع : « قد علمتم أني أتقاكم لله وأصدقكم وأبركم ولولا هديي لحملت كما تحلون ولو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي فحلوا » قال جابر : فحللنا وسمعنا وأطعنا اه . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا ينقص اعتقادنا في شيخنا إذا رأيناه نقص عن مقامه بكثرة نومه في الأسمار مثلاً أو قلة ورعه أو غير ذلك ، فقد يوقع الله تعالى من ذلك الولي ذلك التقصير في حال غفلة أو سهو ثم يوجد له اليقظة من تلك الغفلة فينتبه لما وقع منه زمن غفلته فيتدارك ذلك بما ينبغي تداركه به مما يسد ذلك الخلل ، كل ذلك من الله تعالى لإرشاد المريدين لبصيروا باطلاعهم على ما فرط من أستاذهم وعلى ما تداركه به يعرفون كيف يخلصون من ورطات زلاتهم إذا فرط منهم أمر نظير ما وقع من أستاذهم ، لأن للأشياخ رائحة

من مقام ، إنما أنس بي ليستن بي ، وقد يطلع الله الولي بما سيوقعه فيه من النقائص الذاتية على كثرة صدقه في مقام الرضا بقضاء الله تعالى وقدره أو قلته ، فيعرف الله تعالى أوليائه بتغير الأحوال عليهم صدقهم معه أو كذبهم ليذكروا الله تعالى أو يستغفروه إذا انتبه أحدهم من غفلته ، فتحن لا ندري في حالة نقصهم ماذا يراد بهم ، لأن ذلك لا يعلم إلا بعاقبة أمرهم فينبغي أن لا ينقص اعتقادنا فيهم بمجرد وقوع أحدهم في النقص بل ندوم على اعتقادنا في أحدهم حتى نرى عاقبة أمره ، فقد يكون من الكمال الذين يريد الله بوقوع أحدهم فيما ذكر لإظهار ما منحه الله تعالى به من مقام كمال الرضى بتقدير الله عز وجل ليعظم شكره كما تقدم ، وقالوا : زلات المقربين رفعة لمقامهم ، واستدلوا على ذلك بالأكل من الشجرة ثم كان الاجتناء والاصطفاء بعد ذلك ، فإياك يا أخى أن تقيس حال شيخك على حالك فتهلك ولا يبتك مثل خبير اه . وفيه : أخذ علينا اليهود أن نرى كل شيء ظهر من أستاذنا من سائر النقائص إنما هو لنا لأنه مرآتنا ، ولشيخنا في نفسه حال آخر من الكمال لا نعرفه ولو صفت مرآتنا لعرفناه ، وكذلك لا يجوز لنا أن نرى توقف الفتح علينا من فتور همتنا . وفي كتب الطب أن برد الرحم سبب في الحمل ، فهكذا نفس المريد متى لم تجد لوعة البرد وحرقة الطلب والتشوق إلى المقصود لم تجد هي من أستاذها فيضا فهو مثل الوقود البارد لا يؤثر فيه القبس إلا دنخانا كالدهاوى والرغونات الحاصلة بين القوم . وكان سيدى على بن وفا يقول : لا يأمر أستاذك بأمر ويتعذر عليك فعله إلا لعدم كمال قبولك لذلك ونقص استعدادك : وكان يقول : أنت على الصورة التي تشهد أستاذك عليها فاشهد ماشئت وانظر ماذا ترى ، والله أعلم اه . قال رحمه الله :

(وَهَذَا أَقْلُ مَا يُرَاهِي الْمَقْدَمُ مَزِيدًا عَلَى طَهَارَةِ وَالْفَرِيضَةِ
وَزِدْ ذَا دِيَانَةِ وَعَقْلِ أَمَانَةٍ وَحِلْمِ سِيَّاسَةٍ وَرَفْعِ يَلْمَةِ)

(وهذا) الذى ذكر (أقل ما يراعى) يلاحظ ويراقب ويشترطه (المقدم) بالكسر في حق المقدم بالفتح وقت التقديم (مزيدا) أى زائدا (على) معرفة شروط (طهارة) حدثية مائية أو ترابية وخشبية بدنية وثوبية ومكانية (و) على معرفة شروط (الفريضة) والناقلة صحة وكمالا . وفي [غ] ومن نقص عن هذا القدر في العلم لا يصلح للتقديم لأنه لم يحصل على حقيقة ماهو بصدد أن ينقله لغيره كمية وكيفية وقتا وغير ذلك مما يتعلق بالورد ، لأنه لم يعرف المراد والمقصود من هذا الأمر الذى يريد أن يدخل غيره إليه ويدله عليه وربما دله على غير المراد وسلك به في مقصده غير طريق السداد بل وربما أوقعه في مهواة الطرد والبعاد ، وقد شوهد في بعض من ينتحل طريق الإرشاد والدلالة على الله تعالى من غير معرفة بل ولا حق ولا حقيقة ماهو مبين صورة ومعنى غاية المباني لمناهج الشريعة والطريقة ، وذلك أنه يقول لمن يريد استمالته إليه وإلى حزبه إن من أخذ عنا وانحاز إلى جانبنا يترك الكلمة الرياسية في الأمور الخيرية كفلان وفلان ويذكر له بعض من اتفق له شيء من ذلك ، فيتعاون عليه هو وشيطانه وهواه فيضله عن طريق الهدى وهو يظن أنه انخرط في سلك أهل الله ، وهذه والعياذ بالله من أعظم الفتن الموعود بها في آخر الزمن ، ولهذا حذروا من صحبة المتصوفة الجاهلين اه (وزد) في شروط المقدم على وجه الكمال كونه (ذا) صاحب (ديانة) وعبادة لحديث « العلم دين والصلاة دين فانظروا عمن تأخذون هذا العلم وكيف تصلون هذه الصلاة فإنكم تستلون يوم القيامة » قال تعالى - فوريك لنستلنهم

أجمعين عما كانوا يعملون - وفي مسلم : « إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم » وفي [جص]
« سلوا أهل الشرف عن العلم فإن كان عندهم علم فاكتبوه فإنهم لا يكذبون » وأهل الشرف أهل الأصول
الطيبة ومن جملتهم الأتقياء : أى ولا تسألوا أهل الفجور الذين علمهم حجة عليهم فإن نفوسهم تسول
لهم الإفتاء بما تهواه نفوسهم ، قاله الحنفى . وعن على رضى الله عنه وعنايه أمين : « لقد رأيتنا يوم بدر
مافينا إنسان إلا نأثم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كان يصلى إلى شجرة يدعو حتى أصبح » اه .
وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا نتصدى للثقلين الذكر وأخذ العهد ونحن مرتكبون أمرا مذموما
في الباطن كما أننا لا نأخذ العهد على أحد ونحن نعلم أن في بلدنا من هو أقدم منا هجرة وأولى ، بل نرغب
المريد في ذلك القديم الهجرة إذا رأيناهم لا يعتقدون فيه ونرسلهم له قياما بحق الأدب مع أهل الطريق ،
وهذا العهد قد صار غالب الفقراء يخلون به ويريد كل واحد أن يكون جميع فقراء بلده تلامذته ،
وما هكذا كان الأشياخ الذين أدركناهم رضى الله عنهم بل كان كل واحد منهم يعظم أخاه في غيبته ويحفظ
حرمته ، وذلك لعدم فطام أهل عصرنا عن الرعونات على أيدي أشياخهم فإن من لم يفظم على يد شيخ
فمن لازمه غالبا الحسد والحقد في الأقران حبا للانفراد . ثم قالوا : وقد قالوا : كثرة الأشياخ
في بلد تدل على رخص الطريق عند الناس ، وولو أن الأشياخ فتشوا المريدين في مقام الصدق
لوجدوهم أقل من القليل ، فكان يكنى في مثل مصر كلها مسلك واحد . قال : ولما دخل الشيخ
يوسف العجمي رحمه الله تعالى في سلسلة الطريق بمصر بعد أن سمع الهاتف ثلاث مرات يقول له :
اذهب إلى مصر وهو يرده ، فقال في الثالثة اللهم إن كان هذا وارد حق فاقبض هذا النهر لبنا حتى
أشرب منه بقصعتي فاقبض النهر لبنا فشرب منه وأسقى من حضر من الناس ، ثم سافر إلى مصر على
أثره فوجد سيدى حسنا التستري قد سبقه إلى مصر فقال له يا حسن الطريق في مصر لواحد ، فلما أن
تبرز أنت وأكون أنا الخادم ، ولما أن أبرز أنا وتكون أنت الخادم فرد كل منهما على الآخر ، ثم إن
سيدى حسنا انتصب قائما ووقف بين يدى سيدى يوسف خادما بجد واجتهاد وعزم وصدق فلم يزل
يخدمه حتى مات سيدى يوسف فبرز سيدى حسن بعده هكذا كان الأشياخ رضى الله عنهم فبهذاهم
اقتده ، وافهم يا أخى ذلك والله يتولى هداك اه . هذا في زمنه رضى الله عنه فكيف بزمننا الذى هو
آخر عجب الذنب - إنا لله وإنا إليه راجعون -

رفقا بها قد بلغ السيل الزبى واتسع الخرق على المرتق

وفيه أخذ علينا اليهود أن نفرح بكل شيخ أو واعظ برز في بلدنا وأن نقبل إليه جميع أصحابنا
حتى لا يبقى حولنا فقير واحد ، ومتى تكدرنا من ذلك الذى برز وضاق صدرنا منه فهو دليل على
حبنا للرياسة على عباد الله دون إرادة الخير لهم والمراتب كلها بيد الله يفرقها على من يشاء من عباده ،
وليس لعبد أن يقول لسيدته لم عطلتني من الشيء الفلاني وأعطيته عبدك الفلاني وربما كان ذلك الشيخ
أعلم منا بالشرائع والحقائق فتكدرنا منه حق . وبالجملة فيجب علينا أن ندور مع الحق حيثما دار
ونتلمذ لذلك الشيخ موافقة للناس الذين أقبلوا عليه ، ثم قال : وقال في [الخلاصة المرضية] ويجب
على الشيخ إذا رأى شيئا فوقه أن ينصح نفسه ويلزم الخدمة لذلك الشيخ وتلامذته فإنه صلاح في
حقه وحق أصحابه ، ومتى لم يفعل فليس بمنصف ولا ناصح نفسه ولا صاحب همة بل هو ساقط المهمة
بل إنما هو محب للرياسة والتقديم ، وهذا في طريق الله تقص ، ألا ترى إلى محمد صلى الله عليه وسلم

كيف قال « لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني » وإلياس وعيسى عليهما السلام تحت حكم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهكذا ينبغي أن يكون شيوخ هذه الطائفة اه : أى ورائه نبوية ، ولذا قال سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنايه آمين لمن رغب في ورده وقال له خفت من ابن ناصر : لو كان ابن ناصر هنا وقلت له تحيد لتحيد : أى لا يسعه إلا اتباع أمره لعلمه علم يقين أنه شيخه وممده حيا وميتا ، وكذا غيره من الأقطاب فضلا عن غيرهم رضى الله عن الجميع الرضا الأبدى . وفيه : وكان من وصية سيدى أحمد بن الرفاعى رحمه الله : من تمشيخ عليكم فتلمذوا له ، ومن مد إليكم يده لتقبلوها فقبوا رجله ، وكونوا آخر شعرة في الذنب فإن الضربة أول مانقع في الرأس اه . وفي [عم] ويتعين على كل عالم أو شيخ حصلت عنده حزازة في صدره بكثرة المريدين لأحد من أقرانه أو تركهم درسه واجتماعهم على غيره بحيث لم يكن عنده أحد من الطلبة أو المريدين أن يتخذ شيئا يسلك على يديه حتى يرقه إلى درجة الإخلاص بحيث ينشرح لكل من تحول من طلبته إلى غيره ، ففى تكدر من طلبته إذا تحولوا إلى غيره فليس له فى الإخلاص نصيب كما صرحت به الأخبار والله يتولى هداك اه . وللبوصيرى رحمه الله :

يحسد الأول الآخر فإزا لكذا المحدثون والقدماء

قال تعالى - ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك - الآية ، وقليل ما هم (و) ذا (عقل) وهو منبع العلم والسعادة فى الدارين ، وفى الحديث « أطع ربك تسمى عاقلا ، ولا تعصه فتسمى جاهلا » وفى [حى] قال صلى الله عليه وسلم « أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ، ثم قال الله عز وجل وعزنى وجلالى ما خلقت خلقا أكرم على منك بك آخذ وبك أعطى وبك أثيب وبك أعاقب » وفيه : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء آلة وآلة المؤمن العقل ، ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل ، ولكل شيء دعامة ودعامة الدين العقل ، ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ، ولكل قوم داع وداعى العابدين العقل ، ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ، ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ، ولكل خراب عمارة وعماراة الآخرة العقل ، ولكل امرئ عقب ينسب إليه ويذكر به وعقب الصديقين الذين ينسبون إليه ويذكرون به العقل ، ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل » وقال صلى الله عليه وسلم « إن أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب فى طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فأفلح ونجح » وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجتنب محارم لأبى الدرداء » ازدد عقلا تزدد من ربك قريبا ، فقال بأبى أنت وأمى وكيف لى ذلك - فقال : اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله سبحانه تسكن عاقلا ، واعمل بالصالحات من الأعمال تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتتل فى آجل العقبي بها من ربك عز وجل القرب والعز » وعن سعيد بن المسيب « أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة رضى الله عنهم دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : العاقل ، قالوا فمن أعبد الناس ؟ قال العاقل ، قالوا فمن أفضل الناس ؟ قال العاقل ، قالوا أليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته ؟ فقال صلى الله عليه وسلم وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين إن العاقل هو المتقى وإن كان فى الدنيا خسيسا ذليلا » قال صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر « إنما العاقل

من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته « وفيه : وقال صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به ونهيتم عنه ، واعلموا أنه ينجدكم عند ربكم ، واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان ذميم المنظر حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة ، وأن الجاهل من عصا الله تعالى وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحاً نطوقاً فالقردة والخنازير أعقل عند الله ممن عصاه ، ولا تغفروا بتعظيم أهل الدنيا إياكم فإنهم من الخاسرين » اهـ . ورحم الله من قال :

لا تركنن إلى ذى منظر حسن قرب رائقة قد ساء مخبرها
ما كل أصفر دينار لصفرته صفر العقارب أدناها وأنكرها

ومن قال :

يا قلب غرتك من أهل الهوى غرر فسرت يغريك في ليل الهوى غرر
لا تأسفن إذا ماهمت في قر ما أنت أول سار غره القمر

والحريرى رضى الله عنه لما استصغره من وفد عليه للأخذ عنه لقبح منظره :

لست بأول سار غره قر ورائد أعجبت خضرة الدمن
اختر لنفسك غيرى لئننى رجل مثل المعبدى فاسمع بى ولا ترفى

ورحم الله من قال من بحر المنسرح :

ما وهب الله لا مرى هبة أفضل من عقله ومن أدبه
هما كمال الفتى فإن فقد ففقدته للحياة أحسن به

وزد كونه ذا (أمانة) ضد الخيانة ، وفي [جص] « الأمانة تجلب الرزق ، والخيانة تجلب الفقر » وفيه « الأمانة غنى » : أى لأن من عرف بها يرغب الناس في معاملته ، وفيه : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة له ، وموضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد » وفيه : « أدّ الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك » وفيه « إذا رأيت من أخيك ثلاث خصال فارجه ^(١) : الحياء والأمانة والصدق ، وإذا لم ترها فيه فلا ترجمه » وفيه « أول ما يرفع من هذه الأمة الحياء والأمانة » وتماه « فسلوهما الله عز وجل » وفيه : « ثلاث ليس لأحد فيهن رخصة : بر الوالدين مسلماً كان أو كافراً والوفاء بالعهد لمسلم كان أو كافراً ، وأداء الأمانة إلى مسلم كان أو كافراً » وفيه : « كفى بالمرء سعادة أن يوثق به أمر دينه ودنياه » وفي مسلم وغيره « إن الأمانة نزلت في جذر ^(٢) قلوب الرجال ، ثم حدثنا عن الأمانة ورفعها فقال : ينال الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الجمر دحرجته على رجله فنقط فتراه منتبها وليس فيه شيء ، ثم أخذ حصاة فدحرجها ، فيصبح الناس فيتبايعون لا يسكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال إن فى بنى فلان رجلاً أميناً حتى يقال للرجل ما أظرفه ما أعقله وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان » اهـ . وقيل : إن الله خلق الدنيا كالبيتان وزينها بخمسة أشياء : علم العلماء وعدل الأمراء وعبادة الصالحاء ونصيحة المستشار وأداء الأمانة فقرن إبليس مع أهل العلم الكتمان ومع العدل الجور ومع العبادة الرياء ومع النصيحة الغش ومع الأمانة الخيانة . وفي [د] يقول صلى الله عليه وسلم « لا إيمان لمن أمانة له » سببه أن رجلاً من أصحابه

(٢) جذر كفلس اهـ .

(١) ارجه من رجاً كدعا أمل اهـ .

أؤمن على مال فصرفه في مصلحة نفسه بغير إذن صاحبه فشكى عليه فجعل يزجره بهذا الحديث الشريف اه
وأخبرني بعض الإخوان أنه أودع عند من لقنه الورد الأحمدي لثقتة به وحسن ظنه فيه مائة ريال ، فلما
طلبها أنكره وأغلظ عليه وقال له لثقتك الورد الشريف وأنت تطلب مني العرض القاني ، فوقع
بينهما نزاع وخصام وشتان في ذلك واقتطع مال أخيه بيمين فاجرة وسيلاتي ربه وهو عليه غضبان ،
ولياك ثم إياك يا أخي أن تثق بأبناء الوقت فقد نصحتك نصيح أخ مجرب ، ورحم الله من قال :

جرهم بالمنقوش والكنبوش يظهر لك الصافي من المغشوش
وذيله بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه قال :

فلاني جربت بالمنقوش فلم بين لي سوى المغشوش
وما تأني ذاك بالكنبوش لاسيا في زمن المكدوش اه

واستمسك بقوله صلى الله عليه وسلم « احترس من الناس بسوء الظن وفرمنهم فرارك من الأسد ،
ولا يستخفنك الذين لا يوقنون بالمزوقات والمزغفرات والمحمرات والمعنبرات والتمشيدات بالسنة حداد
- ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون - » .

بل زهم بالصدق والأمانة والحفظ للحدود والديانة
وباتباع محكم الكتاب وسنة النبي بلا ارتياب

- ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا - آمين (و) كونه ذا (حلم) بالكسر
الأناة والعقل ، وفي [جص] « الخليم سيد في الدنيا وسيد في الآخرة » قال العزيزي : قال الحسن : ما نحل الله
عباده شيئا أفضل من الحلم ، والمراد حلم لا يجر إلى محذور شرعي أو عقلي اه . وفي [حى] وقال صلى الله عليه
وسلم « إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتخير الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه » وقال صلى الله عليه وسلم
« خمس من سنن المرسلين : الحياء والحلم والحجامة والسواك والتعطر » وقال على كرم الله وجهه : قال
النبي صلى الله عليه وسلم « إن الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم ، وإنه ليكتب جبارا عنيدا
وما يملك إلا أهل بيته » وقال صلى الله عليه وسلم « أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم ، قالوا وما
أبو ضمضم ؟ قال رجل ممن كان قبلكم كان إذا أصبح يقول اللهم إني تصدقت اليوم بعرضي على من
ظلمني » وقال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا
تعتمدوا بشيء من عمله : تقوى تحجزه عن معاصي الله عز وجل ، وحلم يكف به السفيه ، وخلق يعيش
به في الناس » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد أين أهل
الفضل ؟ فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا إلى الجنة ، فتلقاهم الملائكة فيقولون لهم إنا نراكم
سراعا إلى الجنة ؟ فيقولون نحن أهل الفضل ، فيقولون لهم ما كان فضلكم - فيقولون كنا إذا ظلمنا
صبرنا ، وإذا أسىء إلينا عفونا ، وإذا جهل علينا حلمنا ^(١) . فيقال لهم ادخلوا الجنة فنعلم أجر العالمين »
وقال على رضي الله عنه : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم
حلمك وأن لا تباهي الناس بعبادة الله ، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى ، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى ،
وقال رضي الله عنه : إن أول ما عوض الخليم من أن الرجل يشتمه أخوه فيقول إن كنت كاذبا يغفر الله

لك وإن كنت صادقاً فقفر الله لي. وسب رجل ابن عباس ، فلما فرغ من سبه قال يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضها ؟ فنكس الرجل رأسه واستحيا. وعن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم أنه سبه رجل فرمى إليه بخمضة كانت عليه وأمر له بألف درهم ، فقال بعضهم جمع له خمس خصال محمودية : الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يبعده من الله عز وجل وحمله على الندم والتوبة ورجوعه إلى المدح بعد الذم ، اشترى جميع ذلك بشيء من الدنانير . وقال لقمان : ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة : لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ، ولا الشجاع إلا عند الحرب ، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه. وقال سيدنا معاوية رضي الله عنه لعرابة بن أوس : سدت يا عرابة قومك ؟ قال يا أمير المؤمنين كنت أحلم عن جاهلهم ، وأعطى سائلهم ، وأسعى في حوائجهم ، فمن فعل فعلى فهو مثلي ، ومن جاوزني فهو أفضل مني ، ومن قصر عني فأنا خير منه ، انظره :

يبدل وحلم ساد في قومه الفتي وكونك إياه عليك يسير

وفي [جه] وأما صبره رضي الله عنه فلا خفاء بما له من الثبات في مركز الصبر ، فلا يزال رضي الله عنه يقابل من أساء إليه بالإحسان حتى صار كل من ينكر عليه يقر له بالفضل والعلم والحلم والولاية الكبرى وعظيم المسكينة وكمال الإحسان ، فلما رأوا ذلك منه وصار له ذلك عادة ولم يلتفت إلى ما هم عليه من الإذابة وعدم الإحسان رجعوا عما كانوا عليه من الإذابة والإضرار وتابوا إلى الله وسألوا منه الصفح والعفو والاستغفار ، فعادوا إلى أحسن حال وأكمل مقال يطلبون من سيدنا رضي الله عنه أن يسامحهم ويعفو عنهم ويتجاوز عنهم ويسامحهم ويدعو لهم ويحسن عليهم ويشفق منهم ويتودد إليهم ويتعاهدهم ويتفقد أحوالهم ويسأل عنهم ، فهذا حاله رضي الله عنه الذي لا يقدر عليه أحد إلا أكابر الصديقين والأصفياء ، ومع كثرة اشتغاله بهذه الأمور لا يفرط في أنواع الطاعات ، فإذا أتى وقته الذي يتفرغ فيه للعبادة نبذ كل السوى وراءه وأقبل على الله بما أهله له ولما أراده ، انظره. ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

بمنواله فانسج تمل خير رتبة ودع كل من يرى لنفسه نصرة

فإنه لم يزل مع النفس والهوى فكيف يداوى وهو أعضل علة

ورد كونه ذا (سياسة) من ساس الرعية بسوسها أمرها ونهاها ، ومنه قوله :

فبينما نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة تنصف

وفي [عف] ومن وظيفة الشيخ : حسن خلقه مع أهل الإرادة والطلب ، والتزول عن حقه فيما يجب من التبجيل والتعظيم للمشايخ واستعماله التواضع : حكى الرقي قال : كنت بمصر وكنا في المسجد جماعة من الفقراء جلوساً فدخل الدقاق فقام عند أسطوانة يركع ، فقلنا يفرغ الشيخ من صلاته وتقوم نسلم عليه ، فلما فرغ جاء إلينا وسلم علينا ، فقلنا نحن كنا أولى بهذا من الشيخ ، فقال ما عذب الله قلبي بهذا قط : يعني ما تقيدت بأن أحترم وأقصد . ومن آداب الشيوخ : التزول إلى حال المريدين من الرفق بهم وبسطهم . قال بعضهم : إذا رأيت الفقير القه بالرفق ولا تلقه بالعلم فإن الرفق يؤنس والعلم يوحشه ، فإذا فعل الشيخ هذا المعنى من الرفق يتدرج المريد ببركة ذلك إلى الانتفاع بالعلم فيعامل حينئذ بصريح العلم ، ثم قال : ومن آداب الشيوخ : أنهم إذا علموا من بعض المسترشدين ضعفاً في مراعاة النفس وقهرها واعتماد صدق العزيمة أن يرفقوا به ويوقفوه على حد الرخصة في ذلك خير كثير ، ومادام العبد لا يتخطى حريم الرخصة فهو حر . ثم إذا ثبت وخالط الفقراء وتدرّب في لزوم الرخصة تدرج بالرفق

إلى أوطان العزيمة : قال أبو سعيد بن الأعرابي : كان شاب يعرف إبراهيم الصائغ ، وكان لأبيه نعمة فأنقطع إلى الصوفية وصحب أبا أحمد القلانسي ، فربما كان يقع بيد أبي أحمد شيء من الدراهم فكان يشتري له المرقاق والشواء والحلواء ويؤثره عليه ويقول : هذا خرج من الدنيا وقد تعود النعمة فيجب أن ترفق به ونؤثره على غيره ، انظره . قال تعالى - حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم - وما من وارث إلا وله قسط ومشرب من الموروث صلى الله عليه وسلم كل بحسب ما سبق له في الأزل :

وكلهم من رسول الله ملتصق غرقا من البحر أو رشقا من الدميم

(و) زد كونه ذا (رفع لهمة) بكسر الهاء ويفتح : وفي [شب] قال السيد الشريف : الهمة توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق للحصول الكمال له أو لغيره ؛ وسئل سيدي عبد القادر الجيلي عن الهمة فقال : هي أن يتعري العبد بنفسه عن حب الدنيا ؛ وبروحه عن التعلق بالعقبي ، وبقلبه عن إرادته مع إرادة المولى ، ويتجرد بسرّه عن أن يلمح السكون أو يخطر على سرّه اه . وفي [جه] قال سيدنا رضي الله عنه : همة الإنسان قاهرة لجميع الأكوان متى تعلقت بمطلوب وسعت في ذلك المطلوب على الجادة المستقيمة بحيث أن لا ينالها في طلبها سامة ولا رجوع عن المطلوب ولا تصعب عليه صموية طلبه ولم ينلها شك ولا تردد ، بل باعتقاد جازم أن تناله أو تموت في طلبه اتصلت بمطلوبه ولو كان وراء العرش اه . وفيه : وأما رفع همته عن الخلق فإنه رضي الله عنه في غاية من الانقطاع عنهم إلى الله سبحانه لا يرجو إلا أفضاله وإحسانه ، قد أعرض عنهم لما أقبل على مولاه ، وخلفهم فيما خلف وراءه لا يبالي بإقبال منهم ولا بإعراض ولا بسخط ولا بتراض ، سواء المقبل والشارد والمقارب والمباعد والذام والحمد والمقر والجاحد ، لا ركون له إليهم ولا معرج له عليهم ، غنى بمولاه واكتفاء بما به تولاه ولا يواليهم ظاهرا كما لا يشاركهم فيما هم فيه باطنا ، قد قطع عنهم منتهى بكرة ونبت كل أحد نفعه وضره ، فلا يقبل من أحد كائنا من كان من قريب أو بعيد قليلا ولا كثيرا ولا جليلا ولا حقيرا ، حتى لا يقدر أحد أن يسومه بعتية ولا بهدية ، نشأ رضي الله عنه على هذه السيرة السنية والأحوال المتينة السنية ، ولم يزل على ذلك حتى وقع له الإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبول وعدم الرد فعند ذلك صار لم يرد ، لكن هناك من يقبضه ويتصرف فيه كما شاء في داره وغير ذلك من سائر التصرفات ، وبعض يقبضه لكن يصرفه فيما يظهر له من المواساة للمساكين وذوى الفاقات اه . وفي [غ] وكلام المشايخ رضي الله عنهم فيما يشير إلى تأكيد رفع الهمة عن الخلق في الطريق وكونه من أركانها المعتمدة فيها كثير ، وغرضنا التلييه على أنه في طريقنا من الأمر الآكد فيها بل هو من أوصاف أهلها التي يعرفون بها . ورأيت في بعض المؤلفات نقلا عن تذكرة المحبين للرصاص مانصه : قال بعض العارفين : رفع الهمة عن الخلق هو ميزان الفقراء ، وقبيح بالفقراء أن ينزلوا حاجاتهم بغير مولاهم ، وينزلوا أنفسهم لأرباب الدنيا بالسعي إليهم وكثرة الوقوف على أبوابهم موافقين لهم على مآربهم ، تراهم يتزينون كما تزين العروس معتنين بإصلاح ظواهرهم غافلين عن إصلاح سرائرهم ، لقد كان أحدهم لو صدق في فقره أن يسمى عبد الكبير فخرج عن هذه الإضافة فصار يضاف لعدم صدقه إلى الذليل الحقير ، أولئك هم الكاذبون الصادون العباد عن محبة أولياء الله ، ثم قال : قال ابن عطاء الله : رفع الهمة عن الخلق هي زينة أهل الطريق ويسمى أهل التحقيق ، وقال بعضهم في ذلك :

الله يعلم أنى ذو همه تأتى الدنيا هفة وتظرفا
لم لا أصون عن الورى ديباجتى وأريهم عزى الملوك وأشرفا
أأريهم أنى الفقير إليهم وجميعهم لا يستطيع تصرفا
أم كيف أسأل رزقه من غيره ؟ هذا لعمرى إن فعلت هو الجفا
شكوى الضعيف إلى ضعيف مثله عجز أقام بحامليه على شفا
فاسترزق الله الذى إحسانه عم البرية منة وتلطفا اه

وإذا عرفت القدر الذى هو أقل ما يراعى فى حصول الأهلية للتقديم من جهة العلم ، فينبغى أن تعرف أنه لا بد فى حصول ذلك من أن يكون من يراد لذلك بعد تحصيله للقدر المذكور من أهل العلم ذادبانة وعقل وحلم وأمانة ورفع لهمة عن الخلق ثقة بالملك الحق ، ومن نقص فى شيء من هذه المذكورات وكان محصلا للقدر المذكور من العلم ولم يوجد غيره ممن هو أكمل منه اعتمد فيما معه من العلم والمعرفة بحسب ذلك ، فأصل أركان الأهلية وأساسها هو تحصيل القدر المذكور من العلم بما تقدم ، وباقي الأركان تدور على مركز مكارم الأخلاق وحسن المعاشرة بقدر الاستطاعة ، وميزان ذلك كله هو رفع الهمة عن التشوف لما فى أبهى إخوانه من العرض الفانى وعن تكليفهم بما فيه حظ له كيفما كان ، وإنما كان هذا الأخير ميزانا لما عداه من أركان الأهلية ليزن به الموفق حال نفسه ، فكلما وجد فيه رائحة من الطمع فى رفق بأتية من إخوانه الذين يلقنهم عرف بأنه ليس بأهل لذلك ولا مرادا فيكون اشتغاله بالإقبال على إصلاح أمر نفسه أهم الأشياء إليه ، فلا يقبل التقدم على أحد وأحرى أن لا يتعرض له بطلب أو استجلاب بشيء ، فإن فعل فقد أخسر الميزان والعباذ بالله تعالى من أسباب الخسران اه . وفى [عف] أهم الآداب أن لا يتعرض الصادق للتقدم على قوم ولا يتعرض لاستجلاب بواطنهم بلطف الرفق وحسن الكلام محبة للاستتباع ، فإذا رأى أن الله تعالى يبعث إليه المريدين والمسترشدين بحسن الظن وصدق الإرادة يحذر أن يكون ذلك ابتلاء وامتحانا من الله تعالى والنفوس مجبولة على محبة إقبال الخلق والشهرة ، وفى الخمول السلامة ، فإذا بلغ الكتاب أجله وتمسك العبد من حاله وعلم بتعريف الله إياه أنه مراد بالإرشاد والتعليم للمريدين فيكلمهم حينئذ كلام الوالد الناصح المشفق لولده بما ينفعه فى دينه ودنياه ، وكل مريد ومسترشد ساقه الله تعالى إليه يراجع الله تعالى فى معناه ويكثر اللجأ إليه أن يتولاه فيه وفى القول معه ، ولا يتكلم مع المريد بالكلمة إلا وقلبه ناظر إلى الله مستعينا به فى الهداية للصواب من القول . سمعت شيخنا أبا النجيب السهروردي رحمه الله يوصى بعض أصحابه ويقول : لا تكلم أحدا من الفقراء إلا فى أصنى أوقاتك ، وهذه وصية نافعة لأن الكلمة تقع فى سمع المريد الصادق كالحبة تقع فى الأرض ، وقد ذكرنا أن الحبة الفاسدة تهلك وتضيع وفساد حبة الكلام بالهوى ، وقطرة من الهوى تسكر بحراً من العلم ، انظره .

[لطيفة] وأخبرنى بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه أنه لما ساقته العناية الصمديّة للدخول فى الأحمديّة طلب منه صديق حميم وحبیب كريم أن يسأل التقديم فأبى وامتنع لقول النبى صلى الله عليه وسلم : «إنا لا نستعمل على أمرنا هذا من طلبه» وقوله : «أخونكم للعمل من طلبه» وقوله : «يا عبد الرحمن بن سمرّة لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها»

وَيُجَدُّونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً حَتَّى يَقَعَ فِيهِ ، أَوْ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَرَحْمَتُهُ بِمَحْضِ كَرَمِهِ وَمَتْنِهِ مَا كُنَّا أَهْلًا لِأَنْ نَلْقَى بِالْفَتْحِ ، فَكَيْفَ نَطْلُبُ أَنْ نَلْقَى
بِالْكَسْرِ ، وَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ قَالَ :

فَلَا تَعْدُنَ لِلْعَلِيَاءِ مِنْكَ يَدًا حَتَّى تَقُولَ لَكَ الْعَلِيَاءُ هَاتِ يَدَكَ

وَمَنْ قَالَ :

إِذَا اصْطَفَاكَ لِأَمْرِ هَيَاتَكَ لَهُ يَدُ الْعَنَاءِ حَتَّى تَبْلُغَ الْأَرْبَا

وَمَنْ قَالَ :

وَإِذَا الْعَنَاءُ لَا حِظَّكَ عِيُونَهَا نَمُ فَالْخَاوِفُ كُلُّهُنَّ أَمَانٌ

وَاصْطَلَدَ بِهَا الْعَنْقَاءُ فَهِيَ حِبَالَةٌ وَاقْتَدَ بِهَا الْجُوزَاءُ فَهِيَ هَنَانٌ

وَكَمْ مِنْ وَاحِدٍ مِنَ الْإِخْوَانِ - بَصُرْنَا اللَّهَ وَلِيَا هُمْ بِعِيُونِنَا وَشُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسِيئَاتِ أَعْمَالِنَا وَسَلَكِ
بِنَاوِيهِمْ مَسَلَكِ الْمُرَادِينَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ آمِينَ - طَلَبَ مِنْهُ التَّقْدِيمَ تَصَرَّ بِحَاوِلِيهَا كِتَابَةً وَمَشَافَهَةً فَأَجَابَهُ ،
بَأَنَّ لَنَا أَهْلًا أَنْ نَقْدِّمَ - بِالْفَتْحِ - فَكَيْفَ أَنْ نَكُونَ أَهْلًا أَنْ نَقْدِّمَ بِالْكَسْرِ ، وَمَا قَدَّمْنَا أَحَدًا مِنْذُ قَدَّمْنَا
فِرَارًا مِنَ الْمَقْتِ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، وَفِي وَقْتٍ آخَرَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ : وَرَحِمَ اللَّهُ مَنْ قَالَ :

رَفَقًا بِهَا قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الزَّبِيَّ وَاتَّسَعَ الْخَرَقُ عَلَى الْمُرْتَقِ

وَفِي الْحَدِيثِ : « يَا أَنْجِشَةَ رَوَيْدِكَ بِالْقَوَارِيرِ » وَأَحَقُّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْيَقِينِ اعْتِمَادًا عَلَى

مَا عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الظَّنُونِ :

وَلَكِنِّي عَبْدٌ ظَلُومٌ كَمَا تَدْرِي

وَلَا تَخْزِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْحُشْرِ

وَأَتَحَفَّ عَيْدًا بِالْجَمِيلِ مِنَ السَّيْرِ

يُظُنُّونَ بِي خَيْرًا وَمَا بِي مِنْ خَيْرٍ

فَلَا تَفْضَحْنِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ مَشْهَدٍ

وَشَفَّعَ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا وَفِي الْوَرَى

وَلِبَعْضِ الْإِخْوَانِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ :

وَتَوْبَى مِنَ التَّلْقِينَ فِي الْأَحْمَدِيَّةِ

تَطْفَلْتُ فِيهِ عَنْ أَسَاةِ الطَّرِيقَةِ

أَمَا تَذَكِّرِينَ يَوْمَ بَعْثٍ وَحَسْرَةٍ

وَلَكِنْ مِنَ الْمَرْضَى بِأَعْضَلِ عِلَّةٍ

وَمِنْ جَمَلَةِ السَّكْرِ بِأَهْوَا مَضَلَّةٍ

بِمَنْ قَدْ جَعَلْتَهُ شِفَاءَ الْبَرِيَّةِ

وَبِالْحَسَمِ أَحْمَدَ التَّجَانِي عَدْتِي

وَأَصْحَابَهُ طَرَا مِنْ أَنْسِ وَجَنَةِ

فَوَيْحُكَ يَا نَفْسِي تَعْدَيْتِ طُورَكَ

فَلَسْتُ مِنْ أَهْلِهِ لَجْهَلِكَ بِالْذَّوَا

أَمَا تَتَّقِينَ اللَّهَ فِي ذَا التَّطَلُّبِ

فَلَسْتُ وَرَبِّي مِنْ دَعَاةِ أَطْبَةِ

وَمِنْ جَمَلَةِ الْحَمَقِ بِلَامَسِ جَنَةِ

أَمِنْ عِنْدَهُ الشِّفَا أَشْفَدَائِي وَعَلْتِي

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِلَا انْتِهَاءِ

عَلَيْهِ مِنَ الرَّخْنِ يَحِبُّ تَحِيَّةَ

وَلَهُ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُ :

لَمَّا بِي مِنْ عَجْزٍ وَمِنْ ضَعْفِ قُوَّةٍ

لِكَثْرَةِ جَهْلِيهَا بِمَوْضِعِ عَلْتِي

تَبَشَّرَنِي بِالْإِذْنِ فِي الْأَحْمَدِيَّةِ

فَقَسَمْتَ الْقَنْ أَسْمَ ذَاتِ بَهْمَةٍ

وَلَمَّا أَرَدْتُ نَبَذَ أَهْمَالِ ثَقْلَهَا

وَخَفَّتْ عَلَى نَفْسِي مِنْ إِعْطَاءِ ذَا الدَّوَا

أَتَنَّتِي مَرَاءَ بِالْبَشَارَةِ بِالْمَنَى

فَنَهَا فَعَمَّ صَفِّ الْوَرَى يَا ابْنَ فَاطِمَةَ

ومنها فقم فازرع فهدي زريعة فقلت فإلى آلة للزريعة
فقبل فقم فازرع فهذه آلة وأرض وقوت فازرع دون منة
فحيث أنه أسلمت وجهي طالبا من الله عوناً في تحمل كلفة
ومستمداً من النبي وأحمد التجاني دائماً بسر وجهرة
عليه صلاة الله ثم سلامه ورضوانه على التجاني قدوتي
ومن أجل ذلك قال رحمه الله ورضي عنه :

يارب صق من صفوة العباد	من يعبد الله مع الآباد
ملتصفاً بهذا رضا الرحمن	ومخلصاً في السر والإعلان
وراعباً في ذكر ورد أحدا	في كل وقت أبداً مؤبداً
واجعله من أفضل خلق الله	في الدين والدنيا بفضل الله
واجعل إخاءنا لرب الناس	واحفظه من وساوس الخناس
واصيب علينا وابل الرضوان	وامنن بعفوك والغفران
وحققنا بلطفك الحسنى	وعننا ببرك الحسنى
واحرم جميعنا من الأنكاد	ومن شرور الدهر والأوغاد
يجاه أحمد رسول الله	عليه والآل صلاة الله
وجاه ختم أولياء الله	عليه سحب رحمت الله
آمين آمين استجب بالفضل	وشفعن نبينا في الكل

ورحم الله من قال :

وكيف تريد أن تدعى حكيماً وأنت لكل ماتهوى ركوب
وتعيب دائماً ظهراً لبطن وترتكب الذنوب ولا تتوب

ومن تعرض لهذا بغير معرفة فهو خائن - إن الله لا يحب الخائنين - ومن طب غيره بغير علم فهو ضامن إذ بما عنده من الجهل ربما أخرج الأدوية عن موضوعاتها وعدل عن مقاديرها فساق المريض إلى الهلكة وعاجله بالمنية : « ومن غشنا فليس منا » - ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً - الآية . وفي [مع] عن الخلاصة المرضية : ومن آداب المريدين أن لا يتعرضوا للتصدر ، وأن يكون لهم تلميذاً أو مريداً فإن المريدين إذا صار مراداً قبل خمود بشريته وآفته فهو محجوب لا تنفع أحداً إشارته وتعليمه . وفي [عم] وقد رأيت أشخاصاً كثيرين ممن أذن لهم أسيانهم بالتربية عادوا أسيانهم وهجروهم وادعوا أنهم أعلم بالطريق منهم ففقتوا ولم ينجح على أيديهم أحد ، وكل ذلك لوقوع الإذن لهم من أسيانهم قبل خمود نار بشريتهم ، فكان اللوم على الأسيان لا عليهم . وقد كان سيدي على الموصفي عزيز الإذن في المشيخة إلا أن يأتيه إذن بذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم مراراً ، فلما مات انحل نظام الطريق في مصر وقراها ، وما ظهر بعده سوى الأخ الصالح سيدي أبي العباس الحزبي رحمه الله تعالى ، انظره . وفي [د] ما خلفت أحداً سوى سيدي الحاج على حرازم ، أمرني صلى الله عليه وسلم بذلك فخلفته :

هكذا هكنا وإلا فلا لا طرق الجدد غير طرق المزارح

ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

وكن مرصفي الوقت في الأحذية
فكان عزيز الإذن لا يأذن الوري
قد انحلت الأزرار يومامن العري
قد اتسع الحرق على كل راقع
فكل لنفسه يريد استمالها
يقول أنا لها جديل محكك
لذلك تنافسوا كمثل بنى الدنا
فكم واحد يسعى لنيل التقدم
فواصبيا لمن يقول أنا لها
فيا وبع من ينبغي مقام المشايخ
أيا سادتي المقدمين وقيم
فما كان هكذا دعاء الأظبة
يقولون نفسي نفسي لست من أهلها
بهديهم اقتدوا تفوزوا بحكمة
فيارب شفّع في الجميع نبينا
وشفّع أبا الفيض التجاني أحدا
عليه من الرحمن في كل لحظة

وفي غيرها من طرق كل الأئمة
سوى بعد إذن من رسول البرية
فألفت رياح النفس سبلا لمهجة
لكثرة من يعطى الدوا دون خبرة
بإعجابه برأى نفس خبيثة
وغيرى كعشوا أو كحاطب ليلة
عليها تغايروا تغاير نسوة
بدينة وليس من أهل رتبة
وقد عزلته رتبة في الحقيقة
برسم الشهود والقضاة وشوكة
هوى النفس والردى وكل بلية
فكل يحيلها على أهل حكمة
ولكن عليك بالدعاة الأظبة
ولكنها الأهواء عمت فأعمت
عليه وآله وصحب تحيى
وأصحابه فينا بفضل ومنة
سحائب رضوان ووابل رحمة

ولمثل هذا كتب العارف الرباني العلامة الصمداني سيدي الحاج الحسين الأفرائي لبعض المقدسين مانصه : استدراك خير كتبه شيخنا أبو المواهب السائحي رضى الله عنه لبعض الإخوان فكونوا عند مضمونه بحيث لا تخالفوه رأسا فإنه زبدة ما يجب على المقدمين في الطريق الأحمدية الحمدية التجانية ، وراعوا مبانيه ، ثم نبهوا غيركم من المقدمين بالعمل فإن بذلك يفوزون برضا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ورضا الشيخ رضى الله عنه ، وليس الغرض من هذا الاستدراك إلا التنبيه لسيادتكم ومزيد التأكيد على نباهتكم في مراعاة الأهلية المعتبرة بوجوهها المقررة كلا وبعضها ممن ترشحونه للتقديم والانصباب لتلقي الأوراد ، والثبوت التام في ذلك وعدم التساهل فيه بتمكينكم من عهد الله وعهد رسوله صلى الله عليه وسلم ، والكل من أهل الله من يشترى به ثمنا قليلا فإن وبال ذلك عظيم ومرتعته وخيم لما ينشأ عنه من التلاعب بالدين وإدخال الفتن في الطريق على عباد الله المؤمنين بما يزلزل نياتهم ويفسد عليهم طوياتهم مع ما يدخله على الطريق من الاختلال بتغيير مراسمها وهدم قواعدها وإخراجها عن نهج الحنيفية البيضاء وصنن الاعتدال ، فيسجل على المتساهل في ذلك بأنه ممن اتخذ دينه هزوا ولعبا وغرته الحياة الدنيا فيذوق عن قريب وبال أمره وتكون عاقبته خسرا لا محالة ، أعاذنا الله من بلاته ، وعليه : فعليكم أيها الإخوان الأماجد بالثبوت التام والتحري في أمر التقديم بغاية جهذكم ، ولا أقل من أن يكون المراد عندكم بالتقديم مستور الحال منزها عن ردية الطمع والتشوف والتعلق للرجال ، وأن لا يكون متجاهرا بشيء مما يسقط العدالة ولا مهينا دنيا لا يبالي بما هي عليه من سمات الخسة والنذالة ،

وقد فصل ذلك تفصيلا في [بغية المستفيد] مع بيان مأخذه من كلام سيدنا رضى الله عنه فراجعوه فيه . ويكون التثبت والتحري بأمور كان عليها عمل سيدنا رضى الله عنه وعمل المعتبرين من نوابه رضى الله عنهم أجمعين ، منها : إذا أتاك أحد من بلد مثلا وطلب منك التقديم في بلده أن تسوفه ، ثم تنظر في بلده أو من يذاها فإن كان بها مقدم مجمع على رسوخ قدمه فرده إليه حتما ، فإن أبى فاقطع عليه بأنه صاحب هوى وحرص لا خير لك ولا له في مساعدته ، وإن لم يكن في بلده ولا يذاهاها مقدم فانظر أنت رجلا مستورا الحال ممن لا رغبة له في التقديم وقدمه بعد الاستخارة النبوية ودافع ذلك الراغب بما يظهر لك في الحال ، وإذا أتاك من يريد أن يستخرج منك الإذن في إعطاء الأوراد بالتحجيل بأن يقول لك مثلاً إلى مسافر إلى بيت الله الحرام ، وإلى غير ذلك ، وربما يرغب إلى رغب في الورد فأذن له في إعطاء الورد مادام في سفره ذلك ذهابا وإيابا لا غير ، وأشترط عليه أن لا يتصدى لذلك في بلد فيه مقدم أمكن منه وأقدم هجرة في الطريق بل يكف عن إعطاء الورد حتى يخرج منها ، كل هذا ليتفصى الإنسان من عهدة التلاعب وليأخذ بحجز^(١) إخوانه من الوقوع في مهواة الردى ، وكل هذا قضايا اتفقت لسيدنا رضى الله عنه وللخاصة المقدمين بعده لا يمكننا بسط القول فيها الآن . وبالجملة فإن استطعتم أن لا تأذنوا في إعطاء الورد إلا لمن تختارون أنتم ممن لم تظهر عليه رغبة بل ولا تشوف لذلك فهو أولى وإن امتنع فراودوه على القبول بعد الاستخارة النبوية وتكررها مرارا ، وإن كان ولا بد من تقديم من يطلبه ويرغب فيه فللميزان في ذلك أن تثبتوا وتنظروا في أحواله فإن ظهر من حاله أنه يريد بذلك أن يكون خديما للشيخ وأصحابه والمتسبين إليه بإيصال الخير إليهم والأخذ بيدهم رجاء أن يحصل له الجزاء من الله تعالى في العاجل والآجل من خزائن فضله وجوده سبحانه فساعدوه بطالبته^(٢) وأسعفوه برغبته ، وإن ظهر لكم من قرائن أحواله أنه يريد أن يكون مخدوما لا خادما ، وأخرى مع ظهور أثر التشوف منه إلى مافي أيدي إخوانه ، وأخرى مع التظاهر في الدعاوى الكاذبة واعتماد الخرافات الباطلة ، فلا يحل لكم أن تغروا عليه نفسه وهواه وتعينوا عليه شيطانه ، فامنعوه من ذلك ولو أدى منعكم إياه إلى انقطاعه عنكم ، فإنه لا خير في رؤيته فضلا عن صحبته ، ولم يبق له حق عليكم إلا في دعاء الخير ، فلا تتركوه له بظهر الغيب ، وهذا كله في التقديم لإعطاء الورد اللازم فقط . وأما الإذن للغير بمثل الإطلاق والتعميم الذي كتبنا لبعضكم به فلا بد فيه من الاحتياط التام بغاية الجهد ، وإن أدى الحال إلى أن لا تقدموا بمثل ذلك إلا واحدا في الإقليم مثلا أو واحدا في عمركم كله أو لا تقدموا بمثله أحدا أصلا فلا عليكم ، وسلامة أنفسكم أولى لكم ولا سيما وهذا فيه سلامة أنفسكم وسلامة إخوانكم معكم ولا سيما أيضا وهذه الطريق المحمدية الأحمدية مضمونة من الانقطاع ومحفوظة من الانتساخ ، وإنما هذا التحفظ والتحري مما هو جائز الوقوع في الطريق من ظهور المتلاعبين والدجاجلة الكذابين ليقضى الله أمرا كان مفعولا ، فالأمر للمقدمين بمراعاة الأهلية والتحفظ وإنما هو من قن الضالين الذين يضل بضلالهم خلق كثير ، لا أنه تحرز من انقطاع الطريق وانتساخها بعد ضمان النبي صلى الله عليه وسلم لها أنها باقية ببقاء الدين المحمدي في الأرض ، فافهموا ذلك الخ وفيما ذكرنا منه غنية لكل ذى نهية . ومن رأينا كان عزيز الإذن في التقديم والتلقين أبو محمد صالح سيدى أحمد محمود أبى الله الصلاح والبركة

(١) حيز بضم حاء مهملة : جمع حجرة ، كغرفة وغرف اه . (٢) طلبه بكسر اللام : الشيء اه .

في خبرته حتى أن بعض الإخوان رحمه الله أخبرني أنه راوده قرب وفاته على تقديم ولده فأبى وقال إن شأن التقديم صعب وأمره كبير وخطره خطير . وكان رضى الله عنه ممن لا يخاف في الله لومة لائم - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده - وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن تنهى الفقراء من إخواننا عن فتح باب الرياسة على إخوانهم وذلك لأنهم لا يتقادون لهم في العادة وربما جرهم ذلك إلى الخصام فيتعطلون عن الترقى ، وإن كان ولا بد لهم من الرياسة فليكونوا أمام إخوانهم في الزهد والورع وقيام الليل وحفظ الوقت فإن طريق انقياد الخلق لبعضهم بعضا ثلاثة أمور لا غير : إما الصلاح ، وإما البر والإحسان ، وإما الشوكة ، فمن طلب انقياد الخلق له من غير هذه الطرق فقد أخطأ الطريق ، ثم إذا تشوش فقير من شيعه حين قدم أحدا من أقرانه عليه قلنا له انظر الصفات التي استحق بها ذلك الفقير التقديم عليك وافعل نظيرها يقدمونك أنت الآخر على أقرانك فاعلم ذلك اه . قال رحمه الله :

(بِعَفْوَ وَصَايَا الشَّيْخِ أَوْصَى مُقَدِّمًا بِعَفْوٍ عَنِ الْإِخْوَانِ أَهْلَ الْجُرِيْمَةِ
وإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ لِلَّهِ قَاصِدًا وَبِرَغْبٍ عَنْ حُظُوظِ دُنْيَا دَرِيَّةٍ
وَبِتَهْنِ الشُّعَاةِ بَيْنَهُمْ بِفَنِيْمَةٍ بِرَفْقٍ وَلِينٍ لَا بِعُفْوَ وَشِدَّةٍ
بِرَاعِي الْحَدِيثِ «بَسُّرُوا لَا تَعْسُرُوا» وَبِذَلِّ مَالِهِ لِصَاحِبِ خُلَّةٍ)

(ببعض وصايا) جمع وصية (الشيخ) سيدنا أبي الفيض أحمد بن محمد التجاني رضى الله عنه وعنايه آمين ونصها كما في [جه] وأوصى من كان مقدما على إعطاء الورد أن يعفو للإخوان عن الزلل ، وأن يبسط رداء عفوه على كل خلل ، وأن يجتنب ما يوجب في قلوبهم ضغينة أو شينا أو حقدا ، وأن يسعى في إصلاح ذات بينهم وفي كل ما يوجب في قلوبهم بغضهم على بعض ، وإن اشتعلت نار بينهم سارع في إطفائها وليكن سعيه في ذلك لمرضاة الله تعالى لا لحظ زائد على ذلك ، وأن ينهى من رآه يسعى في الفيمة بينهم وأن يزجره برفق وكلام لين ، وعليه أن يعاملهم بالرفق والتيسير والبعد عن التنفير والتعسير في كل ما يأمرهم به وينهاهم عنه من حقوق الله وحقوق الإخوان ، وبراعى في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » وعليه أن يتباعد عن تغريم دنياهم وأن لا يلتفت لما في أيديهم معتقدا أن الله تعالى هو المعطى والمانع والخافض والرافع ، وليجعل همه في تحرير دنياهم فيما في أيديهم من التشنيت والتبذير ، وأن لا يطلبهم بإعطاء شيء لا من القليل ولا من الكثير إلا ما سمحت نفوسهم ببذله من غير طلب ، فإن عقول الناس حول هذا المطاف تدور ، وعلى هذا المقدار يحرى بهم في جميع الأمور اه : وفي [غ] وهذه الوصية من سيدنا رضى الله عنه كافية في الإشارة إلى الأهلية المشروطة في هذا المقام على هذا الباب كما أنها كفيلة بجميع معظم ما يطلب من المقدم التمسك به من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ، وذلك لأن العفو عن الزلل والصفح عن الخلل هو أعظم ما ترسخ به المودة في القلوب وتستفل به أرواح الرضا من خزائن الغيوب انظرها (أوصى) من الإيصاء (مقدما) لتلقي الورد الأحمدى والنور الحمدي (بعفو) وصفح (عن الإخوان) في الأحدية وفي الإسلام (أهل الجريمة) الذنب والقبضة لقوله تعالى - خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين - وقوله - وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم - وقوله - وأن تعفوا أقرب

للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم - وقال صلى الله عليه وسلم : « ثلاث والذى نفسى بيده لو كنت حلافا لحلفت عليهن : ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ، ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغى بها وجه الله إلا زاده الله بها عزا يوم القيامة ، ولا فتح رجل على نفسه باب مسئلة إلا فتح الله عليه باب فقر » وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد من تحت العرش ثلاثة أصوات : يا معشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض » وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا وقف العباد نادى مناد ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة ، قيل ومن الذى له على الله أجر ؟ قال : العافون عن الناس فيقوم كذا وكذا ألفا فيدخلونها بغير حساب » وقال جابر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أى أبواب الجنة شاء ، وزوج من الحور العين حيث شاء : من أدى ديننا خفيا ، وقرأ فى دبر كل صلاة قل هو الله أحد عشر مرة ، وعفا عن قاتله ، قال أبو بكر أو لإحداهن يا رسول الله ؟ » انظروا [حى] . وفى [جه] وأكثروا العفو عن الزلل والصفح عن الخلل لكل مؤمن وأكد ذلك لمن آخاكم فى الطريقة فإن من عفا عن زلة عفا الله عنه عن زلات كثيرة ، ومن وقع فيكم بزلة ثم جاءكم معتذرا فاقبلوا عذره وسامحوه لكى يقبل الله أعتذاركم ويسامحكم فى زلاتكم فإن شر الإخوان عند الله من لا يقبل عذرا ولا يقبل عثرة ، وتأملوا قوله سبحانه وتعالى - سارعوا إلى مغفرة من ربكم - إلى قوله - والله يحب المحسنين - اهـ (وإصلاح) أى وأوصيه بإصلاح (ذات البين) الفرقة والفتنة بين القوم قال تعالى - فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم - وأنشدوا :

فما أدع السفارة بين قوى ولا أمشي بغش إن مشيت

(الله قاصدا) أى قاصدا لوجه الله العظيم وامثالا لقول نبيه الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هى الحالقة فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة » وروى الأصبهاني : « من أصلح بين الناس أصلح الله تعالى أمره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ورجع مغفورا له ما تقدم من ذنبه » وورد : « إن الله تبارك وتعالى يأمر مناديا ينادى يوم القيامة إن الله عفا عنكم ورضى عنكم فليرض بعضكم عن بعض » وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس إذ رأيت ضحك حتى بدت ثنياه ، فتقبل له : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربى عز وجل ، فقال أحدهما : يارب خذ مظلمتى من أخى ، فقال الله تعالى : أعط أخاك مظلمته ، فقال : يارب ما بقى من حسناتى شيء ، فقال : يارب فليحمل من أوزارى ، وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : إن ذلك اليوم ليوم عظيم ، يحتاج فيه الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم ، ثم قال الله تعالى للطالب حقه : ارفع بصرك فانظر إلى الجنان فرفع بصره فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة ، فقال لمن هذا يارب ؟ فقال : لمن أعطاني ثمنه ، قال : ومن يملك ثمن ذلك ؟ قال : أنت ، قال : بماذا ؟ قال : بعفوك عن أخيك هذا ، قال : يارب فإننى قد عفوت عنه ، قال : خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة » اهـ . وفى [جه] وربما يتوجه لإصلاح ذات البين فيما بينهم إذا طلبوه فى ذلك ، لكنه لا يكلف أحدا بإسقاط حقه ، وينبى على ذلك بأنه لا ينبغى لمحافظة رضى الله عنه على حدود الشريعة اهـ . وفى [مع] عن سيدى محمد الغالى رضى الله عنه وعنايه أمين : ونأمر كل واحد من المتقدمين أن ينظر لإخوانه بعين

العناية والتعظيم وأن يحفظ نفسه من تغيير قلوبهم ، وأن يجتهد في إصلاح أمورهم وقضاء حوائجهم الدنيوية والآخروية كزيارة صحبتهم وعبادة مريضهم والشفقة على ضعيفهم ، ويكون هذا كله لابتغاء مرضاة الله ورضا رسوله ، أنظره . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلح بين المسلمين ونبذل في الصلح بينهم المال ، ولا نتوقف في إعطاء عمامتنا وثيابنا للمظلوم حتى يصفح أو للظالم حتى يرجع عن ظلمه ، ثم لا نطلب على ذلك عوضاً لافي الدنيا ولا في الآخرة : ثم قال : ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى سلوك على يد شيخ ناصح يخرج من محبة الدنيا ويطلع على عظيم مقام المسلمين ، وأن بذل الدنيا كلها في الصلح بينهم من بعض حقوقهم عليه ، ومن لم يسلك كما ذكرنا فمن لازمه الإخلال بهذا العهد فلا يهون عليه بذل نصف فضة في الصلح بين المتخاصمين ولو أدى إلى رواحهم ^(١) إلى بيت الوالي ، وإن سمح بالنصف سمح وعنده حزازة أو بلا حزازة ، لكنه يطلب على ذلك عوضاً من رد مثله أو شكر الناس له أو يطلب به الثواب ، وليس ذلك من أخلاق الكاملين ، أنظره . وعن بعض الصحابة : من أراد فضل العابدين فليصلح بين الناس قال تعالى - لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس - ورحم الله من قال :

إن الفضائل كلها لو جمعت رجعت بأجمعها إلى شيتين
تعظيم أمر الله جلا جلاله والسعى في إصلاح ذات البين

(ويرغب) من رغب عن كذا كرهه ولم يردده (عن) التشوف والتطلع إلى ما بأيدي إخوانه (من) حظوظ دنيا دنية) خسيصة وفانية قال تعالى - ولا يسألكم أموالكم . إن يسألكموها فيحضكم تبخلوا ويخرج أضغانكم - قال قتادة أعلمنا الله أن الإحفاء بمسألة الأموال يخرج للأضغان اه . وهذا تأديب من الله تعالى والأدب أدب الله تعالى :

ولو مثل الناس التراب لأوشكوا إذا قيل هاتوا أن يعلموا ويمنعوا

(وينهى السعاة) جمع ساع كوشاة جمع واش وزنا ومعنى (بينهم) أي بين الإخوان في الأحمدية وفي الإسلام (بنميمة) لأنها منهي عنها شرعاً وطبعاً قال تعالى - ويل لكل همزة لمرة - الآية ، وقال - همار مشاء بنميم - الآية ، وقال - يأياها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا - الآية . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نسل سيف المقاطعة في وجه كل من نقل إلينا عيب أحد من المسلمين كائناً من كان وهذا العهد يخل به غالب الناس فيجب التنبيه له وطرد كل من نقل كلام الناس وذلك لأنه نمام والنمام من شر الناس كما صرحت به الشريعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تبلغوني عن أصحابي إلا خيراً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » وكان عمر بن عبد العزيز يشترط على من يريد أن يصحبه أن لا يغتاب أحداً عنده ، ولتكن مقاطعتك يا أخى للنمام مسارقة شيطاناً فشيئاً حتى يبعده الله عنك فإنه بشئ الرقيق والإنسان في نفسه كفاية من حيث أوزاره فكيف بمن يريد أن يحمل أوزار الناس زيادة على أوزاره هو أنظره (برفق) ولطف وهو نتيجة حسن الخلق . وفي [حى] وقال صلى الله عليه وسلم « يا عائشة إنه من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ،

(١) رواج كذهاب وزنا ومعنى اه .

ومن حرم حفظه من الرفق فقد حرم حفظه من خير الدنيا والآخرة » وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق ، وإذا أحب الله عبدا أعطاه الرفق ، ومن يحرم الرفق يحرم الخير كله » وقال صلى الله عليه وسلم : « الرفق يمن والخرق شؤم » وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله : ما الرفق ؟ قال : أن تكون ذا أناة فتلاين الولاة ، قال : فما الخرق ؟ قال : معاداة إمامك ومناوأة ^(١) من يقدر على ضررك ، وقال سفيان لأصحابه : أتدرون ما الرفق ؟ قالوا : قل يا أبا محمد ، قال : أن تضع الأمور في مواضعها : الشدة في موضعها ، واللين في موضعه ، والسيوف في موضعه ، والسوط في موضعه ، ورحم الله من قال :

عليك بالرفق لتحظى بما ترجو وتجنى من ثمار النجاح
وجانب العنف تزد بهجة فالرفق بين الناس زين الملاح ^(٢)

(ولين) بكسر اللام السهولة (لا بعنف) بالضم ضد الرفق وهو نتيجة سوء الخلق (وشدة) وغلظة ضد اللبونة . وفي [عف] ومن آداب الشيخ إذا رأى من بعض المريدين مكروها أو علم من حاله اعوجاجا أو أحسن منه بدعوى أو رأى أنه دخله عجب أن لا يصرح له بالمكروه ، بل يتكلم مع الأصحاب ويشير إلى المكروه الذي يعلم ويكشف عن وجه المذمة مجملا فتحصل بذلك الفائدة للمكل فهذا أقرب إلى المداراة وأكثر أثرا لتألف القلوب : وإذا رأى من المريد تقصيرا في خدمة نذبه إليها يتحمل تقصيره ويعفو عنه ويحرضه على الخدمة بالرفق واللين ، وإلى ذلك نذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخرج بسنده عن ابن عمر قال : « جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم أعفو عن الخادم ؟ قال : كل يوم سبعين مرة » وأخلاق المشايخ مهذبة بحسن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم أحق الناس بإحياء سنته في كل ما أمر ونذب وأنكر وأوجب اه (يزاعى) يلاحظ المتقدم في ذلك كله (الحديث) أى امثال قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث (يسروا) أى على الناس بذكر ما يؤلفهم لقبول الموعدة والتعليم (ولا تعسروا) أى ولا تعسروا عليهم . وفي [جص] « علموا ويسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا فإذا غضب أحدكم فليسكت » وفيه « علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف » أى فإن الخير كله في الرفق والشر كله في ضده ، وفيه « إن الله تعالى يرضى لهذه الأمة اليسر وكره لهم العسر » وفيه « إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » . وروى « حبيبوا الله إلى عباده يحبكم الله » ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام « ذكر عبادى بنعمتى فإنهم إن ذكروا بها أحبوا » وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن تحبب العباد إلى بعضهم بعضا كما تحبب ربهم إليهم ونود أن لا يبقى بين اثنين منهم عداوة ولا شحنة قط وذلك بأن نذكر لهم محاسن بعضهم بعضا ونبلغ بعضهم عن بعض أنهم ينشرون محاسنهم في المجالس ، ونأمرهم بأن يتهادوا ويتفقدوا بعضهم بعضا بالمرقة ونحو ذلك ، ونذكر لهم كثرة نعم ربهم عليهم مع مخالفتهم له وتقصيرهم في شكره وعبادته ليلا ونهارا ، فإنهم إذا عرفوا ذلك مالوا بقلوبهم إلى محبة ربهم ضرورة ورضوا عنه فأحبهم وأحبوه ، وهذا من

(١) من ناوأة : عاداه ، (٢) بكسر ميم : جمع ملاح .

السياسات الإلهية في العالم انظره (ويبذل) بضم معجمة وكسر ها من بدل كضرب ونصر : أعطى وجاهد (ماله) لإخوانه لوجه الله تعالى ، قال تعالى - إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - وقال - وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى - (لصاحب خلة) بفتح المعجمة الفاقة والفقر والخصاصة ، وفي المثل الخلة تدعو إلى السلة أى السركة . وفي [عف] ومن أدبهم التعطف على حل الأصاغر . قيل : كان إبراهيم بن آدم يعمل في الحصاد ويطعم الأصحاب وكانوا يجتمعون بالليل وهم صيام ، وربما كان يتأخر في بعض الأيام في العمل فقالوا ليلة : تعالوا نأكل فطورنا دونه حتى يعود بعد هذا يسرع فأفطروا وناموا ، فرجع إبراهيم فوجدهم نياما فقال : مساكين لعلمهم لم يكن لهم طعام ، فعمد إلى شيء من الدقيق فمجنه فانتبهوا وهو ينفخ في النار واضعا محاسنه على التراب ، فقالوا له في ذلك فقال : قلت لعلمكم لم تجدوا فطوراً فتمتم ، فقالوا انظروا بأى شيء عاملنا وبأى شيء يعاملنا اه : وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود إذا صرنا من علماء المسلمين أن نكون أكرم أهل بلدنا وأكثر إثارة ليقنذى بنا في ذلك ، ويقبح على من يقول أنا من أهل العلم ، بل لا أعلم في بلدى أحدا أعلم منى ولا أفقه أن يكون بخيلاً قليل البر لطلبته ، بل الواجب عليه الإحسان إليهم جهده والسعى لهم في تحصيل ما به معاشهم ليتفرغوا لحضور درسه ، فإن من طبع الإنسان إذا لم يرحول صاحبه برا ولا حسنة تحول بقلبه عنه فأكثر يا أخى من الإيثار والمواساة لطلبك إن أردت أنهم يتقيدون عليك وإلا طلبوا لهم شيئا غيرك اه : والشيخ أولى بالإحسان لتلامذتهم لإذهم العلماء حقيقة ، قال تعالى - حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم - وفي [عم] وسمعت سيدى عليا الخواص يقول : يجب على الشيخ أن يكون كريما حالاً للأذى وإلا لم يفلح له مريداه . وفيه : وكان أبوا الحسن الشاذلى يقول في تفسير قوله تعالى - وماتلك يمينك يا موسى - الآية : بلسان الإشارة المعروفة بين القوم يقال للولى وماتلك يمينك فيقول هى دنياى أنفق بعضها على نفسى وأهلى وإخوانى ، فيقال له ألقها فيلقها فيجدها حية تسعى فى هلاك قابضها فيأخذ حذره منها فإذا حذر منها يقال له خذها ولا تخف ، فكما ألقاها أولا بإذن حال بدايته فكذلك أخذها بإذن حال نهايته ، وهذا الأخذ الثانى متعين على كل شيخ داع إلى الله تعالى ليحمل كلفته عن المريدين ويرتفع عندهم مقامه فإن كل من احتاج إلى إنسان هان فى عينه لأنه حينئذ يصير معدودا من عائلته فيقل نفع ذلك الشيخ ، انظره . قال رحمه الله :

(وَيَحْذَرُ مِنْ تَغْرِيمِ دُنْيَا دَنِيَّةٍ وَتَمَتُّ بِذَا الْبَلْوَى خَلَايَفَ شَيْخَةٍ
فَكَمْ مُمْتَشِخٍ بِأَنْسَابِ جَدِّهِ وَكَانَ مِنْ أَجْهَلِ الْعِبَادِ بِسُوءِ
وَكَمْ مِنْ زَوَابَا أَسْوَأَ حُبَالَةٍ لِقَنْصِ مَعِيشَةٍ بِهَا وَالْهَدْيَةُ
وَقَدْ صَارَتْ الْأَوْزَادُ وَفِي مَتَجَرٍّ فَمُمْ فِي ضَلَالٍ يَعْهَوْنَ وَكُلْفَةٍ
وَمَا جَا بِلَا إِشْرَافِ نَفْسٍ وَسُوءِهِ حَلَالٌ وَرِزْقٌ سَيِّقٌ مِنْ غَيْرِ مِنَّةٍ)

(ويحذر) من حذر كعلم احترز (من تغريم دنيا دنيئة) أى من اتخاذه دنيا لإخوانه غرامة : ومن أسوأ الأحوال فى المقدم الأحمى أن يسترى ويستعبد من يلقنه الورد من الإخوان بالاستخدام مجانا حياه منهم أو كرها ، وأن يسخرهم فى شهواته النفسانية وأهوائه الشيطانية ، وأن يوظف عليهم ولو بلسان

الحال مثل الوظائف الخيرية ويغرمونه^(١) ذلك رغما هلى أنوفهم وتسترا لأعراضهم وإتقاء من شره ،
ومن تخلف ولم يؤدما عليه يرمى بالسنة حدادو بأسول الارتداد وبالطرد والإبعاد وصوء الاعتقاد - إن الله
وإننا إليه راجعون - قال تعالى - قل لأسألكم عليه أجرا إن أجرى إلا على الله - وقال - ولا يسألكم أموالكم
إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم - وهذا مشاهد بالعيان فى هذا الزمان قد استعبدت فيه
الإخوان واستخدمت فيه النسوان واستولى فيه على الإخوان - اللهم إنى أعيدها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم - :

وحزبه من انس أو من جان
على لسان المؤمن الأواه

يارب فاحفظها من الشيطان
آمين آمين ختام الله

ولذا قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

على عباد الله لا يكلف
تالله ما يصلح للإرشاد
بما جنى من فعله الذم
أن يأخذوا المغرم كالولاية
أو بالفتوح أو بكالإعانة
كما أتى عن أحمد الرسول
فويق ظهره بدون نكر
أين طريقة التجانى أحمد
فتب من الذنوب كل حين
فضلا عن الأيتام والنسوان
أنه وظف على الإخوان
كلا فلما من طرق الخناس
هو أساس طرق الأشياخ
رضيت بالدون وبالهوان
أن يتشوف إلى الأقران
لأنها من وصح البرايا
أشنعها التماسه العطايا
وليس يرضى العيش بالهدايا
وكل صادق من الإخوان
وبالتجارة وبالزراعة
لنا من الأسباب فى المعيشة
وغير إشراف من الحلال

مقدم الشيخ فلا يوظف
فن يوظف على العباد
بل هو معزول عن التقديم
تالله ما يلبق بالدعاة
ثم يسمونه بالزكاة
فذلك والله من الغلول
آخذه يأتى به للحشر
أين شريعة النبي محمد
يامدعى التقديم والتلقين
وإن توظف على الإخوان
وهل أتى يوما عن التجانى
أو أخذ المغرم عند الناس
ورفع همه عن الأوساخ
هلا رفعتها عن الأقران
فبئست الحرفة للإنسان
والحر لا يلتصق الهدايا
والحر تأبى نفسه الدنيا
بل يركب الأخطار والمنايا
أمالك الأسوة بالتجاني
فى العيش بالكسب وبالصناعة
وكل ما أباحت الشريعة
وكل ما أتى بلا سؤال

كل وتصديق منه أو خذ مالا ولا ترد ما أتى حلالا
وبالقناعة استعن على الدنا إن كنت تأمن النجاة والمنى
وابك على الذنوب كل وقت علك تسلم غدا من مقت
وفر من خلطة أبناء الزمن فإنها من البلاء والفتن
وقل لى نجنا من الفتن فى الدين والدنيا ومن كل عن
آمين آمين ختام الحق جعله على لسان الخلق اه

وفى [عه] ومن آداب الشيوخ التنزه عن مال المريد وخدمته والارتفاق من جانبيه بوجه من الوجوه لأنه جاء الله تعالى فيجعل نفعه وإرشاده خالصا لوجه الله تعالى فما يسدى الشيخ للمريد من أفضل الصدقات، وقد ورد « ما تصدق متصدق بصدقة أفضل من علم يئته فى الناس » وقد قال الله تعالى تنبها على خلوص ماله وحراسته من الشوائب - إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا - فلا ينبغي للشيخ أن يطلب على صدقته جزاء إلا أن يظهر له فى شىء من ذلك علم يرد عليه من الله تعالى فى قبول الرفق منه ، أو صلاح يقرأى للشيخ فى حق المريد بذلك فيكون التلبس بماله والارتفاق بخدمته لمصلحة تعود على المريد مأمونة الغائلة من جانب الشيخ، انظره. قال الله - والله يعلم المفسد من المصلح - فيما عمت به البلوى أبناء الوقت والدعوى وسلم تسلم واشتغل بنفسك تغم وإياك والفضول فتندم - قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا - وفى [غ] وأما قول سيدنا رضى الله عنه : وعليه أن يتباعد عن تغريم دنياهم فقد تقدم آنفا أن ميزان طريق الإرشاد والدعوة إلى الله هو الاستغناء عما فى أيدى المدعوى وهو أعظم الأركان عندهم، فالواجب التنزه عن الطمع فيما فى أيديهم بحيث يعد التشوف إلى ذلك إن ابتلى به فى باطنه بلية عظيمة وعقوبة معجلة من الله تعالى فليلجأ إلى الله ويتضرع إليه فى رفعها عنه ويجهد فى صرف ذلك عنه بمجاهدة نفسه وتذكيرها بما أشار إليه سيدنا رضى الله عنه بقوله معتقداً أن الله هو المعطى والمسانع الخ فإن غلبته نفسه وخرج إلى خد السؤال لذلك منهم فليعلم أنه قد أخسر الميزان وطغى فيه غاية الطغيان ، وهو الناجى إن سلم له رأس المال ولم يعاقب بالحرمان لأنه خرج إلى التلبس بالدعوى الكاذبة ، ومعلوم ما هو الجزاء على ذلك والعياذ بالله تعالى ، انظره . وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا تقبل لأنفسنا شيئا من مال تلامذتنا إلا إن كان ذلك التلميذ يرى ماله ملكا لنا نتصرف فيه كيف شئنا وذلك لأن قبول الرفق من المريد يورث الإدلال على الشيخ ويصير الشيخ من جملة عيال المريد فيقل النفع ، لاسيما إن كان الشيخ لا قدم له كاملا فى الطريق فإن قلبه يفسد كما يفسد قلب الطاحون فيتعطل منه النفع بالكلية والله غنى حميد اه (وعمت بذنا) أى بتغريمهم لمريدهم دنياهم كرها منهم ورغما على أنوفهم كما هو مشاهد بالعيان نعوذ بالله من الخسران والخذلان (البلوى) أى المحنة (خلائف) جمع خليفة (شيخة) بكسر فسكون جمع شيخ جبر الله حالنا وحالهم وأصلح مآلنا ومآلهم ، ومن مخالطة أمثال هؤلاء سرى ماسرى من الداء العضال لمن لا يراقب الله من المقدمين الذين اتخذوا الورد المحمدى شبكة ومصيدة ، جبر الله حالنا وحالهم وأصلح مآلنا ومآلهم ، وقد قيل : ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح ، وما فسد من فسد إلا بصحبة من فسد : اختر لصحبتك من أطاعا إن الطباع تسرق الطباعا

قال الله تعالى - ورحمت ربك خير مما يجمعون - وما عند الله خير للأبرار - أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير - ؟

فمن كان هكذا فدعه فإنه مريد وشيطان مضل الخلائق

[لطيفة] أخبرني من أثق به أنه قال : اتفق لي مع بعض أبناء المشايخ ممن يشار له بالعلم والصلاح أن أهل بلدنا أصلحهم الله وحفظهم لما نزل بهم وجمعوا له ما يسمونه بمعرف الشيخ استقله واستصغره فصار يدعو عليهم بالويل والثبور والهلكة وقلة النمو والخير والبركة ، فأتاني وهو على تلك الحالة فوجدني أسرد صحيح البخارى فقال لي : أين وصلت يا فلان ؟ فقلت له قد وصلت « كان سيدنا داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام يأكل من عمل يده » وأنا في سر هذا الحديث الشريف العظيم القدر المنيف فانتكسرت بذلك سورته وانطفأت به بجمته واستيقظ من رقدته ومن سنة غفلته فرجع لقبول معروفاته . وكان بعض الموفقين يقول : إنما هو معرفة أف ، ولا شك أن المعرفة تلحق من يطلبه أف له ولما طلبه وبشت الحرفة هي . وفي [عم] ثم لا يخفى أنه يتعين على كل من ادعى المشيخة في الطريق أن يتظاهر برى الدنيا وترك مطاعمها اللذيذة وملابسها النفيسة وفرشها الرفيعة ومراكبها المسومة ، وذلك لئلا يتبعه المقلدون فيهلكوا فإنهم لا يتعللون مشهده بتقدير صدقه ، وربما كذبوه في دعواه حين يرون أفعاله تخالف أقواله فيحجبهم شاهد الفعل عن شاهد القول وكذلك يتعين على الشيخ أن يكون أكثر من المريدين سهر الليل وأكثرهم جوعا وأقلهم لغوا وأكثرهم صدقة وذلك ليكون إماما يقتدى به في الأفعال وأما إذا كان أكثرهم نوما وأكثرهم أكلا حتى صار بطنه كبطن الدب وأكثرهم لغوا وأقلهم صدقة خيرا فإنهم يرون نفوسهم عليه ضرورة ، فلا يثبت له قدم في الإمامة وتطرده المرتبة عنها ودعواه المشيخة زور وبهتان لا برهان عليه . وقد دخلت امرأة على الشيخ عبد القادر الجيلي فرأته في ملابس وماكل وفرش ودخلت على ولدها عنده فوجدته على فرش وعنده كسرة يابسة وملح فرجعت إلى الشيخ وقالت : ياسيدى لا يطيب خاطرى بإقامة ولدى عندك إلا إن أطعمته مما تأكل ، وكان بين يديه دجاجة فقال : إذا صار ولدك يحبى الموتى بإذن الله تعالى أطعمه من طعامى ، ثم أمر الدجاجة فانتفضت من الإثاء وصارت حية ، ثم ذهبت إلى حال سبيلها اه : فلو أن الشيخ أقام البرهان على طعامه اللذيذ لفارقه تلك المرأة وهى منكرة عليه اه : وعن الشيخ زروق رضى الله عنه : إذا رأيت من يدعى المشيخة ملتبسا بخمس فاحذره بغاية جهدك ، أولها : الموالاة للسلطين بالكلية أو معاداتهم بالكلية لأنه في الأول متهم وفي الثانى مشغول بما لا يعنيه ، الثانى : غلبة أهوى عليه بالانتصار لنفسه واتساعه في التأويل لشهوته ووقائعته بوجوه من العلم تشبه الحق وليست به ، الثالث : التوسع في الدنيا بمضاهاة أهلها والاقتداء بهم إلا أن يكون بفيض إلهى ، الرابع : حب الرياسة وعلامته الاستتباع وطلب الناس لنفسه بما أمكن من غير توقف على أمر دينى ولا غرض شرعى يظهر وجهه ، الخامس : اتساع اللسان بالدعوى والقدح في أقرانه ونظرائه من أهل الطريقة وكل من دخل فيما هو فيه والثناء على نفسه وعلى سلفه اه (فكم متمشيخ) من تمشيخ تكلف المشيخة وليس لها أهلا (بأنساب) أى بمجرد أنساب أبيه أو (جده) الصالح لزعمه بجهله وقلة عقله أن المشيخة والولاية بالنسب والحسب واعتمادا على السنة العامة الجهلة ومن عاداتهم أن يسموا ولدهم من أولياء الله بالشيخ ولو كان

لا يصلح، بل ولو كان من أفسق الفسقة لا ينادونه إلا بالشيخ ويعتقدون فيه مع ذلك الخير والصلاح -
إنا لله وإنا إليه راجعون - ورحم الله من قال :

لئن فخرت بأبائ ذوى نسب لقد صدقت ولكن بشما ولدوا

قال تعالى - إنه عمل غير صالح - ويخرج الميت من الحى - فافهم (و) قد (كان) هذا المتمشيخ (من أجهل العباد) بماله وعليه من الحقوق الحقة والحلقية وبكتاب الله و (بسنة) نبيه صلى الله عليه وسلم : وفى [خل] ثم العجب من ادعائهم المشيخة وهم لا يعرفون مبادئ دينهم فكيف بالالتناء إلى المشيخة، وقد قال العلماء : إذا صلى المكلف وهو لا يعرف المفروض والمسنون فلا تصح صلاته ، وكذا لو سأله عن مفسدات الصلاة لما علمها ، وكذا لو سأله عن حكم السهو إذا طرأ عليه فى صلاته لما علمه ، فإذا كان هذا حاله فى أمر وضوئه وصلاته اللذين بهما قوام دينه وصلاحه فما بالك به فى غيرهما ، فإذا كان هذا حال الشيخ فى جهله بمبادئ أمر دينه فكيف بمن يعجبه أو بمن يحيزه .
انظروا ، وطوى هنا :

وكم متمشيخ بجاه وسطوة وأصلاعه حوت على خبث مضغة
وكم متمشيخ برثة هيئة وهمته قنص النضار وفضة
وكم متمشيخ بإبداء التباه وليس يرى بأبله فى الحقيقة

وفيه أيضا : وإياك ثم إياك والتزين بترك التزين وذلك أنه ربما تزين الرجل بالرقاع والخرق والشعث وترك الدنيا وإنما يريد بذلك كله التزين ، فإن فعلت ذلك نزلت بمحلة خشوع النفاق ، وإن عرفت نفسك بشيء من ذلك ولم تسارع إلى التحول عنه خفت أن يلحقك الخذلان والمقت فاتق الله فى جميع أمورك واعمل له كأنك تراه ، انظروا . وفيه : وبعضهم يدعى الوله ويرتكب بسبب ذلك محرمات فيركب على جريدة قد صور لها وجهها وعينا وأنفا وفاؤ يأخذ بيده شيئا كأنه سوط ويركب تلك الجريدة ويمسكها بسير أو خيط كأنه لجام لها ويضربها ويمجى ، وبعضهم يعاق فيها جرسا فإذا مشى يسمع له صوت قوى فيجتمع عليه النساء والرجال والشبان غالبا ، وقد يدخلونه بيوتهم ولا يخفى منهم أحد كأنه امرأة من جملة نسائهم ، ويعيرون على من استتر منه ويقولون هذا موله وهذا أشد قبحا وشناعة لأنه قد ينفرد وحده فيجد السبيل إلى ما تسوله له نفسه من الرذائل - إنا لله وإنا إليه راجعون - من الحماقة والسخافة والمسخ ، على أن إمام الصوفية الجنيد رحمه الله قال : إذا رأيت الرجل يمشى على الماء ويطير فى الهواء فلا تلتفتوا إليه فإن الشيطان يطير من المشرق إلى المغرب ويمشى على الماء ، ولكن انظروا فى اتباعه الكتاب والسنة فإن الشيطان لا يقدر على ذلك أبدا هـ . ورحم الله من قال :

بل زهم بالصدق والأمانة والحفظ للحدود والديانة
وباتباع محكم الكتاب وسنة النبي بلا ارتياب
فإن ذاصب على الشيطان وحزبه من أنس أو من جان

وفى [ثيق] وينبغى للشيخ أن يكون عنده من العلم ما يكتفى الخجاورين من سائر العلوم الشرعية حتى لا يهوجهم إلى الخروج إلى غيره ممن هو ليس من أهل الخرقه فإن اختلاف المشارب مضر جدا كما جرب ، ومن هنا عمل سيدى يوسف العجمى فى زاويته بالقرافة منبرا وخطب لهم الجمعة فيها حين رأى خروجهم إلى جامع عمرو بن العاص يفرق قلوبهم ، وليحذر الشيخ أن يعمل شيئا على الفقراء

وهو جاهل بالكتاب والسنة فإنه لا يستقيم له مشيخة ، ويقبح على شيخ الزاوية أن يكون محتاجا إلى الخروج من زاويته ليتعلم العلم فإنهم قالوا تفقه في دينك ثم ألزم بيتك واعتزل ، ولعلم أن المجاورين إذا رأوا نفوسهم أفقه منه ازدروه في أعينهم ضرورة وعدموا الانتفاع بتريئته . وبالجملة فلا تسكمل مشيخة شيخ على جماعة إلا إن كان أعلم منهم بطريق الظاهر وطريق الباطن وإلا فلا يتقادون له انظره : وفيه : ومما ينبغي في شيخ الجماعة ومقدمهم أن يكون أزهدهم في الدنيا وأوفرهم حظا من التقوى وأنهم مروءة وسخاوة وأكثرهم شفقة ، وأما من يتقدم على الفقراء محبة في الاستتياع ورغبة في طلب الرياسة والتعزز ليتسلط على الخدام في الربط ويبلغ نفسه هواها فهذا طريق أرباب الهوى الجهال الميابين لطريق الصوفية ، وهو سبيل من يريد جمع الدنيا فيتخذ لنفسه رفقاء مائلين إلى الدنيا يجتمعون لتحصيل أغراض النفس والدخول على أبناء الدنيا والظلمة للتوصل إلى تحصيل مآرب النفس ، ولا يخلو اجتماعهم هذا عن الخوض في الغيبة والدخول في المداخل المكروهة والتنقل في الربط والاستماع والفزعة : وكلما كثر المعلوم في الرباط أطالوا المقام وإن تعذرت أسباب الدين وكأما قل المعلوم رحلوا وإن تيسرت أسباب الدين وليس هذا طريق الصوفية اهـ . ولسيدى محمد العمروسى^(١) رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى حلين مأواه آمين .

تمسك بمجمل الشرع واضرب بسيفه	رؤس المعاصى واتخذ منه جوشنا ^(٢)
وبادر إلى إنكار ما كان خارجا	عن الحق واحذر أن تكون مداها
ولا تجعل الذكر النفيس وسيلة	إلى عرض الدنيا المعرض للفنا
ولا تجعل المقصود منه تكسبا	فتنحط قدرا من علاك وتفتنا
ولا تتخذ للرياسة سلما	فتغضب مربوبا وربا مهيمنا
وتأتى مأتى رياء وسمعة	وتتخذ الشرك الخفى تدبنا
وليست بإرخاء الشعور ولاية	إذا كان منك القلب أسود عاطنا
وليست بإظهار التباه خدعة	إذا كان فيك الغش والمكر كامنا
وغير مفيد لبس تاج وخرقة	إذا كان إبليس بجسمك ساكنا
فوحدهوى ليلى لتحظى بوصلها	وترقى بلقيها وتظفر بالمنى
ومادمت مأسورا لنفسك والهوى	فأزلت في سجن القطيعة قاطنا
فطلق هداك الله نفسا خثونة	طلاقا صريحا بالثلاثة باثنا
فأهى إلا ذات سم مخبأ	وأعدى عدو فى الحشا متوطنا
وإلا فدع دعوى الصلاح ولا تكن	بغير فلاح للولاية معلنا
وخل مقدمات الرجال لأهلها	وعش خاليا فالحب راحتنا
ثم قال : فكن عالما بالشرع واعمل به فمن	أراد طريقا دون علم فقد خنى
ولا ينبغي للجاهلين تصدر	ولا نشر أعلام الشريعة بيننا
ألم يعلموا أن الطريق كناية	عن العمل الجارى على وفق شرعنا

وذبح النفوس الضاريات بمديّة
وزهد عن الدنيا وعن شهواتها
وجوع وصمت واعتزال وفكرة
وذكر بنار الشوق يحرق خاطرا
يكون بجد واجتهاد وهمة
وعلم وحلم واقتداء بعارف
فن لم يصاحب شيخ صدق ملقن
فأخلص هداك الله تخلص فهذه
من الخلف حتى لا تميل إلى الخنى
وعمن يراها أكبر لهم مقتنى
بها حضرة الرحمن تدخل آمنة
ويغرق^(١) في بحر المدامع أعينا
مشمرة لا بالتكاسل والوفى
دسائس للشيطان والنفس والدنى
يكون له الشيطان شيخا ملقنا
طريقتنا الغراء دانية الجنى اه

ورحم الله من قال في بسيط مجزوء مقطوع :

نعوذ بالله من أناس
تقوسوا وانحنوا رياء
تشيخوا قبل أن يشيخوا
فاحذرهم لأنهم فخوخ^(٢)

وفي [غص] وسألته رضى الله عنه عن هؤلاء الذين قصدوا التسليك للناس من الفقراء في أرض
مصر مع جهلهم ببعض أحكام الشريعة هل يقدح ذلك في كمالهم ؟ فقال : نعم ، لا ينبغي للفقير التصدر
في الطريق إلا إن كان عالما بالشريعة المطهرة مجملها ومبينها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها بحيث
لو انفرد في جميع الأقاليم لكفى أهلها في جميع ما يطلبونه من العلم ، ومن لم يبلغ إلى هذه الدرجة فليس
هو من كمل الرجال وليس له التصدر في الطريق وإنما حكمه حكم بعض طلبة العلم يرشد الناس من
العوام إلى بعض أحكام دينهم الظاهرة وليس له في طريق القوم قدم لأنها كلها طريق غيب غير محسوس
للناس ، وما تميز الفقراء عن الفقهاء إلا بهذه الطريقة فأحاطوا علما بأحكام الشريعة وأسرارها والله تعالى
أعلم . وفيها عن أفضل الدين لما سئل عن المشايخ الظاهرين بأنفسهم الجالسين في الزوايا بغير إذن من
مشايخهم ؟ وبعد ، فقد قال الله الحكيم - يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد
إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون -
قل هذه سبيلي أذعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين - والسلام عليكم
أيها المشايخ الظاهرون في القرن العاشر الجالسون للناس بغير إذن إلهي سلام سنة الإسلام رضى وأسأل
الله تعالى أن يعينكم على تحصيل مقام الإيمان أو بعضه في مثل هذا الزمان الذى لا يوجد فيه القوت
إلا بالموت ، واعلموا أن السعيد من اتعظ في نفسه ولم يجعله الله عظة لغيره وتعفف عن الأكل من
بيوت إخوانه في الولائم التى لم يرد بها وجه الله ولم يجمع لهم المجموع على طعامهم حتى يفضحهم
فلا يكملوا عشاء الأصحاب إلا من السوق . وقد قال سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه : وعزة ربى
كل فقير لا يمد صاحب الطعام بالبركة الخفية طول عامه ويحمل عنه بلاء تلك السنة كلها ليس له أن
يمديه إلى طعامه ، وقد مالت بكم أيها المشايخ نفوسكم الغوية إلى حب الظهور الذى لم يرض به إبليس
في هذه الدار مع أمانته في دار الدنيا من نزول البلاء عليه بالوعد الذى وعده الله به من الإنظار إلى يوم
القيامة ، وتصدرتم لأموال لم يخلقكم الله لها ولا أنتم من أهلها ، وحسنت لكم أنفسكم أحوالا شيطانية

وأمرنا نفسانية منشؤها الوهم والخيال بواسطة الاستدراج الكامن بين صفحتي المحو والإثبات ، وأمرى الله تعالى قلوبكم عن طريق الهداية وأمال نفوسكم إلى طريق الغواية حتى ظهر أثر ذلك على وجوهكم ، فتنبها أيها الإخوان لنفوسكم قبل أن يحمل بكم الدمار وتوبوا إلى الله تعالى عن أكل الحرام والشبهات واحترفوا واكلوا من كسبكم ولا تأكلوا بدينكم ولباسكم الصوف واخفوا نفوسكم حتى يضطركم الحق تعالى إلى الظهور إما بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بقظة ومشافهة وإما بإذن شيخ عارف قد خبر الطريق ، واعلموا أن من نازع أوصاف الربوبية لأجل هواه وقنع بما يظهر في سره ونجواه من خطاب ومعارف وكشوف ومواقف وإلقاء نفساني ونعت شيطاني فليس من الله في شيء بل هو من الله في شيء ، نعوذ بالله من الضلال بعد العرفان ومن النكران بعد الإيمان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم: انظرها (وكم من زوايا) جمع زاوية وهي في الأصل ركن البيت لاتزواء وانجماع القلب فيها (أسسوها) ورفعوا بنيانها وزخرفوها بمزخرفات وزوقوها بمزوقات ونمقوها بمنمقات للمباهاة والافتخار ثم لا يعمرونها بالصلوات والأذكار آتاء الليل وأطراف النهار، بل كثيرا ما يعمرونها بالقبيل والقال وذلك من أسوأ الأحوال والعياذ بالله ، وفي البخاري « وقال أبو سعيد كان سقف المسجد من جريد النخل وأمر عمر ببناء المسجد وقال أكن الناس من المطر وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس ، وقال أنس : يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلا ، وقال ابن عباس : لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى » انظره ، وفي [خل] قال ابن القاسم : سمعت مالكا يذكر مسجد المدينة وما عمل من التزييق في قبلته فقال : كره الناس ذلك حين فعله لأنه يشغلهم بالنظر إليه ، وسئل مالك عن المساجد هل يكره أن يكتب في قبلتها بالصبيغ مثل آية الكرسي وقل هو الله أحد والمعوذتين ونحوه ؟ فقال : أكره أن يكتب في قبلة المسجد شيء من القرآن والتزييق وقال إن ذلك يشغل المصلي اه : أى وكل ما شغل عن الله باطل والباطل لا يتقرب به إلى الله تعالى - إنا لله وإنا إليه راجعون - (حباله) ككتابة آلة الصيد (لقنص) من قنص الصيد صاده (معيشة) ما يتمعش به (بهاو) لقنص (الهدية) وهي ما يتحف به وهي من عطف الخاص على العام لأن الهدايا أكثر ما تبني عليها والعياذ بالله ، وطوى هنا :

وسوق الهدايا دون مكة بدعة	وعمت بهذا البلوى جميع البرية
جرى عمل بذلك ممن تأخرا	إذا كان مهديها سليم الطوبة
فكم من هدايا قد أريقَت دماؤها	لغير الإله حكمها حكم جيفة
رأوا أن تأثير الأمور بقدره الـ	ولى تعالى الله عن ذى العقيدة
فللسيد اليوسى فى ذا مؤلف	مفيد مجيد مطنب فى القضية
ومن زار صالحا وينوى توسعا	بما معه من هدية أو ذبيحة
على جيرة له وينوى ثوابها	لروح الولي فهو فاز بسنة

وفى [جص] « نهى عن ذبائح الجن » قال فى النهاية : كانوا إذا اشتروا دارا أو استخرجوا عينا أو بنوا بنيانا ذبحوا ذبيحة مخافة أن يصيبهم الجن فأضيفت الذبائح إليهم لذلك ، نقله العزيزى . ولما أخبرنى بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه أنه لما أراد أن يشرع فى بناء دار قال له المعلم على العادة احتجنا لإهراق الدم أولا ؟ فقال له قل بسم الله الرحمن الرحيم أول كل شيء فهو خير لك من إهراق الدم والعادة وأهلها فى النار ، ولما كملها طلب منه مثل ذلك وأن يجعل فيها نزهة ، فأبى وقال : التصديق

على مسكين بكسرة أفضل من ذلك ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .
وفي [هب] وسألته رضى الله عنه لم كان الناس يستغيثون بذكر الصالحين دون الله عز وجل فترى
الواحد إذا جهد في يمينه يقول وحق سيدى فلان كسيدى عبدالقادر الجيلانى أو سيدى يعزى أو سيدى
أبى العباس السبتي وغيرهم نفعا الله بهم ؟ وإذا أراد أن يحلف أحدا ويؤكد عليه في يمينه يقول احلف لى
بسيدى فلان ؟ وإذا أصابه ضرر وأراد أن يسأل كالسعاة الذين يتكففون الناس صرح باسم سيدى فلان
وهم في ذلك كله منقطعون عن الله عز وجل ، وإذا قيل لهم توسلوا بالله أو احلفوا به أو نحو ذلك
لا يقع ذلك الكلام منهم موقعا فما السبب في ذلك ؟ فقال رضى الله عنه : أهل الديوان من أولياء الله
فعلوا ذلك عمدا لقوة الظلام في الدوات وكثرة المنقطعين عن الله عز وجل فصارت ذواتهم خبيثة ،
وأولياء الله يحبون الذين يدكرون سيدهم وخالفهم سبحانه أن تكون ذاته ظاهرة لأنه تعالى يحب من
دعاه إذا انقطع إليه باطنا وقت الدعاء ، وإجابته تكون بأحد أمرين إما أن يعطيه ماسأل وإما أن يبين
له سر القدر في المنع إذا منعه ، وهذا لا يكون إلا للأولياء ولا يكون للبعدهاء المحجوبين فلو توجهت
الذات الظلمانية إليه تعالى بجميع عروقها وبكل جواهرها وسألته أمرا ومنعها ولم يطلعها على سر القدر
في المنع لربما وقع لها وسواس في وجود الحق سبحانه فتقع فيما هو أدهى وأمر من عدم قضاء حاجتها ،
فكان من المصلحة ما فعله أهل الديوان من ربط عقول الناس بعباد الله الصالحين لأنه إذا وقع لهم
وسواس في كونهم أولياء الله فإن ذلك لا يضرهم اهـ . وفيه : وقد يكون الرجل مشهورا بالولاية عند
الناس وتقضى بالتوسل به إلى الله تعالى الخواص ولا نصيب له في الولاية وإنما قضيت حاجة المتوسل
به إلى الله على يد أهل التصرف ، وهم رضى الله تعالى عنهم الذين أقاموا ذلك الرجل في صورة الولي
ليجتمع عليه أهل الظلام مثله ، وهم الذين يتصرفون تبعا للقدر فهو عندهم بمنزلة الصورة التي يجعلها
صاحب الزرع في فدانه ليطرد بها العصافير تظن الصورة رجلا فتهرب منه وذلك في الحقيقة من فعل
صاحب الفدان لا من فعل الصورة ، فكذلك أهل التصرف رضى الله تعالى عنهم يقيمون ذلك الرجل
ويجمعون عليه أهل الظلام مثله والمتصرف فيه خفي عندهم وهو لا يظهر لهم لأنه حق وهم لا يطيقون
الحق اهـ . وفيه : ومما يدل على كثرة المنقطعين وزيادة الظلام في ذواتهم أنك ترى الواحد يخرج من
داره بعشرين موزونة مثلا ويذهب بها إلى ضريح ولي من أولياء الله تعالى فيطرحها عنده ليقضى له
حاجته ، وكم من فقير محتاج يلقاه في الطريق ويطلب منه متاع الله في سبيل الله لوجه الله فلا يعطيه
درهما واحدا حتى يبلغ الولي فيطرحها عند رأسه ، وهذا من أقبح ما يكون وسببه أن الصدقة لم تخرج
لله عز وجل وعظمته وكبريائه ووجهه الكريم وجوده العظيم ، إذ لو خرجت لذلك لدفعها صاحبها لكل
محتاج لقيه ، لكن لما كان الحامل عليها والداعي إلى إخراجها هو قصد النفع لنفسه واستكمال أغراضه
وحظوظه نخص بها موصعا دون موضع لظنه أن النفع يتبع ذلك الموضع وجودا وعدما . قال رضى الله
عنه : وقد رأيت في هذا اليوم ما أهدى للصالحين على باب ثلسمسان إلى الساقية الحمراء فإذا هو من الدنانير
ثمانون ديناراً ومن الغنم ثلاثمائة وستون شاة ومن البقر اثنان وسبعون ثورا أخرج هذا كله في يوم واحد
للصالحين وما أخرج الله تعالى في ذلك عشرة دراهم . قال رضى الله عنه : وهذا سبب من الأسباب
الموجبة للانقطاع عن الله عز وجل الطارئة على هذه الأمة من غير شعور لأكثرهم بها ، وهي منحصرة
في ثلاثمائة وستة وستين سببا كلها موجبة لانقطاع العبد عن ربه عز وجل ، فقلت وهل حضر كم الآن

منها شيء ؟ فقال رضى الله عنه اكتب الأول : الهدية للصالحين على الوجه السابق دون وجه الله عز وجل ،
 الثانى : التوسل إلى الصالحين بالله عز وجل ليقضوا الحاجة فيقول الزائر قدمت لك وجه الله ياسيدى
 فلان إلا ما قضيت لى حاجة وإنما كان سببا للانقطاع لأن الزائر قلب الواجب ، وعكس القضية فإنه
 كان من حقه أن يتوسل لله عز وجل بأوليائه لا أن يعكس ، الثالث : زيارة الصالحين وعلى الزائر دين فرض
 كعدد صلوات وجب قضاؤها عليه فترك قضاءها الذى هو حق الله وفيه نور الله وسره تعالى الذى
 يرحمه به وذهب إلى زيارة صالح ولا يخفى ما فيه من الانقطاع والظلام انظره (فقد صارت الأوراد)
 التى رتبها المشايخ بإذن من الله أو من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زواياهم المؤسسة البنيان على
 تقوى من الله ورضوان ليتعبد بها الإنسان ويتقرب بها إلى الرحمن ويجاهد بها النفس والشيطان بين تلك
 الجيطان والجدران (وقى) أى فى هذا الزمان الذى هو آخر عجب الذنب (متجرا) أى بضاعة
 يتجر فيها من وسد إليه أمرها من المقدمين والمتمشيخين - أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فأربحت
 تجارتهم وما كانوا مهتدين - فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات - الآية : فخلف
 من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا - الآية (فهم) جبر
 الله حالنا وحالهم وأصلح مآلنا ومآلهم (فى ضلال) ضد الهداية (يعمهون) من عمه كمنع وفرح
 تردد فى ضلال وتخير فى طريق (و) فى (كلفة) إلزام ما فيه مشقة بل هم اليوم والعياذ بالله أسوأ حالا
 وأشد كلفة وفتنة وظلما وجورا من ولاية السوء فولاة الظلم أفضل منهم وأرجى منهم خيرا لا اعتقادهم
 أنهم ظلموا الناس وظلموا أنفسهم فترجى توبتهم ، وأولئك يزعمون أنهم على هدى واهتداء وأنهم
 أتقى الناس وأخشاهم لله فلا ترجى توبتهم - إنا لله وإنا إليه راجعون - وفى [خل] ومن أقبح ما أحدثه
 المشبهون بالمشايخ اتخاذ بعضهم الإعلام على رأسه فكل من أراد الظهور فليس من أهل الطريق فى شيء
 بل هو عكس حالهم ولو لم يكن فيه إلا أنه بدعة ممن فعله فكيف بانجرار هذه المفاصد التى وقعت
 بسبب الإعلام إذ أنهم يجتمعون رجالا وشبانا فإذا أشرفوا على بلد ذكروا الله تعالى جهرا يرفعون بذلك
 أصواتهم ولا يقصدون به الذكر ليس إلا بل الإعلام لأهل تلك البلدة ومن قاربها بورود الشيخ والفقراء
 الذين معه حتى يخرجوا إلى تلقيتهم فإذا سمعوا ذكرهم خرجوا إليهم رجالا ونساء واختلطوا فصاروا
 مجتمعين رجالا ونساء وشبانا ، وهذا فيه ما فيه من مخالفة الشرع الشريف ، والنساء يرفعن أصواتهن
 بالزغاريد ويسمع هن إذ ذاك ضجيج وذلك كله بمرأى من الشيخ وعلمه به فما أقبح هذا وأبعده ممن
 يقتضى إلى طريق الدين والصلاح ، فكيف بمن يزعم أنه يدعو الناس إلى الله - إنا لله وإنا إليه راجعون -
 على انعكاس الأمور ثم مع ذلك ينزل على أهل تلك البلدة بالجمع الذى معه ومفاسده قل أن تنحصر
 فمن ذلك أنه يضر بحال كثير منهم بسبب تكلفه لهم أشياء من الأطعمة تليق بهم ويتفخرون بذلك ،
 وبعضهم يعيب على من أتى بطعام لا يختارونه ، ولت هذه الضيافة كانت عن طيب نفس لكنهم
 يقسطون ما يفتقونه فى تلك الضيافة على الرأس من غنى وفقير ومضطر ومحتاج ، وأكثرهم يتدانيون
 بسببها وبعضهم يعجز عن شيء يعطيه وعن يدايته فيهرب قبل وصول الشيخ إلى البلد فيتسلطون على
 بيته وهو غائب فيأخذون ما وجدوا من دجاج أو داجن ، ومن عجز عن الهروب يقع فى الامتحان
 مع كبراء البلد بما يوجبون عليه مما لا قدرة له به ، وتفاصيل أحوالهم فى هذا المعنى تعجز عنها الأقلام
 والطوروس ، ثم لم يقتصروا على هذا التكليف المنهى عنه شرعا وطبعا بل أضافوا إليه ما يأخذونه من

المهديا ويسمون ذلك بالفتوح للشيخ ولأصحابه كل على قدر حاله سيما صاحب المنزل الذي نزلوا عنده ، فهذه الوظائف أعنى الضيافة والعلف والفتوح للشيخ وجماعته لا بدله منها حتما ثم مع هذه الأحوال الردية يرقص بعضهم مع بعض نساء ورجالا وشبانا ، فإذا علم هذا من أحوال بعضهم فأى فرق بينهم وبين الظلمة المتسلطين على الخلق بأخذ المال والإذابة بل قد يوجد بعض الولاة يتحاشى عن مثل هذه الرذائل فلا يأكل إلا من إقطاعه ، انظره : وفيه : بل بعضهم مغموس في الجهل ويدعى أنه من الشيوخ الموصلين إلى الله وليس له ذوق في طريق القوم بالكلية بل عكسه أسأل الله السلامة بمنه اهـ : وهذا في زمنه في القرن الثامن فكيف بزمننا هذا في القرن الرابع عشر لو أدركه رضى الله عنه لبكى دما أو مات غما لتلاطم أمواج الفتن وتراكم بحور المحن وعموم الفساد والخيانة وفقد الرشاد والأمانة ، لا سيما في متمشيخي الوقت ومتصلحيه وبينهم وخلائفهم عموما وخصوصا - ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم - وطوى هنا :

فمن لم ينلهم من دراهمه المنى ينل منهم شرا وأسوأ غلظة
فيدعون بالردى على من تلمذوا إذا لم يساعدهم بأهوا مضلة
فلا ترج منهم توبة وإنابة لأنهم ضلوا وأضلوا بنسبة

قال تعالى - ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل - وقال - ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون - الآية - قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - وفي [ثيق] وليحذر شيخ الزاوية أو الخدقة أن يأخذ شيئا من معلوم الفقراء ليتوسع به في نفقته ونفقة أولاده وعياله من ورائهم فإن ذلك غلول فإنه ما اصطاد ذلك إلا بهم وعلى اسمهم ولولاهم ما كان يعطى شيئا من ذلك ، فلا ينبغي له ولا لأخذ من أعوانه أن يعمل له من ذلك مضرة ولا جوخة ولا صوغا رفيعا ولا شاشا ، ولا بد ماطا ولا غطاء ولا يبنى به بيتا ولا خلوة ولا يكسو به أولاده ولا يشتري به حمارا ولا بغلة ولا يزرع به زرا ولا يغرس به بستانا ، ويجعل ذلك على اسمه واسم أولاده فإن ذلك كله ممحقة للبركة في رزقه ورزق زاويته ولو صار له كل يوم نحو ثلاثمائة نصف فهو مكشوف الحال ومن شك فليجرب : وفيه : وينبغي للشيخ إذا وقع على يديه قسمة دنيا بين الفقراء أن لا يخص أحدا منهم بشيء زائد على غيره إلا أن تكون حاجته ظاهرة للفقراء كلهم بحيث يحنون عليه ويرقون لحالته ويقول له منصفوهم أعطه زائدا علينا بطيبة نفس وليحذر أن يأخذ لنفسه أولاده نصيبا مع الفقراء ، فيكون كأحدكم في دناءة المروءة والأخلاق وتذهب رياسته عليهم ، بل يفرق كل ما وقع في يديه على الفقراء والمساكين وأولادهم وعيالهم وغيرهم ولا ياحس منه لحسة ولا يأخذ منه فلسا ولا يدخله في بيته أبدا بل يضعه في الزاوية حتى يفرقه النقيب لئلا يتهموه إذا أدخله بيته ويقولون إنه أخذ منه لعياله وأولاده قياسا على أنفسهم لو كانت التفرقة على يديهم وخلوا بهاهم ، فمن فعل ذلك وتعفف عن مزاحمة الفقراء عظم في عينهم ضرورة وعظموه بين الناس وأحبوه أكثر ممن يرشدهم إلى طريق الله عز وجل ، ومن ادعى منهم أنه يحب الشيخ ولو لم يعطه شيئا من الدنيا فليمتحن نفسه إذا كلمه شيخه بكلمة أدب فإن كان يستلذ بها أكثر مما لو أعطاه دينارا ذهبيا مثلا فهو صادق وإلا فهو كاذب ، انظره . وفيه : ومن شرط رهبان الكنائس فضلا عن المسلمين أن كل راهب أحب الدنيا أخرجوه من الكنيسة ، وقد صارت الزوايا

الآن مصيدة للدنيا لا غير . انظره لقد صدق ونصح ، وقد قال هذا في زمنه رضى الله عنه فكيف برمتنا الذى هو آخر عجب الذئب فلو أدركه لبكى دما أو مات غما - إنا لله وإنا إليه راجعون - ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

كم من زوايا بليت في الوقت	حباله ومركزا للمقت
فإنها والله للشيطان	لأنها لم تبين للرضوان
والذكر والصلاة والقرآن	ونشر علم الدين للإخوان
بل لاقتناص المال والهدايا	ولاقتنا النصار والعطايا
والحر لا يعيش بالزوايا	لأنها مجلبة الدنيا
والحر لا يلتمس الهدايا	لأنها من وسخ البرايا
أعاقل يرضى بهذا الحال	تالله ما يرضى به ذو البال
وبثت الحرفة للإنسان	أن يتشوف إلى الأقران
وقل زوايا وقتنا من الفتن	ومنيع الردى ومركز الإحن ^(١)
فقد غدت فتاة الأقوام	لاسيما بين ذوى الأرحام
كم من تشاحن ومن تشاجر	يقع بينهم ومن تفاخر
لأنها حباله الشيطان	ولم يكن فيها رضا الرحمن
يارب نجنا من الشيطان	وكل ما يجر لافتنان
أمين أمين ختام الله	على لسان عبيده الأواه

(وماجا) قصره للوزن أى وما جاءك من إخوانك المؤمنين بطيب أنفسهم إذ لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه (بلا إشراف) من أشرف على الشيء أشنى عليه (نفس) قال تعالى - إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى - (وسؤله) أى وبلا سؤاله وطلبه (حلال) طيب سيق إليك من فضل الله الكريم (ورزق) بكسر الراء ما ينتفع به (سيق) أى ساقه إليك المولى الكريم بمحض فضله العميم (من غير منة) بكسر الميم فى ذلك لغير الله سبحانه وتعالى فى الحقيقة ، ومن أجرى ذلك على يديه من إخوانك المؤمنين فكافئه ولو بالدعاء كما مر . وفى [جص] « ما آتاك الله من هذا المال من غير مسألة ولا إشراف فخذنه فتموله أو تصدق به ومالا فلا تتبعه نفسك » وفيه « وما آتاك الله من أموال السلطان من غير مسألة ولا إشراف فكله وتموله » أى حيث لم يكن من عين الحرام أو مافى يده كله حرام وإلا فلا كما هو قضية الوقت ، ولاسيما فى زماننا الذى هو عين المقت جبر الله الحال والمال أمين :

وليس يصح فى الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وفى شرح النووى على مسلم اختلف العلماء فىمن جاءه مال هل يجب قبوله أم يندب على ثلاثة مذاهب حكاهما أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى وآخرون ، والصحيح المشهور الذى عليه الجمهور أنه يستحب فى غير عطية السلطان ، وأما عطية السلطان فحرمها قوم وأباحها قوم وكرهها قوم ، والصحيح أنه إن غلب الحرام فيما فى يد السلطان حرمت وكذا إن أعطى من لا يستحق ، وإن لم يغلب الحرام فباح إن لم

(١) جمع لحنة كصفنة وزنا ومعنى اه .

يكن في القابض مانع يمنعه من استحقاق الأخذ، وقالت طائفة الأخذ واجب من السلطان وغيره، وقال آخرون هو مندوب في عطية السلطان دون غيره والله أعلم اهـ. وفي [عف] روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «من وجه إليه شيء من هذا الرزق من غير مسألة ولا إشراف فليأخذه وليوسع به في رزقه فإن كان عنده غنى فليدفعه إلى من هو أحوج منه» انظره، وفيه: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيني العطاء فأقول له أعطه يا رسول الله من هو أفقر مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ فتموله أو تصدق به وما جاءك من هذا المال وأنت غير مستشرف ولا سائل فخذ وما لا فلا تتبعه نفسك» قال سالم: فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل أحدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه درج رسول الله صلى الله عليه وسلم الأصحاب بأوامره إلى رؤية فعل الله تعالى والخروج من تدبير النفس إلى حسن تدبير الله تعالى، وسئل سهل بن عبد الله التستري عن علم الحال قال: هو ترك التدبير ولو كان هذا في واحد لكان من أوتاد الأرض، وروى زيد بن خالد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جاءه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نقس فليقبله فإنما هو شيء من رزق الله ساقه الله إليه» وهذا العبد الواقف مع الله تعالى في قبول ماساق الحق آمن ما يخشى عليه إنما يخشى على من يرد، لأن من رد لا يأمن من دخول النفس عليه أن يرى بعين الزهد في أخذه إسقاط نظر الخلق بتحقيق الصدق والإخلاص وفي إخراجهم إلى الغير إثبات حقيقته، فلا يزال في كلا الحالين زاهد يراه الغير بعين الرغبة لقلة العلم بحاله وفي هذا المقام يتحقق الزهد في الزهد انظره، وقوله إنما يخشى على من يرد أي ما ليس بحرام وأما الحرام الخض أو ماسيق لعل فاسدة وأغراض مبيدة فيجب رده ويحرم قبوله على كل مؤمن بالله واليوم الآخر ويثاب على ذلك دنيا وأخرى - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - وفيه: وروى أن أحمد بن حنبل خرج ذات يوم إلى شارع باب الشام فاشترى دقيقا ولم يكن في ذلك الموضع من يحمله، فوافى أيوب الخمال فحمله ودفع إليه أحمد أجرته، فلما دخل الدار بعد إذنه له اتفق أن أهل الدار قد خبزوا ما كان عندهم من الدقيق وتركوا الخبز على السرير ينشف فرآه أيوب وكان يصوم الدهر فقال أحمد لابنه صالح ادفع إلى أيوب من الخبز فدفع له رغيفين فردهما، قال أحمد ضعهما، ثم صبر قليلا ثم قال، خذهما فالحقه فالحقه بهما فأخذهما، فرجع صالح متعجبا فقال له أحمد عجبت من رده وأخذه؟ قال نعم، قال هذا رجل صالح فرأى الخبز فاستشرفت نفسه إليه فلما أعطيناه مع الاستشراف رده، ثم أبس فرددناه إليه بعد الإياس فقبل، هذا حال أرباب الصدق إن سألوا سألوا يعلم وإن أمسكوا عن السؤال أمسكوا بحال وإن قبلوا قبلوا يعلم فمن لم يرزق حال الفتوح فله حال السؤال والكسب بشرط العلم، فأما السائل مستكثرا فوق الحاجة لا في وقت الضرورة فليس من الصوفية بشيء، سمع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل، فقال لمن عنده ألم أقل لك عش السائل، فقال قد عشيته، فنظر عمر فإذا تحت إبطه مخللة مملوءة خبزا فقال عمر ألك عيال؟ فقال لا فقال عمر لست بسائل ولكنك تاجر ثم، نثر ^(١) مخللاته بين أهل الصدقة وضربه بالدرة، انظره. وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقبل كل ما جاءنا من الحلال من غير استشراف نفس ولا زرده وذلك لأنه جاءنا من عند الله تعالى من غير تعمل وقع منا واجتلاب قال تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب - ولا يمتن الحق تعالى على العبد إلا بما هو حلال محمود، وكانت طريقة

(١) نثر بثلاثة: أي فرق اهـ.

سيدى أبى الحسن الشاذلى أنه لا يسأل ولا يرد ولا يدخر ، وكذلك كانت طريقة سيدى أحمد بن الرفاعى رحمهم الله ، وفى الحديث « من تورع عن الحلال وقع فى الحرام » وهذا أمر ربما يخل به كثير من المشايخ فضلا عن غيرهم ، وكذلك كان دأب سيدى على الخواص إلى أواخر عمره ، ثم قبل من الناس قبل موته وصار يضع الدنانير والدرهم عنده فى قدرة فكل من مر عليه من العميان والعاجزين والمدينين يعطيه من ذلك ويقول : ما فى الكون مال إلا وله ناس يستحقون الأكل واللبس منه من أصحاب الضرورات ، وسمعتة رضى الله عنه يقول : لو كشف للمحجوبين لرأوا جميع ما يأتهم من الناس إنما هو هدية من الحق تعالى وهو الذى قدمه إليهم فكيف يصح لصاحب هذا المشهد أن يرد ؟ فقلت : فأين ميزان الشريعة حينئذ ؟ فقال : موجود ، وهو أنه لو شهد أن الحق تعالى هو المعطى لا يقبله إلا إن رأى وجه رضاه به ، فإن المعاصى كلها بتقدير الله وإرادته ومع ذلك فيردها العبد وجوبا ويدفعها جهده حتى لا يقع فى هلاكه ، انظره . وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نرد شيئا جاءنا من غير سؤال ولا استشراف نفس ، وهذا العهد يقع فى خيائنه كثير ممن يحب أن يشتهر بالزهد ويرد ما أعطيه خوفا أن يجرح مقامه عند الناس ، وغاب عليه أنه جرح بذلك مقامه عند الله تعالى ، فخذ من الله وأعط الله والله يتولى هداك ، وروى الطبرانى « ما المعطى من سعة بأفضل من الآخذ إذا كان محتاجا » وفى رواية ، لابن حبان « ما الذى يعطى من سعة بأعظم أجرا من الذى يقبل إذا كان محتاجا » والله أعلم انظره ، وروى « اقبلوا الكرامة وأفضل الكرامة الطيب أخفه محملا وأطيبه رائحة » ول بعضهم رحمه الله :

عن المصطفى سبع يسن قبولها إذا ما بها قد أتخف المرء خلان
دهان وحلوى ثم در وسادة وآلة تنظيف وطيب وريحان

وفى [خل] إن ما يأتى على يد مخلوق على أربعة أقسام : قسم يسر ويضر ، وهو ما أتى من الفتوح على يد فقير محتاج معتقد فإن أنت قبلته منه سر بذلك ويتضرر فى نفسه لأجل فقره ، فهذا ينبغى للمريد أن لا يرزأه فى شيء ويرده عليه بسياسة حتى لا ينكسر خاطره ، أو يقبله منه ويكافئه عليه بما تيسر وليحذر أن يشوش عليه بدفع العوض له بل يعوضه دون إشعار له بذلك ، والثانى عكسه : لا يسر ولا يضر ، وهو ما أتى على يد غنى غير معتقد فإن أخذته منه لم يسر بذلك ولم يضره أخذك منه فأنت فى هذا مخير إن شئت أخذت وإن شئت تركت وهو الأولى ، لأن اليد العليا خير من اليد السفلى ، والثالث : يسر ولا يضر ، وهو ما أتى على يد غنى معتقد فإن أخذته منه دخل عليه السرور بذلك ولا يتضرر به ، فهذا أحسن الأقسام وأسلمها من الآفات المتوقعة ، والرابع عكسه : يضر ولا يسر ، وهو ما أتى على يد محتاج غير معتقد فإن أخذت منه تضرر بذلك لحاجته إليه ولا يسر بذلك لعدم اعتقاده فيك اهـ (بخ) . وفى [غ] وقول سيدنا رضى الله عنه إلا ما سمحت به نفوسهم من غير طلب يحقق ما أشرنا إليه من أن المذموم هو التشوف والطمع فإن انتهى الحال إلى السؤال أعنى سؤال المقدم من إخوانه فقد أفضى إلى بلاء عظيم وفتنة كبيرة فى الدين نسأل الله العافية من كل بلية بمنه وكرمه ، فقام من هذا ميزان عظيم وقسطاس مستقيم فيما يجريه الله تعالى من الإرفاق للإخوان على أيدي بعضهم لبعض ، فكل ما أتى من الأخ لأخيه على وجه الهدية والمواصلة لله من غير طمع ولا استشراف نفس فضلا عن السؤال فهو لا بأس به شريعة وطريقة وذلك لأن الهدية مباحة فى الجملة بل هى محسوبة فى الفقه من وجوه الحلال ، فإن عرض عارض فى المعطى أو فى وجه الإعطاء فالأخذ أعرف بما يأتى وما يندر وهذا

بالنسبة لمطلق الإخوان وبحسب أحوال العامة منهم ، وأما أهل التمكين فأحوالهم في الأخذ مختلفة تبعاً لما اقتضته الواردات والتحفظ عن الآفات وهي في كل أمر من الأخذ والترك كما قاله الأستاذ السرى السقطي رضي الله عنه للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : احذر آفة الرد كما تحذر آفة الأخذ ، والحاصل أن كل من عرف بصحة العلم والعمل ومتابعة الديانة وأمره موكول إلى دينه ولا سبيل للانتقاد عليه : قال العلامة البيهقي رضي الله عنه : ومثل الحكم فيما سمحت به نفوس الإخوان لإخوانهم كالمقدم ومن في معناه من غير طلب الحكم فيما إذا اضطر المقدم ونحوه فله الأخذ من مال إخوانه ولو بالتعرض لذلك ويتصرف فيه بحكم الصدقة على الوجه الذي أبيع له من أجله بقدره في وقت الاحتياج لا غير ، ثم إن هذا أيضاً في غير المشايخ الكاملين أمأهم رضي الله عنهم فهم يحكم ما يرد عليهم من الله تعالى في ذلك فقد يظهر لهم قبول الرفق من المريد لصالح يترأى لهم في ذلك من الله تعالى لذلك المريد فيكون أخذهم لماله والارتفاق بخدمته مثلاً لمصلحة تعود عليه منهم مأونة الغائلة من جانبهم ، وقد يظهر للواحد منهم أن يقبل من بعض المرئيين خروجه عن جميع ماله وذلك إذا علم أن خروجه عنه يكسبه حالاً لا يتطلع معها إلى مال ولا غيره ، ويكون في ذلك مقتنياً لأثر النبي صلى الله عليه وسلم في قبوله من الصديق الأكبر رضي الله عنه جميع ماله ، وقد يظهر له قبول البعض منه دون البعض وقد يظهر له عدم القبول في الكل معاملة منه لكل بما فيه صلاحه لأنهم أساءة النفوس وأطباء العيوب رضي الله عنهم ، وهذا إنما ذكرناه تنميماً لتقرير هذه المسئلة حتى لا يرد علينا ما اتفق لكمل المشايخ رضي الله عنهم ، وإلا فالمدار فيما نحن بصددده على ما ذكره سيدنا رضي الله عنه في وصيته السابقة آنفاً فوقوفنا عنده لازم ألهمنا الله رشدنا ووفقنا لما فيه رضاه بمنه وكرمه آمين ، انظرها : قال رحمه الله :

(وَلَا تُفْسِدَنَّ لِلنَّفْسِ قَدْرًا مَزِيَّةً بِتَلْقِينَ وَرَدِ الْخَيْرِ تَأْجِرَ الْأُئِمَّةِ)

(ولا تفتن) أيها المقدم لتلقيين الورد الأحمدى وللنور الحمدي (للنفس) أي لنفسك الأمانة بالسوء (قدرا) القدر القوة والمنزلة والغنى واليسار (مزية) أي ولا تفتن لها أيضاً مزية وفضيلة على إخوانك في الطريقة وغيرهم (بتلقيين) أي بسبب تلقيينك لهم (ورد) سيدنا أبي الفيض (الختم) الحمدي المعلوم والقطب المكتوم رضي الله عنه وعنايه آمين (تاج) هو الإكليل بكسرة الهزة شبه عصابة تزين بالجواهر تلبسه الملوك (الأئمة) رضي الله عنهم أجمعين : وفي [ثيق] أخذ علينا العهود إذا عملنا أشياء على طلبه علم أو مرئيين أن لا نرى نفوسنا قط أرفع درجة منهم عند الله تعالى ولا نجلس قط على سجادة ولا مضربة إلا لعذر شرعي ولا نتمكن أحدا منهم يقف بين أيدينا غاضطرفه كما يفعله بعضهم ، فإن هذه كلها أحوال لا تلحق بمقام العبيد لاسيما إن كانوا سواء كأمثالنا والله ربنا خلبوص (١) المغاني أقرب إلى حضرة الحق منا وأكثر أدباً منا مع الله ، وتأمل يا أخى من غضب عليه السلطان من أركان الدولة كيف يأمر الناس بعدم الاجتماع عليه خوفاً من بلوغ ذلك للسلطان ويقول من أحببني لا يجتمع على هذه الأيام ، وهذا الأمر هو حال كل عارف على الدوام ، وقد كان السرى السقطي يقول لي منذ ثلاثين سنة وأنا أظن أن الله تعالى ينظر إلى نظر الغضب فما أمرنا الشارع صلى الله عليه وسلم إلا بأن ننظر المسلمين بعين الأخوة فننصحهم ونرشدهم ونسألهم بالله تعالى أن ينصحونا ويرشدونا كذلك ، هكذا كان السلف

الصالح رضى الله تعالى عنهم فبهذا هم اقتده يا أخى ، والله يتولى هداك اه . وفيه : أخذ علينا
العهود أن لا نرى قط نفوسنا على قدم أحد من أشيائنا إذا تخلفنا من بعدهم فضلا عن رؤية نفوسنا على قدم
أحد من السلف الصالح وذلك لأن في دعوى أمثالنا ذلك إزراء بمقام أشيائنا أو الأشياخ الذين مضوا قبلهم
وقد قيل مرة للإمام أبي حنيفة رضى الله عنه أيما الأفضل الأسود أم علقمة؟ فقال والله ما نحن بأهل أن
نذكرهما فكيف نفاضل بينهما ، ويقولون في المثل إذا أردت أن تعرف مقام إنسان فانظر حال أصحابه فإنهم
يدلون عليه ، وقد دخل وفد من العرب على السيد عمر بن عبد العزيز ، فقال : من سيدكم؟ فقال واحد : أنا ،
فقال : لو كنت سيدهم لما قلت ذلك ، فعلم أنه لا ينبغي لأمثالنا قط أن يقول أنا خليفة الشيخ الفلاني أو
من أصحابه وإنما يقول أنا من خدامه أو من معارفه لئلا نزرى بمقام شيخنا بين الناس ، فإن شرط الخليفة
أن يكون على صورة من استخلفه ومن شرط الصاحب أن يقتدى بجميع صفات صاحبه ، ولو أننا
ادعينا أننا على قدم شيخنا مثلا فأفعالنا تكذب ذلك ، وقد كان الحسن البصرى يقول : والله لقد أدركنا
أقواما كنا في جنبهم لصوصا ولو رأوكم اليوم لقالوا : هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب ، وكان سيدى
أفضل الدين رحمه الله يقول : لو شئ أحدنا أحوال فسقة الزمان الماضى لادعى مقام الولاية الآن ، فاعلم
ذلك اه . وفى [غ] ويطلب معنى من المقدم أيضا النزول إلى إخوانه عن حقه فيما يجب له من التبجيل
والتعظيم فيستعمل التواضع معهم فلا يثبت لنفسه قدرا ولا مزية عليهم ، ثم قال : وهذا كله ما لم يخرج
فيه إلى حد المداينة بأن يتجاوز فيه حد المداراة وإلا صار فتنة على التابع والمتبوع والعاياذ بالله تعالى ،
ولا بد من إقامة ميزان الاعتدال فيما ذكر من النزول والانسياط والانسياط للإخوان لأنه إنما وضع
للحاجة والشئ إذا وضع للحاجة يتقدر بقدرها من غير إفراط ولا تفريط ، هذا والناس في هذا
الميدان باعتبار ما يتجلى لقلوبهم من آثار الجلال والجمال فلا كلام مع واحد من الفريقين فيما اقتضاه
حاله في ذلك ويحمل كل على ما اعتيد منه وغلب عليه ، وروى عن بعضهم قال : كنا نتذاكر الشعر عند
محمد بن سيرين وكان يقول : ونمزع عنده ويمارحنا فيما نحن عليه فكنا نخرج من عنده ونحن نضحك ،
وكنا نخرج من عند الحسن ونحن نكاد نبكى . وبالجمله فلا يقف على حد الاعتدال في هذا الانسياط
إلا من قهر نفسه وكان عالما بأخلاقها وطباعها سائسا لها بوفور العلم حتى يقف على حد الاعتدال فيه .
قالوا : ولا يصلح النزول والانسياط بالمداينة للإخوان لمن لم يرتق في باطنه عن حالهم في الصفاء ورسوخ
القدم في الإقبال على الله تعالى بأن صارت العزيمة غالب أوقاته ، لئلا تجره ممازجة طبعه بطبعهم إلى
الإخلاد إلى الرخصة وعدم التشوف لطلب الحق ، وبسط القول في هذا وتحقيقه يطول بنا ، وقد أشرنا
إلى محل الحاجة لمن يفهم ، والله الموفق اه . قال رحمه الله :

(تَأَنَّ لَدَى التَّلَفِّينِ كُنْ ذَا تَذُبُّتِ إِلَى أَنْ تَرَى حَقًّا مَصَادِيقَ رَغْبَةٍ
وَبَالِغَ لَدَيْهِ فِي الدُّعَا وَاسْتِخَارَةِ وَذِكْرِ شَرَائِطِ السَّكَالِ وَصِحَّةِ
وَأَخْضِرَ لَدَيْهِ هِمَّةَ الظَّنِّ وَاعْتَقِدَ بِأَنَّكَ مِرَاةٌ لَهُ فِي الْحَقِيقَةِ
وَلَقِّنْ بِجَمِيعِ مَنْ أَتَى فِيهِ رَاغِبًا مَنِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ذُكُورٍ وَنِسَاءٍ)

(ثاني) بفتح فوقية ونون مشددة من تأني تثبت وترك العجلة ، والتثبت في كل شيء فضل ونعمة من الله يعطيها لمن يشاء من عباده . وفي [جص] «التأني من الله والعجلة من الشيطان» وفيه «التؤدة في كل شيء خير إلا في عمل الآخرة» اه : قال تعالى - فاستبقوا الخيرات - ومدح أقواما بذلك فقال - أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون - وفيه : «إذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يريك الله منه المخرج» وفيه : «إذا أردت أن تفعل أمرا فتدبر عاقبته فإن كان خيرا فأمضه وإن كان شرا فانه» وروى : «من تأني أصاب أو كاد ومن عجل أخطأ أو كاد» ورحم الله من قال :

قد يدرك التأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقد يكون التأني مذموما كما في الطاعات والخيرات لقولهم : للحزم بركات وللتسوية آفات ، وينشد على ذلك :

وربما فات قوما جل أمرهم من التأني وكان الحزم لو عجلوا

فالمسارعة إلى الخيرات مطلوبة وممدوحة قال تعالى - أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون - (لدى التلقين) للورد الأحمدى والنور المحمدى . وفي [شب] ومن شرط الذكر النافع المفيد أن يأخذه المرید بالتلقين من أهل الذكر كما أخذته الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عن شداد بن أوس أنه قال : «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هل فيكم غريب؟ يعني من أهل الكتاب ، قلنا لا يارسول الله ، فأمر بغلق الباب وقال : ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله ، فرفعنا أيدينا وقلنا لا إله إلا الله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبشروا فإن الله قد غفر لكم» وأما بتلقين الذكر فرادى فروى أن عليا كرم الله وجهه قال «يارسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله قلته وأسهلها عبادة فقال صلى الله عليه وسلم : أفضل ما فعلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله ، ثم قال على

رضي الله عنه : كيف أذكر يارسول الله ؟ فقال : غمض عينيك واسمع مني ثلاث مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا اسمع ، فقال صلى الله عليه وسلم : «لا إله إلا الله» ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلى يسمع ، ثم قال على رضي الله عنه : لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع » قلت : وهذا أصل سند القوم في التلقين ، انظره . وأخبرني من أثنى به أنه لما جلس بين يدي بعض الخاصة رضي الله عنه وعنا به آمين لقننه الورد هكذا ولم يفهم مراده إلا بعد حين . وفي [مح] وقال السيد محمد الغوث رضي الله عنه في جواهره : فذكر العامة كلمة الشهادة أو غيرها من التسيبحات والذكر الخاص مما يكون بتلقين شيخ مرشد عارف بأدواء النفوس يكون أقوى في إزالة الحجب عند الملازمة عن قلب حاضر ، وفيه عن الخلاصة المرضية : وههنا أصل أصيل تجب رعايته فإن الذكر بدون رعايته لا يوصل إلى المقصود وإن كان لا يخلو عن فائدة ما ، وهو أن يكون تلقين الذكر من شيخ مرشد تتصل صحبته وطريقته بالحضرة النبوية ، فإن الذكر بدون التلقين مثل الشباب الذي يشتري من صانعه ، ومثل الذكر الذي يكون بتلقين الشيخ مثل الشباب الذي يؤخذ من السلطان فإنهما وإن تساويا في التشابيه ودفع الخصم لكن أين نشاب النبال من نشاب السلطان في الناس ، والواقع وحماية صاحبه وولايته وكل من يتعلق به والله تعالى أعلم اه : وفي الأجوبة الناصرية : ذكر الله على اختلافه محسن ولكن لا تتخذ منه وظيفة راتبة إلا بإذن الشيخ وكذلك أحزاب السادات ، ومن اتخذه ورثا من غير إذن فهو غار مغرور . قال : والذي تشترك الناس في منفعته التهليل والصلاة على النبي صلى

الله عليه وسلم ، وإن أورد الأولياء تكون لبعض الناس منفعة وبعضهم مضرة اهـ . وفي [هب] وسئل عن فائدة تلقين الورد الذي يعطيه الأشياخ ، فقال رضى الله تعالى عنه للسائل : تسألني عن الصادقين أو عن الكاذبين ؟ فقال عن الصادقين ، فقال رضى الله تعالى عنه : فائدته أن الله تعالى حفظ على هذه الأمة دينها بهذه الشريعة المطهرة التي إذا فعلت في الظاهر حفظت الإيمان في الباطن ، وإن الشيخ الصادق معمور الباطن بالمشاهدة مع الحق سبحانه حتى إن المريد إذا قال لا إله إلا الله قبل أن يلقى الشيخ يقولها بلسانه وقلبه غافل ، والشيخ يقولها بالباطن لعظيم مشاهدته للحق فإذا لقن المريد سرت^(١) حالته في المريد فلا يزال يترقى إلى أن يبلغ مقام الشيخ إن قدر الله تعالى ذلك له ، ثم قال رضى الله عنه : وأيضا فإن أهل العرفان من أولياء الله تعالى إذا نظروا إلى ذوات المحجوبين فرأوا ذاتا ظاهرة قابلة لحمل سرهم مطبقة له فإنهم لا يزالون معها بالتربية بتلقين الذكر وغيره ويكون هذا المطبق للسر هو مقصود الشيخ لا غير ، فإذا جاء إلى الشيخ غيره ممن هو ليس بمطبق وطلب منه التلقين فإنه لا يمتنع لأنه لا يقطع على أحد ، فلذا تجد الشيوخ يلقنون كل أحد مطبقا كان أولا ، مع فائدة أخرى تظهر في الآخرة وذلك أنه صلى الله عليه وسلم يكون بيده يوم القيامة لواء الحمد وهو نور الإيمان وجميع الخلائق خلفه من أمته ومن غير أمته مع سائر الأنبياء ، وتكون كل أمة تحت لواء نبيها ولواء نبيها يستمد من لواء النبي صلى الله عليه وسلم وهم مع أمهم على أحد كتفيه وأمه المطهرة على الكتف الآخر ، وفيها الأولياء بعدد الأنبياء ولهم ألوية مثل مال الأنبياء ، ولهم من الأتباع مثل مال الأنبياء ويستمدون من النبي صلى الله عليه وسلم ويستمد أتباعهم منهم كحال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فالمريد إذا لم يكن مطبقا فإنه ينتفع في الآخرة بشيخه الذي لقنه : قال رضى الله عنه : ولا ينتفع منه بمجرد التلقين فقط ومطلق تلفظه بالذكر حتى يتعلم منه كيفية الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وينتفع منه بعض النفع في الباطن اهـ . وفي [غص] فقلت له رضى الله عنه فما شرط تلقين الذكر عندكم ؟ فقال شرطه أن يعطى الله الشيخ من العزم أنه يخلع على المريد حال تلقينه الذكر جميع علوم لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت وما علومها ؟ فقال : هي علوم الشريعة المطهرة فلا يصير بعد التلقين يجهل شيئا من أحكام الشريعة المطهرة يستغنى عن سؤال الناس وعن النظر في كتاب ، ولما لقن رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضى عنه وخلع عليه ذلك صار يقول عندي من العلم الذي أمره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عند جبريل وميكائيل ، فقال له ابن عباس كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إن جبريل عليه السلام تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء قال - ومامنا إلا له مقام معلوم - فلا يدري ما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، فهذا هو التلقين الحقيقي ، انظره وفي الحديث « أنا مدينة العلم وعلى بابها » (كن ذا ثبوت) وتمهل وتراخ عند التلقين (إلى أن ترى) ببصرك وبصيرتك ممن طلب تلقين الورد الأحمدي (حقا) بلا شك ولا ترديد (ومصاديق) جمع مصداق (رغبة) أي تحايل وعلامات صدق رغبته في الدخول في الأحمدية ، ورحم الله من قال :

دلائل الصدق لا تخفى على أحد إلا على جاهل بالشمس والقمر
إفراط حب ولوعة الغرام وبذ ل الجهد والجحدي إدراك ذا الوطر
هي تحايل صدق إن جهلت بها فلذبحها واستعن ببارئ القدر

مخافة أن يكون ممن قال الله فيهم - ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة - الآية ، وهذا حكم من أخذ الأحمدية ونبذها والعياذ بالله تعالى والمدينة كالسكير تنفى خبثها وينصع طيها ، وبلغنى عن بعض الخاصة رضى الله عنه وعنايه آمين أنه لقن بعض العربان ، ثم جاءه يستقبله فأبى أن يقبله ورائه محمدية ، وقد بايع صلى الله عليه وسلم بعض الأعراب فوعك الأعرابي فاستقال النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبله فقال : « المدينة كالسكير » الحديث . وفى [غ] فربما يرى بعض المتصدين للتلقين إذا كان غرا بمدارك الأمور ما فى كتاب [جواهر المعاني] وغيره من أن هذا الورد الشريف يلحق لكل من طلبه من المسلمين على أى حالة كان كبيرا أو صغيرا ذكرنا أو أنثى طائعا أو عاصيا ؛ فيظهر له بهذا الكلام الأمر بالمسارعة إلى التلقين من غير تثبت ولا تأن ولا قيام بآداب المقام ، وليس الأمر كذلك بل لابد من التثبت والتأنى فلا يلحق الطالب لذلك إلا بعد عرضه الشروط المشروطة فى ذلك عليه وإيناسه منه قبولها القبول التام كيف وهو يرى بإزاء هذا الكلام من [جواهر المعاني] قول سيدنا رضى الله عنه : « ومن أخذ هذا الورد وتركه تركا كليا أو متهاونا به حلت به العقوبة ويأتيه الهلاك فى الدنيا والآخرة » ، إلى آخر كلامه رضى الله عنه المؤكد بالوصية التى هى من لفظ سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، فالعمل على هذا الأدب من أكد الأمور فى هذه الطريقة وأهمها لما يقضى إليه ترك العمل عليه من التسبب فى العقوبة والهلاك والعياذ بالله تعالى ، والله يلهمنا الرشاد والصواب ويختار لنا من الحركات والسكنات فى جميع التقلبات ما محمد به العاقبة فى الحياة وعند المسآب إنه الكريم الجواد الفتاح الوهاب اه .

اعلم أرشدنا الله وإياك بنور التأيد والتحقيق ونور بصائرنا وبصائرهم بإئتمد التسديد والتوفيق أن الأحمدية مرغوبة لارغبة ومطلوبة لاطالبة ؛ ولذا كان من حق ساداتنا المقدمين الأكياس أن لا يتعرضوا لأحد من الناس باستجلاب واستئناس ولو كان من أحب الأحباء وأقرب الأقرباء ، بل يكون أمره إلى مولاه الذى هو أرحم به من كل ماسواه وأرف به من أمه وأبيه حتى يسوقه سائق السعادة الأبدية ويقوده قائد العناية الصمدية إلى الدخول فى الأحمدية ، فعند ذلك ينشرح لها صدره ويتيسر أمره ويثمر شجره وينفتح زهره ويفوح نوره فيرجع التهقير ويولى وراء ورى أويبقى كحمار الرحى كما هو مشاهد بالعيان قال تعالى - أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين - وقال - لا إكراه فى الدين قد تبين الرشاد من الغنى - الآية ، وفى الحديث « لا تطعم طعامك لمن لا يشتهي » وفى [مع] عن بغية السالك . وأما الحقوق المرتبة له أى للتلميذ فأربعة : الأول أن لا يتعرض له القدوة أولا باستجلاب واستئلاف وحسن كلام حتى إذا رأى أن الله عز وجل بعث إليه التلميذ مسترشدا بحسن ظن وصدق لإرادة ضم عليه جناح التعليم والإشفاق والنصيحة بكل شىء عينه فى رضائه ، وكل تلميذ مسترشدا ساقه الله تعالى إلى القدوة فليراجع القدوة النظر فى معناه وليكثر اللجأ إلى الله تعالى أن يتولاه فيه وفى القول معه بحسن هداية وجميل سياسة ، ثم لا يتكلم مع التلميذ إلا وقلبه ناظر إلى الله تعالى مستعينا به على الهداية لصواب القول والعمل ، انظره (وبالغ) جهلك وطاقتك (لديه) أى عند التلقين (فى الدعا) قصره للوزن بالتأيد والتسديد وصلاح الحال والمآل لك وإخوانك المؤمنين (و) فى طلب (استخارة) أى طلب الخيرة من الله الكريم بجاه نبيه العظيم صلى الله عليه وسلم وفى [جص] « ماخاب من استخار ولا ندم من استشار » وفيه « من سعادة ابن آدم استخارته الله ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ، ومن شقاوة ابن آدم تركه

استخارة الله ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له وفيه «إذا هممت بأمر فاستخر ربك سبع مرات ثم انظر إلى الذي يسبق إلى قلبك فإن الخير فيه» اهـ . وروى البخارى عن جابر رضى الله عنه قال : «كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن أن يقول : إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم يقول : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى - أو قال فى عاجل أمرى وآجله - فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى - أو قال فى عاجل أمرى وآجله - فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به . قال : ويسمى حاجته» اهـ . وفى [مح] وأما كيفية الاستخارة فإنك تصلى ركعتين بالفاتحة والكافرون والإخلاص ، فإذا سلمت فاقرأ الفاتحة مرة ثم الإخلاص مرة ثم صلاة الفاتح مرة ثم دعاء الاستخارة المشهور وهو : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ودنياى ومعاشى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وإن كنت تعلم أنه شر لى فى دينى ودنياى ومعاشى وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به » وتسمى حاجتك فإذا أكملت الدعاء فصل بصلاة الفاتح مرة واحدة ، ثم أعد الدعاء ، ثم صل على النبي صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح مرة وافعل هكذا حتى تكمل الدعاء مخرلا بصلاة الفاتح ، فإذا أكملت سبعا على الوصف المتقدم فاقرأ الإخلاص ثلاثا ثم أعد الركعتين ثانيا بالوصف المتقدم من أوله إلى آخره ، ثم أعدهما ثالثا كذلك ، وقد تم العمل اهـ عن شيخنا رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مشافهة ، ولا يقع بعد هذه الاستخارة إلا الخير التام اهـ .

واعلم أن الاستخارة لا تكون فى واجب ولا محرم ولا مكروه ولا فعل مندوب وتركه ، وإنما تطلب فى الجائز وفى تقديم بعض المندوبات على بعض . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستعد لفهم إشارات الحق تعالى بتلطيف الكنائف حتى نحس إذا استخرنا ربنا بما هو الأولى لنا من فعل ذلك الأمر أو تركه ، فإن من كان غليظ الحجاب لا يحس بشيء من ذلك ، ولهذا نقول له استخر ربك فيقول قد استخرته فلم يترجح عندى أمر ولو أنه كان رقيق الحجاب لأدرك ما فيه الخير له من فعل أو ترك ، ثم قال : وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي لمن كان مشغوبا بحب الدنيا أن يفعل شيئا برأيه ولا باستخارته، بل يسأل أهل الخير عن ذلك ويفعل ما يشيرون به عليه : انظره ولا بد ، وفيه : وقد رأيت بعض الأكابر من العارفين يستخير الله تعالى كل يوم فى جميع ما يتحرك فيه أو يسكن يقول : اللهم إن كنت تعلم أن جميع حركاتى وسكناتى فى هذا اليوم خير لى فاقدرها لى ويسرها لى ، وإن كنت تعلم أنها شر لى فاصرفها عنى واصرفنى عنها ، وقال لى من واطب على ذلك كان فى أمان الله تعالى أن يمكر به اهـ . وكان بعضهم رحمه الله إذا وصل فى دعاء الاستخارة : اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر يقول وهو مافى قلبى وما سيخطر فيه فى هذا اليوم وفيها

بعده من الحركات والسكنات خير لى الخ . قال البيهقي : ويعيد صلاة الاستخارة والدعاء ثانيا وثالثا أو أكثر حتى ينشرح صدره لشيء اه .

[تنبيه] وأما استعمال التفاوض لاسيما فى المصحف فلا يجوز ، وعن الطرطوشى رحمه الله إن أخذ الفأل من المصحف وضرب الرمل حرام ، وهو من باب الاستقسام بالأزلام ، والتفاوض الممدوح فى الشرع هو الذى لا يقصد الإنسان حتى يسمعه ابتداء كمن خرج لسفر فسمع من ينادى يا سالم ياربج ، وأما من يقصد ابتداء فليس من التفاوض بشيء . والحاصل أن الفأل الحسن هو ما يعرض من غير كسب والتفاوض المكتسب حرام ، انظر [خل] وينبغى لمن سمع مالا يعجبه أن يقول : «اللهم لا خير إلا خيرك ولا ضير إلا ضيرك اللهم لا عدوى ولا طيرة ولا هامة» ولينص لحاجته ولا يرجع ولينبذ وساوس الشيطان وليستعن بالله الرحمن الرحيم ، ولمن سمع ما يعجبه أن يقول لبيك أخذنا فألك الحسن من فيك (و) بالغ لديه أيضا فى (ذكر شرائط) جمع شريطة بمعنى شرط (الكمال و) شرائط (صحة) للورد الأحمدي والنور المحمدي حتى يتعقلها ويستأنس بها (واحضر) بقلب منكسر (لديه) أى عند تلقينك اه (همة) سيدنا أبى الفيض (الختم) المحمدي المعلوم والقطب المسكوم رضى الله عنه وعنا به أمين وأحضر أيضا هم من بينك وبينه من السادات الكرام والأجلة الأعلام (واعتقد) بقلبك وقالبك (بأنك مرآة) أى بمنزلتها (له) أى للعظم (فى الحقيقة) ونائب عنه فى أداء الأمانة ، ولا شيء لك فى تلقين الورد الأحمدي إلا تبليغ الأمانة وثواب من يبلغها قال تعالى - إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها - وقال صلى الله عليه وسلم «الدال على الخير كفاعله» ولأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها « وفى [هب] ثم إن كان الملقن لقن لا عن الشيخ أو مقدمه فقد أخطأ بأنفسهما وإلا فقد أصابا ، ثم إن لقن وترك ولم يعن فى كيفية السلوك فهذا له على ملقنه بالفتح حق أخوة الشيخ ، وإن لقن وأعان وكانت عيناه من ورائه فهذا له عليه ما للشيخ من الحرمة ، ثم إن الأوراد تؤخذ والمراد الانخراط فى سلك ملقنها وتؤخذ لصفاء القلب ، فأما المريد الأول فقصدوه الأجر والتحسين ، وعليه اعتقاد حرمة الشيخ والسلامة من إضمار قاذح يقدر فيه وإحكام الألفاظ ومبانيها على نحو ما لقن ، والمحافظة على ذلك كمية وكيفية ، ومقامه العموم وجزاؤه الجنة ، وأما المريد الثانى فقصدته المعرفة ، وعليه زيادة على ما على الأول ، تلمح معانى الألفاظ واستحضار صورة المقدم وشيخه الأقدم ونبيه الأكرم ، ويتقيد حتى يكون بحيث لا يتحرك حركة إلا بمرأى منهم تخيلا أولا وتحققا آخر ، ولا يأتيه مدد إلا واعتقد أنه إنما ناله على أيديهم فهذا مقامه الخصوص وما له المعرفة وجزاؤه الرؤية ، فإن الرؤية فى الآخرة بحسب المعرفة انظره . وفى [غ] وما رأيت ولا سمعت أكثر قياما بهذا الأدب ولا أشد اعتناء به من أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين صحبوه قيد (١) حياته وحصل لهم التأهل لتلقين ورده ، فمنهم كانوا إذا أتاهم من يريد الدخول فى الصحبة والأخوة يظهر عليهم مزيد من الاهتمام بشأنه والاجتهاد فى الدعاء له ولهم معه بالثبات فى الأمر مع إستاذ الأمر منهم فى ذلك إلى همة الشيخ رضى الله عنه بإظهارهم أن يدهم فيه إنما هى يد نيابة لا غير ، وأنهم ليس لهم فضل على من يلحقونه ولا حظ لهم فيما يعاملونه به من بذل النصيحة وكمال الإرشاد إلا ما يرجونه من

من فضل الله تعالى بسبب التبليغ ظاهراً لا غير ، ورأيت منهم من لا يلقي أحداً إلا بعد الاستشارة النبوية وصدق اللجأ إلى الله تعالى على أكمل ما يمكن ، ومنهم من كان يزيد مع الاستشارة قراءة ماتيسر من صلاة الفاتح لما أغلق ويهدى ثوابها إلى الشيخ رضى الله عنه ويستأذنه في تلقين ورده لذلك الإنسان الذى طلبه منه بقلبه أو بقلبه ولسانه بأن يقول هذا فلان طلب منى أن ألقنه وردك ها أنا ألقنه عن إذنك وببركة همتك ونحو ذلك ، ثم قال : ومنهم من كنت أراه إذا أراد أن يلقي أحداً يأمره أن يحضر الوظيفة مع الفقراء بالزاوية في وقتها المعلوم فإذا ختمت الوظيفة يظهر على وجهه من أثر الحضور ما يعلم منه أنه يستأذن في ذلك الحضرة الشريفة ، ثم بعد الفراغ من القراءة والدعاء يتوسم وجوه الحاضرين كالمستمد من بركاتهم ويقول لهم : هذا فلان قد أراد الدخول في عهد الشيخ رضى الله عنه ثم يلقيه ويجهده هو والحاضرون في الدعاء له ، وإنما أطلت النفس في هذا الأدب تنبيها ونصيحة للإخوان وإرشاداً إلى العمل على هذا الأدب والقيام به بقدر الإمكان ، انظرها . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

يارب وفقنا لمنهج الأدب ونجنا من اقتفا سبل العطب
واسلك بنا مسالك الرشاد في الدين والدنيا وفي المعاد
يارب فاحمنا من الشيطان وحزبه من انس أو من جان
أمين آمين ختام الحق جعله على لسان الخلق

(ولقن) بعد ذلك مستعينا بالله تعالى ومستحضراً همة النبي صلى الله عليه وسلم وهمة سيدنا أبي الفيص رضى الله عنه وعنايه آمين (جميع من أتى) أى جامعك وطلبه منك حال كونه (فيه راغباً) دون من لم يطلبه ولم يرغب فيه ولو كان من أحب الأحباب وأقرب الأقارب ، وكل أمره إلى مولاه الذى هو أرحم وأرأف به منك ومن غيرك ، وادع له في الغيب بما تحب لنفسك - وربك يخلق ما يشاء ويختار - (من المسلمين من ذكور ونسوة) أما الذكور فللقن مباشرة والنساء الأجنبيةات فبواسطة الأزواج والمحارم بأن تأمر كل واحد أن يلقي محرمه بعد تبين الشروط وقبولها كما سيأتى : وفي [جه] أما أوراده رضى الله عنه التى تلقن لكافة الخلق التى رتبها له سيد الوجود وعلم الشهود صلى الله عليه وسلم هو : استغفر الله مائة مرة ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأى صيغة كانت مائة مرة ، ثم الهيلة مائة مرة ، وهذه الأذكار بعينها هى التى رتبها له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره بتلقينها لكل من طلبها من المسلمين على أى حالة كان ، كبيراً أو صغيراً ذكراً أو أنثى طائعاً أو عاصياً لا يمنع من أحد طلبه منه ، انظره وكثيراً ما يقول بعض الخاصة متعنا الله وإياه برضاه الأبدى وبسره الصمدى وبنوره الفردى آمين : لوجاءنى إنسان وبيده كأس خمر وطلب منى ورد سيدنا للقننه ولا أمنعه منه ، وذلك لغزة مذاقة ومشربه وغزارة علمه وفهمه رضى الله عنه وعنايه آمين ، اللهم اغمسنى في هذه الدائرة الفضلية التى لا تتوقف على وجود سبب ولا شرط ولا زوال مانع غير التمسك بحبلها القوى وعهدا الوفى ، فمن تعلق بها ولو بأذى تعلق فقد فاز بالسعادة في الدارين وحاز راية السبق بدون مين . قال رحمه الله :

(وَمَنْ يَدْعِي تَمَشِيحًا فَهُوَ مُقْتَرٍ وَمُسْتَجَلِبٌ بِذَلِكَ كُلُّ بَلِيَّةٍ)

(ومن يدعى) بزعمه وافترائه وتلبسه وتسويلات هواه ونفسه (تمشيخا) أى التصدر للمشيخة بالتربية فى الطريقة الأحمدية استقلالا وتظاهرا بها (فهو) بسكون الماء لغة (مفتر) من افترى اختلق الكذب من قبل نفسه وهواه ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا (ومستجلب) انفسه ولمن تبعه (بذلك) أى بادعاء المشيخة والتظاهر بها (كل بلية) ديننا ودنيا وأخرى وبرزخا وعن أبى عبد الله سيدى محمد الكنيسوسى رضى الله عنه وعنا به أمين : واعلم أن الواسطة الذى يلحق الذكر عن المشايخ لاحظ له فى المشيخة ، وبينه وبينها بون ^(١) بعيد وإن ادعاها لنفسه أو أظهر من نفسه مايتوهم به الإخوان أن له حرمة كحرمة الشيخ أو مكانة كمكانته فقد كذب على الله تعالى وتعرض لمقت الله وغضبه ، وإنما هو كأحد الإخوان مافاتهم بشيء إلا بالإذن فى التلقين لا غير إلا أن يعمل بعمل المشايخ ، ويجد كل الجدل فى التشمير على نفسه وسلوك السبيل على النمط المعروف حتى يحصل القرب من حضرة الله وحضرة رسوله صلى الله عليه وسلم ويؤذن له إذا خاصا فى تربية الخلق ، فيكون حينئذ شيخا يتلقى الفيض من حضرة الرسول بلا واسطة ، نعم ذلك الواسطة الأول الذى هو المقدم للتلقين له أجر الواسطة وحرمة من هدى أخاه إلى الخير وأعانه عليه ، والملقن : أى بالفتح ، يجب عليه أن يراعى له ذلك ويعطى كل مرتبة حقها فحق الشيخ بالتعظيم التام الذى مافوقه إلا تعظيم النبوة والألوهية ، وحق الواسطة دون ذلك بكثير ، وذلك بالشكر والدعاء بإشارة قوله صلى الله عليه وسلم : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » وقوله « شكر الوسائط واجب إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسط » اهـ وراجع مامر عن [هب] وفى [غ] إن التربية ليست ممنوعة فى طريقنا كما يتوهم بعض الأصحاب وإنما الممنوع التظاهر بدعواها على رسم المتمشيخين فى هذه الأزمنة وقبلها حسبا أشار إلى ذم التظاهر بذلك وفتح باب التسليك به الشيخ عبد الوهاب الشعرانى وقال : إن ترك العارفين فتح هذا الباب فى هذا الزمان هو الصواب فلا يفتحه الآن إلا من أعمى الله بصيرته من هؤلاء المدعين للمراتب المتنازعين عليها اهـ . وكيف يتوهم وجود منع التربية فى الطريق مع ما نقل صريحا عن سيدنا الشيخ رضى الله عنه فى وصف هذه الطائفة المخصوصة ومع ما ذكره فى [جع] عنه رضى الله عنه ، ونص المراد منه سمعته رضى الله عنه يوما يقول : إذا فتح الله يوما على أصحابى فالذى يجلس منهم فى البلد الذى أنافيه يخاف على نفسه من الملاك ، فقال له بعض أصحابه منك أو من الله : فأجابه بقوله من الله تعالى من غير اختيار منى ، ذكر هذا فى يوم الأحد الثانى من شهر الله شعبان عام خمسة ومائتين وألف ، ثم قال - فى يوم الإثنين : الخوف المذكور على من أذن له من أصحابى فى التصرف والتربية للخلق وأما غيره فلاخوف عليه من جانبى اهـ المراد منه هنا بلفظه وهو صريح فيما ذكرناه ، ثم قال : وإنما آثرنا ذكر ما هو الحق إن شاء الله تعالى فى مسألة التربية هنا لما أفضى به منع المانعين لها فى الطريق بناء على ماتوهموه فقط من قيام بعض الناس على أصحابنا فى هذا وقولهم لهم إن طريقكم ليس فيها تربية ولا إمام يقتدى به فيها حتى دخل التشويش على بعض الأصحاب من أجل ذلك ، وزاده تشويشا وحيرة كون سيدنا رضى الله عنه ذكر حسبا فى [جواهر المعانى] وغيره أن الفتح والوصول لايجرى إلا على يد الأولياء الأحياء الخ فلو اهتدى إلى أن التربية موجودة فى طريقنا إما بوصفها الأكمل الذى هو حصول الإذن من الله ورسوله

أو بالإذن الصحيح من الشيخ ولو بالوسائط في الدلالة والإرشاد لما دخل عليه ما ذكر من التشويش والخيرة ، وقد قيدنا في هذه المسألة ما تيسر مما يكفي إن شاء الله تعالى ويشفي لمن سألنا عن ذلك . ومحصل هذه المسألة أن أهل هذه الطريقة المحمدية يوجد في أفرادهم من يفتح عليه في التربية بها : أى بتلقين وردها وجميع أذكارها بالشروط المشروطة والكيفيات المضبوطة ، بحيث لا يخرج عما حده الشيخ في ذلك مما تلقاه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأنها طريق محمدية أعطاهما النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ منه إليه وضمن لأهلها ماضمته من الأسرار والخيرات والبركات ، ولا سبيل إلى الخروج عما أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم وترتب ضمانه عليه فافهم ذلك ، ثم قال : وقد تقدم أن من المتقدمين من يكون في مرتبة التربية والترقية بحصول الإذن له في ذلك من الله تعالى له في سره من طريق الإلهام المعروف عند أهل هذا الشأن ، أو من حضرة رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو على يد بعض أهل الفتح الأكبر من الإخوان الكرام ، إلا أن أهل هذه الطريق لا يتظاهرون بالتصدي للتربية والانصباب للمشيخة أدبا مع الله تعالى ، ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومع سيدنا الشيخ رضى الله عنه ولذلك جرى اصطلاحهم في غالب البلاد على تسمية المرشد مقدما فقط ، وفي بعض البلاد الجنوبية وصحارى المغرب الأقصى تلقب من تأهل للتربية منهم بالشيخ ومن دونه بالمقدم جريا على اصطلاح الأقدمين من أهل الطريق المشهورة بالمغرب ، ولا مشاحة في الاصطلاح بعد معرفة مواقع الإشارات منه فافهم والله تعالى أعلم اه . وعن الشيخ زروق رحمه الله في [شرح المباحث] التربية لا ترتفع أبدا لكنها تارة تجرى بالاصطلاح من الخلوات والتربية ونحوها ، وتارة بحفظ الأصول فقط ، وتارة بحفظ الحرمة ليس إلا ، وتارة بعلو الهمة ، وتارة بمجرد التلقى والإلقاء ، وهذه أمور لا تزول أبد الأبدن غير أن الاصطلاح قد انقرض في هذه الأزمنة اه وفي [جع] سئل سيدنا رضى الله عنه عن قول القطب سيدى أحمد زروق : انقطع شيخ التربية ، وعن قول سيدى إبراهيم التازى رضى الله عنه في قصيدته اللامية :

وقد عدم الناس الشيوخ بقطرنا وآخرهم شيخى ومعظم إجلالى
وقد قال لى لم يبق شيخ بغيرنا وذامنذ أعوام خلون وأحوال

قال الشيخ زروق : سألت شيخنا أبا العباس الحضرمى رضى الله عنه ؟ فقال لى : انقطعت التربية بالاصطلاح ورجع الأمر كما كان في الصدر الأول بالإفادة بالهمة والحال ^(١) ، وهذا كان في سنة أربعة وعشرين من القرن التاسع وأما الآن فما بقى إلا الإفادة بالهمة والحال لكون الله تعالى سامع النفوس فيما تخوض فيه وغفر لها ، ومع هذا يقع لهم الفتح والوصول مع أن الأوائل كانوا لا يسامحون التلميذ في أقل قليل ولو وقع منه فلتة لطرده إلا أن تدركه عناية إلهية يعامل بالتوبة ، غير أن أهل هذا الوقت فإنهم يسامحون في الأمور العظيمة ولم يقع لهم طرد ويقع لهم مع هذا الفتح والوصول إلى الله جل جلاله ، فسبحان المتفضل على من يشاء بما يشاء من عباده - لا يستل عما يفعل - لالعة سبقت ولا لأجل مانع بل بمحض الفضل والجود والكرم ، جعلنا الله منهم بمنه بمحض فضله وكرمه آمين اه . وفي [غص] جميع الأولياء الأحياء والأموات قد ترحزحت أبوابهم للخلق وما بقى مفتوحا إلا باب رسول

(١) وإلى هذا التاريخ أشار بعضهم بقوله :

وفقدت تربية بالاصطلاح

سنة كد قرن طسنه فارغ الصحاح اه مصححه .

الله صلى الله عليه وسلم ، فأُنزل كل شيء توجّه به الناس إليك برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه شيخ الناس كلهم وحكم الخلق كلهم بالنسبة إليه كالعبيد والعلماء الذين في خدمته فهو يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون اهـ. وفي [جلد] قلت لشيخنا رضى الله عنه : هل آخذ عن أحد بعدكم العهد إن سبقتم بالوفاة؟ فقال رضى الله عنه ، لا تنقيد بعدى على صحبة أحد من هؤلاء المشايخ الظاهرين في النصف الثاني من القرن العاشر لتعذر الوفاء بحق كل منكم على صاحبه لكن لا بأس بزيارتهم كل قليل ، فقلت له فهل أمر بذلك جميع أصحابكم من بعدكم ؟ فقال رضى الله عنه : لا تنقيد على أحد منهم فإن الله تعالى خواص في كل عصر يقبلون الترقى على يد من شاء الله تعالى ، على أن الطريق الآن قد صارت اسما لارسمها وتزني المريدون بزى الأشياخ وتلبس على أكثر الناس أمر الشيخ وتمييزه عن المريد ، بل ربما ادعى المريد أنه أعرف من شيخه بالطريق وتبعه أكثر الناس على دعواه . قال : ولما علم سيدى إبراهيم المتبولى رحمه الله انحلال القلوب من بعضنا لم يأمر مريدا بالتقيد عليه ولا على غيره ، وكذلك تلامذته من بعده كالشيخ محمد بن عنان والشيخ محمد المنير والشيخ محمد النامولى والشيخ يوسف الكروى والشيخ أبى العباس العمرى ، فلم يتصدر أحد منهم لتلقيين يدين وقالوا : لا ينبغي للفقراء في هذا الزمان أن يتصدر أحد منهم للطريق لعدم اجتماع الشروط فيهم وفي مريدهم ، فقلت له فما الدليل على ذلك؟ فقال رضى الله عنه : الدليل على ذلك الوجود المشاهد فيلقن الواحد لآلف مريدا أكثر فلا ينتج منهم واحد لتخرق أوعيتهم عن مكث شيء من الأدب فيها فحكمهم كحكم من يفتح المكتب بعد عصر يوم الخميس ليقرأ الأبطال ، ثم قال : ويتقدير أن الأطفال يأتون بهم إلى الفقيه بعد عصر يوم الخميس فلا يقدر على جمعية قلوبهم على الفقيه بل قلوبهم شاة وماع الفقيه إلا أجسامهم من غير روح فافهم ، انظره . ثم قال : وقد اجتمع بعض مشايخنا بالمهدى عليه السلام وأخبروه بوقت ظهوره وأنه قرب وقت ظهوره ورفع ستوره وأنه يخرج حين تملأ الأرض ظلما وجورا كما كانت ملئت قسطا وعدلا . قال الشيخ : وقد وجد الظلم والجور حتى في خواص الناس وعوامهم إلا ما شاء الله ، وكثرت الدعوى في خواصنا بغير حق وخرجوا بنفوسهم لدعوة الخلق إلى غير الحق كأنهم حرم مستنفرة قرت من قسورة ، بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة - وكيف يخاف من صمت أذناه وعميت عيناه بحلول الشيطان ووساوس الحرمان حتى لا يسمع قول الحق على لسان رسول الحق - قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين - وكيف يدعى الوصول من هو عن عبوديته الكاملة مفصول؟ وكيف اتصال من هو على الحقيقة في انفصال ؟ اهـ والله أعلم . قال رحمه الله :

(وَلَا بُدَّ مِنْ تَعْظِيمِ كُلِّ مُقَدِّمٍ وَكُلِّ خَلِيفَةٍ مِنْ أَنْسٍ وَجَنَةٍ
لَهُمْ حُرْمَةٌ كَحُرْمَةِ الشَّيْخِ فَارْزَعَهَا وَكُنْ بِأَذِلَّةٍ لَهُمْ صَفَاءَ مَوَدَّةٍ
فَهُمْ مِثْلُ آبَاءٍ بَلْ أَكْثَرُ مِنْهُمْ فَقَامُوا الْمَقَامَ فِي الدُّعَاءِ بِحِكْمَةٍ)

(ولا بد) لا مندوحة ولا محالة (من تعظيم) وتبجيل وتوقير (كل مقدم) لتلقيين الورد الأحمدى والنور المحمدى (و) تعظيم وتبجيل وتوقير (كل خليفة) من خلائف سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنايه آمين ، وفي الحديث « البركة مع أكابرنا فمن لم يرحم صغيرنا ولم يحل كبيرنا فليس منا » وفي آخر

« الأكبر من الإخوة بمنزلة الأب » أى فى الإكرام والاحترام والرجوع إليه والتعويل عليه وتقديمه فى المهمات ، والمراد الأكبر ديناً وعلماً وإلا فسنا . وقد قيل من لم يعظم حرمة من تأدب به حرم بركة ذلك الأدب . وفى [مح] اعلم وفقنى الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الخلافة عبارة عن نيابة الشيخ الذى كان الخليفة خليفة عنه لأنه يوصل إلى التلاميذ ما كان الشيخ يوصله إليهم من الأذكار والأوراد والأحزاب والأسرار والتوجيهات والمقاصد والخلوات والآداب والعلوم والمعارف ، والحاصل أنه يفعل لهم وبهم ما كان الشيخ يفعله ، وله عليهم من الحقوق جميع ما كان للشيخ عليهم بحكم الخلافة والنيابة . فإن قلت : ما الفرق بين الخليفة والمقدم ؟ فالجواب : أن المقدم من أمره أو أذن له بالإذن وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها بتلقي الأذكار اللازمة مع بعض الأذكار التى يختص بها الخواص ومن له حدينتهى إليه ، ولكل مقدم صادق مرتبة عظيمة تجب بها طاعته واحترامه ، ثم قال : وليس الخليفة كذلك بل هو نائب عن الشيخ مطلقاً ، فلذلك كان المقدمون وتلاميذهم من جملة رعية الخليفة تجب عليهم طاعة الخليفة لأن وجوب الامتثال للخليفة وحرمة مخالفته تجب على جميع أهل الطريقة يستوى فيه من لقنه الخليفة ومن لقنه غيره لمرتبة الخلافة ، فاعلم هذا واعمل عليه ترشداً والله يهتدى من يشاء إلى صراط مستقيم . وفيه : وإياك أن تظن أن مرتبة الخليفة ومرتبة المقدم فى إعطاء الورد من غير أن يجعل خليفة على حد سواء ، بل المقدم من جملة رعية الخليفة تجب عليه طاعة الخليفة هو وجماعته كما يجب على جماعته طاعته ، وهذا الحكم وهو وجوب الامتثال للخليفة وحرمة مخالفته يجب على جميع أهل الطريقة يستوى فيه من لقنه الخليفة ومن لم يلقنه لمرتبة الخلافة ، انظره . وفى [جه] وعليكم بطاعة المقدم بإعطاء الورد مهما أمركم بمعروف أو نهاكم عن منكر أو سعى فى إصلاح ذات بينكم . وفى الحديث « إنما الطاعة فى المعروف ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » وفى [مح] اعلم أن الشيوخ رضى الله تعالى عنهم كما كانوا وراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونوابه فى تبليغ شريعته المظهرة إلى أمته ووجب على الأمة تعظيمهم وتوقيرهم وطاعتهم وحررهم على كل متدين مخالفتهم بحكم الوراثة لأن للوراث ماللموروث . ولما كان الأمر كذلك كان من قدمه الشيخ من التلاميذ والمريدين بحكم النيابة يجب على من سواه طاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه ، وتحرم عليه مخالفته وعصيانته واحتقاره وعدم المبالاة به لأن من خالفه فإنما خالف الشيخ الذى قدمه ، ثم قال : قال السيد محمد بن المختار الكنتى : قلما أفلح مريد فطم قبل أو أن فطامه ، بل متى مات شيخه أو فصله عنه عارض وكان له نائب أو خليفة تعين عليه ملازمته برسم ما كان عليه من الشيخ ، ومتى لم يخلف نائباً ولا خليفة لزمه الانتقال إلى مرشد أو شيخ يتخذه فى بقية سيره . قلت : كلام هذا الإمام هو فص المقام لأنه لما تعين على المريد طاعة من كان نائب شيخه الذى مات أو فصله عنه عارض والحال أن شيخه ما أمره بتصريحاً بطاعة ذلك النائب والخليفة بل إنما تعين عليه طاعته لكونه نائب شيخه أو خليفته ، فما ظنك بشيخ أمرك شيخك بطاعته أو كان المقدم هو الذى لقنك الأذكار ونظمتك فى سلك أهل الطريقة ، انظره :

يارب جازهم بالرضوان	والخير والإحسان والغفران
وبجوار أحمد التجانى	مع جوار المصطفى العدنان
عن سائر الأحباب والإخوان	فاجمع بهم شئلى بالامتنان
آمين آمين ختام الله	على لسان المؤمن الأواه

وفي [جد] فقلت له أي لشيوخه سيدى على الخواص رحمه الله : إن طائفة من أهل زماننا يدعون أنهم خلفاء أشياخ من الأكابر وهم على طائفة من الجهل؟ فقال رضى الله عنه : لا ينبغي لمريد أن يتشرف بشيخه إنما ينبغي له أن يتشرف به شيخه ، ومن كان جاهلا وانتسب بأنه خليفة ولى فقد أزرى فلانهم يقولون من لم يجتمع بشيخ مات فليجتمع على تلامذته يحيط به علما. على أن طريق الولاية لا تؤخذ بالخلافة والاستخلاف . وقد حكى أن سيدى أبا الحسن النورى رضى الله عنه قال لبعض الفقراء : من أنت ؟ قال من أصحاب الشبلى ، فنظر إليه نظر الغضب وقال : قل خادمه فإن مقام الصحبة عزيز ، انظره (من إنس وجنة) بكسر الجيم أى سواء كانوا من الإنس أو من الجن رضى الله عنهم وعناهم آمين . وفي [غ] عن بعض الأصحاب رضى الله عنه : أن الكمل أهل التربية والإرشاد من أهل طريقة يبلغ عددهم ستمائة من الإنس وثلاثمائة من الجن ، ثم قال أو قريبا من هذا والذهن خواراه ^(١) . والظاهر أن قوله أو قريبا من هذا راجع لعدد الكمل من الجن ، وقال السيد المذكور عقب هذا مانصه : ثم قال رضى الله عنه : يعنى سيدنا جعلنا الله فى حماه : كلها منى وإلى : يعنى الطرائق التى يربى بها الكمل المذكورون ، انظرها . ومن مطالبه رضى الله عنه وعنا به آمين كما فى [جه] يارب أن توصل على يدى إلى المعرفة كذا وكذا من الإنس والجن عددا كثيرا ما طلبه أحد من أولياء الله تعالى فيها سمعنا اه وفي [جع] ومن كراماته رضى الله عنه أنه قال : ضمن لى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم من الأصحاب كرامة من الله وفضلا ألف ألف ألف من الرجال إلى أن تعد أربع مراتب ، ومائة ألف ألف ألف من النساء اه : يعنى إلى أن تعد ثلاث مراتب ، وقد مر أن طرق الكمل من أصحاب سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين فى بنى آدم أزيد من عشرة آلاف طريق كل طريق لتلميذ من تلامذته ، وكل طريق تتفرع بفروع كثيرة إلى قيام الساعة - وما يعلم جنود ربك إلا هو - ويخلق ما لا تعلمون - (لهم) أى لساداتنا المقدمين والخلفاء رضى الله عنهم وعناهم آمين علينا معشر الإخوان (حرمة) عظيمة لأنهم نواب وأمناء سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (كحرمة) سيدنا (الشيخ) رضى الله عنه وعنا به آمين :

ظلمتك إذ شئت ثغرك بالمسك وقاعدة التشبيه نقصان ما يحكى

(فارعا) أى احفظها وصنها . وفي [جه] وأما سقوط حرمة فهى أكبر قاطع عن الله وسقوط الحرمة هى عدم ظهور المبالاة إذا أمره أو نهاه اه . وفي [مح] اعلم أنه لا شىء أضر على المريد من مخالفة الأشياخ وعدم امتثال أوامرهم والاعتراض عليهم وعلى الأولياء رضى الله تعالى عنهم ، وترك تعظيمهم واحترامهم وعدم قبول إشارتهم فيما يشيرون به عليه . قال فى [تحفة الإخوان] فالآداب التى تطلب من المريد فى حق الشيخ أوجبها تعظيمه وتوقيره ظاهرا وباطنا وعدم الاعتراض عليه فى شىء فعلة ولو كان ظاهرا أنه حرام ويؤول ما اتهم عليه وتقديمه على غيره وعدم الالتجاء لغيره من الصالحين ، ثم قال : ومنها أن يحفظه فى غيبته كحفظه فى حضوره وأن يلاحظه بقلبه فى جميع أحواله سفرا أو حضرا لتعمه بركته ، ومنها أن لا يعاشر من كان الشيخ يكرهه ومن طرده الشيخ عنه . وبالجملة يجب أن يحب من أحبه الشيخ ويكره من يكرهه . ومنها أن يرى أن كل بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة فببركته ، ثم قال : وأن لا يكلفه شيئا ، حتى لو قدم من سفر لكان هو الذى يسعى ليسلم على الشيخ لا ينظر أن الشيخ يأتيه للسلام عليه اه . وقال فى [الخلاصة المرضية] ومن شرط المريد أن لا يصحب من الشيوخ إلا من تقع له حرمة

في قلبه وأن يبايعه على المنشط والمكروه ، وأن لا يكتف عن شيخه شيئا مما يخطر له وأن لا يعترض عليه فيما يكون منه ، انظاره . ومما يجب عليه أيضا أن يراعى حرمة في ذريته وزوجاته وأقاربه في غيبته كحضوره في حياته وبعد مماته . وفي [جه] وأما الاعتراض بالقلب أو باللسان فإنه سيف صارم يقطع الحبل بين الشيخ ومريده ، فلا يعترض شيئا من أمور الشيخ ، فإن لم توافق ما عنده من ظواهر العلم أو باطنه فليعلم أن هناك دقائق بين الشيخ ورب لا يدرها التلميذ ، والشيخ يجري على منوال تلك الدقائق التي بينه وبين ربه فإذا خالف صورة ظاهر الشرع فليعلم أنه في باطن الأمر يجري على منوال الشرع من حيث لا يدره الخلق اهـ . وللشريشي رضي الله عنه :

ولا تعترض يوما عليه فإنه كفيل بتشتيت المريد على هجر

ومن يعترض والعلم عنه بمعزل يرى النقص في عين الكمال ولا يدرى

وفي [شب] وقد قالوا إن مخالفة المريد لشيخه في قوله أو فعله سم قاتل ، فمن صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة ، ثم قال : وقد قال الجنيد لبعض تلامذته حين سأله عن مسألة وأجابه عنها فعارضه - فإن لم تؤمنوا لي فاعتزلوني - وما أطف قول الإمام الجبلي رحمه الله :

وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا إلى شيخ حق في الحقيقة بارع

فقم في رضاه واتبع لمراذه ودع كلما من قبل كنت تصانع

وكن هنده كالميت عند مغسل يقلبه ماشاء وهو مطاوع

ولا تعترض فيما جهلت من أمره عليه فإن الاعتراض تنازع

وسلم له فيما تراه وإن يكن على غير مشروع فثم مخادع

ففي قصة الخضر الكريم كفاية بقتل غلام والكايم يدافع

فلما أضاء الصبح عن ليل سره وسل حساما للمحاجج قاطع

أقام له العذر السكيم وإنه كذلك علم القوم فيه بدائع اهـ

وفيه : وقال ابن عباد في شرح الحكم نقلًا عن أبي القاسم القشيري : ورد في الخبر الشيخ في أهله كالنبي في أمته ، وقال ابن العربي في الفتوحات :

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله فقم بها أدبا لله بالله

هم الأدلاء والقربى تؤيدهم على الدلالة تأييد على الله

الوارثون هم للرسول أجمعهم فما حديثهم إلا عن الله

كالأنبياء تراهم في محاربهم لا يسألون من الله سوى الله اهـ

[تنبيه] ومما يجب على المريد كتمان ما أسر شيخه إليه من الأسرار الإلهية أو الأمور العادية إذ لا يوجب ذلك عندهم إلا للأمناء ، ويرحم الله من قال :

من سار روه فأبدى السر منكشفا لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

وأبغضوه فلا يحظى بقر بهم وأبدلوه مكان الأنس بإحاشا

ثم قال : فالشيوخ نواب الحق في العالم كالرسل عليهم الصلاة والسلام في زمانهم بل هم الورثة للدين ورثوا علم الشرائع عن الأنبياء ، غير أنهم لا يشرعون فلهم رضي الله عنهم حفظ الشريعة

في العموم ومألفهم التشريع ولهم حفظ القلوب ومراعاة الآداب في الخصوص اهـ . وفي [عف] فليعتبر المريد الصادق ويعلم أن الشيخ عنده تذكرة من الله ورسوله ، وأن الذي يعتمد عليه مع الشيخ عوض مالو كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتمده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : فهكذا ينبغي أن يكون المريد مع الشيخ . قال أبو عثمان : الأدب عند الأكابر وفي مجالسة السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلى والخيرات في الأولى والعقبى ؛ ألا ترى إلى قول الله تعالى - ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم - ثم قال : وفي هذا تأديب للمريد في الدخول على الشيخ والإقدام عليه وتركه الاستعجال وصبره إلى أن يخرج الشيخ من موضع خلوته . سمعت أن الشيخ عبد القادر رحمه الله كان إذا جاء إليه فقير زائر يخبر بالفقر فيخرج ويفتح جانب الباب ويصافح الفقير ويسلم عليه ولا يجلس معه ويرجع إلى خلوته ، وإذا جاءه أحد من ليس في زمرة الفقراء يخرج ويجلس معه فخطر لبعض الفقراء نوع إنكار لتركه الخروج إلى الفقير وخروجه لغير الفقير فأنهى ما خطر للفقير إلى الشيخ فقال : رابطتنا معه رابطة قلبية وهو أهل وليس عنده أجنبية فنكثني معه بموافقة القلوب وتنعج بها عن ملاقة الظاهر بهذا القدر ، وأما من هو من غير جنس الفقراء فهو واقف مع العادات والظاهر فتي لم يوف حقه من الظاهر استوحش ، فحق المريد عمارة الظاهر والباطن بالأدب مع الشيخ . قيل لأبي منصور المغربي كم صحبت أبا عثمان ؟ قال خدمته لاصحبته ، فالصحبة مع الإخوان والأقران ومع الشيخ الخدمة انظره . وقد كان سيدنا أبو الفيض رضي الله عنه وعنايه أمين لا يزيد على : السلام عليكم مع أصحابه بخلاف الأجانب فإنه يجالسهم ويلطفهم غاية الملاطفة بالمؤمنين رءوف رحيم ورائة محمدية انظر [جه] وفي [عف] أيضا : ومن الأدب مع الشيخ أن المريد إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو أمر دنياه لا يستعجل بالإقدام على مكالمته واليهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولسماع كلامه ، وقوله متفرغ ؛ فكما أن للدعاء أوقاتا وآدابا وشروطا لأنه من معاملة الله تعالى ، ويسأل الله تعالى قبل الكلام مع الشيخ التوفيق لما يحبه من الآداب ، وقد نبه الحق سبحانه وتعالى على ذلك فيما أمر به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مخاطبته فقال - يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة - يعني أمام مناجاتكم ، انظره .

[تنبيه] اعلم أن مناجاته بعد وفاته كمناجاته في حياته صلى الله عليه وسلم في الأمر بذلك ، ولهذا كان بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه لا يقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بعد تقديم ماتيسر من الصدقة ولو الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . وفيه وقال أبو عثمان : صحبت أبا حفص وأنا غلام حدث فطردني وقال لا تجلس عندي فلم أجعل مكافأتي له على كلامه واعتقدت أن أحفر لنفسي بئرا على بابه وأنزل وأقعد فيه ولا أخرج منه إلا بإذنه ، فلما رأى ذلك مني قربني وقبلني وصيرني من خواص أصحابه إلى أن مات رحمه الله . وفيه . ومن مهام الأدب حفظ أسرار المريدين فيما يكتشفون به ويمنحون من أنواع المنح فسر المريد لا يتعدى ربه وشيخه ، ثم يحقر الشيخ في نفس المريد ما يجده في خلوته من كشف أو سماع خطاب أو شيء من خوارق العادات ، ويعرفه أن الوقوف مع شيء من هذا يشغل عن الله ويسد باب المزيد ، ويعرفه أن هذه نعمة تشكر ومن ورائها نعم لا تحصى ، ويعرفه أن شأن المريد طلب المنعم لا النعمة حتى يبقى سره محفوظا عند نفسه وعند شيخه ولا ينبيح سره فإذا أذاع الأسرار من ضيق الصدر وضيق الصدر الموجب لإذاعة السر بوصف به

النسوان وضعفاء العقول من الرجال ، ثم قال : وينبغي للمريد أن يحفظ سره من بثه ، ففي ذلك صحته وسلامته وتأيد الله سبحانه وتعالى بتدارك المريدين الصادقين في موردتهم ومصدرهم اهـ (وكن باذلاً) من بذل الشيء بذال معجزة أعطاه (لهم) أى لساداتنا المقدمين والخلفاء رضى الله عنهم وعنايتهم آمين (صفاء مودة) أى مودة صافية من الأغراض النفسانية والأهواء الشيطانية إذ هي التي عليها المدار في هذه الدار وفي تلك الدار . وفي [هب] والشيخ لا يطلب من مريده خدمة ظاهرية ولا دنيا ينفقها عليه ولا شيئاً من الأعمال البدنية وإنما يطلب منه هذا الحرف لا غير وهو أن يعتقد في الشيخ الكمال والتوفيق والمعرفة والبصيرة والقرب من الله عز وجل ، ويدوم على هذا الاعتقاد اليوم على أخيه والشهر على أخيه والسنة على أختها ، فإن وجد هذا الاعتقاد انتفع المريد به ثم بكل ما يخدم به الشيخ بعد ذلك وإن لم يوجد هذا الاعتقاد أو وجد ولم يدم فلن عرضت فيه الوسوس فالمريد على غير شيء ، وكنت ذات يوم معه بقرب باب الحديد أحد أبواب فاس حرسها الله تعالى ومعنا بعض الناس وكان يخدم الشيخ كثيراً ويتسخر له في كل ما يعين ويعرض حتى إنه لا يبلغه في ذلك أحد من أصحابه رضى الله عنه فقال له الشيخ رضى الله عنه أنحبني يا فلان لله عز وجل ؟ فقال نعم ياسيدي محبتي خالصة لوجه الله الكريم لارياة فيها ولا سمة فغير في ذلك حين سمعته ، فقال له الشيخ أفرأيت إن سمعت أني سلبت وزالت الأسرار التي في ذاتي أتبقى على محبتك ؟ قال نعم ، فقال الشيخ فإن قالوا لك رجعت طراحاً أو زبالاً أو نحو ذلك أتبقى على محبتك ؟ قال نعم ياسيدي ، قال الشيخ فإن قالوا لك إن رجعت عاصياً أرتكب المخالفات ولا أبالي أتبقى على محبتك ؟ قال نعم قال الشيخ وإن مرت على وأنا على ذلك سنة ثم سنة ثم سنة إلى أن عد عشرين سنة ؟ قال نعم ولا يدخلني شك ولا ارتياب ، فقلت للرجل ويحك إن هذا أمر لا تطيقه ، فقال له الشيخ إنى سأختبرك ، فقلت للرجل ويحك هذا أول الحرف عليك ، وكيف يطيق الأعمى أن يختبره البصير فاطلب من الشيخ العفو والعافية واعترف له بالعجز والتقصير وأنا معك في ذلك ، ثم تضرعنا إليه جميعاً في الإقالة والعفو فسبق ماسبق إلى أن اختبره بأمر فيه صلاحه فلم يظهر له وجه فلم يطقه فتبدلت نيته في الشيخ رضى الله عنه .

قلت : وسر الله لا يطيقه إلا من كان فخاره صحيحاً بأن يكون صحيح الجزم نافذ العزم ماضى الاعتقاد ، لا يصغى لأحد من العباد قد صلى على من عد من شيوخه صلاته على الجنائز اهـ . وفي [جدد] سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : من سوء أدب المريد أن يقول لشيخه اجعلني على بالك ، فقلت له ما وجه سوء أدبه ؟ فقال رضى الله عنه : في ذلك استخدام للشيخ وتهمة له وأمر له أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير . فإن قلت : العارف لا يسعه غير الاشتغال بالحق تعالى . قلت له : أما قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أسألك مرافقتك في الجنة » فقال رضى الله عنه أما ترى قوله للسائل « أعني على نفسك بكثرة السجود » فحوله صلى الله عليه وسلم إلى غير ما قصد من الراحة في الدنيا والاعتماد على رسول الله صلى الله عليه وسلم دون العمل فقلت له كيف ولا بد للمريد من التحجب إلى شيخه بالأدب والخدمة وكل ذلك مما يميل قلب شيخه إليه وإذا مال قلب الشيخ لغير الله انقطع مدد المريد ؟ فقال رضى الله عنه : الواجب على المريد الخدمة والحق تعالى مطلع على قلب وليه فإذا رأى فيه محبة لهذا المريد قضى حاجته التي يطلبها من شيخه غيرة على قلب وليه أن يدخله محبة لسواه والله عليم حكيم اهـ (فهم) رضى الله عنهم وعنايتهم آمين في التبجيل والتوقير (مثل آباء) أى مثل آبائنا في وجوب

طاعتهم والبر بهم ، قال تعالى - وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا - الآية - ووصينا الإنسان بوالديه حسنا - الآية . وفي [عف] عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطيب يمينه وكان يأمر بثلاثة أحجار وينهى عن الروث والرمة » اه . والرمة بكسر الراء : العظام البالية . وفي [مع] عن الخلاصة المرضية . والشيخ من جنود الله تعالى يرشده المريد ويهدي به الطالبين ، فعلى المشايخ وقار الله وبهم يتأدب المريد وظاهرا وباطنا قال تعالى - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده - والمشايخ لما اهتدوا أهلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة للمتقين ، فيسوس الشيخ نفوس المريد كما يسوس نفسه من قبل بالتأليف والنصح ، فبذلك يصير المريد كالجزء من الشيخ كما أن الولد جزء من الوالد في الولادة الطبيعية ، وتصير هذه الولادة الثانية ولادة معنوية كما روى عن عيسى عليه السلام : لن يلج ملكوت السماء من لم يولد مرتين ، ومن صرف اليقين على السكمال يصل لهذه الولادة ، وبهذه الولادة يستحق ميراث الأنبياء ، ومن لم يصل ميراث الأنبياء ما ولده . أى وإن كان على كمال من الفطنة والذكاء لأن الفطنة والذكاء نتيجة العقل ، والعقل إذا كان يابسا من نور الشرع لا يدخل الملكوت ولا يزال مترددا في الملك ، ولهذا وقف على برهان من العلوم الرياضية لأنه تصرف في الملك ولم يرتق إلى الملكوت ، والملك ظاهر الكون والملكوت باطن الكون ، انظر [عف] وفيه الولادة الظاهرة يطرق إليها الفناء والولادة المعنوية محمية من الفناء لأنها وجدت من شجرة الخلد وهى شجرة العلم لا شجرة الحنطة التى سهاها إبليس شجرة الخلد فيبليس يرى الشئ بضده ، فبين أن الشيخ هو الأب معنى انظره ، فقد أظن في القضية رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه أمين (بل) هم رضى الله عنهم وعناهم أمين (أعظم) وأكثر (منة) وحرمة وحقوقا علينا من آباءنا وأمهاتنا أدى الله عنا حقوق الجميع بمنه وكرمه أمين - رب ارحمهما كما ربياني صغيرا - رب اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب - وهم أحق بقوله :

فأبأؤنا بأمن منه علينا اللآئى قد مهدوا الحجورا

وفي [مع] عن القشيري : واعلم أن بر الأصاغر من تلامذة الشيوخ والأساتيد يكون أكثر من برهم لو لديهم لأن الوالد يحمى ولده من آفات الدنيا والشيخ يحمى تلميذه من آفات الآخرة ، والأب يربي ولده باللقمة الفانية والشيخ يربي تلميذه بالهمة الدائمة ، ورحم الله من قال :

فررت إلى الرحمن مما جنت يدي	وأولى أولى الألباب من مهجتي فضلا
هم خير خلق الله فأنعم بقرهم	وقر بهم عينا وأكرم بهم نزلا
فجياهم الرحمن كل تحية	فأكرم بهم فرعا وأكرم بهم أصلا
تذليل : مشايخنا يدعون للرشد والهدى	بنصح وهمة فقل مرحبا أهلا
ويارب جازهم بعفو وبالرضا	وبالخير والإحسان في منزل أعلى
ومن قال : لئن كنت برا فزت بالبر والتقى	ووافيت تقوى الله في السر والجهر
وفزت مع الأبرار في كل موطن	وذاك سرور دائم أبدا يسرى انظره

وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتهاون بمخالفة أغراض

والدين ولو مباحة ففعلها كأنها واجبة او مندوبة ونتجنب كل ما يكرهونه كأنه حرام أو مكروه، وذلك لأن الشارع لم يذكر للعقوب ضابطا يرجع إليه وإنما ذكر أننا لا نخالفهم فيما يطلبونه منا ، ويحتاج العامل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ صادق حتى يعرفه مقام الوالدين عند الله تعالى ، وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لا يأكل مع والدته قط في إثناء واحد خوفا أن يسبق بصرها إلى لحمه أورطية (١) أو عنبه أو تينة فيأكلها وهو لا يشعر ، ثم قال : واعلم يا أخى أن لا فرق في النهى عن مخالفة الوالدين بين والد الجسم ووالد القلب ، بل مخالفة والد القلب أشد لأنه ينقذ من النار أو مما يقرب من النار ، وأما والد الجسم فإنه كان سببا في إيجاده في أسفل المراتب فكأنه أوجده كالطينة أو الحديد المصدأة فلم يزل والد القلب يلطفه حتى صار كالبلور الأبيض أو كالذهب المصنقى ، وأيضا قالوا : أبو الجسم كان سببا في مجاورته للحبوانات والبهايم وأبو الروح كان سببا في مجاورته لأهل حضرة الله تعالى من الألياء والملائكة والشهداء والصالحين : وسمعت سيدى عليا الخواص يقول : لا يقدر أحد أن يجازى شيخه على تعليمه أدبا واحدا في الطريق ولو خدمه ليلا ونهارا إلى أن يموت ، انظره . وفى [مح] والفرق بين شفقة الشيخ على التلميذ وبين شفقة الوالدين على الولد جلى ظاهر لأن الشيخ يدل التلاميذ على طريق السداد ويسلك بهم سبيل النجاة والرشاد ويمنهم عن طريق الشر والفساد ، فإن هذه الشفقة من شفقة الوالدين على ولدهما التى غايتها الموت ولا بد منه ، وشفقة الشيخ على التلاميذ مما يوجب الطرد والإبعاد والعطب أبد الآباد ، وما أحسن قول القائل رحمه الله :

فضل المعلم قدر ليس يبلغه حنو أم ولا يحويه فضل أب
فذا يدبر فى الدنيا معيشته وذا يمكنه من أفضل الرتب

ثم قال : قال السيد محمد بن المختار الكنتى رضى الله عنه بحجبا من سأله : وأما حديث «من علمك حرفا فهو مولاك» فصحيح صريح في تعظيم المعلمين ووجوب توقيرهم وبرهم والإحسان إليهم وإناقة منزلتهم والتنويه بمسكاتهم وإزائهم من المتعلمين منزلة الموالى الواجب احترامهم وخدمتهم على العبيد المتعين عليهم الإجلال والخدمة لمواليهم كما يشهد له حديث «بجلوا المشايخ فإن تبجيلهم من تعظيم جلال الله تعالى» على أنهم متفاوتون في الرتب فمرتبة معلم الخير دون مرتبة المربي إذ المعلم إنما هو مرشد إلى إقامة رسوم التعبد برعاية حدود الشريعة الظاهرة وإقامة الأحكام المتعلقة بالحلال والمربي مرشد إلى الإخلاص في التعبد والقيام بحقوق العبودية وتهذيب الأخلاق وتنقيح الأحوال وتركيز الأعمال وتخليه النفوس من العيوب والأكدار وتخليتها بنفائس الأسرار والأنوار وتصفية القلوب من الحجب المانعة لها عن مطالعة الغيوب ، فهذا الشيخ الوارث لثبته الراشد الداعى إلى السنن المستقيم والمهيج السديد المخرج من ظلمات الأهواء المضلة والآراء المذلة إلى أنوار التوفيق ومسالك التحقيق . فالأول دون الوالد في مرتبة البرور ، والثانى : أرفع منه وأولى بالبرور والتوقير من وجوه أغفلناها خوف التطويل ، وفيه عن الجنيد : أمرنى أبى بأمر وأمرنى السرى بأمر فقدمت أمر السرى على أمر أبى وكل ما وجدته فهو من بركاته ، انظره : وفى [عم] والله لو وقف المريدون على الجمر بين يدى أشياخهم منذ خلق الله الدنيا إلى انقضائها لم يقوموا بواجب حق معلمهم في إرشادهم إلى إزالة تلك الموانع التى تمنعهم من دخول حضرة الله تعالى ، وإذا كان العبد يحب من أعطاه العزيمة والبخور حتى فتح المطلب ولا يكاد يبغضه مع كون

(١) بهم راء وفتح طاء ام .

ذلك مكروها لله عز وجل ، فكيف بمن يعطيه الاستعداد الذي يدخل به حضرة الله عز وجل حتى يصير معدودا من أهلها بل من ملوك الحضرة ، والله إن أكثر الناس اليوم في غمرة ساهون ، نسأل الله تعالى اللطف بنا وبهم . وقد سمعت سيدي عاليا الخواص رحمه الله يقول : لا يطلب من غالب أهل هذا الزمان كمال مقام الإيمان فإنه متعذر جدا ، وإنما السعيد كل السعيد من خرج من الدنيا ومعه راحة الإيمان ، ومن ادعى منهم كمال الإيمان كذبته أفعاله من الانهماك على الدنيا وندمه على فواتها أكثر من ندمه على فوات محالسته الله عز وجل ، وسمعته يقول : من علامة نقص الإيمان في العبد عدم تأثره على فوات شيء من مرضات الله عز وجل ، وعدم حفظه لجوارحه مع علمه بأنه يحاسب على جميع ما فعل ، انظره ، ولذا قال بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه فيما كتب به لبعض الخاصة متعنا الله ولياه بالرضا الأبدى والسر السرمدى آمين :

ودع مذنباً أرخى الحمول ذبوله	عليه ولم يرد سواء الحكمة
ولم ييغ شيئا من مقامات أوليا	فياليتنه يفوز يوم ابتوبة
أمن صاب أن يكون في الوقت مسلما	فياويح من يبغي مراتب شيخة
فيارب فارحنا بمحض العناية	وشفع رسول الله فينا بمنة

وفي [عف] عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من علم عبدا آية من من كتاب الله فهو مولاه ينبغي له أن لا يتخذله ولا يستأثر عليه ، فن فعل ذلك فقد عصم عروة من عرى الإسلام » اه :

هذه علقى وأنت طيبي	ليس يخفى عليك في القلب داء
الأمان الأمان إن فؤادي	من ذنوب أتيتن هباء

- ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا - آمين :

يارب جازهم بالغفران	والخير والإحسان والرضوان
وبجوار المصطفى العدنانى	في مقعد الصدق لدى الرحمن
وبجوار أحمد التجانى	عن ذا العبيد وعن الإخوان
وأعف عن الجميع في التقصير	بمحض فضل العفو والغفران
وامن على الجميع بالرضوان	بمحض فضل الله والرحمن
تحت لواء أحمد التجانى	تحت جناح المصطفى العدنانى
صلى عليه الله دون عدد	والآل والصحب وكل مهتد
آمين آمين ختام الله	على لسان المؤمن الأواه

(فقاموا) رضى الله عنهم وعناهم آمين (المقام) أى مقام سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعناهم آمين (في الدعاء) للخلق إلى طريق الرشاد الموصلة إلى رب العباد (بحكمة) وهى العلم والعدل والقرآن . قال الحنفى : وهى كل كلمة وعظمتك وزجرتك ، أودعتك إلى مكرمة ، أو نهتك عن قبح ، فهى أنخص من مطلق العلم اه . قال تعالى - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة - الآية . وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا نقطع برنا وجسلتنا عن عصي أمرنا أو وقع فى عرضنا ، بل نعامل الله تعالى المعاملة

الحسنة في عباده كما يعاملنا هو تعالى ولا يقطع بره وإحسانه عنا، وربما وقعنا في أمور نستحق بها الخسف بنا في قعر بيوتنا، وقد كان مالك بن دينار رضى الله عنه يقول : والله لو أن الناس اطلعوا على ما يستره الله منا لرجونا ، وكان يقول : والله لو كان للذنوب رائحة ما استطاع أحد من الناس أن يجالسني من تنديجي ، فإذا كان هذا حال خيار التابعين في اتهام نفوسهم بالسوء فكيف بأمثالنا عبید القروج والبطون . فعلم أن الواجب على كل داع إلى الله تعالى مداراة المارقين عن الأدب بالبر والإحسان لا الحرمان والكلام المرء ، فإنه راع وكل راع مسئول عن رعيته، وقد نفرت نفسي من الفقراء المجاورين مرة فأردت مفارقتهم فرأيت سيدي عليا الخواص تلك الليلة وهو يقول لي : قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصبر على أصحابك طالبا وجه الله وتعهدهم بالموعظة الحسنة كل حين ، ولا تكن كمن غضب على غنمه في البرية حين انتشرت معه في أرض وعرة فرجع إلى البلد وتركها للدئب يفرسها اه . وفي [عم] يتعين على الشخص أن يوطن نفسه على تحمل أذى من يأمره من إخوانه بترك الدنيا وهو لم يشرف على الدار الآخرة بقلبه، فإنه كالكلب العاكف على الجيفة كل من منعه من الأكل منها يكشر أسنانه ويهيب عليه وربما عضه حتى يرجع عنه ، فليكن الشيخ إذا أمر إخوانه بترك الدنيا بسياسة ورحمة ورفق وتقديم مقدمات وذكر ما كان السلف الصالح عليه ثم يقول : يرحم الله تعالى من اقتدى بهم وليحذر من التكدر منهم بالباطن إذا عصوا أمره ، وليس عليه إلا أن يظهر لهم عدم الرضا بكثرة رغبتهم في الدنيا لا غير كما يظهر الوالد غضبه لولده إذا خالفه ويعبس في وجهه وقلبه راحم له مشفق عليه ، وربما ضربه بالعصا وربما نخست الأم ولدها بالإبرة في يده حتى أخرجت له دمه ، ومع ذلك فيقضى العقل بأن ذلك كله ليس ببغض للولد، وإنما هو لوفور شفقة والدته عليه ، فليوطن الداعي إلى الله عز وجل نفسه على سماع كل كلام مكروه فيمن يدعوهم لأنهم عمى بدعوهم إليه ثم إن انجلي حجابهم فسيشكرون النصيح والجهاد فيهم ، انظره . وفيه : وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول : ينبغي لكل من ولاه الله ولاية على الناس أن يصبر على مخالفتهم لأوامره لاسيما في أوائل الولاية حتى ترناض نفسه ويتمكن في مقام الصبر والحلم ، فإن من كانت رعيته منقادا له فهو خداع لا يظهر مقامه في الحلم ، فليقل من ضجر ممن ولاه الله لنفسه إن لم تتحمل أنت عوج رعيته فن يحمل اه . ثم قال : وربما وسوس إبليس للمريدين بالأمور المخالفة للأدب مع الشيخ من كل وجه ليعرض الشيخ للنفرة منهم فيلتقمهم كما يلتقم التمساح السمك ويصير يسخر بالشيخ ، فإنهم قالوا : حكم الشيخ حكم الصياد الذي يصطاد المريد من أفواه الشياطين ويخرجهم من تحت أسنانهم ، وقد وقع لي مرة أن جميع إخواني المقيمين في الزاوية تغيرت أحوالهم وثقل الذكروا والخير على نفوسهم حتى لم يبق تحت حكمي منهم شعرة واحدة ، فأردت الانتقال من الزاوية إلى مكان ليس فيه فقراء ، فلما أردت الخروج من الزاوية تمثل لي إبليس تجاهها وهو يصفق ويرقص ويقول لي غلب غلب غلب ، فرجعت فزاد عليهم الأمر، وطلبوا أن يحترفوا بالقرآن في ليالي الجمع وغيرها ويتركوا مجلس ذكر الله والصلاة على نبيهم صلى الله عليه وسلم احتسابا ، فتوجهت للنبي صلى الله عليه وسلم في الاستئذان في ذلك ، فرأيت سيدي عليا الخواص رحمه الله وهو واقف خلف باب لا أرى من وجهه إلا أنفه وهو يقول لي : قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم : اصبر على إخوانك طالبا وجه الله ولا تبال بمخالفتهم لأوامر الله عز وجل وتخولهم بالموعظة كل حين اه . فعلمت أن ذلك إنما كان امتحانا لي في الصبر حين وسوس لي

إيليس وقال لي: ليس لتريبتك فيهم ثمرة والإنسان إنما يزرع في أرض تنبت الزرع ومن بذر في السباخ فهو قليل العقل، وغاب عني أن الله تعالى ما طلب مني إجماعهم إلى امتثال أمره وإنما طلب مني ما طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله - إن عليك إلا البلاغ - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من وفور شفقتة يود أن لو دخل الناس كلهم الجنة فقال الله تعالى له - ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكبره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله - وقال تعالى - ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين - فكل داع إلى الله تعالى لا بد أن يقع له كما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورائة محمدية فيحجبه الله تعالى عن شهود انقسام أهل القبضتين إلى شقي وسعيد ، وعن كون ذلك حتما لا بد منه فلذلك يضيق صدر الداعي إذا عصوا أمره فيحتاج الداعي إلى الله إلى مراقبة شديدة على الدوام عرفا لأنهم قالوا مراقبة الله على الدوام من غير تخلل فترة ليس من مقدور البشر فافهم . وقد قال لي مرة شخص من حذاق المريدين المقيمين عندي : لولا كثرة مخالفتنا لك ما عظم الله أجرك ، فأنت مأجور على كل حال إن أطعناك أو عصيناك فلك الأجر من الجهتين ، فالله يزيدك توفيقا كما أيدني أمين فإنه نبهني على أن ذوق الأمور ليس هو كالسماع بها وثبتني حين زلزلت ، ثم قال : فلا يوجد أحد أتعب قلبا ولا بد نامن يتولى أمور المسلمين لغلبة وقوع الملل منه وعدم تحمله ذم رعيته له ، لاسيما نظار المساجد فإن جميع المستحقين يؤذونهم بلسانهم ويشكونهم للحكام ويحملونهم على المحامل السيئة وأنهم يأكلون مال الوقف ، ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سمع جيرانه بكاء وعويلا في داره ، فسألوا فقالوا : إن عمر قد خير زوجاته وسراريه بين الإقامة عنده من غير مسيس إلى أن يموت وبين أن يعتقهن أو يطلقهن وقال : قد جاءني أمر شغلني عنك فلا أقدر ألتفت إلى واحدة منكن حتى أفرغ من الحساب يوم القيامة رضى الله تعالى عنه . وبلغنا أنه كان لا ينام ليلا ولا نهارا إلا بعض خفقات وهو جالس ويقول : إن نمت الليل ضيعت نفسي وإن نمت النهار ضيعت حقوق الرعية ، وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : يحاسب المؤمن الذي لم يتول ولاية عن نفسه في يوم كان مقداره قدر وقت صلاة يصليها ، ويحاسب من تولى ولاية عن نفسه وعن جميع رعيته ويسأل عن جميع حقوقهم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، انظره . وفي [ثيق] أخذ علينا العهود أن نلين القول ونخفض الجناح لجميع أصحاب الكتب كالظلمة والخمارين والحشاشين والمقامرين وأصحاب المكوس وجباة الظلم ، فإن ذلك أسرع لا نقيادهم لنا وأقرب طريق إلى حصول التوبة منهم وإلى تقويم عوجهم : وقد أوحى الله إلى داود عليه السلام حين أنفت نفسه من مجالسة العصاة : « يا داود المستقيم لا يحتاج إليك ، والأعوج أعرضت عن تقويم عوجه فلماذا أرسلت ؟ » ثم قال فارحم يا أخى أهل المعاصي بقلبك وعظهم بالدين من قولك تكن حكيم الزمان ، وخالطهم إن وجدت من قلبك ثباتا على الدين مع خلطتهم وإن نفروا منك فاتبعهم ، ثم لا تزال تسارق أحدهم وتصرعه عن كتبتة من حيث لا يشعر حتى يقوم عوجه إن شاء الله وأما إذا هجرت أهل المعاصي ونفرت منهم أو لم تتبعهم فمن يقوم عوجهم ومن يبغضهم في كتبهم ، وقد قالوا أحوج ما يكون أخوك إليك إذا عثرت دابته ، فعلم أن أصحاب الكتب ضالة كل داع إلى الله عز وجل ، ولو أن الداعي ترك سياستهم وتركهم يتأدون في غيهم لربما أخذ الله بهم يوم القيامة فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك اه .

[تمة] لا بد في هذه الدعوة الخاصة من إذن خاص من الله تعالى أو من رسوله صلى الله عليه وسلم

أو من كمل وزنته صلى الله عليه وسلم. وفي [جمع] وأما قول السائل إن دائرة الولي أوسع من دائرة النبي، فالمراد بالولي أولياء هذه الأمة فقط، والمراد منهم من أمر بالدعوة إلى الله تعالى من رجالهم فهم الذين دوائرهم أوسع من دوائر الأنبياء واتساع الدائرة وضيقها باعتبار الطوائف الذين يدعونهم إلى الله تعالى، فكل رسول من الرسل غير نبينا صلى الله عليه وسلم رسالته خاصة بوطن أو جنس أو بلد لا يتعدى إلى غيره ورسالة نبينا صلى الله عليه وسلم عامة في جميع البلدان والأقطار وفي جميع الأجناس والأمم وفي جميع الأعصار، فالأولياء الداعون إلى الله من أمته دعوتهم تعم كعموم رسالة نبيهم صلى الله عليه وسلم فلا تختص ببلد ولا جنس ولا أمة، بل هي عامة كعموم رسالة نبيهم صلى الله عليه وسلم فهذا اتساع دائرة الولي على دائرة النبي، ثم هذه الدعوة إلى الله تعالى في حق الأولياء هي ملزمة لهم بطريق الشرع الظاهر، لقوله صلى الله عليه وسلم: «بلغوا عني ولو آية» الحديث ولقوله صلى الله عليه وسلم: «مروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر» لكن هذه الدعوة المذكورة إنما هي بالإذن الخاص كما في الرسالة. فمن نهض إلى الخلق يدعوهم إلى الله تعالى بالإذن الخاص له من الله سرت كلمته في جميع القلوب ووقع الإقبال من الخلق عليه والاستجابة له، ووقع امتثال أمره واجتناب نهيه في الخلق وأطيع، وحتل كلامه في القلوب، ومن نهض إلى دعوة الخلق إلى الله بالإذن العام ليس له من الإذن الخاص شيء لم يلتفت بكلامه ولم يقع عليه إقبال، فإن لسان الحق يقول له بلسان الحال في بساط الحقائق «ما أمرناك بهذا ولا أنت له بأهل إنما أنت فضولي» فمن وقف هذا الموقف ابتلى بحظوظ نفسه من الرياسة والرياء والتصنع وليس من الله في شيء قال ابن الفارض رحمه الله:

فعلنا منهم نبي ومن دعا إلى الحق منا قائم بالرسالة
وعارفنا في وقتنا الأحمدي من أولى العزم منهم آخذ بالعزيمة

قال ابن عطاء الله: من أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته، وجلبت لديهم إشارته اه:

ومن معنى ما تقدم [قاعدة] اعلم أن الفتح والوصول إلى الله في حضرة المعارف لا يبعثه الله تعالى إلا على يد أصحاب الإذن الخاص كما في الرسالة ومتى فقد الإذن الخاص لم يوجد من الله فتح ولا وصول وليس لصاحبه إلا التعب، ومن تعلق بمطالعة كتب التصوف وسار إلى الله بالثقل عنها والأخذ منها والرجوع إليها والتعويل عليها ليس له من سيره إلا التعب ولا يحصل له من الله شيء، يعني من الوصول إلى حضرة المعارف والاختصاص، وأما الثواب فيحصل له بقدر إخلاصه.

قلت: والمراد بأصحاب الإذن الخاص في كلام سيدنا رضي الله عنه الأولياء الأحياء في كل عصر لا الأموات كما يأتي في كلام الشيخ رضي الله عنه، ثم قال رضي الله عنه [قاعدة] إن الله سبحانه وتعالى جعل في سابق مشيئته أن المدد الواصل إلى خلقه من فيض رحمته هو في كل عصر يجري مع الخاصة العليا من خلقه من النبيين والصديقين، فمن فزع إلى أهل عصره الأحياء من ذوى الخاصة العليا وصحبهم واقتدى بهم واستمد منهم فاز بنيل المدد الفائق من الله، ومن أعرض عن أهل عصره مستغنيا بكلام من تقدمه من الأولياء الأموات طبع عليه بطابع الحرمان، وكان مثله كمن أعرض عن نبي زمانه وتشريع مستغنيا بشرائع النبيين الذين خلوا قبله فيسجل عليه بطابع الكفر، ثم قال رضي الله عنه: والدليل على أن الصحبة لا تكون إلا للعبي قال صلى الله عليه وسلم لأبي جحيفة رضي الله عنه

« صل العلماء ، وخالط الحكماء ، واصحب الكبراء » فالعالم دلالة على الأمر العام وأمرأ ونهيا بما
يوجب المدح عند الله وسقوط الملامة على العبد ونهايته الجنة ، والحكيم دلالة على التقرب إلى الله تعالى
بالطهارة من أهوية النفوس ومتابعة الهوى ونهايته منازل القربة ، والكبير دلالة على الله من حيث
محو النفوس والبراءة من التدبير للنفس بكل ما يجلب المصلحة لها دنيا وأخرى وبكل ما يدفع المضرّة
عنها دنيا وأخرى ونهايته الله ، ثم قال : يؤخذ من هذا أن الصحبة لا تكون إلا للحى إذ الميت لا يصحب
ولا يكلم ولا يخاطب ، انظره . وقد كشف النقاب عن هذا الخطاب وأثنى فيه الغليل وأبرأ الغليل
أبو المواهب السامحى رضى الله عنه وعنايه آمين فى الجواب التومنى راجع مامر عنه فى [البغية] فقيه
الغنية على أن الأحدية أويسية لأنها تلقيت عن الذات المحمدية بقطة بلا واسطة ولذا غلب على أهلها هذا
الحال وراثه أهدية والله يهذى من يشاء إلى صراط مستقيم ، وأختم هذا الفصل بأبيات لبعض الإخوان
رحمه الله ورضى عنه فى شروط المقدم وهى :

أقول ببسم الله ببدءا مصليا	على المصطفى وآله والصحابة
فهناك نظاما فى شروط مقدم	وما قد يراعى من أمور الديانة
فإذن صحيح ثم أهلية له	ومعرفة بما لهدى العبادة
من أركانها ووقتها وشروطها	وما يعترى نقصا وجبرا لآفة
وما يلزم المريد عند دخوله	وبعد وما يقضى بدون سامة
بذلك يصير ملجأ للأحبة	وضوءا ونبراسا لأهل استفادة
ويعلم أن صحبة الشيخ تجذب	لخضرة قدس الله جذب عناية
وأنه من خيرها وعبيدها	وكن حذرا من غير دين وعاهة
وهذا أقل ما يراعى المقدم	مزيذا على شرط الصلاة طهارة
ومن قد خلا عن ذافدعه لجهله	وليس من الدعاة للرشد سادة
وزد ذا ديانة وعقل أمانة	وحلم ورفع همة وسياسة
وميزان ذلك كله رفع همة	عن الناس والإخوان أهل الرقادة
ببعض وصايا الشيخ أوصى مقدما	ببعض عن الإخوان ترك عداوة
وأسباب شين ثم حقد ضغينة	ولطفاء نيران وطردها إساءة
وإصلاح ذات البين لله قاصدا	ويرغب عن حظوظ دنيا رياسة
وينهى السعاة بينهم بنميحة	بلين ورفق بل ولو بإشارة
يراعى الحديث يسروا لاتعسروا	ويبدل ماله لصاحب فاقة
ويحذر من تغريم دنياهم كما	جرى به عرف من أهبل لإجازة
وذلك بلاء فتنه وبلية	حذار حذار من أمور وعادة
وما جاءه من غير إشراف نفسه	حلال ولا لثم لأهل الزهادة
كما فى الصحيحين البخارى ومسلم	وغيرهما فذا صحيح الرواية
يرى لهم عليه مالا عليهم	له من حقوق فاستغث بإغاثة
فهم مثل أولاد صفار ضعيفة	ولا سيما من كان من أهل حاجة

ولا تثبت للنفس قدرا مزية ويعلم أنه من أهل الجنابة
علينا بتبجيل الدعاة المقدمين لتائقين أورا على أى حالة
فحرمتهم كحرمة الشيخ عندنا فقاموا المقام فى أداء الأمانة
فطاعتهم فرض كطاعة والد متى أمروا تسعى بقلب وقامة
ونحفظهم فى غيبة كحضورهم ونرعى بهم حقوق ختم الولاية
فن بابهم دخولنا ووصلنا على يدهم فضلا من أهل الكرامة
نجدوا يد عبد قعدته ذنوبه مع النفس والهوى وأهل الغواية
فجودوا بفضلكم على بدعوة توصلى المنى بمحض العناية
أبا الفيض سيدى تفضل بفيضة أنال بها خير المعالى ورؤية
فن رسول الله عنى بوصلة بها نختم المنى وكل سعادة
عليك صلاة الله ثم سلامه وآلك والأصحاب دون نهاية

ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار - رب اغفر وارحم وأنت خير
الراحمين - والله تعالى أعلم وأحكم .

[فصل فى شروط مريد الدخول فى الأحمدية]

وفى [مع] اعلم أن شروط طريقتنا هذه ثلاث وعشرون شرطا فمن استكملها كلها ولم يتخلف عنه
واحد منها فهو من أهل الطريقة الفائزين المحبوبين المقربين الأعلين ، ومن لم يستكملها واستكمل إحدى
وعشرين شرطا من الشروط التى أعدها على الترتيب الذى ستراه فهو من الراجحين المحبوبين وإن لم يساو
الأولين ، ومن لم يستكملها فليس من أهل الطريقة ، انظرها فيه إن شئت ، وقوله رضى الله عنه وعنا به
أمين ومن لم يستكملها فليس من أهل الطريقة : أى من أهلها الكاملين الراسخين فيها وإلا فن تمسك
بورد سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه رعا به أمين ونبه غيره من أورااد المشايخ وراه ظهريا وأعرض
عن التوصل بهم والاتفات إليهم لإعراضا كليا إلى يوم الممات فهو من أهلها المصطفين الأخيار ،
فهذه الشروط الثلاثة يصير الإنسان أحدا ينجانيا ، وإن شئت قلت فكل من تمسك بالشيخ توسلا
وأخذ وأعرض عن غيره توسلا وأخذ فهو تيجانى محض إلى يوم العرض ، ولبعض الإخوان
رحمة الله ورضى عنه :

فكل من قدلاذ بالتجاني أخذ توسلا بلا توان
ومعرض عن غيره بالرفض فهو تيجاني ليوم العرض
وإن تشأ فقل فشرط ورده تعلق به ورفض غيره
وقل بهذا القول صاح أبدا من شاء فليوم ومن شأ الحدا

وفى [الزهر الفائح] بعد ذكره ما فى الرماح [تنبيه] اعلم أن جميع هذه الشروط كلها شروط
كمال ماعدى ثلاثة ، فإنها شروط صحة كما أشار لها شيخنا وسيدنا أبى العباس مولانا أحمد التجاني
كما فى الإفادة الأحمدية ، ثلاثة تقطع التلميذ عنا : أخذ ورد على وردنا ، وزيارة الأولياء ، وترك الورد ؛
يعنى نبذه أو أخذ ورد آخر معه ولو كان قبله ، لأن الانفراد به شرط فى طريقه ، وقوله : الأولياء شامل
للأحياء والأموات ه . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه .

بأخذ ورد للتجاني أحدا وترك ورد كل شيخ أبدا
وترك زور الأولياء مطلقا تسمى تجانيا بهذا محققا
بفقد ذى يقطع المرید عن شيخنا ويلزم التجديد
وما سوى ذلك من الشروط إلى الكمال اعز بلا تفريط
هذا الذى رأيت للسفياني نقله عن شيخنا التجاني

قال رحمه الله :

(فَإِنْ رُمْتَ أَخْذَ الْوَرْدِ فَأَخْذَ مُقَدَّمَا تَقِيًّا صَحِيحَ الْإِذْنِ خَيْرَ الْأَجَلَةِ)

(فإن رمت) بمحض فضل سائق العناية الصمدية وسابق السعادة الأبدية (أخذ الورد) الأحمدى والنور المحمدى (فأختر) بعد استخارة الله تعالى واستشارة لمن يرجى خيره وأمن ضيره (مقدا) لتلقيه إن لم تظفر بخليفة من خلائف سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنا به آمين (تقياً) وله أربع علامات كما قال بعض الثقات : حفظ الحدود ، وبذل المجهود ، والوفاء بالعهود ، والقناعة بالموجود ، ولبعضهم رحمه الله :

ألد من التلذذ بالغواني إذا أقبلن في حلل حسان
منيب فر من أهل ومال يسيح إلى مكان من مكان
ليخمل ذكره ويعيش فردا ويظفر في العباد بالأماني
تلذذة التلاوة أين ولى وذكر بالفؤاد وباللسان
وعند الموت يأتيه بشير يبشر بالنجاة من الهوان
فيدرك ما أراد وما تمى من الراحة في غرف الجنان اه

تذييل .

فذا وصف التقي بلا مراة وغيره تاه في تيه التوان

وفى [الكوكب الوقاد] ولا ينبغي أن تؤخذ الأوراد إلا من كامل في نفسه مكمل لغيره كالمشايع المرين لأنهم يربون الناس بأنوار العلم والحكمة كما يربي الوالد ولده بأنواع الأطعمة والأشربة ، حتى انعقد إجماع السلف على أن حق الشيخ المربي أعظم من حق الوالد لأن الوالد تسبب في الحياة الفانية والشيخ قد تسبب في الحياة الباقية وهى حياة القلب والسر اه (صحيح الإذن) فى التقديم والتقلين ممن له الإذن الصحيح كذلك ولو تعددت الوسائط . وفى [جع] وأخبرنا الشيخ رضى الله عنه قال : قات لرسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا الفضل خاص بمن أخذ عنى الذكر ، مشافهة أو هو لكل من أخذه ولو بواسطة ، فقال له كل من أذنته وأعطى لغيره فكأنه أخذ عنك مشافهة وأنا ضامن لهم ، وهذا الفضل شامل لمن تلا هذا الورد سواء رآنى أو لم يرنى ، انظره وانظر [جه] . وفى [مع] الأول : أى من الشروط كون الشيخ الذى يلقت الأذكار مأذونا له بالتلقين من القدوة أو ممن أذن له إذنا صحيحا اه (خير) أى أفضل ساداتنا المقدمين (الأجلة) فى وقتك وزمنك بحسب اعتقادك وجزمك لتلا تشوف إلى غيره بعد التقيد به فيفسد عنك باب سره وخيره ولا تأمن من شره وضيره ، وأخبرنى من أش به أن بعض الخاصة رضى الله عنه وعنا به آمين كتب لبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه حين استبطأ زيارته ما ألغز به سيدى حمدون الفاسى رحمه الله :

إذا كان منك اختصاص في قويت على
وإذا غدت مشاركا ضعفت فلم
كالخرف عند اختصاصه له عمل
فأجابه رحمه الله ورضي عنه :

أبا عبيدة لو غيرك فاه بها
كيف التشارك والأقدار قد حكمت
تالله فالقلب لم يميل لغيركم
أرواحنا في مكان واحد أبدا
وقل لمن قد سعى موتوا بغيطكم
ليس التلبس والتزويق من شيعي
إن السلامة لم أظفر بها بسوى
لذلك قلت بإغباب زيارةكم
لم يصلح الوقت للأعمال للفن
فالله يختار للكل ويرزقه
شعر : هوأى مع الركب اليماني مصعد
ولما ورد عليه الجواب كتب رضى الله عنه وعنايه أمين :

والله ماخطرت في القلب جفوتكم ولا سعى ناعق بالغى والإهمال
كلا ولا شبهة تلج في عقدنا حمدا لخالقنا ذى المن والإفضال

وفي [عف] ومن الأدب أن لا يدخل في صحبة الشيخ إلا بعد علمه بأن الشيخ قيم بتأديبه وتهذيبه
وأنه أقوم بالتأديب من غيره ومتى كان عند المرید تطلع إلى شيخ آخر لا تصفو صحبته ولا ينفذ القول فيه
ولا يستعد باطنه لسراية حال الشيخ إليه فإن المرید كلما أيقن تفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت
محبهه ، والمحبة التآلف وهى الواسطة بين المرید والشيخ وعلى قدر قوة المحبة تكون سراية الحال لأن المحبة
علامة التعارف والتعارف علامة الجنسية والجنسية جالبة للمريد حال الشيخ أو بعض حاله ، انظره :
وفي [غ] وأعظم الذنوب الالتفات لغير شيخه لما فيه من صورة السكر الخفى بالمرید فإنه لا يظن أنه
يبلغ به ذلك فيسترسل فيه ولهذا اعتنى المشايخ بالتحذير منه والتنبية عليه وخصوصا لمن تفرسوا فيه
النجابة وأنه من المرادين لحمل سرهم فإنهم لا يسامحونه في ذلك أصلا ، ومن أعجب الأمور في هذا
الباب ما ذكره الشيخ الإمام المتفطن أبو زيد سيدى عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سيدى عبد القادر
الفاسى رضى الله عنه في كتابه [ابتهاج القلوب] عن الشيخ الشهير العارف بالله سيدى محمد بن عبد الله
الشهير بابن معن الأندلسى رضى الله عنه أنه ذكر عن الشيخ الكامل سيدى أبى المحاسن الفاسى رضى
الله عنه أنه منع بعض مريديه من مجالسة أخيه العارف بالله سيدى عبد الرحمن ، وذلك حين ظهرت على
أخيه المذكور آثار الفتح وأنه - أعنى الشيخ أبا المحاسن - قال لذلك المرید يا فلان رد روحك لجهة واحدة

(١) بكسر الهزة مصدر أعمل ، بفتح الهزة جمع عمل .

خوفا عليه من الشتات وجمعا له عن الالتفات ، ثم قال : وهذا مع كون أخيه العارف بالله معه في دائرة تجمعهما طريقة واحدة وسلسلة واحدة بحيث لا يكون التفات عن أحدهما التفاتا عن الآخر ولهذا قلت في هذه الحكاية إنها من أعجب الأمور انظرها ، ومامر عن بعض الخاصة رضى الله عنه وعنايه أمين هو عين قضية أبي المحاسن ، واستشهاد أبي المواهب السامعي رضى الله عنه وعنايه أمين ، بها يرشد إلى أن ذلك معتبر عندنا في الأحمدية ، ولذا بلغني عن بعض ساداتنا المقدمين الصادقين أنه يقول لمن استقراره من الإخوان أرجع لملكك واطلب منه ما شئت وليس لك عندنا شيء ، فاعلم ذلك واعمل عليه والله يتولى هداك ، وفي [جمع] وذكر رضى الله عنه شرطا آخر مما يطرد به المريد عن حضرة الشيخ وهو الطمع مما في أيدي الشيخ من دنياه ولو بقرض . قال لي في يوم الثلاثاء الآخر من شهر الله صفر عام سبعة ومائتين وألف حذر أصحابي من أن يطلبوني سلفا أو غيره من الدنيا فإنه من أسباب قطع المشيخة بين المريد وشيخه ، ثم قال : ربما يأتي وقت على الشيخ يحتاج إلى ذلك القرض الذي أقرضه أو للحاجة التي أعطاها له ولم توجد فينبض قلب الشيخ فيتغير فيهلك الآخذ له من غير قصد من قدوته اه . وفي [جه] اعلم أيديك الله بروحه أن المريد الصادق هو الذي عرف جلال الربوبية ومالها من الحقوق في مرتبة الألوهية على كل مخلوق وأنها مستوجبة مع جميع عباده دوام الدؤوب بالخضوع والتذلل إليه والعكوف على محبته وتعظيمه ودوام الانحياش إليه وعكوف القلب عليه معرضا عن كل ما سواه حبا وإرادة ، فلا غرض له ولا إرادة في شيء سواه لعلمه أن ما سواه كسراب ببيعة يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجد شيئا فلما عرف هذا وعرف ما عليه من دوام العكوف على الانقطاع إلى الحضرة الإلهية وعرف خسة نفسه وكثرة شؤمها وشرها وأنها في جميع توجهاتها مضادة لحضرة الألوهية وأن جميع حظوظها ومراداتها مناقضة للحقوق الربانية ، وعرف ما فيها من التثبط والتشيط عن النهوض بالقيام بحقوق الحق ومعرفة ما يجب له من الخدمة والأدب لما ألفتة من الميل إلى الراحة والعكوف على الشهوات والانقطاع عن خالق الأرض والسموات وأن جمع حظوظها لا تدور إلا في هذا الميدان ، وعرف عجزه عن تقويم هذه النفس الأمارة بالسوء وعن ردها إلى الحضرة الإلهية منقطعة عن هواها وشهواتها ، وعرف أنه إن قام معها على هذا الحال استوجب من الله في العاجل والآجل من الغضب والمقت وشدة العذاب والنكال المؤبد الخلود مما لا حد له ولا غاية ، وارتعب قلبه من هذا البلاء الذي وقع فيه والعلة المعضلة التي لا خروج له منها ، فلا يمكنه المقام مع نفسه على ما هي فيه مما ذكر قبل من استجابة الغضب والمقت من الله ، ولا قدرة له على نقل نفسه من مقرها الخبيث إلى استيطان الحضرة الإلهية ، فحين عرف هذا رجع بصدق وعزم وجد واجتهاد في طلب الطيب الذي يخافه من هذه العلة المعضلة وبدله على الدواء الذي يوجب كمال الشفاء والصحة ، فهذا هو المريد الصادق وأما غيره ممن لم يتصف بهذه الصفات المتقدمة فهو طالب لا غير قد ينجو وقد لا ينجو تعلق نفسه بأمر فظليه ، وأما الأول فلكمال صدقه كان الشيخ أقرب إليه من طلبه فإن عناية الحق به التي وهبته ذلك العلم المذكور هي التي تقوده إلى الشيخ الكامل وتلقيه في حضرة الشيخ الواصل وتقلب له قلب الشيخ بالمحبة والتعظيم فيقع الاثلاف بينهما والأدب فيفتح باب الوصول لأن عناية الحق متى وقعت على أمر جذبه جذبا قويا لا يمكن توقفه ولو كان ما كان ، فالذي يجب على المريد الصادق في الطلب مع كمال العلم المتقدم وشدة الاهتمام بالمطلوب وحماية القلب عن سوى مطلوبه فلا يشتغل بشيء سوى ما يريد . هذا هو الصدق المفيد وهو الذي يخرج من المقت اللاحق ، فالذي

يجب على المريد قبل لقاء الشيخ أن يلازم الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بشدة حضور القلب في تأمل المعاني حسب الطاقة مع اعتقاده أنه جالس بين يديه صلى الله عليه وسلم مع دوام الإعراض عن كل ما يقدر عليه من هوى النفس وأعراضها والسعي في كل ما يحببه إلى الله تعالى من نوافل الخيرات وهي معروفة في الأوقات كوقت الضحى وقبل الظهر وبعده وقبل العصر وبعده المغرب وبعده العشاء وبعده النهوض من النوم وفي آخر الليل ، وليقلل من ذلك وليجعل اهتمامه بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من النوافل فإن الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مفتاح أبواب الخير مع العزلة في وقت الذكر وتقليل الغذاء والماء واستعمال شيء من الصيام والصمت إلى غير ذلك مما هو مسطر عند أهل الطريق ، والحذر الحذر من كثرة التخاطب في الأذكار وكثرة تشعيب الفكرين أقاويل المتصوفة فإنه ما اتبع ذلك أحد فأفلح قط ، ولكن يجعل لنفسه ذكرا واحدا يهتم به ووجهة واحدة يهتم بها وأصلا ثابتا يعول عليه من الطرق ، هذا سلوكه وتربيته قبل لقاء الشيخ ثم يسعى في طلب الشيخ السكامل كما قال طمطم : الطالب الصادق لا ينظر في غير مطلوبه الطالب لا يسعى في غير مطلوبه فهذه صفة المريد وأحواله اه الله دره ما غزر علمه وأدق فهمه رضى الله عنه وعنايه آمين . وفي [عف] قال محمد بن خفيف : الإرادة سمو القلب لطالب المراد ؛ وحقيقة الإرادة استدامة الجهد وترك الراحة ، وقال أبو عثمان : المريد الذي مات قلبه عن كل شيء دون الله تعالى يريد الله وحده ويريد قربه ويشتاق إليه حتى تذهب شهوات الدنيا عن قلبه لشدة شوقه إلى ربه ، وقال أيضا : عقوبة قلب المريد أن يجربوا عن حقيقة المعاملات والمقامات إلى أضدادها ، انظره . قال رحمه الله :

(تَحَلَّى عَنْ أَوْزَادِ الْمَشَائِخِ كُلِّهَا وَلَا تَحْشَ أَنْتَ فِي حِمَى الْخَلْمِ قُدُونِي
فَرَبُّ الْخَمِي يَحْمِيكَ مِنْ كُلِّ قَهْنَةٍ وَمِنْ كُلِّ هَوْلٍ يُحَقِّشِي وَمُصِيبَةٍ
فَأَنْتَ يَمْرَأَى مِنْهُ حَقًّا وَمَتَّعِمْ وَبَرِّعَاكَ فِي الدُّنْيَا وَآخِرَتِي بِرِيمَةٍ)

(تحل) أمر من تحلى عن كذا تركه وأعرض عنه (عن أوزاد) ساداتنا (المشايع) رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم (كلها) لأنه شرط لازم وركن واجب على كل من يريد الدخول في الأحمدية . وفي [جه] اعلم أن هذا الورد العظيم لا يلقن لمن كان له ورد من أوزاد المشايخ رضى الله عنهم إلا إن تركه وانسلخ منه ولا يعود إليه أبدا وعاهد الله على ذلك ، فعند ذلك يلقنه الورد من له الإذن الخاص من الشيخ رضى الله عنه وإلا فلا يلقنه له إن لم ينسلخ عن ورده الذى بيده فيتركه وورده وطريقته ، لأن أوزاد المشايخ رضى الله عنهم كلها على هدى وبينه من الله وكلها مسلكة وموصلة إلى الله تعالى ، وهذا ليس منا تكبرا واستعلاء على المشايخ رضى الله عنهم ، حاشا وكلا ومعاذ الله ، بل هذا الشرط مشروط في طريقتنا لا غير ، فمن أراد الدخول في طريقتنا فلا بد له من هذا الشرط ولا خوف عليه من صاحبه ولا من غيره أيا كان من الأولياء الأحياء والأموات في الدنيا والآخرة وهو آمن من كل ضرر يلحقه في الدنيا وفي الآخرة لآمن شيخه ولا من غيره ولا من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بوعد صادق لا يخلف له ، ومن أبى الخروج عن ورده الذى بيده لشيخه فلا شيء عليه فيترك وردنا ويمكث على ورده وطريقته ، فقد قلنا أوزاد السادات رضى الله عنهم كلها على هدى من الله ، وكل من أذنته وأمرته بتلقين أوزادنا وإعطاء طريقتنا فله هذا الشرط بأن لا يلقن أحدا

من له ورد أو طريقة من المشايخ فإن فعل وخالف فقد رفعت عنه الإذن ولا ينفعه هو في نفسه ولا من لقنه إياه فليحكم هذا الشرط ويعمل عليه اه والسلام . وفي [م] :

وترك غيره من الأوراد وعدم الترك إلى الميعاد

(ولا تخش) من خشي كرضى أى من صاحب الورد الذى تركته حيا كان أو ميتا (أنت فى حى) بالكسر كرضاهما بحميه السلطان وكبير القوم لنفسه (الختم) المحمدى المعلوم والقطب المكتوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنايه أمين (قدوتى) متعنا الله برضاه الأبدى وبسره الأحمدي وبنوره المحمدى أمين (قرب الحمى) المحمى بعناية محمدية وهمة أحمدية . (يحملك) يمنعك ويحفظك (من كل محنة) وبلية (ومن كل هول يخشى) أى يخشى منه الإنسان (و) من كل (مصيبة) فى الدنيا وفى الآخرة (فأنت بمراى منه حقا) أى من غير شك (ومسمع) أى فبمجرد التمسك بالأحمدية صرت فى محل نظره ومسمعه ولست بغائب عنه ولا هو بغائب عنك طرفة عين متى ذكرته وجدته ومتى استغثت به أغاثك ومتى ناديته أجابك ، وهو أقرب إليك من نفسك بل قريب ولا مین (و) إذا علمت ذلك فاعلم أنه (يرعاك) ويحفظك (فى الدنيا) ولو كنت من وراء البحار (وأخرى) أى فى الآخرة (بهمة) أحمدية وعناية محمدية فطب نفسا وقرعينا « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » وللبعض أهل الأحوال على لسانه رضى الله عنه وعنايه أمين :

توجه نحونا تعط الأمانى وغض عين قلبك عن سوانا
ولازم عهدنا مادمت حيا تكن إذا مصونا فى حمانا
ويمم باب حضرتنا فقيرا وغض الطرف عن غير ترانا
تجلد للمصائب كن شكورا وجد بالنفس إن تحب لقانا
ومسلم كل حادثة إلينا وغب عن ذا الوجود تجدرضانا
وإن أعرضت بالإعراض عنا فهذى هى الجحيم لمن عصانا

وسبب ذلك ما أشار له صاحب [مح] بأن سيدنا أبا الفيض رضى الله عنه وعنايه أمين هو الختم الممد الذى يستمد منه من سواه من الأولياء والعارفين والصدقين والأغواث ، ومن ترك المستمد ورجع إلى الممد فلا لوم عليه ولا خوف بخلاف من ترك الممد ورجع إلى المستمد اه مثلا صاحب الوزير إذا أعرض عنه إعراضا كليا ونبذه وراءه ظهريا وتعلق بالسلطان لا يخاف من الوزير ولا من غيره ، بخلاف من نبذ السلطان وأعرض عنه وتعلق بالوزير فلا يأمن من السلطان ، بل يخاف منه هو ومن تعلق به إذ الكل من رعيته والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم : وفيه أيضا عن سيدنا رضى الله عنه وعنايه أمين أنه قال : من ترك وردا من أوراد المشايخ لأجل الدخول فى طريقتنا هذه المحمدية التى شرفها الله على سائر الطرق آمنه الله تعالى فى الدنيا والآخرة فلا يخاف من شيء يصيبه لامن الله ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم ولا من شيخه أيا كان من الأحياء أو الأموات ، وأما من دخل زميرتنا وتأخر عنها ودخل غيرها تحل به المصائب دنيا وأخرى ولا يعود أبدا اه : أى إلا بتوبة نصوح وتجديد الإذن الصحيح قال تعالى - وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات إن الله لا يخلف الميعاد - وفي [م] :

ومن يكن لما سواه طرحا لأجل وردنا فلذا قد أفلحا

يافور من دخل في ضيمان خير الورى نبينا العدناني
والعكس إن تاب وجدد فقد نجا من الردى وفاز بالرشد
لكنه إن لم يتب مما فعل خسر ثم ليس ينجيه عمل
وليس شيخه له بنافع لكنه يتبه في البلاقع
أعاذنا الله من البلاء والكفر والخسران والشقاء

وفي [د] لو كان بناصر هنا وقلت له تحيد لايسعه إلا التحيد ، وسببه أن بعض الناس أتى بأخذ الورد فقال له سيدنا رضى الله عنه : أعندك ورد ؟ قال نعم ورد بناصر ، قال له يكفيك ابقى عليه ، قال الرجل : أردت أخذ وردك ، قال له سيدنا رضى الله عنه : اترك الورد الذى عندك إن أردت ذلك ، قال الرجل أخاف من بناصر فذكره وما قاله رضى الله عنه وعنا به أمين ورائة محمديّة ، وفي الحديث « لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي » أو كما قال صلى الله عليه وسلم فافهم والله يتولى أمرنا وأمرك . وذكري [غ] أن الشيخ بانم رضى الله عنه وعنا به أمين كان في أول أمره أخذ الورد الكنتى وتقيد بالطريقة الكنتية ثم بداله الانتقال إلى الطريقة النجانية فتخلّى عن الأولى وأخذها ، فذكر أنه بعدما أخذها رأى النبي صلى الله عليه وسلم والشيخ رضى الله عنه والشيخ سيدى المختار الكنتى جالسان بين يديه صلى الله عليه وسلم . قال : فجعل الشيخ سيدى المختار يعاتبني على ترك وردي وانتقالى إلى ورد الشيخ وطريقته وأنا أنظر إلى الشيخ عساه أن ينجيه عنى ، فإذا هو رضى الله عنه مطرق رأسه غاض بصره بين يديه صلى الله عليه وسلم متأدب غاية الأدب لا يلتفت ولا يطرف (١) ، فلما أكثر على العتب الشيخ سيدى المختار التفت إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ، فانقطع وسكت عنى حينئذ اه .

قل للمحاول شأوا في مدائحهم هى المواهب لم أشدد لها زيم
ولا تقل لى بماذا نلت منزلة فما يقال لفضل الله ذابكم
لولا العناية كان الأمر فيه على حد السواء فذونطق كذى بكم

قال رحمه الله :

(وَلَا زِمَهُ مَا حَيَّيْتَ تَسْمُو عَلَى الْوَرَى وَلَا تَتْرُكْنَهُ فَتَجْزَى بِحَمْرَةٍ
وَلَا تَتَهَاوَنَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ أَخْذِهِ فَكَمْ مُبْتَلَى هَذَا بِكُلِّ بَلِيَّةٍ)

(ولازمه) أى الورد الأحمدى والنور المحمدى (ما حييت) أى مادمت حيا لأن أحب الأعمال إلى الله أدومها فإنك إن فعلت ذلك (تسمو) وتعلو (على الورى) ممن ليس من أهلها (ولا تتركه) تركا كليا عمدا فإن فعلت ذلك (فتجزي) جزاء وفاقا (بحمرة) وندامة حيث لا ينفع الندم اللهم إن كنت ممن سبقت له العناية الصمدية بحكم المشيئة الأحدية فنتبت من الزلل وجددت العمل - وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون - . وفي [م] :

ومن يتب من فعله ويندم ثم يجدد الطريق يسلم

وفي [جه] وكذلك : أى من الشروط اللازمة فى الأحمدية مداومة الورد إلى الممات اه . وفي [مع] عن تحفة الإخوان ، ومنها : أى ومن الآداب التى تطلب من المرید ملازمة الورد الذى رتبته فإن

مدد الشيخ في ورده الذي رتبته فمن تخلف عنه فقد حرم الممدد وهيئات أن يصح في الطريق اهـ ، وفيه
 عنها أيضا الخامس : أعني من أصول التقوى الحقيقية دوام الذكر الذي لقنه له شيخه ولا يتجاوز به
 إلى غيره إلا بإذنه إلا الأوراد المحفوظة بطريق شيخه اهـ . وعن سيدى إبراهيم الدسوقي رضى الله عنه : ما قطع
 مريد ورده يوما إلا قطع عنه الإمداد في ذلك اليوم ، فإن طريق القوم تحقيق وتصديق وهمل وتنزه
 وخض بصر وطهارة يد وفرج ولسان ، فإن خالف شيئا من ذلك رفضته الطريق ولو كررها اهـ . وعن
 أبى طالب المكي رضى الله عنه : مداومة الأوراد من أخلاق المؤمنين وطريق العارفين وهى مزيد
 الإيمان وعلامة الإيقان اهـ . وقال سيدى المختار السكتى : لا تزهد في الأوراد فإن على قلد الأوراد
 تكون الواردات ، والواردات هى الهواتف الربانية التى تأتى أرباب القلوب بالعلوم والفتوحات
 والأسرار والغيوب اهـ . وفي الحكم : لا يستحقق الورد إلا جهول ، الوارد يوجد في الدار الآخرة
 والورد ينطوى بانطواء هذه الدار ، وأولى ما يعنى به مالا يخلف وجوده الورد هو طالبيه منك والوارد
 أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبيه منك مما هو مطلبك منه اهـ . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نداوم على العمل وإن قل ، فإننا في كل يوم في قرب من الأجل
 فاللائق بنا استغنام العمل لا تركه ، وهذا العهد يخل به كثير ممن يتعبد بنفسه من غير شيخ فيتعاطى
 أعمالا شاقة فتعمل نفسه فيترك العمل آخر عمره جملة ، ولذا يقولون حبل العبادة ممدود ، ثم قال :
 وقد مدح الله رجالا بقوله - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنهى من قضى نحبه ومنهم من ينتظر
 وما بدلوا تبديلا - فكن يا أخى مع هؤلاء ولا تكن مع من مكر به من الناكثين لعهود أشياخهم
 فعليك يدور معك ماء الحياة ويخضر عودك فلا تمل من عمل . وقد كان السلف الصالح إذا دخل أحدهم
 في سن الأربعين سنة أقبل على عبادة ربه حتى لو قيل له غدا تموت فلا يجد زيادة على ما هو عليه
 من العمل رضى الله عنهم أجمعين ، ويتعين العمل بهذا العهد على الدعاة إلى الله تعالى ، لأنه متى لم يكن
 الشيخ أكثر عملا من المريد لا يتم اقتداؤه به ، وإذا ترك الشيخ عبادة كان يفعلها اقتدى به المريد ضرورة
 ولذلك قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه ، وكان أواخر عمره صلاته بالليل جالسا ولم يترك
 العمل ، ولذلك أتعب صلى الله عليه وسلم من بعده فما تورمت أقدام أحد من بعده إلا نادرا ، فلا تجد
 يا أخى أتعب قلبا وبدنا ممن يكون قدوة أبداً انظره (ولا تهاون) من تهاون بالشىء استخف به (فيه)
 أى في الورد الأهدى (من بعد أخذه) والتقيد بعهده وذلك كأن تخرجه عن وقته من غير عذر شرعى
 ولا سبب مرعى ، بل كسلا واستخفافا به ، قال تعالى - فويل للمصليين الذين هم عن صلاتهم ساهون -
 (فسكم) من أخ (مبتلى) والعياذ بالله (لذا) أى لأجل تركه أو التهاون به (بكل بلية) ورزية ومصيبة
 في دينه ودنياه وأخراه ما لم يتب ، ومن تاب تاب الله عليه ، والثائب حبيب الله إن الله يحب التوابين - وفي
 [جه] ومن أخذ هذا الورد وتركه تركا كلياً أو متهاونا به حلت به عقوبة ويأتيه الهلاك ، وهذا
 إخبار من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لشيخنا رضى الله عنه ، ونصه صلى الله عليه وسلم : كل من
 أخذ عليك ذكر أقل له في وصيتك له ذكرنا هذا عظيم ، وإياكم والتفريط فيه ، وإياكم وتركه لأن
 الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عظيمة وهى باب السكالم وهى المدخل الأعظم ومن تركها لا يجد
 بابا من غيرها يدخل عليه اهـ . وفيه : وإياكم والتفريط في الورد ولو مرة في الدهر اهـ . وفي [د] من
 ترك الورد بعد أخذه له يحل به الهلاك في الدنيا والآخرة اهـ . وفي الجيش : وأما من تركه تركا كلياً

أو متهاونا به فإنه تحمل به عقوبة ويرأيه الهلاك وتنصب عليه مصائب الدنيا والآخرة ولا يقدر له أحد على شيء اهـ . وطوى هنا :

ومن قد تخلى عن طريقة شيخنا فسجل عليه بالهلاك وشقوة
اللهم إلا أن تدركه عناية صمدية وحفته همة أحمدية حتى يتوب ويجدد والله عوف بالعباد ولا يلزمه
التجديد في صورة التهاون لأنهم يتركة تركا قليبا ولا أعرض عنه لإعراضا كليا ، ولا يلزم من استحقاقه
العقوبة انقطاع نسبه إذ الولد العاق لا ينقطع نسبه بعقوبته فربما أدبه والده أو رحمه ويلجأ إلى الله أن ينقذه
بفضله وكرمه مما وقع فيه شفقة ورحمة به - ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة
إنك أنت الوهاب - قال رحمه الله :

(وَآخِذْ وَرْدَ غَيْرِهِ بَعْدَ وَرْدِهِ فَمُسَلِّخٌ حَقًّا هَنِ الْأَحْمَدِيَّةِ
سِوَى مَا إِذَا قَدْ تَابَ مِنْ وَرْدِ غَيْرِهِ وَجَدَّ لَكِنْ بِالْمُؤَدِّ الْوَثِيقَةِ)

(وآخذ ورد غيره) من أوراد ساداتنا المشايخ رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين
مأواهم (بعد) أخذ (ورده) رضى الله عنه وعنايه آمين (فمسليخ) انسلاخ الحية عن جلدها (حقا)
أى بلاشك (عن الأحمدية) المحمدية لتقصه العهد وصرمه الحبل الذى بينه وبين الشيخ رضى الله عنه
وعنايه آمين - والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل - الآية
(سوى ما إذا) أدركته العناية الربانية وكان ممن سبقت له السعادة وألهم الرشد (وقد تاب) توبة
نصوحا من (ورد غيره) قتركة تركا كليا وتبذه وراه ظهريا فإن الإعراض عن الشيخ والالتفات إلى
غيره من أعظم الذنوب والقواطع وأكبر المصائب والعوائق والعياذ بالله (وجدد) الورد ممن له الإذن
الصحيح فى التقديم والتلقين (لكن) ينبغى لمن يجدد له الورد أن لا يجدده إلا (بالمهود الوثيقة)
الأكيدة لئلا يعتاد ذلك ، ولكن العبد غير معصوم ومتى وقع منه شيء فليتب وليجدد والله غفور
حلیم ، وفى الحديث « ما أصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة » اهـ . وفى [د] لاسبيل له إلى
الرجوع . سببه أن رجلا أخذورده وبقى يزور الأولياء فقبل له ليس عندك ورد لأن عدم الزيارة شرط
فى الطريق ، فقال وما ينفعنى الآن ؟ فقبل له تجديد الإذن عن الشيخ فركب من مكناش وأتى إليه
فاستأذن له بعض الأصحاب الشيخ رضى الله عنه فذكره فقبل له بعد أيام الرجل ترك أولادا أو بناتا
ضعافا وقال له إن أذنت له فذاك وإلا فهذا قبره ببابك ، فرق له رضى الله عنه وقال : كان بعض
الدهاقين ^(١) يعرف بعض المشايخ وطلب منه أن يلقنه الورد فقال له الشيخ إنك لا تقدر على ذلك ،
فقال ياسيدى ببركتكم إن شاء الله تقدر عليه ، فأمره بطلاق النساء وإعطاء ما بيده من المال لله تعالى
وتركة أبواب الخزن ولبسه ما خشن من الثياب ، ففعل وأتاه ، فقال له الشيخ : ليس لك عندنا شيء
امض لشأنك ، فبقى الرجل متحيرا فى أمره ومناح فى البرية على وجهه لأنه لم يبق له أهل ولا مال
فلقى فى مباحته بعض الرجال كان يعرفه فقال له فلان هذا يستفهمه لما رأى عليه من الشعث والغبراء
فأخبره أنه هو فقال له وما الذى فعل بك هذا ؟ فأخبره أن الشيخ الفلانى رضى الله عنه طلبته فى الأخذ
عنه فأمرنى بما ترى ، فلما فعلت قال لى ليس لك بيدنا شيء امض لشأنك ، ففهمت على وجهى كما ترى ،

فقال له الرجل إياك أن تعتقد أن أحدا ينفعلك غيره أرجع له على قدم الصدق وقل له ياسيدى ليس لي عن بابك عييد فقبله الشيخ وفتح عليه من حينه ، فقال له ياسيدى الخير كله مع يدك وأنت تفعل بي هذا ، فقال له قطعناك عن العلائق الدنيوية فانقطعت عنها وبقي لك أن فيك علاقة تتعلق بغيرنا فلما أتينا متجردا من ذلك متنا عليك ، وأذن له سيدنا رضى الله عنه في الورد ، فانظر رحمك الله ما أطفه وأرحمه لهذا الأدب الذى أدب به هذا الرجل من غير مشقة ولا طرد رضى الله عنه اه . وفى [غ] بعد ذكر هذه القضية ؛ وهذه كانت عادته رضى الله عنه مع من صدر منه إخلال بهذا الشرط إذا أتاه طالبا لتجديد الإذن لا يجدد له حتى يأمن منه الصدق التام فى الجزم بعدم العود إلى ذلك ، ومن الناس من طلبه ذلك فلم يجبه إليه بعد أبدا ، ولا تظن أن للمشايخ فى ذلك هوى نفسانيا أو حظا شهوانيا فتخسر صفقتك فى حسن الظن بهم رضى الله عنهم اه . وفى [د] أيضا ثلاثة تقطع التلميذ عنا : أخذ وردنا ، وزيارة الأولياء ، وترك الورد . يعنى نبذه أو أخذ ورد آخر معه ولو كان قبله لأن الانفراد به شرط فى طريقه ، وقوله الأولياء شامل للأحياء والأموات اه ، وفيها : وأما الرجل الذى أخذ ورد الشيخ عبد القادر على وردنا فلا سبيل له إلى الرجوع إلى طريقنا اه : يعنى مالم يتب ويتخل عنه وإلا فله التجديد مالم يسكن من الذين لم يجهم أبدا نعوذ بالله من السلب بعد العطاء ومن درك الشقاء وسوء القضاء ونزول البلاء بجاهه صلى الله عليه وسلم . وأخبرنى من أثق به رحمه الله ورضى عنه أن بعض من لقننه من الإخوان أتاه يوما وقال له إن من أقرأنى القرآن ألزمنى ترك ورد التجانى ولقننى ورد السكتانى ، فندمت وجئت لتجدنى ورد الشيخ التجانى ، فقال له ذاك شيطانك يا إنسان لا شيخك فى القرآن نعوذ بالله من الحرمان والخسران ، فالتفت فإذا كلب أسود بهيم ثالثهما ، فقال له انظر إلى هذا الكلب ، فلما نظر إليه قال هو جوابك فسد عنه داره سدا كليا ونبذه وراءه ظهريا فلم يبرح ، ثبتنا الله وإياه على مكانه فجعل يبكى طول نهاره حتى اجتمعت عليه النسوان والصبيان يتعجبون من بكائه ويشفقون عليه ، فلما استيقن منه صدق التوبة والرغبة وعدم العود إلى الخيبة والنسكة لقننه ورد سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنايه آمين ، اللهم يامثبت القلوب ثبتنا على دينك آمين :

فبارب ثبتنا على الأحمدية بجاه رسول الله خير الوسائل

قال رحمه الله :

(وَفِيهِ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ غَيْرِ ثَرَوَةٍ وَفِيهِ الْمَنَى وَالْعِزُّ مِنْ غَيْرِ عِصْبَةٍ)

(وفيه) أى وفى الورد الأحمدى بمحض فضل الله وكرمه (غنى) بالكسر والقصر ضد الفقر (الدارين) الدنيا والآخرة (من غير ثروة) بفتح مثله كثرة المال ولذا تجد أهلها رضى عنهم وعنايتهم آمين أغنياء بالقلب والعرض لا بالمال والعرض . وفى [غ] الأمر الثانى ، يعنى من الأمرين اللذين كادا أن يكونا فى الأحمدية من أركانها رفع الهمة عن الخلق اكتفاء بالملك الحق واتصاف سيدنا رضى الله عنه بهذا من الواضح الذى لا يحتاج إلى تقرير ، وقد سرى ذلك لأصحابه فاتصفوا به بين الخاص والعام حتى صار الناس ينسبونهم إلى الغنى ولو لم يكونوا أغنياء اه . وفيهم قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

قوم برهم استغنوا به ثقة فإلهم همة تسمو إلى أحد
بالقسمة الأزلية هم قنعوا واستفرغوا همما لخدمة الأحد
لذلك قد نسبوا إلى الغنى العرضى مع أنهم أفقر الخلق إلى الصمد

تلك أماراتهم إن كنت جاهلهم
فلذ بأذياهم واسلك مسالكهم
فهم والله لا يشقى جليسهم
فكن جليسهم أو كن محبهم
من لى بقربهم من لى بودهم
صحب أبى الفيض أحد التجان^(١) هم
يارب فاجمع بهم شملى بمحض رضى^(٢)
عليه وآل والصحب نجوم هدى^(٣)
ليانهم من لىالى القدر للأبد
تسمو كما قد سموا بمئة الفرد
ولا محبهم سوف ترى بقدر
وفر من مبغض تسلم من النكد
طوبى لمن ودهم ويل لذى كمد
والله صفوة خلق الله للأمد
دنيا وأخرى بجاه المصطفى أحمد
سحب الصلاة يلاحصر ولا عدد

وفى [جص] « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » وفى [العزيزى] معنى الحديث : إن الغنى النافع أو العظيم أو الممدوح هو غنى النفس ، وبيانه أنه إذا استغنت نفسك كفت عن المطامع فغزت وعظمت وحصل لها من الخطوة^(٤) والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذى يناله من يكون فقير النفس لحرصه فإنه يورطه فى رذائل الأمور فيكثر من يلزمه من الناس ويصغر قدره عندهم ، فيكون أحقر من كل حقير وأذل من كل ذليل اه . وفيه « أداما اقترض الله عليك تسكن من أعبد الناس ، واجتنب ما حرم الله عليك تسكن من أروع الناس ، وارض بما قسم الله لك تسكن من أغنى الناس » وفيه « إن الله تعالى يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال » قال العزيزى : فيه أنه يندب للفقير إظهار التعفف وعدم الشكوى :

[تنبيه] الفقر فقران : فقر مشوبة وفقر عقوبة ، وعلامة الأول أن يحسن خلقه ويطيع ربه ولا يشكو ويشكر الله على فقره ، والثانى أن يسوء خلقه ويعصى ويشكو ويتسخط ، والذى يحبه الله الأول دون الثانى ، وفيه « من صبر على القوت السديد صبيرا جبيلا أسكنه الله من القرو دس حيث شاء » وللعارف بالله سيدى عبد الغنى النابلسى رضى الله عنه :

كن غنيا فى صورة الفقراء
ومرادى بالفقر ما كان فقرا
لامرادى بالفقر لله ربي
ذاك عز بدون ذل وعلم
وتمسك بربك الحق واقنع
وانفض القلب من غبار الترجى
إنما جاههم توهم عز
وعلاهم محض استفال وخفض
لا فقيرا فى صورة الأغنياء
دنيويا للأخذ والإعطاء
ذاك فقر ما إن له من غناء
فاضطرب إنه لخير بلاء
بالتجلى فى سائر الأسماء
والتمنى لجاههم والعلاء
فى هوان وشهرة فى خفاء
واحتقار عند البصير الرأى

(وفيه) أيضا كل (المنى) بضم الميم جمع منية ما يتمناه الإنسان . وفى [د] سبحانه الله زجل عمره ما صلى ولا صام وقتل ما يقرب من مائة رجل وجاءنى تائبا يطلب الورد فأعطيته ، سبقت له السعادة على ما ملف من الشر اه . قال تعالى - إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون - الآية (و) فيه (العز) ضد الذل (من غير) احتياج إلى (عصبية) بالضم الجماعة ذوو شدة وقوة :

(١) التجان يحذف الياء لزوم الحين فى عروض البسيط اه . (٢) رضا بتكبير لما مر اه .

(٣) بتكبير أيضا اه . (٤) الخطوة بضم حاء وكسرهما المنزلة والمكانة اه .

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم
 ما سامني الدهر ضيحا واستجرت به إلا ونلت جوارا منه لم يضم
 ولا التمت غنى الدارين من يده إلا استلمت الندى من خير مستلم
 وعنه صلى الله عليه وسلم « أعز أمر الله يعزك الله » وقال صلى الله عليه وسلم « أتاني جبريل فقال
 يا محمد عش ماشئت فلانك ميت ، وأحبب من شئت فلانك مفارقة ، واعمل ماشئت فلانك مجزى به ،
 واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس » وقال صلى الله عليه وسلم « آية العز
 - الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا - الخ » وروى « أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أفصح الغلام من بني
 عبد المطلب علمه هذه الآية « وفي الحكم : إذا أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى اهـ .
 ولبعض العارفين رضى الله عنه :

اجعل ربك شأن عز ك يستقر ويثبت
 فإن اعززت بمن يمو ت فإن عزك ميت

وفى [جه] أما أوراده رضى الله عنه فهي من أعظم الأوراد ، وفيها من الخير ما لا ينقضى على أهل
 السداد ، وهي من أملح مراتب أهل الله في زواياهم ، قصد الجمع على الله لمن خالطهم ووالاهم ،
 لتنضبط أوقاتهم وتنصلح بها حالاتهم ، أحياها رضى الله عنه الطريقة بعد دروس آثارها ، وشيد
 منار الولاية بعد خبو أنوارها ، ثم قال : ولم تزل أوراد سيدنا رضى الله عنه منذ ظهرت للعيان تظهر لها
 البركات الكثيرة من تيسير المطالب وبلوغ المآرب إلى الآن ، واستخرجت منها بحمد الله جل جلاله
 نسخ عديدة للوجود ، وانتشر صيتها في أقصى البلدان عن إذن سيد الوجود ، فلم تزل بين العباد مشهورة
 وأسرارها ظاهرة مشهودة ، فهي من أعظم الذخائر وأسنى المفاخر ، ورأوها من الأسرار ما لا يحصى
 من خير الدنيا والآخرة ، انظروه . وللعلامة سيدى عبد الرحمن الشنقيطى رضى الله عنه وعنايه آمين :

تجاننا بيته بالذكر معمور	وبالصلاة وبالحيرات مغمور
موقت فيه ذكر الله ما طاعت	شمس وما غربت وذاك مشهور
أحيا طريقة أهل الله فهي به	مؤلف جمعها والكسر مجبور
شيخ المشايخ من فى طلى برده	جيب ^(١) على النور والأسرار مزرور
من داره جنة الفردوس وهو بها	رضوان خازنها أذكراها الحور
يفيض من سلسبيل الذكر كوثرها	فاشرب مفجرها فأنث مأجور
أوراده عن رسول الله قد رويت	كذلك أفعاله والسر مأثور
فانقل قديتك فى آثاره قدما	فإن نقلت فذاك النقل مدخور
واحرص بأن تنتمى يوما بلحانيه	فحظ من ينتمى إليه موفور
ولا زم أوراده فى نفس أو ملاء	فذاكر الله عند الله مذكور اهـ

قال رحمه الله :

(وَدَعِ زَوْزَ كُلِّ الْأَوَّلِيَا بِالتَّوَسُّلِ تَوَسَّلْ بِخَتَمِهِمْ بِكُلِّ مُهِمَّةٍ

وَأَنْزَلَ بِبَابِهِ جَمِيعَ النَّوَائِبِ فَكُنْفَى هُمُومَهَا بِأَمْرٍ لَمْ يَنْهَ
وَدَفَعَ زَوْرَ كُلِّهِمْ بِدُونِ تَوَسُّلٍ بِذَلِكَ قَدْ أَجَابَ بَعْضُ الْأَحِبَّةِ
وَلَا تَنْتَفِلُ إِنْ أَرَدْتَ سَلَامَةً عَلَى الْأَوْلِيَاءِ وَاقْنَعْ بِذَا الظَّنِّ قُدُورِي

(ودع) عنك أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (زور) أي زيارة (كل الأولياء) قصره للوزن
(بالتوسل) بهم إلى ربك واتخاذهم وسيلة وقربة وعمدة فيما بينك وبين ربك . وفي [غ] وإنما كلامنا
هنا في زيارة الأولياء أعني الكبار الذين يعتقد فيهم ويتعلق بهم ، وحقيقتها قصد الولي للانتفاع به
والاستمداد منه ، وهذه هي التي منع منها المريد في بساط التربية الكاملة لتحقيق المضرة له بها فيما هو
بصدده ، وذلك لأنهم نصوا على أن المريد مهما مال عن قدوته بظاهاه أو باطنه ولو لحمة فلأن ذلك
وبال عليه ونقصان وإن صحبته لا تصفو له ولا يستعد باطنه لسراية حال القدوة ، انظرها . وفي [الجيش]
فالمنهي عنه من الزيارة زيارة التعلق كزيارة الأكابر الذين تعلمون من أنفسهم الاعتقاد فيهم والتعلق
بهم اه . وفي [جه] وكذا من أخذ وردنا ودخل طريقتنا فلا يزور أحدا من الأولياء الأحياء أصلا
وأما الأموات فإن زارهم يعتقد أنه واصلهم لله لا غير ، لأنهم أبواب الله وواصلهم لله ، ويطلب من الله
عند موصلته إياهم رضا الله ورضاه رسوله صلى الله عليه وسلم ورضاه شيخه عليه اه . وفي [جع] ويدلك
على فضلها على سائر الطرق أن أصحابها لا يزورون أحدا من الأولياء الأحياء ولا ميتا بالنهي لهم من سيد
الوجود صلى الله عليه وسلم اه . وبالمعنى مطلقا من زيارة الأولياء الأحياء والأموات صرح القدوة
المرضية سيدي محمد بن أبي القاسم المكناسي رضي الله عنه وعنايه آمين وقال : إن سيدنا الشيخ رضي
الله عنه وعنايه آمين رجع عما كان أذن فيه من زيارة الأموات ونهى عنها مطلقا اه . وفي [د] قال لي
صلى الله عليه وسلم : إذا مر أصحابك بأصحابي فليزورهم وأما غيرهم فلا اه . وفي [غنية الأصحاب] .

إن سقت يا أخى إلى قبورهم	فادع لهم كالمسلمين غيرهم
لا تطلب المسدد من فيوضهم	لا تتوسل أبدا بجاههم
بل صلهم لله لا لغرض	من جلب خير أو كدفع مرض
فرض وارحمهم عند ذكرهم	ولا تقل نفعنا الله بهم
وبالأسرار	وبركاتهم وبالأنوار
أليس بكفيك حمد الكل	حتى تريد نفعهم بالسؤل
لا تستغث بواحد منهم متى	دارت بك الكروب خلع يافى
لشيخنا وجهتك التجاني	حمد كل ولي رباني

[لطيفة] من أخذ هذا الورد الأحمدي وأسلافه من المصطفين الأخيار ومن يتوسل به من الأولياء
الكبار كأهل وزان وأبناء ابن ناصر رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم لا بد أن يشترط عليه ترك
زيارة أسلافه وآبائه بالاستمداد منهم والتوسل بهم في المهمات والملمات ، وأما زيارة السنة فلا يمنع ،
قال تعالى - وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا - ووصينا الإنسان بالديه حسنا - وأما من ليس آباؤه كذلك كعمامة
الناس فلا يضره إن قال لأحد أبويه ادع الله لي أن يرزقني رضاه ورضاه رسوله صلى الله عليه وسلم ورضاه شيخى
ورضا كما ، أو أطلب منكما رضا كما فإن رضا الله ورضاه رسوله صلى الله عليه وسلم ورضاه سيدنا الشيخ

في رضاها ولا يضره ذلك، وما نقل عن البعض من أن ذلك مبطل للورد فقير صحيح ولا يلتفت إليه والله أعلم، وفي [ثيق] أخذ علينا العهد أن لا تمنع قط أحدا من تلامذتنا من زيارة أحد من أقراننا ومشايخ عصرنا إلا إن علمنا من طريق الكشف الذي لا يدخله محو أن فتحهم لا يكون إلا على يدنا فحينئذ نمنعهم من زيارة غيرنا من الأشياخ تقريبا للطريق عليهم لاحبا للرياسة عليهم، فإن لم نعلم أن فتحهم على يدنا فليس لنا منعهم، وكان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى يقول: مازكت الأكابر أنفسها إلا لتقرب على أتباعهم الطريق لا غير، كما قال صلى الله عليه وسلم «أنا أول شافع وأول مشفع» ليعلم أمته أن أحدا لا يشفع قبله فيأتونه أولا ولا يذهبون إلى نبي بعد نبي كغيرهم من الأمم أو ممن لم يبلغهم هذا من أمته اهـ. وكان سيدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول لأصحابه: أنا لا آمركم بالتقيد على صحبي وإنما أقول لكم إن وجدتم منها لأعذب من منهلنا فدونكم إياه، فكانوا ينظرون فلا يجدون أعذب من منهلهم: [قلت] ولعل هذا الأمر من الشيخ في حق أكابر أصحابه الذين يفرقون بين المقامات، أما ضعفاء الحال فتقيدهم علينا حتى لا يجدوا أحدا غيرنا لأنهم كالبهايم السارحة، انظروه. وفي [مع] فقد حصل شيخنا هذا العلم القطعي في حق جميع أهل طريقته ضعفاء الحال الذين هم العوام منهم والأكابر الذين يفرقون بين المقامات من جهة جده صلى الله عليه وسلم: قال في [جواهر المعاني] وأفضل أتباعه رضي الله تعالى عنه فقد أخبره سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن كل من أحبه فهو حبيب للنبي صلى الله عليه وسلم، ولا يموت حتى يكون وليا قطعا انظروه (توسل) من توسل إلى الله تقرب إليه بعمل (بخدمتهم) أي بخدمتهم جميع الأولياء وقطب جميع الأقطاب سيدنا أبي الفيض رضي الله عنه وعنا به آمين، وهو أحق بقول الجيلاي رضي الله عنه في تائيته:

توسل بنا في كل هول وشدة أغنيك في الأشياء دهرًا بهمتي
أنا لمريدي حافظ ما يخافه وأحرسه من كل شر وفنة
مريدي إذا ما كان شرقًا ومغربًا أغته إذا ما سار في أي بلدة

وفي [مع] وأما كيفية التوسل به ^(١) رضي الله تعالى عنه ويجده صلى الله عليه وسلم فهي أنك مهما أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح مائة وأهد ثوابها لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنية قضاء الحاجة التي تريدها، ثم تقول: يارب توسلت إليك بحبيبتك ورسولك وعظيم القدر عندك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في قضاء الحاجة التي أريدها مائة مرة، ثم تقول: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بجاه القطب السكابر سيدنا أحمد بن محمد التجاني وجاهه عندك أن تعطيني كذا وكذا، وتسمى حاجتك بعينها عشرة، ثم تصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح مرة، ثم تقول: اللهم أعطني كذا وكذا، وتسمى حاجتك بعينها، ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بصلاة الفاتح مائة (بكل مهمة) دينية أو دنيوية أو أخروية (وأزل) بنية صادقة (ببابه) الكريم العليم الفضل (جميع النوائب) أي حوادث الدهر (فتكني همومها) وغمومها وكر وبها بمحض فضل الله تعالى وفضل رسوله صلى الله عليه وسلم وفضل سيدنا أبي الفيض رضي الله عنه وعنا به آمين (بأسرع لمح) وإن أبطأ بك الأمر فلم نفسك الأمانة بالسوء وتب إلى الله تر العجب في نيل الأرب، ولسان حاله رضي الله عنه وعنا به آمين يقول:

فاحطط ببابي ماقد شئت من ثقل
إياك إياك والإعراض عن بابنا
تسلم وتغتم وتحظى بجميع المنى
لا تأسن إذا طال بك السفر
وهو رضى الله عنه وعنايه أمين أحق بقول الشيخ الجليلاني رضى الله عنه :

أنا من رجال لا يخاف جليسهم
ولبعض الأماثل رحمه الله من قصيدة مربعضها :

وتجانب غوث للأنام وكلهم
ألا فبهذا الشيخ صحبي تمسكوا
وسيروا على آثاره وتحفظوا
فلا ملجأ إلا إليه بالإخوت
فلو طفت أقطار البلاد وجلها
يمينا بربي مارأيت كحسنه
منأى من الدهر أعيش بذكره
له يلجئون في المهمات والضير
وروضوا نفوسا حتى لا تمنى في السير^(١)
وآدابه فاستعملوا ياذوى الحجر
بذا الزمن الصعب الخلى من الخير
لما تلتقى أصلا شيئا بذا الخبر
ولا رمقت عيناي مثله في الدهر
وأرتاح نشوانا إلى راهب الدير اه

وفي رائية الشريشي رضى الله عنه :

وفر إليه في المهمات كلها
فلأنك تلقى النصر في ذلك القر

وفي [عف] وليعتقد المريد أن الشيخ باب فتحه الله إلى جناب كرمه منه يدخل ومنه يخرج وإليه يرجع وينزل بالشيخ حوائج الدينية والدنيوية ، ويعتقد أن الشيخ ينزل بباب الله الكريم ما يغزل به المريد ، ويرجع في ذلك إلى الله للمريد كما يرجع المريد إليه ، وللشيخ باب مفتوح من المسكالة والمحادثة في النوم واليقظة فلا يتصرف الشيخ في المريد بهواه فهو أمانة الله عنده ، ويستغيث إلى الله بحوائج المريد كما يستغيث بحوائج نفسه ومهام دينه ودينه قال الله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا - فإرسال الرسول يختص بالأنبياء والوحى كذلك ، والكلام من وراء حجاب بالإلهام والهواتف والمنام لتشيوخ اه . وفي [غصن] وسألته رضى الله عنه عن المريد هل الأولى له أن يغزل جميع مهماته على شيخه أم يتحمل أموره عن شيخه ؟ فقال رضى الله عنه : الأولى أن يتحمل عن شيخه كلما قدر عليه ولا يحمل شيخه إلا ما عجز هو عنه لئلا تألف نفسه الراحة في الدنيا فيتلف بالكلية أو شيخه ليس بمقيم له ، وفي الحديث « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمن سأله مرافقته في الجنة أعني على نفسك بكثرة السجود » فقلت له فإذا ليس له أن يتوجه بشيخه إلا في المساعدة له فقط ؟ فقال : نعم - إياك نعبد وإياك نستعين - قال : وقد رأى أخوك أفضل الدين في المنام أنه مات وأنا حامل نصفه وهو حامل نصفه الآخر ، فقلت له التخصيص منك الذي لم تحمل نصفك الآخر فإن من احتاج إلى غيره فهو ناقص إلا إن كان عاجزا العجز الشرعي اه . اللهم إنك تعلم أني أعجز العجز ، وأضعف الضعفة ، وأظلم الظلمة ، فأرحمني برحمتك التي وسعت كل شيء ، وأغرقني في دائرة فضلك وإفضالك واغمسني في بحر رضاك وكرمك وامتنانك وإحسانك ، بجاه نبيلك العظيم صلى الله عليه وسلم ، وبجاه

القطب المكتوم سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنايه آمين (ودع) عنك (زور كلهم) أى زيارة جميع الأولياء الأحياء والأموات (بدون توسل) بهم إلى الله تعالى فى كل شيء ، بل ولو بأن تسلم عليهم وتدعوا لهم رغبة فى السلامة ورهبة من الملامة :

إن السلامة من سلمى وجارتها أن لا تحمل على حال بواديا

وعن أبى عبد الله الكنوسى رضى الله عنه وعنايه آمين أن بعض الأصحاب سأل سيدنا رضى الله عنه وعنايه آمين : إذا جاز على مولانا إدريس رضى الله عنه أيسلم عليه أم لا ؟ فأجابه رضى الله عنه بأن لا يسلم عليه ، وقال رضى الله عنه : الناس كلهم فى واد وأنا مع أصحابى فى واد ، الناس كلهم فى جهة ، وأنا مع أصحابى فى جهة اه . وفى رفع العتاب لذي السر المكتون سيدى محمد كنون أن الولي الربانى سيدى أحمد بنافى رضى الله عنهما وعنايهما آمين أخبره أنه بعد أن تميد بعهد الشيخ أبى العباسى التجانى ذهب عشية جمعة من الجمعات إلى زاوية بعض المشايخ مساعدة لبعض الطلبة ، فرأى الشيخ مناما فعاتبه على ذلك عتابا شديدا ومرت عليه فى ذلك المنام مشقة شديدة اه . ونظير ذلك ما طوى هنا وهو :

ودع زور كلهم بدون توسل	فإنى قد وهبت ألف الفريدة
لمولاي إدريس المعظم قدره	زمان انتظاري أن أصلى جمعة
ومالك حتى لا تزوره قيل لى	بعالم أرواح فعبرت رؤيتى
بأن مزيد لا لحسن عبارة	فحيث تركت فيه فريضتى
ولم أنس شرط الشيخ وقت انتظارها	ولم ألتفت عنه بالمع لحة
ولم أدر أمن سيئات المقربين	أم أخطأت بالتفضل افهم قضيتى
فمن حين ذلك ما قصدت أماكن الـ	شيوخ ولا دخلت إلا لكافة
فتبت إلى الرحمن من قصد صالح	على أى حال قد رضيت بقدوتى
رضيت بأحمد التجانى قدوتى	إليه أفر فى رخاء وشدة

(بذلك) أى بعدم زيارتهم أجمعين سدا للذريعة وتأديبا معهم ومع ممدهم رضى الله عن الجميع الرضا الأبدى آمين (قد أجاب بعض الأحبة) رضى الله عنه من سألته عن ذلك . وفى [غ] وما فى جواهر المعانى من أن المرید له أن يزور الأولياء الأموات بشرط أن يقصد بذلك مواصلتهم لله ويطلب عندهم رضا الله ورضا رسوله ورضا شيخه عنه لا غير صحيح لأن المنع محطه قصد الانتفاع بالزور ، وهو فى هذه الصورة منتف بلاشك لأن القصد هو المواصلة لله تعالى ، لكن هذا إنما يصح ممن تحقق بمنزل الإخلاص وبلغ فى تصفية النفس وتركيتها إلى أن صار بحيث لا يلتبس عليه شيء من دسائسها وخداعها ، وأما من كان مرتها فى أمر شهواته ومحوسا فى سجن هواه وغفلاته فإنه لا يعرف المواصلة لله وإن ادعت نفسه ذلك فهو من مكرها وخداعها لا غير . وقد كان سيدنا رضى الله عنه يقول :

العامة لا تعرف العمل لله اه . فالتخير كله مجموع لنا معشر الضعفاء وأهل الحجاب فى اتهام أنفسنا وعدم الاغترار بشيء مما تدعو إليه وتشرئب إلى فعله والحرص عليه ، ولهذا آل الأمر من سيدنا رضى الله عنه فى آخر عمره إلى سد هذا الباب وحسم هذه المادة من أصلها ، وعلى ذلك استمر العمل بعده من جمهور أصحابه المتعبين على أن الخطب فى هذا سهل عند من أنصف فإن فضل المواصلة لله لالعة زائدة يحصل بالاعتقاد والتعظيم القلبى ، بل ربما كان ذلك أفضل لسلامته مما يتوقع فى القصد إلى الأولياء

بأعمال الحركة الظاهرة من التصنع والرياء والعجب ونحو ذلك ، فلاقتصار على التعظيم القلبي في حق المرید أولى له من ارتكاب ما يتوقع بارتكابه الإخلال بهذا الأصل الذي قال فيه الشيوخ إنه أصل الأصول حسبا تقدم وخصوصا في طريقتنا هذه فإن سيدنا رضى الله عنه جعل مدار التربية فيها عليه . أى فاعلم ذلك واعمل عليه ، والله يهتدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

فهذا صراط مستقيم فلذ بها وإياك أن تزيغ يوما بزورة
ولأنك ممن ضل عن سبل الهدى فصار بزورهم وباء بخيبة
فهذه نصيحة لسائر إخواني ولكنما الأهواء عمت فأعمت
فيارب فاحفظنا من النفس والهوى ومن سبل الشيطان في كل لحظة

ولذا قال رحمه الله (ولا تتطفل) والتطفل إتيان الولائم بلا دعوة ولا إذن (إن أردت سلامة) في دينك ودنياك وأخراك (على) ساداتنا (الأوليا) قصره للوزن بالدخول والمجوم عليهم بلا أدب ولا تأدب معهم ولا مع ممدحم رضى الله عنهم وأرضاهم وجعل أعلى عليين مأواهم آمين :
إن السلامة تقدم على نيل الغنيمة لدى من عقلا
(واقنع) حامدا لله وشاكرا له أن جعلك أهلا للتقيد (بهذا) أى بعهد هذا (الختم) المحمدى
المعلوم والقطب المكتوم (قدوتى) وعدتى وعمدتى فى الدارين ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

يارب فاشهد لى قنعت بأحمد التجانى ماحيت
ولانى بورده رضيت وسيلة إليك مابقيت
ولانى من حزبه ماعشت بمحض فضلك ويوم مت
تالله لولا الله ما اهتديت ولا تصدقت ولا صليت
فالحمد والشكر لما أوتيت بمحض فضله وما أوليت
ثم على محمد صليت وآله وصحبه مادمت

قال رحمه الله :

(وَأَمَّا زِيَارَةُ الْقُبُورِ وَإِخْوَةٌ فَلَا تَتْرُكْنَهَا بِدُونِ مَشَقَّةٍ
عَنِ الْمُصْطَفَى زُورُوا الْقُبُورَ تَزَاوَرُوا وَلَا تَتَجَاوَرُوا خِلَافَ الْمُصْطَفَى)

(وأما زيارة القبور) أى قبور المسلمين فيدخل فى ذلك قبور الأولياء لكن السلامة مقدمة على الغنيمة كما مر (و) زيارة (إخوة) فى الله والطريقة والنسب (فلا تتركها) بحال من الأحوال ولا بوقت من الأوقات لكن (بدون مشقة) وتكلف . وفى نسخة . فالنهي عنها واقع من وسيلتى . وفى (عم) أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نرغب إخواننا من الرجال فى زيارة قبور إخوانهم ، وذلك لنجازى على ذلك فلا ينسانا أهلونا من الزيارة إذا متنا ولا تترك ذلك إلا من عذر شرعى ، انظره ، وقدروى (عن المصطفى) صلى الله عليه وعلى آله وسلم (زوروا) بضمير الجمع وفى نسخة زر بضمير المفرد المذكور مبنى على الكسر تخلصا من التقاء الساكنين وهى أولى لموافقتهما

لفظ الحديث ، وفي [جص] « زر القبور تذكر بها الآخرة ، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة ، وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فإن الحزين في ظل الله يوم القيامة يتعرض لكل خير » وفيه « من زار قبر والديه أو أحدهما يوم الجمعة فقرأ عنده يس غفر له » وفيه « من زار قبر والديه أو أحدهما في كل جمعة غفر الله له وكتب باراً » وفيه « اطلع في القبور واعتبر بالنشور » وفي [حى] روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب ، وإنه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال » وقال بعض السلف : الدعاء للأموات بمنزلة الهدايا للأحياء ، فيدخل الملك على الميت ومعه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول : هذه هدية لك من عند أخيك فلان ، من عند قريبك فلان : قال : فيفرح بذلك كما يفرح الحى بالهدية ، انظره . ونقل أن رجلاً كان يشهد الجنائز فإذا أمسى وقف على المقابر فقال : آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز الله عن سيئاتكم وقبل الله حسناتكم ، لا يزيد على هذا شيئاً قال : فأمسيت ليله ولم أدع فبينما أنا نائم إذا خلق كثير جاءونى فقلت من أنتم ؟ قالوا أهل المقابر ، قلت ما حاجتكم ؟ قالوا إنك كنت عودتنا هدية عند انصرافك إلى أهلِكَ ، قلت وماهى ؟ قالوا الدعوات التى كنت تدعو ، قلت فإنى أعود لذلك فما تركتها بعد ذلك ، اه . ولعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

انظر لنفسك يامسكين فى مهل مادام ينفعك التفكير والنظر
قف بالمقابر وانظر إن وقفت بها لله درك ماذا تستر الحفر
ففيهم لك يامغرور موعظة وفيهم لك يامغتر معتبر

وفيه : وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه : يا فلان لقد أرقت الليلة أفكر فى القبر وساكنه إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره لا ستوحشت من قبره بعد طول الأنس منك به ، ولرأيت بيتاً نجول فيه الهوام ويمجرى فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب . قال : ثم شق شهقة خمر مغشياً عليه ، ثم قال : قال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل على فقال : يا ميمون هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثلث واستحكّم فيهم البلى وأصابته الهوام مقيلاً فى أبدانهم ، ثم بكى وقال : والله ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله ، انظره . وقيل : إن داود الطائى مر على امرأة تبكى على قبر وهى تقول :

عدمت الحياة ولا نلتها إذا كنت فى القبر قد ألدوكا
فكيف أذوق لطعم الكرى وأنت يميناك قد وسدوكا
وماذا لقيت ببطن الثرى إذا رجعو اعنك وقد أسلموكا

ثم قالت يا ابنائى ليت شعرى بأى خديك بدأ الدود ، فصعق داود مكانه وخر مغشياً عليه ، وفى الحديث « إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا » وعنه صلى الله عليه وسلم أيضاً (تراوروا) أى ليزر بعضكم بعضاً ، وفى الحديث « حقت محبتي للمتجائنين فى والمتجائسين فى والمتبازلين فى والمتزاورين فى » وفى [جه] وإياكم ولباس حلة الأمان من مكر الله فى الدنيا فإنها عين الهلاك وترك المقاطعة مع

جميع الخلق وأكد ذلك بينكم وبين الإخوان، وزوروا في الله وواصلوا في الله وأطعموا في الله ما استطعتم في غير تعسير ولا كد انتهى . وقد ورد عن السلف رضي الله عنهم أنهم كانوا إذا التقوا لا ينصرفون إلا عن ذواق : أي حسي ومعنوي عكس ما عليه أبناء الوقت من أنهم إذا التقوا لا ينصرفون إلا عن غيبة ونعمة وكثرة القيل والقال والخوض فيما لا يعني ، ولقد صدق صلى الله عليه وسلم في قوله «خص البلاء بمن عرف الناس» وفي [د] كيف بالرجل كيف يكون شيخه معه في البلد ويبقى ثلاثة أيام ولم يزره وإذا قاله لبعض الناس تعجبا من دعوته التلمذية مع التقصير الكبير اهـ . وفي [م]

لا بأس أن يزور بعض الفقرا بعضا وذلك حسن إذا جرى

وفي [خل] وينبغي أن يكون الطالب مع شيخه أعني في الاجتماع به مختارا للأوقات من الاجتماع بالناس ، وهذا النوع كثيرا ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان تجدهم يعتقدون الشخص ويقولون ببركته ثم إنهم يختارون الأوقات الفاضلة فيأتون فيها إلى زيارته فيشغلونه عن اغتنام بركة تلك الأوقات فيصير هو وهم بالسوء أعني في بطلان تلك الأوقات الشريفة ، ولا شك أن الشيطان ألقى إليهم ذلك فتمجدهم مخالفين لما كان عليه السلف رضوان الله عليهم ، ألا ترى إلى ما كان عليه حالهم في شهر رمضان إذا دخل عليهم تناكر بعضهم من بعض ونفر كل واحد منهم من صاحبه حتى إذا فرغ اجتماعوا وأقبل بعضهم على بعض ، بخلاف ما الحال عليه اليوم فإنه إذا دخل عليهم شهر رمضان كثر اجتماعهم وزيارتهم فيه فمن لم يأت منهم إلى قريبه أو صاحبه أو معلمه يجلدون عليه ويقع التشويش بينهم فلما الله ولما إليه راجعون على عكس الأمور وارتكاب ما لا ينبغي ورؤية النفس أنها على الخير والدين ، فيرون أن اجتماعهم في هذه الأيام الشريفة قربة إلى الله تعالى يتقربون بها إليه اهـ . وعليه فينبغي للأخ الصادق أن لا يشغل أخاه عن أوراده لا سيما في الأوقات الفاضلة كبعد صلاة الصبح إلى وقت الضحى ، وصلاة العصر إلى المغرب ، وكيوم الجمعة . وقد مر عن أبي وائل أنهم زاروا ابن مسعود بعد صلاة الغداة لكنهم لم يشغلوه عن ورده حتى طلعت الشمس . وحكى عن بعضهم أنه جاء لزيارة شيخه قال : فدخلت عليه فوجدته يصلي فأوجز في صلاته وقال لي : ما حاجتك فإني مشغول ؟ فقلت له وما شغلك ؟ قال أبادر خروج روحى - وفي ذلك ، فليتنافس المتنافسون - وفي [حى] قال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول حققت محبتي للذين يتزاورون من أجلي ، وحققت محبتي للذين يتحابون من أجلي ، وحققت محبتي للذين يتباذلون من أجلي ، وحققت محبتي للذين يتناصرون من أجلي » ثم قال : وقال صلى الله عليه وسلم « مازار رجل رجلا في الله شوقا إليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة » وقال صلى الله عليه وسلم « إن رجلا زار أخا له الله فأرصد الله له ملكا فقال له أين تريد ؟ فقال أريد أن أزور أخى فلانا ، فقال لحاجة لك عنده ؟ قال لا ، قال لقرابة بينك وبينه ؟ قال لا ، قال فبنعمة له عندك ؟ قال لا ، قال فبم ؟ قال أحبه في الله ، قال فإن الله أرسلني إليك بأنه يحبك لحبك إياه وقد أوجب لك الجنة » اهـ . وفي [جص] « زرقى الله ، من زار في الله شيعة سبعون ألف ملك » وفيه « الزائر أخاه في بيته الآكل من طعامه أرفع درجة من المطعم له » وفيه : إذا زار أحدكم أخاه فجلس عنده فلا يقوم من حتى يستأذنه لأنه أمير عليه الحديث « إذا دخل أحدكم على أخيه فهو أمير عليه حتى يخرج من عنده » ومنه « الزائر في قبضة المزور أو المزار » قال تعالى - وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه - الآية ، وفيه « زرعبا تردد حبا » ونظمه من قال :

إذا شئت أن تقلى فزر متواترا وإن شئت أن ترداد حبا فزرغبا
والحريرى رضى الله عنه :

لا تزر من تحب فى كل شهر غير يوم ولا تزد عليه
فاجتلاء الهلال فى الشهر يوم ثم لا تنتظر العيون إليه
ولا بن الوردى رحمه الله :

غب وزرغبا تزد حبا فمن أكثر الترداد أضناه الملل
ولا بن دريد رحمه الله :

عليك بإغباب الزيارة إنها إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا
فإني رأيت الغيث يشم دائما ويسأل بالأيدى إذا هو أمسكا
وقد قيل : قلة الزيارة أمان من الملامة والسامة ، ولأبى العتاهية رحمه الله :

أقلل زيارتك الصديق ولا تطل إتيانه فتلج (١) فى هجرانه
إن الصديق يلج فى غشيانته لصديقه فيلج فى عصبانته
حتى تراه بعد طول سروره وكأنه متبرم بمكانه
ولإذا تولى عن صيانة نفسه رجل تنقص واستخف بشأنه

وقيل . ترك الزيارة سبب القطيعة ، وعن سيدنا على رضى الله عنه وعنايه آمين : الصبر من كرم
الطبيعة والمن مفسده الصنعية ، وترك التعاهد للصديق يكون داعية القطيعة . ولبعضهم رحمه الله :

وإني لزوار لمن لا يزورنى إذا لم يكن فى وده بمريب
تقرب لى دار الحبيب وإن نأت وما دار من أبغضته يقرب
فلا تطلبن القرب والبعد بعدها إلى غير نيات وغير قلوب

ولآخر رحمه الله :

زر من هويت وإن شطت بك الدار وحال من دونه حجب وأستار
لا يمنعك بعد عن زيارته إن المحب لمن يهواه زوار
ولبعضهم رحمه الله فى المحافظة على العهد والصداقة بظهر الغيب :

يا من فدت نفسه نفسى وقد جعلت له وقاء لمن يخشى وأخشاه
أبلغ أخاك وإن شط المزاربه إني وإن كنت لا ألقاه ألقاه
وإن طرقي موصول برؤيته وإن تباعد عن مثواى مثواه
الله يعلم أنى لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه

ولذا قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه فيما كتب به لبعض الخاصة متعنا الله وإياه بالرضا
الأبدى آمين :

فوالله ما نستبكم من زيارة بقلب سليم من تصنع أبدان
فهذا تحدث بنعمة ربنا فمن شاء فليؤمن من الانس والجان

(١) تلج بفتح فوقية ولام من لجج كفرح : لازم الشيء وواظب عليه اه .

وكتب بعضهم رحمه الله لمن استقراره وكان يبالغ في بره وإحسانه ويفرط في ذلك :
 همجرتك لم أهجرك من كفر نعمة وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر
 ولكنني لما أتيتك زائرا فأفرطت في برى عجزت عن الشكر
 فأليت لا آتيتك إلا مسلما أزورك في الشهرين يوما أو الشهر
 فإن زدتنى برا تزايدت جفوة ولم تلقنى طول الحياة إلى الحشر
 فأجابه صاحبه رحمه الله الجميع بقوله :

ألا رب ضيف طارق قد بسطته وآنته قبل الضيافة بالبشر
 أتاني برجيني فما حال دونه ودون القرى والعرف من نيله سترى
 وجدت له فضلا على بقصده إلى وبرا زاد فيه على برى
 فزودته ما لا يقل بقاءه وزودنى مدحا يدوم مع الدهر

وبعث له مع الجواب ألف دينار ووصيفة أيضا - وقل رب زدنى علما - وفي [غص] وسأله
 رضى الله عنه هل أزور إخواني في هذا الزمان أو أترك الزيارة خوفا أن أشغلهم بزيارتي عن أمر هو
 أهم ؟ فقال : حرر النية الصالحة ثم زروا في النية وليس اللوم إلا على من يزور لغرض نفساني ،
 ثم قال : احذر أن تشغل من تزوره عن الله أو عن حرفته التي أمر الله بها ، فإن غالب الناس لا يراعى
 مثل ذلك فيكون ذلك اليوم غير مبارك على الزائر والمزور والله أعلم اه . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود
 أن نزور إخواننا الصادقين وغير الصادقين ولا نترك زيارتهم لعدم شيء نركبه ونحن قادرون على المشي
 فإن المحب لمن يهواه زوار ، وقال يعقوب بن ليلى :

ولو قطعوا رجلي مشيت على العصا وإن قطعوا الأخرى حبوت وجئت

وهذا الأمر قد أغفله أصحاب التاموس من الفقهاء فتركوا زيارة إخوانهم من المسلمين ويتعللون
 بأنه ليس لنا عادة بالخروج ولا زيارة الناس كما سمعته من جماعة منهم ، وهذا ليس بعذر في ترك الزيارة ،
 وبعضهم قال لي : ما أترك الزيارة إلا خوفا من تلامذتي أن يفهموا أنه لو لأن فلانا فوق ما كنت أنا أزوره
 وهو لا يزورني فيعلموا النفع من صحبتي ، وهو أيضا عذر بارد فإن السنة لا تترك بمثل ذلك وكل هذا
 من قلة الاشتغال بعلم الشريعة والله غفور رحيم اه . وفيه : أخذ علينا اليهود أن لا نتكبر على إخواننا
 فنطلب منهم أن يزورونا ولا نزورهم أو نترك إجابتهم إلى حضور عقد نكاح أو حضور ولعة تكبرا بل
 نخفض جناحنا لجميع إخواننا المؤمنين ، واعلم يا أخى أن ترك الزيارة والحضور في الولايم قد يكون
 حياء أو لعدم الإخلاص في الحضور ، فلا ينبغي طرد هذا الميزان في كل الناس والقرائن تشهد لأهل
 كل مقام ، أنظره . قال تعالى - بل الإنسان على نفسه بصيرة وفيه : أخذ علينا اليهود أن لا تزور أحدا
 بعينا لنا إلا إن كنا نرجع في الحال وذلك لأن في زيارتنا بالعيال والأولاد مشقة على أخينا ولو أخفاها
 لاسيا إن كان بيته ضيقا لا منازل فيه أو الزيارة في الشتاء والقرش والغطاء قليل ، وقد قالوا خفف تعوم
 وقد مضت أيام الزيارات والجمعيات وطبخ الملوخية والوز وما بقي إلا الفم ، ومن غفل عن
 حال زمانه وفعل شيئا من ذلك أعقبه التكدير وضيق الصدر ، ومن شك فليجرب ، والله غفور
 رحيم ، وهذا في زمنه رضى الله عنه فكيف بزمننا الذي هو آخر عجب الذنب ، وبعض الإخوان
 رحمه الله ورضي الله عنه :

فإن تسألوني عن زمانى فلأنتى
فما كان يدعى للولائم وقتنا
ليستصحبوا معهم هدايا سنية
فلم أر إلا من يمن بدعوة
نكم صحف تملئ لديها بغيبة
وكن يا أخى أدرى بوقتك لانتكن
رأيت اتساع الخرق فى كل دعوة
ولو أنصف الزمان قال بجرمة
فبالله عذت من حضور الولائم
ومن شك فليخبر ولائم وقته
فهذا صراطى فاتبعه وذراخا
يقول أجب من قد دعاك لدعوة
ولم يدرك أن السم دس بدعوة
وقل تلك نعمة على تمنها ؟
ولا ترضين بالذل والمن والأذى
فيارب فارحمنا بمحض العناية
عليه صلاة الله ثم سلامه
وجاه أبى الفيض التجانى أحمد
عليه من الرحمن أزكى تحية
ونحن أحق بقول الشففى فى لاميته :

أديم مطال الجوع حتى أميته
وأستف ترب الأرض كي لا يرى له
وأطوى على الحمص الحوايا كما انطوت
وأغدو على القوت الزهيد كما غدى

وأصرف عنه الذكر صفحا فأذهل
على من الطول (١) امرؤ متطول
خيوطه مارى تغار وتقتل
أزل تهاده التناثف أطحل

وفى [لب الأزهار على كتاب الأنوار] ويشترط فى حضور الولائم أن يكون القصد منها التآلف
والاجتماع على الخير دون المباهاة والسمعة وأن لا يكون هناك منكر ولا من يتأذى به ، واغتفر اللهو
المباح إلا أن يكون من أهل الفضل كالقاضى والفقهاء فينبغى لهم التنزه عن ذلك . وحكى فى الشرح
فى مناقب مالك رضى الله عنه ، قال مطرف بن عبد الله : سمعت مالك بن أنس يقول : يقبح بأهل
العلم وأهل الفضل أن يحفوا أرجلهم إلى طعام الناس ، وكان عامة أهل العلم يبلدنا يكرهون ذلك فقلت
له ولا الدعوات ولا الجنائز ؟ فقال ولا الدعوات ولا شئ من هذا لأنهم يلغى لهم أن يعرفوا أنهم
لا يجيبون لأن هذا نقص عليهم ، فقلت أليس قال النبى صلى الله عليه وسلم « إئتوا الدعوة » وكان
يجيب الدعوة ، فقال ياسبحان الله : إنما كان النبى صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة المهاجرين والأنصار

(١) الطول كفلس : الفضل والنفى والسعة اه .

فكانوا يفتخرون به ويتبركون به ، وهكذا بعد النبي صلى الله عليه وسلم الصالحون يعمل هذا من غير رياء ولا سمعة فأما اليوم فإنما هو رياء وسمعة فتركه أفضل من إتيانه اهـ . وهذا في زمنه رضى الله عنه فكيف بزمننا الذى هو آخر عجب الذنب - إنا لله وإنا إليه راجعون - وفي الحديث « بثس الطعام طعام العرس يطعمه الأغنياء ويمنعه المساكين » وفي آخر « شر الطعام طعام الوليمة يدعى إليه الشيعان ويحبس عنه الجائع » اهـ وأشر من ذلك الدعوات والتزوهات فإنما هى للسمعة والمباهاة . وفي [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نجيب أحدا إلى المشى في زفة ختان أو عرس لاسيما إن كنا متشبهين بالعلماء والصالحين إلا لمصلحة ترجع على الترك لأن في ذلك من المفساد ما لا يخفى على عارف : وقد صارت هذه الأمور مناظرات ومفانرات حتى بين الأكابر وصار الناس يتخاصمون في أن زفة فلان أكبر من زفة فلان ، ويقبح على من شابت لحيته من العلماء والصالحين وصار قدوة للناس أن يحضر مع الأطفال والفساق في مواضع لموهم ولعبيهم وغفلتهم عن ربهم من غير رجوع إلى قوله لو أمرهم بخير ، وربما كان في الزفة آلة لهويرى ذلك العالم تحريمها أو مخنثين يضحكون الناس ويسخرون ونحو ذلك مما ينافى شهامة العلماء والصالحين وتذهب حرمتهم وهيبته من القلوب ، ثم قال : ولا تتعلل بأنك ما حضرت إلا لضرورة فإن الناقد بصير وبتقدير أنك قصدت جبر خاطر صاحب الزفة لقلة عقله فتأمل فيما يتب على ذلك من زوال هيبتك من القلوب وعدم سماع مواعظك للناس تجدها ترجع على جبر خاطر ذلك الصغير العقل ، لاسيما إن كان في تلك الزفة أمراء السناجق وأكابر الناس من القضاة والتجار فإن عدم حضورنا لا يؤثر ولا يخل بنظام تلك الزفة ، وهذا الأمر قد حدث في هذا الزمان في العلماء والفقراء لكثرة دخلة الزفة عليهم وحياتهم منه الحياء الطبيعي ، وقد أدر كنا نحوا من مائة عالم وصالح توفوا إلى رحمة الله عز وجل فما رأينا أحدا منهم قط في زفة فاعلم ذلك واعمل عليه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وفيه : أخذ علينا العهود أن لا نأكل من طعام النذور ولا طعام العزاء وتنام الشهر والجمع حتى شرب الماء ممن يستقى الناس حال الدفن ونحوه ، وكذلك لا نأكل من طعام الختان والعرس والعزومات الكبيرة في المخافل وغير ذلك مما فيه كلفة في العادة إلا لمصلحة شرعية ترجع على الترك ، أما طعام النذر فقد ذمه الشارع صلى الله عليه وسلم وقال « إن النذر لا يقدم شيئا ولا يؤخره وإنما يستخرج به من البخيل » واعلم يا أخي أنه لولا عظمة المنذور عنده ما ألزم نفسه به خوفا أن ترجع فيه وذلك من صفات البخيل ، وطعام البخيل داء ، وأما طعام العزاء وما ذكر بعده فلأن طعام العزاء والجمع وتنام الشهر يتوسع فيه في الغالب خوفا من كلام الناس والغالب أن في الورثة من هو قاصر وذلك غير جائز للولى ، اللهم إلا أن يكون الورثة رشداً وأذنوا في ذلك فلا حرج إذا سلم من حب السمعة ، وأما أطعمة العزومات والختان والعرس فلأن نية أصحابها في الغالب غير صالحة إنما هى تجوينات وأهوية للنفوس ، ومن شك في قولى هذا فليأمرهم إذا طبخوا أن يفرقوا ذلك الطعام على الأرامل والعُميان والأيتام والعجائز والمساكين ويتركوا أبناء الدنيا والمغاني فإن أجابوه فالنية صالحة ، لأن أكل الخاويج أرجح في ميزان حسناتهم يوم القيامة وإن لم يجيبوه فذلك رياء وسمعة ، واعلم أنه لا ينبغي إطعام أبناء الدنيا إلا ما فضل عن الخاويج ، وقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل طعام المتفانين في الطعام هذا كله إذا كان السكسب حلال من أصله فكيف بمال اكتسب من غش وغصب ومكر وخداع ، أنظره . وفيه : أخذ علينا العهود أن لا نفتتح على أنفسنا باب المشى إلى الولائم والموائد في هذا الزمان ،

أنظره . هذا في زمنه رضى الله عنه فكيف يرمننا الذى هو آخر عجب الذنب - إنا لله وإنا
إليه راجعون - .

وفى [خل] فصل : فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم : أنتم فى زمان من ترك عشر ما أمر به هلك ،
وسبأى زمان من فعل عشر ما أمر به نجا ، رواه الترمذى ، كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول : قد
ينحى معنى هذا الحديث على بعض من يسمعه من أجل ظاهره وذلك أنا قد استوبنا نحن وإياهم فى إقامة
الفرائض وغيرها من الأقسام الخمسة المشروعة فن ترك منا ومنهم شيئا من الواجبات فالحكم فيه
معلوم ، ومن ارتكب منا ومنهم شيئا من المحرمات فالحكم فيه معلوم ، فها هذا الذى إن فعلنا عشره
نجونا وإن تركوا عشره هلكوا ، والجواب عنه ؟ إن الفرائض بالنسبة إلى المندوبات تكون العشر
أو نحوه فإذا اقتصرنا على الفرائض نجونا بإذن الله تعالى وذلك راجع إلى ما يعترى المكلف فى العبادات
فى هذا الزمان ، لأنه إذا حضر وليمة وفيها من الثواب ما فيها يشهد من البدع والمحرمات أو هما معا
شيئا كثيرا ، وكذلك عيادة المريض وحضور الجنائز وزيارة الإخوان وحضور مجالس العلم والبحث
فيها ولقاء المشايخ والاهتمام بهديهم إلى غير ذلك ، فيجد المكلف فى مباشرتها أشياء عديدة تمنعه من
فعل شيء منها فإذا قد اضطرر المكلف اليوم إلى الاقتصار على الفرائض وتوابعها دون غيرها ، وتبقى
العبادة التى بينه وبين ربه عز وجل ليس إلا وذلك هو العشر أو نحوه ، بخلاف من تقدم من السلف
الماضين رضى الله عنهم أجمعين فإن من عرض له منهم شيء من السنن المذكورة وغيرها لا يمنعه من فعل
ذلك مانع لوجودها على ما ينبغي من الاتباع وترك الابتداع فلا يتركها أحد منهم إلا رغبة عنها ومن
ترك المندوب اختيارا فالغالب عليه أنه لا يوفى بالفرائض ، أنظره فقد أظن فى القضية رضى الله عنه ،
وقد صحح « أن النوافل جواهر للفرائض » فن ترك المندوب خيف عليه أن يقع فى الخلل فى فرائضه
ولا يوجد له مندوب يجبرها به والله يهذى من يشاء إلى صراط مستقيم ، وانظر إلى قول سيدنا عبد الله
ابن عمر بعد أن سمع الحديث من أبي هريرة وعائشة رضى الله عنهم وعنايتهم آمين : وقد فرطنا فى قراريط
كثيرة ورعى بما فى يده من الحصباء تأسفا وتحزنا على ما فاتته - وفى ذلك فليتنافس المتنافسون -

وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نزور الإخوان والصالحين ونكرم
كل وارد علينا حتى واردات علينا الحق تعالى فنكرمها بتلقيا بالتعظيم والإجلال والرضا بها عن الله
عز وجل ، ويحتاج من يريد العمل بهذا العهد إلى السلوك على يد شيخ ناصح يسلك به حتى يدخله
حضرات الولاية ويمر به إلى حضرات الأخلاق الحسنة ، ثم قال : وهناك يخوض فى الرحمة إن زار
أحدا ذاهبا وراجعا فإن غالب الزيارات الناس اليوم لبعضهم بعضا لا لإخلاص فيها وإنما هى أهوية
نفوس ، فترى الفقير أو العالم يزور أخاه وهو ملتفت إلى ذكر ما اطلع عليه من نقائص أخيه وتستحى
نفسه ذلك حتى يذكره للناس فلا هو نصحه فى ذلك النقص الذى رآه فيه بينه وبينه ولا هو ستره بين
الناس ، وكثيرا ما يخرج أحدهم من عند ذلك الفقير أو العالم يقول زرت فلانا البارحة مثلا فوجدت
عنده دعوى عظيمة للصالح والعلم ولو علمت أنه فى تلك الحالة مازرتة ، ويظهر الندم على زيارته
احتقارآله بين الناس ، فمثل هذا الزائر خاوض فى نار جهنم ذاهبا وراجعا ، مع أن هذا القاتل ربما زار
الظلمة والمكاسين وأكل الحرام وأكل طعامهم فى رمضان وخرج ينشر فضائلهم ولا تكاد تسمع
منه لفظة واحدة فى حقهم تنقصهم وربما أجاب عنهم وزجر من ينقصهم ورد عليه فكان العلماء

والصالحون أحق بذلك ، واعلم أن للفقراء والصالحين مكر أخفيا بالزائرين لهم لغير الله فرما طردوهم بتعاطيهم كلمة مباحة حتى لا يكادون يرجعون إليهم ، ثم قال : فحذر يا أخى النية الصالحة لكل من طلبت زيارته ثم زر ولو لم تجد نية صالحة إلى سنة أو أكثر فلا حرج عليك في ترك الزيارة ، وقد كان السلف الصالح يحبون لإرسال السلام لبعضهم بعضا يرون ذلك أحسن من اللقاء خوفا أن كل واحد يرائي الآخر بذكر أحسن ماعنده من الكلام والأخلاق ويزكى نفسه فيستحقان المقت والطرد كما وقع لإبليس لعنه الله . وبالجمله فلا يتشوش من قلة زيارة إخوانه له إلا كل قليل العقل ، وقال ثم إذا دخلت يا أخى لزيارة أخيك فلياك وذكر حال أركان الدولة ومأم فيه أو تذكر أحدا من المسلمين بسوء ونحو ذلك فيصير اجتماعكما معصية ، وهذا الأمر يقع فيه أكثر الزوار اليوم فيجمع كل واحد منهما جملة كلام وقع في تلك الجملة فيحكى لصاحبه ليس فيه كلمة واحدة نصحا ولا خيرا ومثل هؤلاء لا ينبغي فتح الباب لهم ، ثم قال : وقد كانت زيارة الإخوان في الزمن الماضي كلها فائدة وتلقيحا لبعضهم بعضا كتلقيح النخل وكان أحدهم لا يقول لأحدهم كيف حالك إلا ليعرفه أخوه بما هو محتاج إليه على الأثر قول بفعل ، فصار اليوم يلقى الشخص أخاه فيقول له كيف حالكم فيقول طيب والحال أنه في غاية التشوش من ضيق معيشة أو من أذى أحد له لعلمه بأن قلب من قال له كيف حالكم فارغ منه إما شامت وإما يسخر به ، ولذلك يلقى بعض الناس صاحبه فيقول أى شىء حالكم فلا هو يخبره بحاله ولا الآخر يقف له حتى يعرف حاله ، وكل ذلك نفاق مكتوب اسم صاحبه في جريدة المنافقين في داوين السماء بنص الشريعة بنص الشريعة المطهرة ، وكانوا يقولون في الزمن الماضي : إذا قل رأس مالك زر إخوانك ، وصار الحال اليوم إذا زار صاحب رأس مال من الدين أخاه نقص رأس ماله أو زال ، ثم قال ، وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي لفقيه أن يزور أحدا من إخوانه إلا بشىء من القوت ولو رغيها فإن لم يجد شيئا فليدع له بظهر الغيب فإنها هدية في صحيفته يوم القيامة وهى أنفع من رغيه يعنى بيقين ، وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : لا تدخلوا لزيارة عالم أو صالح إلا وميزان إنكاركم مكسرة خوفا عليكم من المقت فإنه أعلم منكم بيقين . والجاهلون لأهل العلم أعداء لعدم وصولهم إلى مراتبهم وهم ممن دخل على عالم أو صالح بدين فخرج بلا دين فحزروا وانتكم قبل الدخول فإن لم يصح لكم لإخلاص فارجعوا ، وكان أخى الشيخ الصالح الشيخ محمد الصندقاوى يقول : ربما أمكث السنة أو أكثر ، وأنا مشتاق إلى زيارة بعض الإخوان فلا أجد نية صالحة أزوره بها فعاتبني مرة على طول غيبتى فقلت له حتى وجدت لى نية صالحة جئتكم بها ، فقال جزاك الله تعالى خيرا ، ثم قال : وسمعت سيدى الشيخ عبد الحليم بن مصلح رحمه الله يقول : ما خرج أحد لزيارة عالم أو صالح ليستفيد علما أو أدبا إلا ورجع بما كان فوق أماله من ذلك ، وما خرج أحد لإنكار أو انتقاد إلا ورجع محملا بالأوزار لأن العلماء بالله تعالى جارون على الإخلاق الإلهية في نحو حديث « أنا عند ظن عبدى بى » ثم قال : وقد بلغنا عن السلف أنهم كانوا إذا خرجوا إلى زيارة عالم أو صالح تصدقوا بصدقة وطلبوا بذلك أن الله يعيهم عن مساوى ذلك المزور فكانوا لا يخرجون من عنده إلا بفائدة « ولو لم يكن هو من أهلها أجراها الله تعالى على لسانه لموضع صدق الزائر ، ثم قال : وسمعت أخى أبا الفضل يقول : قل أن يزور مريد مريدا إلا ويذكر كل منهما للآخر محاسن نفسه ويزكى كل منهما نفسه فيهلكان جميعا لأن إبليس لمثل ذلك بالمرصاد وغاية الزيارة أنها سنة ، وإذا جاء نافي طريق تلك السنة معصية لا تقدر

على السلامة منها تركنا تلك السنة : ولا شك أن تركية الإنسان لنفسه حرام إلا لغرض صحيح ، ثم قال :
ومعلوم أن المريد غارق في حكم الطبيعة لا يقدر على تركية نفسه إلا ليمدح بذلك عند الناس فافهم ، وما
أمرنا الشارع بزيارة بعضنا بعضا إلا خالصا مخلصا لوجه الله لا تريد من الخلق جزاء ولا شكورا ، ثم
قال : وسمعت سيدى محمد بن عنان رحمه الله يقول : بلغنا عن الإمام أحمد أن السلف كانوا إذا اجتمع
أحدهم بأخيه لا يفترقان إلا على قراءة سورة - والعصر إن الإنسان لفي خسر - إلى آخرها ، فيبغى المواظبة
على ذلك ، وكان إذا زاره أحد لا يدعه يذهب حتى يقدم له طعاما فإن لم يجد أسقاه الماء ، وكان يقول
أحيوا هذه السنة فإن بها تأتلف القلوب ويقوى شعار الدين وتتعاقد القلوب ببعضها بعضا انظروا (ولا تتجاوزوا)
لأن التجاور يورث التنافس والتنافس يورث الضغائن كما هو مشاهد بالعيان (لخوف الضغينة) الحقد والحسد
بسبب التجاور ، ولذا قال أبو حنيفة رضى الله عنه لمن قال له إني أحبك وما يمنعك من محبتي ولست
جارى ولا ابن عمى اه. وفي الحديث صلوا قراياتكم ولا تجاوروهم فإن الجوار يورث بينكم الضغائن
ولهذا قال بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

وأكبر القواطع المعاصره وأسرعها قطعاً هو المجاوره
ففى الحديث أزهد الأنام فى العلم: الجار وذو الأرحام

قال رحمه الله :

(وَمَنْ زَارَ غَيْرَ الْخْتَمِ لَا إِذْنَ عِنْدَهُ وَلَوْ دَامَ يَقُولُ وَرَدَهُ كَالْوَحْلِيَّةِ
فَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ وَلَا يَمْزُورِهِ لِإِعْرَاضِهِ يَمْزَى بِكُلِّ رَزِيَّةٍ)

(ومن زار) من الإخوان الأحمديين شيخا من المشايخ حيا كان أو ميتا بقصد التوسل به والاستعداد
والانتفاع به فى الامداد والاستناد عليه فى المهمات والاعتماد عليه فى الملمات والتوجه به إلى رب
الأرباب فى قضاء الآراب الحسية والمعنوية الدينية والدنيوية (غير) شيخنا أبى الفيض (الختم) الحمدي
المعلوم والقطب المكتوم رضى الله عنه وعنايه أمين فقد خرج عن ربة الأحمديّة و (لا إذن عنده)
فيها بل انسلخ عنها إنسلاخ الجلد عن النعاج ، وانفصل عنها انفصال البيضة عن الدجاج ، وأردى نفسه
فى بحر القطيعة العظيمة الأمواج ، ولا يتفقه إلا التوبة النصوح الصارمة الأوداج ، والتجديد للورد
مع نبذ كل طريق ومنهاج ، وقال بلسان الحال والقال :

أبا القلب إلا أم عمرو فأصبحت تحرق نارى بالشكاة ونارها
وعيرنى الواشون أنى أحبا فتلك شكاة ظاهر عنك عارها

ومما حوطلب به سيدنا رضى الله عنه وعنايه أمين فى الحضرة المصطفوية صلى الله عليه وعلى آله وسلم :
يا أحمد إنما أمرنا أصحابك أيضا بعدم الزيارة للغير اختبارا وامتحانا لتعلم الصادق من الكاذب ، فالصادق
كل ما تأمره به يرتكبه فى الحين من غير معذرة ومن غير تردد مع طيب النفس دون غيره ، ومنه
ولما نهيتهم عن زيارة الغير لا من الأحياء ولا من الأموات لعدم وفور وجهتهم للحضرة شيخهم ،
فلو قصدوا زيارة ولى غير شيخهم وتحولت وجهتهم عن حضرة شيخهم انفصلت الرابطة التى بينهم
وبين شيخهم وانقطع عنهم مدد حضرة شيخهم للأمر الذى ذكرناه سابقا فلاهم بحضرة شيخهم
ولاهم بزيارة غيره «وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه» ولما نهيتهم عن ذلك رحمة بهم ورأفة لهم

وعناية بك وبأصحابك ، وهذا الأمر أعنى أمر الزيارة أغفله الشيوخ فلذلك لم يحصل نفع هلى أيديهم
لسائر أصحابهم ، وأنت يا أحد كل من أطاعك فى أمرك ونهيك فهو منك وأنت منه وله منى الرضا
والقبول ، ومن خالفك وأعرض عن أمرك فأنت برىء منه وأنا كذلك ، ومن أطاعك ودخل تحت
حكمك فهو منا وإلينا وله منا الرضا والقبول ، والأمر المذكور سابقا هو أن كل تلميذ له عهد صحيح
وأخذ العهد على شيخه ورام زيارة غيره من الشيوخ نادته حضرة ذلك الشيخ وقالت له لا نصيب لك
فى هذه الحضرة لأن حضرة شيخك كافية لك من جميع التواحيى فالك عنها محيد ، فلو كانت وجهتك
خالصة تامة لا التفات لها للغير وأرادت أن تقضى حوائج الخلق فى لحظة واحدة لفعلت ، وحين كانت
وجهتك معرضة عن حضرة شيخك لم تنتفع بها ولا بغيرها لأن حضرة شيخك مؤتلفة بروحك وسرك
وحضرة الغير لا نسبة بينك وبينها فلا أنت بحضرة شيخك الذى عاهدت الله عليها بالوفاء ولا أنت
بحضرة الغير لأنك لانسبة بينك وبينها فمضرت الدنيا والآخرة اهـ (بخ) وتقديم وتأخير . وفى [د]
أمرنى صلى الله عليه وسلم أن أرفع الإذن عن رجلين زارا مولانا عبد السلام بن مشيش سببه أن ترك
زيارة الأولياء شرط فى طريقته رضى الله عنه وحين عدم الشرط عدم المشروط اهـ . وفيها : اترك عنك
أهل وزان لا يأتيك منهم إلا الضرر سببه أن بعض أصحابه تقدمت له معرفة معهم وأخذ طريقهم وحين
أراد أن يأخذ طريق سيدنا شرط عليه الانفراد به وبطريقه . فقبل ذلك ورضيه . ألزم نفسه ما ألزمه
وأن لا يزيد معهم على السلام شيئا فبقى مدة على تلك الحالة ثم توسع فى الكلام يوما مع بعضهم فمر بهما
بعض أصحابه قل له هلم إلى الصلاة فى الزاوية فشيئا معا فوجدوا الشيخ رضى الله عنه قام للصلاة فما
فرغ قبل أن يذكر شيئا قال له اترك الخ ويكررها حتى قال أنا ثاب لله ، فقال رضى الله عنه إن الشيخ
مصطفى البكرى رضى الله عنه قال يوما لسيدي محمود الكردي رضى الله عنه يا محمود لم أر عليك
أثر الفتح لعلك تذكر وردا مع ورد ؟ قال له نعم ، قال سيدي مصطفى لسيدي محمد الحفنى لم تعطيه
وردنا مع ورد آخر ؟ قال ياسيدي رأيت لم يتركه قلت أبقع خير من أسود ، فقال سيدي مصطفى يا محمود
بيت الليلة وأخبرنى بما ترى ، فبيت فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم وسيدى مصطفى عن يمينه
والشيخ القصيرى هن يساره الذى كان آخذا ورده فقال له صلى الله عليه وسلم : يا محمود اترك عنك
طريق القصيرى وخذ طريق البكرى فتحك هلى يديه ، فلما أصبح أتاه ليخبره فقال سيدي مصطفى
لله يا محمود تحشمتا مع شيخك وفعل ما أمره به اهـ (ولودام) مدة عمره (يتلو ورده) الأحدى (كالوظيفة)
المعلومة والهيئلة يوم الجمعة لا نسلا له من الأحدىة انسلال الشعرة من الزبدة ، وعن سيدنا أبى الفيض
رضى الله عنه وعنا به أمين أنه صلى الله عليه وسلم أمره أن ينهى أصحابه عن زيارة الأولياء الأحياء منهم
والأموات وكل من زار منهم ينسلخ عن طريقته اهـ (فلم ينتفع) من زار غيره (به) أى بسيدنا الختم
المحمدى المعاوم والقطب المسكون رضى الله عنه وعنا به أمين (ولا بمزوره) بفتح الميم من زار الثلاثى
ويقال مزار بضم الميم من أزار الرباعى وفى [م] :

وكل من أخذ عن شيخ وزار سواه لم ينتفع به ولا المزار

وفى [غ] وهن كلام الشيخ محي الدين بن العرنى رضى الله عنه : ما سامح شيخ مريده فى الاجتماع
بغيره إلا حصل له تردد فى أى الشيخين أعلى من الآخر حتى يتلمذ له ، وإذا حصل له ذلك رفضه
قلب الاثنين فلم ينتفع بأحد منهما ، لأن شرط الانتفاء حزم التلميذ بأنه لا يخرج من دائرة شيخه

حتى يحصل له الكمال اه (لإعراضه) وصدوده بقلبه وقالبه عن سيدنا الختم والتفاتة إلى غيره نعوذ بالله من الحرمان والخسران (جزى) جزاء وفاقا (بكل رزية) ومصيبة فإن الإعراض عن المشايخ ، رضى الله عنهم ذنب لا يغفر ، ول بعضهم رضى الله عنه :

كل شيء منك مغفور رسوى الإعراض عنا

قد وهبنا لك ما فافا ت فهب (١) ما فات منا

وقد مر : فإن أهرضت بالإعراض عنا فهذه هى الجحيم لمن عصانا

وفى [د] قال لى صلى الله عليه وسلم مسألة أغفلها الشيوخ وهى : أن المريد أى كل من أخذ عن شيخ وزار غيره من الأولياء لا ينتفع بالأول ولا بالثانى . وفيها : ذنوب الشيوخ لا تغفر سببه أن بعض الناس كان يدعى أنه أخذ ورده رضى الله عنه وكان يتعرض لإذايته فلما رأى ذلك أخبر بهلاكه فقبل له تاب من ذلك فذكره اه . وفى غنية الأصحاب :

إذ التفاتة من المريد لغير شيخه من الصدود

يظفر بالنقصان والوبال وعدم المدد والوصال

ومن كلام الحاتمي الأكبر ذى الحال والذوق السليم الأشهر

لا يسمح الشيخ المريد فى اجتماع بغيره وبذلك يحرم انتفاع

بشيخه وبغيره دع التفات لغير شيخك تموز التفات

ولتعتقد إن لم يكون فوق الثرى نظيره بل هو أفضل الورى

إلى أن قال :

معتقدى أنه أفضل الورى بعد النبى والصحب دع عنى المرا

وللشيشى رضى الله عنه :

ولا تقدم قبل اعتقاده أنه مرب ولا أولى بهامنه فى العصر

فإن رقيب الالتفات لغيره يقول لمحبوب السراية لا تسرى

وفى [هب] أى ولا تقدم على شيخ بقصد الدخول فى صحبته حتى تعتقد أنه من أهل التربية وأنه لا أحق منه بها فى زمنه وإنما وجب عليه ذلك لأن الشيخ الذى يرى من مريده الالتفات إلى شيخ غيره يقطع عنه المادة ، والمريد الذى يدخل فى صحبة شيخ وهو يرى أن فى الوجود شيئا مثل شيخه أو أكمل منه يبقى متشوقا إلى ذلك الأكمل فى اعتقاده فيراه شيخه متشوقا إليه فيقطع عنه المادة فلا يكون مستغنا بالأول ولا بالثانى . قال الشيخ رضى الله عنه : وقد رأينا مثل هذا فى زمننا والله يكون لنا ولنا ونصبرا اه . قال رحمه الله :

(فَسَمِعُ زِيَارَةَ التَّوَسُّلِ مُطْلَقًا هُوَ الرُّوحُ وَأَسَى بِكُلِّ طَرِيقَةٍ

فَكَمْ مُغْرَضٍ يَمْنَعُ هَذِي الزِّيَارَةَ لِكَثْرَةِ جَهْلِهِ بِمَعْنَى الطَّرِيقَةِ

وَمَنْ كَانَ نَابِذًا لِشَرْطِ الْمَشَايِخِ يَبْئُوءُ بِخَسْرَانٍ وَطَرْدٍ وَخِيبَةٍ)

(فنع زياره التوسل) والاستمداد والانتفاع بالأنوار والأمداد بكل الأولياء والزهاد (مطلقا) أى

(١) من الهية الخوف أى خف اه .

الأحياء والأموات (هو الروح) مابه حياة الشيء (وأمس) بتذكير ليسلم الجزء من الكف وبثليث
الهمزة أصل كل شيء (بكل طريقة) من طرق المشايخ رضى الله عنهم وأرضاهم لكن من بعدهم
من الأصحاب ومن ينتمى إليهم من الأحباب أهملوا هذا الشرط الذى عليه المدار عند أولى الأبصار فأهملوا
وأقعدوا عن منازل الأبرار . وفى [جع] وهذا يعنى عدم زيارة التلميذ لغير شيخه من الأولياء الذى
كانت عليه طرق المشايخ فيما تقدم إلى أن انقطعت التربية بالاصطلاح فتوسيت عند عامة من ينتسب
إلى الطريق فضلا عن غيرهم ، فلما أمر قذوتنا أتباعه ببعضها وهو عدم الزيارة للأولياء وقع الإنكار
عليهم فى جميع الأقطار لجهل الناس بما كانت عليه طرق الأوائل ، انظره . ولذا قال رحمه الله (فمكم)
من أخ وحبيب (معرض) عن هذه الطريقة الأحمدية (بمنع هذى الزيارة) وهى زيارة التوسل
والاستمداد (لكثرة) وغلبة (جهله) وقلة فهمه وعدم علمه (بمنفى الطريقة) الأحمدية وغيرها
من طرق المشايخ من شرط الاستقلال بها ونبتد ماسواها من الطرق (ومن كان نابذا) من نبتد بمعجمة
كضرب (لشرط) ساداتنا (المشايخ) نبتد كليا ورماء وراءه ظهريا فرار غير شيخه زيارة استمداد
فإنه (ييؤ) من باء بذهب احتمله (بخسران) من خسر كفرح وضرب ضل وهلك (وطرده) وإبعاد
(وخيبة) وحرمان وخذلان ومقت وغضب من الله ومن شيخه إذا أعرض عن بابه الذى فتح عليه
والتفت إلى غيره ممن ضره أقرب من نفعه بتسويلات نفسه وشيطانه وهواه . أرايت من اتخذ إلهه هواه
أفأنت تكون عليه وكيل . إنا لله وإنا إليه راجعون - ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا -
آمين . ومما أوصى به القطب الربانى مولاي الطيب الوزانى رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين
مأواه جماعة من فقرائه لما وفدوا عليه لزيارته وفيهم من هو من أبناء الأولياء الكبار : إنكم جئتم لزيارة
أشياخكم ساداتنا وقد أحسنوا إليكم وكسوكم فلا تدنسوا ثيابكم وأعينوهم بأن ترفعوها عن الأوساخ
والأزبال ولا يكن لأحد منكم الالتفات إلى غير هذه الدار ولا يقل أحدكم عندى أبى أو عمى وماؤكم
بينكم فإن تواقتم شربتم وانتفتم ، وإن تنازعتم غار ماؤكم وظمتم قال تعالى - ولا تنازعوا فى أفئدتكم - الآية ،
وإن كنتم وحدكم فلا جناح عليكم أن تبشروا وتفروا فإن الشيخ على رءوسكم كالغطاء يستركم ، وإذا جلس
معكم من ليس منكم فاحفظوا أنفسكم واعلموا ماتقولون اه . وفى [عم] وأراد سيدى محمد الشناوى
زيارة شيخ من مشايخ عصره فشاور شيخه الشيخ محمد بن أبى الحائل رحمه الله فنظر إليه شذرا أى
غضبيا وقال : يا محمد لا ينبغي لمريد أن يأخذ عن شيخ إلا إن علم أنه يكفيه عن جميع الناس فلو كنت
لا أكفيك فكيف تقيدت على فى الظاهر وباطنك بخلافه ؟ فقال ياسيدى التوبة قتاب . قال : فما زرت
بعد ذلك المجلس أحدا من المشايخ حتى مات شيخى اه . وفى [مع] عن الخلاصة المرضية : واعلم أن
الاحتياج إلى شيخ واحد من وجوه لا تسكاد تنضبط أو تدخل تحت الحصر ، وذكر منها أن الطرق إلى
الله تعالى كثيرة وقد تعلق كل شيخ بطريقة لا يتعدها ولا يخلطها بغيرها ليثبت الطالب على طريقة ويمكنه
أن يواظب عليها ولا يتشوش همه تارة بميل إلى هذه وتارة إلى تلك فيكون من قبيل المذبذبين بين ذلك
لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، والمبتدى غير مستقل بالاختيار وعلى فرض الاختيار ليس فى وسعه
الثبات عليه فإن الولاية فى باطنه للنفس والشيطان ، فإذا شرع فى طريقة وتعلق بها زين له الشيطان
طريقة أخرى وتساعدته النفس وتبين له بالبرهان أنها أفضل من هذه ومقصوده أن يزيله عن الأولى
فإذا زال واشتغل بأخرى زين له أخرى إلى أن يميل الطالب وتسكن حرارة طلبه فيرجع القهقري ،

ولإذا كان في حصن الشيخ وحسن ولايته فالشيخ يحفظ أحواله بقوة ولايته المستفادة من قوة الحضرة النبوية ويثبت عليها بهمته الصافية وكلامه المؤثر النافذ فيرى بنور ولاية الشيخ أن الداخل عليه شيطان فيضعف الخاطر إذا الشيطان لا يقوم في مقابلة نور ولاية الشيخ ، ثم قال : ويتعين ربط القلب بالشيخ من طريق الإرادة والمحبة فتعلم أنك في حمايته وولايته وظل رعايته في جميع الأوقات فتتمسك بهذه الطريقة بأمره وإرشاده والله تعالى يحفظ أوقاتك وأحوالك بواسطته ويكون باطنك متوجها إليه ، فالأصل اتصال الباطن وقوة الرابطة حتى لو قام أرواح الأولياء بإعانتك وتربيتك وأرادوا أن يتصرفوا فيك لا يمكنهم لثلاثين من قبيل المذنبين بين ذلك ، ثم قال : فاحترام الشيخ توفيق وهداية وإهمال ذلك خذلان وعقوق ، فدوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة والتحكم واجب ، ويكون اعتقاده أن هذا المظهر هو الذي عينه الحق سبحانه للإفاضة عليه ، ولا يحصل له الفيض إلا بواسطته دون غيره ولو كانت الدنيا مملوءة بالمشايخ ، انظروا . وللشريشي رضي الله عنه :

ولا تعرفن في حضرة الشيخ غيره ولا تملأن عينا من النظر الشر

وفي [هب] لما تكلم على هذا البيت وثمره هذا الأدب الجمع على الشيخ والاستغراق فيه والانحياش إليه والغيبة في سره ليثمر له ذلك مع الشيخ امتثاله مع الحق سبحانه لأن كل أدب يستعمله المرید مع الشيخ فإنه يثمر له مثله مع الله عز وجل . واعلم أن هذا الأدب لا ينأى من المرید ما لم يكن له من الشيخ جاذب باطنى فإن محبة الشيخ للحريد إذا اتصلت أشعتها بالمرید تحوشه إلى الشيخ وتحوطه من كل قاطع فإذا دامت دام الاتصال وإن انقطعت وقع الانفصال انظروا ، وفيه : وأما أصحاب الشيخ فنقد عرفوه بردت قلوبهم من معرفة غيره وزيارته وبعضهم يحس بالمنع من ذلك . حكى بعضهم أنه جاء لزيارة الشيخ ووافقه بعض الناس في الطريق وطلبوا منه أن يذهب معهم لزيارة ضريح الولي الصالح سيدى قاسم أبى عسرية المشهور . فاستحييت وذهبت معهم والقلب بارد من زيارته فلما وصلت إلى مشهدة أصابني وجع في بطني فبت ليلتي في ذلك المشهد والمشهد يتزايد حتى شغلني عن الزيارة ، ولما خرجت حين أصبح النهار من ذلك المشهد زال الوجع وصار كأنه لا شيء . قال : ووقع لي مرة أخرى فعلت أن ذلك من الشيخ رضي الله عنه ، ثم قال : وكمن مرة يذهب الشيخ رضي الله عنه إلى زيارة بعض الصالحين ، فيخرج معه جماعة من أصحابه وفقههم الله فيقولون له : أنت مقصودنا وأنت الذى نزوره وذهابنا لسيدى فلان مساعفة لك وموانسة لذاتك فأنت مقصودنا سواء ذهبت لسيدى فلان نزوره أو إلى غيره ، فإذا وصل الشيخ رضي الله عنه إلى ضريح الولي الذى قصده يذهب وحده أو يستصحب واحدا من أصحابه ليرافقه وبقية أصحابه قانعون بالشيخ رضي الله عنه مكثفون به معتقدون أنه لا يبلغه أحد من أهل زمانه رضي الله عنه ولا من الأموات قبله وإنما يقدمون عليه ساداتنا الصحابة لا غير فهم لا يعرفون غير الشيخ رضي الله عنه حضر الشيخ أو غاب في حياته وبعد مماته ، ولما مات الشيخ رضي الله عنه كنت أتكلف الذهاب إلى زيارته في قبره كثيرا فوقف على المنام وقال لي إن ذاتي ليست محجوبة في القبر بل هي في العالم كله عامرة له ومالكة وفي أى موضع تطلبني تجدني حتى إنك لو كنت إلى سارية في المسجد وتوسلت بي إلى الله عز وجل فأني أكون معك حينئذ ، ثم أشار إلى العالم كله فقال وإنه فيه بأجمعه فحيثما طلبتني وجدتنى ، وإياك أن تظن أنى أنا ربك عز وجل فإن ربك عز وجل

غير محصور في العالم وأنا محصور فيه، انظره. وفيه : فإن المرید لا يجيء منه شيء حتى لا يكون بقلبه
غير الشيخ والله تعالى والرسول صلى الله عليه وسلم اهـ . وفي غنية الأصحاب :

من كان صادقا من الإخوان ينشد ^(١) يبقى مدى الزمان
مالي في الكون سوى الرحمن والمصطفى وأحمد التجاني

وفيه أيضا : ووقع لبعض أصحابه رضي الله عنه ما هو أقوى من هذا، وذلك أنه أحس بأنه يمنع من
زيارة الصالحين قبل أن يعرف الشيخ بمدة تقرب من سبع سنين فحصل له قنط وظن أن ذلك شقاوة وقساوة
حتى جاء إلى بعض من بظن فيه الخير وقال له : ياسيدي إن زيارة الصالحين تثقل على ؟ فقال له أنت
هو الذي تثقل عليهم ، فزاده قنطا على قطه ، ثم قصد رجلا آخر يظن فيه الخير ، فشكى إليه
ذلك ، فقال له : إن الولي قد يكون في حضرة الحق سبحانه فلا تكون روحه بأفنية القبور ، وقد
لا يكون في الحضرة فتكون بأفنية القبور ، فلهلك إذا جئت إلى ضريحه تجده في الحضرة فلا تكون
روحه في قبره حتى يحصل لك أنس به وتحصل لك وحشة ويثقل عليك الحال ، فخفض عليه الأمر
بهذا الكلام إلا أنه قال : إن كنت كلما جئت وليا أزره لا أجد روحه بفناء قبره فهذا عرق من
الشقاوة في الآن لم يزل ، فلما جمعه الله تبارك وتعالى مع الشيخ رضي الله عنه لم يكن عنده أهم من
أن يسأله عن هذا الأمر فقال : ياسيدي إن زيارة الصالحين تثقل على كثيرا . وقد شكوت إلى سيدي
فلان فقال لي كيت وكيت ، وإلى سيدي فلان فقال لي كيت وكيت . فما تقولون أنتم رضي الله عنكم ؟
فقال له الشيخ رضي الله عنه ، وقد نظر إلى مشغوم من الورد معاق في حانوت فقال : إن صاحب هذا
المشغوم إن أسطاه لكل أحد يقا به وبمسه بيده فإنه يفسده ويحصل فيه ذبول ^(٢) ويبس ، فالصواب
في حقه والأليق به أن يمنعه من كل أحد . قال : فعلمت أفي ممنوع من زيارة غير الشيخ رضي الله عنه
قبل أن أعرفه بسنين اهـ .

قلت : وكثيرا ما يربى سيدنا أبو الفيض رضي الله عنه وعنايه آمين أصحابه ممن صدرت منه زيارة
ولي ولو في الظاهر بل ولو بأدنى تعلق ، من ذلك أن بعض العميان ممن تمسك بورده سعى في أخذه
مثل ما يأخذه العميان في صدقات أبي العباس السبتي رضي الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه ،
ففي ذلك الوقت ضرب بعض الظلمة من جيرانه أمه بلينة فكسر رأسها ، فذهب قريبه يشكو إلى
الوالي فأخذه الوالي وسجنه لأن ذلك الظالم من بطانته ، فأسرحوه من السجن إلا بعد التبرئة فذهب
دم أمه هدرا . ومنها أن آخر جاء يطلب من بعض الإخوان أن يتوسط له في أخذ نصيبه من الذبائح
التي تدبج عند قبر ذلك الولي المذكور فلامه على ذلك وقال له إن جل ما يدبج عند قبور الأولياء جيفة ،
فراى في تلك الليلة تصديقا لمقالة ذلك الأخ أناسا اجتمعوا على طحال منتن جدا كأنهم قطط ^(٣) بنهشون
منه ، فقال سبحانه الله كيف يأكل هؤلاء من هذا الطحال المنتن ؟ فقل الله له ذلك الأخ فقال له :
أتحب أن تأكل معهم ؟ فقال له معاذ الله الله يحفظني ، فاستيقظ فتأب إلى الله من ذلك ، فلما أصبح
جاء إلى ذلك الأخ فقال له نيت إلى الله مما طلبت منك ، فقال له لماذا ؟ فقص عليه الرؤيا . وفي الحديث
« إذا أحب الله عبدا عاتبه في منامه » وتبع القضايا والجزئيات يحتاج لمجلدات ، والله يهدي من يشاء إلى

(١) من الإنشاد اهـ . (٢) ذبول كعمود ذهاب نداوته اهـ .

(٣) قطط جم قطة بكسر فاف فردا وجما : السنور اهـ .

صراط مستقيم . وفي [مح] وقال في الخلاصة المرضية : ويجب على الشيخ أن لا يترك أصحابه يزورون شيخا آخر ولا يجالسون أصحابه فإن المضرة سريعة للمريدين ، لأن لكل شيخ طريقة تخصه لا يتعدها ولا يخالطها بغيرها فيسمع المريد أصحاب ذلك الشيخ الآخر يذكرون عن شيخهم خلاف ما أمر به شيخه فيختلف عليه الأمر فيوقفه فوجب على الشيخ سد هذا الباب على المريدين ، ويتمثل الناس والمريدون غير الصادقين أن الشيخ إنما يمنع أصحابه عن زيارة الشيوخ ومجالسة أصحابهم من أجل الرياء والحسد وهذا كله باطل واقتراء على الشيوخ .

قلت : ومن هنا تعلم أنه لا ينكر على شيخ منع أصحابه وأهل طريقته من زيارة الأولياء فقط ويشدد على ذلك الإنكار ويبالغ فيه ، إلا من كان من الأغبياء الجهلة الذين يعتقدون أن زيارة الأولياء كلهم واجبة إجماعا أو في مذهب من المذاهب ، ولم يعلموا أن غاية ما قيل فيها الجواز والاستحباب إن سلمت من محرم أو مكروه بين في أصل الشرع ، كاجتماع الرجال والنساء ، وتلك الأمور التي تحدث هناك ، ولم يعلموا أن تضليلهم من منع أصحابه من زيارة الأولياء لأمرار يعلمها تجرهم إلى الكفر ، لأنهم نسبوا أولياء الله تعالى والعارفين وإمام أئمة دار التنزيل مالك بن أنس إلى الضلال ، وكفاهم بذلك من الله خسرانا . إذ قد روى عن مالك أنه قال : لا يتوسل بمخلوق أصلا : وقيل : إلا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، انظره . وفي [غص] وسألته رضى الله عنه هل أقرأ أو أصوم وأجعل ثواب ذلك لأدم عليه الصلاة والسلام ليكون ذلك وصلة بيني وبينه في المعرفة في الآخرة لسبب أعلمته به ؟ فقال لا تجعل بينك وبين الله واسطة أبدا من نبي أو غيره ، فقلت له كيف ؟ فقال لأن الرسول إنما هو واسطة بين العبد وبين الرب في الدعوى إلى الله لا إلى نفسه ، فإذا وقع الإيمان الذي هو مراد الله تعالى من عباده ارتفعت واسطة الرسول عن القلب إذ ذاك وصار الحق تعالى أقرب إلى العبد من نفسه ومن رسوله ، ولم يبق للرسول إلا حكم الإفاضة على العبد من جانب التشريع والاتباع كما في حال المناجاة في السجود سواء ، فنفس الرسول يغار من أمته أن يقفوا معه دون الله تعالى فإنه يعلم أن مقصود التشريع حصل بالتبليغ كما حصل له الأجر على ذلك كما أشار إليه قوله صلى الله عليه وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » الحديث ، وانظر يا أخي إلى غيره الحق تعالى على عباده لقوله لمحمد صلى الله عليه وسلم - وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان - فأعلمنا تعالى بأنه أقرب إلينا من أنفسنا ومن رسولنا الذي جعله الله تعالى واسطة لنا في كل خير مع أنه تعالى بالغ في مدحه صلى الله عليه وسلم حتى كاد أن يصرح بأنه هو لكثرة ما وصفه بالكمال في نحو قوله تعالى - من يطع الرسول فقد أطاع الله - ويقول - إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله - ومع ذلك قال له - ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فلمهم ظالمون - فأخرجه عن حال الحق ونفاه عنهم وأثبتته معه في البراءة عن المثلية وعن مشاركة أحد منهم له في كماله أو رتبته صلى الله عليه وسلم ، فافهم والله أعلم اه . قال تعالى - قد علم كل أناس مشربهم - وفوق كل ذي علم عليم - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - قال رحمه الله :

(فَلَا زِمَ وَدَادَ الْخَلْمِ دُنْيَا وَبِرَزْخَا وَكُلُّ مُقَدَّمٍ وَكُلُّ خَلِيفَةٍ
وَحَافِظٌ وَدَادَةُ بِصَحْبٍ وَعِزَّةٌ وَإِلَّا طُرِدَتْ أَوْ سُلِّمَتْ لِشَقْوَةٍ)

(فلأزم و داد) بكسر الواو الحب (الختم) المحمدي المعلوم والقطب المكنوم سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنايه آمين (دنيا) وأخرى (وبرزخا) كجعفر من وقت الموت إلى يوم البعث ومن مات دخله . وفي [مح] والخامس : يعنى من الشروط اللازمة في الطريقة : دوام محبة الشيخ بلا انقطاع إلى الممات اه . وفي [هب] وسمعت رضى الله عنه يقول : إن المحب لا ينتفع بمحبة الكبير له ولو كان الكبير نبيا حتى يكون الصغير هو الذى يحب الكبير فحينئذ ينتفع بمحبتة ، إلا الله تعالى فإنه تعالى إذا أحب عبدا نفعته محبته ولو كان العبد في غاية الإعراض ، وقال رضى الله عنه : إن الصغير إذا أحب الكبير جذب ما في الكبير ولا عكس ، وكانت بين يديه إجابة فقال إن هذه إذا أمدها الله تعالى بمحبة تفاحة حامضة مثلا وتمسكت فيها المحبة غاية فلأنها تسف ما فيها حتى إذا شققناها وجدنا حموضة التفاحة فيها ولا تجد في التفاحة شيئا من طعم الإجابة ، إلا الله تعالى فإنه إذا أحب العبد لا يجذب شيئا من أسرار ماله بحبه الله ، وسر الفرق هو أن الله تعالى لا يحب عبدا حتى يعرفه به ، وبالمعرفة يطلع على أسرار الله تعالى فيقع له الجذب إلى الله تعالى بخلاف محبة العبد من غير معرفة له بربه عز وجل فلأنها لا تقضى شيئا فقلت . فلأنهم يقولون إن الشيخ يكرن مع مریده في ذات المرید ويسكن معه فيها ؟ فقال رضى الله عنه : ذلك صحيح وهو من المرید لأنه إذا قويت محبته جذب الشيخ حتى يكون على الحالة المذكورة فتصير ذات المرید مسكنا للشيخ وكل واحد يزين مسكنه يشير إلى ذات الشيخ في ذات المرید إذا سكنها . وسمعت رضى الله عنه يقول : إن المرید إذا أحب الشيخ المحبة السكامة سكن الشيخ معه في ذاته وبكون بمنزلة الحبل الذى تحمل بولدها فإن حملها تارة يتم صلاحه فيبقى على حالة مستقيمة إلى أن تضعه وتارة يسقط ولا يبقى منه شيء وتارة يحصل له رقاد ثم يفيق . والإفاقة تختلف فقد يفيق بعد شهر وقد يفيق لأكثر من ذلك ، فهكذا حالة المرید إذا حمل بشيخه فتارة تكون محبته خالصة تامة دائمة فلا يزال أمر الشيخ يظهر في ذاته إلى أن يفتح الله عليه وتارة تكون محبته منقطعة بعد أن كانت صادقة وانقطاعها بسبب عروض مانع نسأل الله السلامة منه ، فتبدل نيته في الشيخ وتنقطع أسرار الشيخ عن ذاته بعد أن كانت ساطعة عليه وتارة تنقف محبته في سيرها ثم تعود إلى سيرها لمدة قريبة أو متوسطة أو طويلة فتقف أسرار ذات الشيخ عن ذاته ، فإذا رجعت المحبة رجعت الأسرار فليختبر المرید نفسه من أى قسم هو من هذه الأقسام الثلاثة وليسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق والهداية إنه سميع قريب . قلت : وهذه الأقسام موجودة في المريدين فليتحفظ المرید على هذا الكلام فإنه نفيس في باب (و) لازم و داد (كل مقدم) لتلقين أوراد سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنايه آمين (وكل خليفة) من خلفائه رضى الله عنه وعنايه آمين إذ هم رضى الله عنهم وعنايهم آمين نوابه وورثته فلهم ماله من الحقوق والتعظيم وراثة أحمدية :

فيارب جازهم بخير مثوبة وعفو ورضوان عن الأحمدة

وشفع رسول الله فينا بجمته عليه صلاة الله في كل لحظة

وفي [مح] وخليفة الشيخ في جميع ما كان للشيخ على التلاميذ من الحقوق والشروط كالشيخ وكل من لم يكن من أهل الطريق قدما كان أو غيره محبا للخليفة كما كان يجب عليه أن يكون محبا للشيخ فليس من الطريقة في شيء وهذا يكون للمقدم في حق من لقنه اه :

يارب أدمهم من الحقوق على الجميع واحمنا من العقوق

وجازهم بالخير والإحسان والعفو والغفران والرضوان

وأرضهم^(١) عنا بمحض الفضل وشفعن نبينا في الكل
 آمين آمين ختام الله على لسان المؤمن الأولياء
 (وحافظ) أيد الأبدن (وداده) أى على وده وجهه رضى الله عنه وعنا به آمين (بصحب)
 أى بحجة جميع من تمسك بورده الأحمدي (وعقرة) بكسر مهملة وسكون فوقية أى بحجة أقاربه
 بأن نجهم بحبه وتكرمهم وتبرئهم ابتغاء لرضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم ورضاه رضى
 الله عنه وعنا به آمين :

أولئك خلصاني نعم ويطاقي وهم هيتي من دون كل قريب
 فيارب فاشهد لتي قد أحجم بحب التجاني بعد حب الرقيب
 وشفعه فينا في الدنيا والآخرة وفي كل محسن وكل خبيب

وفي [عم] وما رأت عيني في مشايخ الزمان أحدا يبر أصدقاء شيخه وخدامه مثل شيخنا سيدي
 محمد الشاوي رحمه الله وكان إذا رأى أحدا ممن وقع بصره على أستاذه الشيخ محمد السروي يصير
 يرفرف عليه كالطير الحمام على ولده لكونه كان يعرف نفاسة مادعاه الشيخ له ثم قال : ويليه في
 طائفة "فقهاء" في المظالم لأصحاب شيخه الشيخ شهاب الدين الرملي الشافعي بمصر المحروسة ، كان إذا
 رأى أحدا من أصحاب الشيخ رهان الدين بن أبي شريف أو أحدا من أصحاب الشيخ زكريا بجله ويعظمه
 ويقول : كأي أنظر إلى الشيخ إذا رأيت أحدا من أصحابه ، ولذلك أجله الله وجعل وفقهائه عاكفين
 على قوله شرقا وغربا مصرا وشاما وحجازا وروما ولا يتعدونه ، انظره - فبهدهم افتده - والله يتولى
 هداك (وإلا) تتحافظ على وده وجهه فيهم بأن تبغضهم وتستخف بهم والعياذ بالله (طردت) عن
 منازل الأبرار (أو سلبت) ما منحت من المعارف والأسرار (لشقوة) بفتح معجمة وكسرها من
 شقي كرضي نسأل الله السلامة والعفو والعافية - ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك
 رحمة إنك أنت الوهاب - وفي [جه] إن لنا مرتبة عند الله تعالى تنامت في العو عند الله تعالى إلى حد
 يحرم ذكره ليس هو ما أفشيت لكم ولو صرحت به لأجمع أهل الحق والعرفان بكفري فضلا عن
 عداهم ، وليست هي التي ذكرت لكم بل هي من وراثتها . ومن خاصية تلك المرتبة أن من لم يتحفظ
 على تغيير قلبي من أصحابنا بعدم حفظ حرمة أصحابنا طرده الله تعالى عن قربه وسلبه ما منحه له . وفيه :
 وأما السؤال عن السلب للعارفين هل يقع لهم السلب من مقامهم أم لا ؟ فالجواب لا أمن لأحد من
 السلب لجميع العارفين إلا قطب الأقطاب وحده ، أولم يكن عند الله الاسم الأعظم فقط ، أولم
 ضمنه شيخ كامل والسلام له . وفي [جد] سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول : إذ زل الولي ولم يرجع
 من وقته عوقب بالحجاب وهو أن يحب إليه خرق العوائد المسماة في لسان العامة كرامات فيظهر بها
 ويقول : لو كنت مؤاخدا بهذه الزلة لقبض الحق عن التصريف ، وغاب عنه أن ذلك استدراج بل
 ولو سلم من الزلة فالواجب خوفه من السكر والاستدراج ، فقلت له : فهل يجب على الأولياء ستر
 كراماتهم ؟ فقال رضى الله عنه : هم بحسب مشاهدتهم وما يترتب على إظهارها وإخفائها من المنافع
 لأن الخلق في حجر الأولياء كالأطفال في يد وليهم يخوفهم تارة ويفرحهم تارة ويحافهم تارة ويقربهم
 تارة ، ومع هذه المنافع فلا بد من الأدب الإلهي في إظهار الكرامات ، انظره . وفيه : فقلت له فن

أكثر الناس سلباً ؟ فقال أهل الجدل لرؤيتهم نفوسهم على الناس ودعواهم صحة حججهم وامتنحانهم بالشر ويؤذون غيرهم من الفقراء والعارفين وكل المؤمنين فقلت له فمن أكل الناس فتوحاً ؟ فقال العارفون فإنهم كلما علت معارفهم وكثرت علومهم هضموا أنفسهم ورأوا نفوسهم أحقر الخلق أجمعين ، وذلك لعلمهم أن العلوم والمعارف صفات والصفات تؤخذ من ذات وتعطى لذات أخرى فلا اعتماد لهم على علم ولا معرفة دون الحق تعالى . وفيه : وسألته رضى الله عنه عن الطعمة هل تؤثر في القلب أكثر مما يؤثر السلب ؟ فقال نعم إلا أنه إذا استمر توجه القلب إلى الحق في كل حركة وسكون من غير علة فباب الفتح موجود ولا بد ، ومادام العبد متوجهاً فالمدد فياض على قلب من أريد له الكمال اهـ - ربنا لاترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب - آمين . قال رحمه الله :

(مَعْرِفَةُ الْمَوْلَى بِمَعْرِفَةِ النَّبِيِّ وَمَعْرِفَةُ النَّبِيِّ بِمَعْرِفَةِ قُدُّوَةِ
وَصَلِّ عَلَى الْوَرَى صَلَاةَ الْجَنَازَةِ بِذَلِكَ تَصِيرُ صَادِقًا فِي الْمَوْدَةِ
وَلَا تَمْدُونُ عَيْنَيْكَ عَنْهُ فَإِنَّهُ غَيُورٌ فَلَا يَرْضَى بِشِرْكِ الْمَحَبَّةِ)

(معرفة) المريد الصادق (المولى) أى مولاه سبحانه وتعالى : قال زروق رضى الله عنه : هى سر بيان العلم بجلال الحق سبحانه أو جماله أو هما فى كلية العبد حتى لا يبقى له من نفسه بقية فشهد كل شىء منه وبه وله فلا يبقى لوجود شىء نسبة عنده اهـ . وفى [جه] وسألته رضى الله عنه عن حقيقة المعرفة بالله تعالى ؟ فأجاب رضى الله عنه بقوله : المعرفة الحقيقية أخذ الله للعبد أخذاً لا يعرف له أصلاً ولا فصلاً ولا سبباً ولا يتعقل فيه كيفية مخصوصة ولا يبقى له شعور بحسه وشواهد ومحمواته ومشيتته وإرادته ، بل تقع عن تجلإلى ليس له بداية ولا غاية ولا يوقف له على حد ولا نهاية وبحق العبد محققاً لا يبقى له شعوراً بشىء ولا بعدم شعوره ولا بمحقه ولا يميز أصلاً من فرعه ولا عكسه ، بل لا يعقل إلا من حيث الحق بالحق فى الحق عن الحق ، فهذه المعرفة الحقيقية ، ثم يفيض عليه من أنوار قدسه فيضاً يعطيه كمال التمييز والتفصيل بين المراتب وخواصها وما تعطى حقائقها فى جميع أحكامها ومقتضياتها ولوازمها وتفصيل الصفات والأسماء ومراتب آثارها ومعارفها وعلومها ، وهذا التمييز يسمى بالبقاء التام والصحو الكامل ، والأصل الأول يسمى بالفناء التام والصحو الكامل ولا قيام لهذا البقاء إلا بفناء الفناء الأول على أصله وقاعدته ومتى انهدم الأول انهدم الثانى ، وقال : فمن تجلإى بهذا الوصف المتقدم صح له الظهور فى الخلق والتقدم عليهم وإليه يلتقى المريد نفسه ويقتنى آثاره ويمثل أوامره ويحتجب نواهيه ومعارضته ولو بقلبه ، فإذا فعل هذا سأل من محض فضل الله وكرمه بإظهار فقره ولسان ذله وبجاه حبيبه ونبيه أن يرحمه بالفتح الأكبر على يد قدوته ، ومن لم يطلب الفتح من أبوابه طرد ولم ينتفع بأسبابه ، انظره . وفيه قال على كرم الله وجهه : المعرفة كشف سبعات (١) الجلال وغايتها الدهش فى كبرياء الله . أراد بغايتها مقام الختم فى النقطانية فهو غاية الغايات اهـ . وعن بعضهم : باتباع السنة تنال المعرفة ، وبإداء الفرائض تنال الفرية ، وبالمواظبة على النوافل تنال المحبة اهـ . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه .

(١) سبعات بضم سين مهمة وموحدة اهـ .

وباداء المفروض نيل القرب	وبدوام النفل نيل الحب
وباتباع سنة النبي	ومعرفة المهيمن العلي
فامتن علينا ربنا بالمعرفة	وبالمشاهدة وبالحب
واكشف لنا عن سبحات من جلال	مؤيدا بكل فضل وجمال
وافتح بمحض الفضل والإفضال	بأعظم الأسماء ذى الجلال
واختتم لنا خاتمة الأبرار	من أولياء الله والأخيار
واجمع لنا الشمل مع العدنانى	محمد وأحمد التجانى
فى كل موطن وكل مشهد	ومحشر وجنة ومقعد
آمين آمين ختام الحق	يجعله على لسان الخلق

(بمعرفة النبي) بتخفيف تحية صلى الله عليه وعلى آله وسلم (ومعرفة النبي) كذلك صلى الله عليه وعلى آله وسلم (يعرفان) أى معرفة (قدوة) بتثليث القاف من تأسيت واقتديت به (وصل على الورى) أى وإذا علمت ذلك فصل على جميع الخلائق الأولياء وغيرهم (صلاة الجنائزة) وكبر عليهم أربع تكبيرات واقرأ عليهم - إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله - ولا ترى فى الكون كله علويه وسفليه إلا أنت وشيخك ونبيك وربك - وأن إلى ربك المنتهى - وفى غنية الأصحاب :

مالى فى الكون سوى الرحمن والمصطفى وأحمد التجانى

وفى [هب] وكنت مع الشيخ رضى الله عنه ذات يوم بباب الحديد فنظر إلى وقال لا يطمع أحد فى معرفة الله وهو لا يعرف الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يطمع أحد فى معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرف شيخه ، ولا يطمع أحد فى معرفة شيخه وهو لم يصل على الناس صلاته على الجنائزة إلا إذا خرج الناس من نظره وصار لا يبالي بهم فى أقواله وأفعاله وشؤونهم كلها جاءته الرحمة من حيث لا يحتسب . ويعجب الشيخ رضى الله عنه من لا يبالي بنظر الناس إليه اه . وفيه : أن مخالطة الأولياء بمنزلة أكل السموم ، وقد كان سيدى فلان لما عرفه مريده لم يترك له امرأة ولا ولدا حتى أفرد به اه . وللشريشى رضى الله عنه :

ولا تنظرن يوما إلى الخلق إنه يخلى طليق الصفو فى كدر الأسر

وفى [جع] وسألت سيدنا رضى الله عنه عن قول صاحب الإبريز حاكيا عن شيخه قال : لا ينال العبد معرفة الله حتى يعرف سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ولا يعرف سيده الوجود صلى الله عليه وسلم حتى يعرف شيخه ولا يعرف شيخه حتى يموت الناس فى نظره ، فصل عليهم صلاة الجنائزة وانزع من قلبك التشوف إليهم . قلت : وفى هذا إشارة إلى عدم زيارة كل ولى . فأجاب رضى الله عنه أن لكل شيخ شروطا وحدودا وموارد وله أيضا ثلاث دوائر بعيدة وقريبة ومتوسطة فإذا أدخل المريد فى دائرته القريبة يقول له إن خالفتنى بعد اليوم تموت كافرا نسأل الله السلامة من مخالفة أستاذنا فى القليل والكثير آمين اه .

[تنبيه] اعلم أن الشيخ إذا عاقب المريد على الخطرة واللحظة وضايق عليه أنفاسه فليبشر بالقبول والفتح والرضا ، وكذلك إذا عرضه لما يكون عنده بحسب ظنه أن له فيه الخسارة والضياعة ، ورحم الله من قال :

مهما أسأت مع شيخك الأدب ولم يعاقبك فخف من العطب
وحيث أدبك فأبشر بالرضا والفتح فيما قد أتى ومامضى
وحيث غرّضك للضباع فذاك عين الحق وانتفاع

وإن وقعت منه زلة وسوء أدب وعرف أنه ساجد ولم يعاقبه فليحذر من مكره في ذلك أو من أن
سكوته ناشئ عن علمه أنه لا يجيء منه شيء ، وإن باسطه لم يترك أدبه ، بل كلما انبسط معه فليزد
في قلبه المهابة والتعظيم والإجلال والاحترام والاحتشام ، وكذلك إن ساواه في المرتبة أو جاوزه في المقام فإنه
يتأكد في حقه الاحترام الزائد والتأدب معه للسببية ، ورحم الله من قال :

كلما زاد بسطة وخضوعا زدت فيه مهابة وجلالا (١)

ثم إن زادت علو ارتفاع زدت في تعظيمي له وذلالا

(بذاك) أى بما ذكر (تصير صادقا) قلبا وقالبا (في المودة) والمحبة لقدوتك الذى اتخذته وسيلة
ووصلة فيما بينك وبين مولاك سبحانه وتعالى . وفى [هب] وقد سمعت الشيخ رضى الله عنه يقول :
الشيخ للمريد في درجة لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإيمانه متعلق به وكذا سائر
أموره الدينية والدنيوية ، وأرباب البصائر يشاهدون ذلك عيانا ، وكنت أخرج معه رضى الله عنه
كثيرا وأنا لا أعرف درجته فكان يقول لى : مثلك مثل من يظل يمشى على عالى أسوار المدينة
وشرفاتها (٢) من ضيق المحل الذى يجعل فيه رجلك وبعد محل السقوط ، فلم أفهم معنى هذا الكلام
إلا بعد حين ، فكان بعد ذلك إذا جرى هذا الكلام على خاطرى يحصل لى منه روع عظيم وخوف
شديد ، وقلت له ذات يوم : إني أخاف من الله تعالى من أمور فعلتها ؟ فقال لى : ماهى ؟ فذكرت
له ما حصل : فقال لى رضى الله عنه : لا تخف من هذه الأشياء ، ولكن أكبر الكبائر فى حقك
أن تمر عليك ساعة ولا أكون فى خاطرك ، فهذه هى المعصية التى تضرك فى دينك ودنياك ، وقلت
له مرة : ياسيدى إني بعيد من الخير ، فقال رضى الله عنه : اطرح عنك هذا وانظر إلى منزلتك
عندى فعلها تحمل ، وكنا معه رضى الله عنه على حالة قل أن يسمع بمثلها لا ينزل بنا أمر مهم أو غير
مهم إلا ذكرناه له فيتحمله عنا عيانا ويربح خاطرنا منه بمجرد ذكره له ، وكان رضى الله عنه
يمارحنا ويضاحكنا ويزيل الحياء عنا ويفاتحنا بالأمور قبل أن نسأله عنها ويقول لنا : لا تجعلونى فى مقام
الشيخ إنما أنا لكم بمنزلة الأخ ، ومقام الشيخ لا تطيقون القيام بأدبه فأنا أسألكم وأجعلكم فى حل
من ذلك ، واجعلونى بمنزلة الأخ تدوم الصحبة بيننا وبينكم ، فالله يجازيه عنا أفضل الجزاء بمنه
وكرمه اه . وفى [مع] قال الجنيد : لو أن الله تبارك وتعالى ستر عن العامة حقائق الأولياء لهلكوا
بعدم الاتباع والافتداء بهم ولكانوا عليهم حجة يوم القيامة لكن الله تعالى بفضله ورحمته سترهم
بهذه الصورة البشرية فلا يعرفهم إلا من هو مثلهم ، أو من أراد الله أن ينفعه ببركاتهم فيطوى عنه
الصورة البشرية ويشهده الحقيقة الربانية ، فيدرك إدراكا قطعيا لا ظنيا ولا حسانيا فينتعش بمشاهدته
وتبقى مسافة المسير إلى الدرجات العلية فتكون سرعتهم على قدر رقة طباعهم وكثافتها وعلى قدر
التجليات وهمة الشيخ وإقباله عليهم ، ولا يكون إقباله عليهم إلا بقدر إقبالهم عليه . قال ابن عطاء الله :
لا تطلب من الشيخ أن تكون بباله ولكن اطلب من نفسك أن يكون الشيخ ببالك ، فيقدر ما يكون

(١) من الحقيف . (٢) شرفاتها بضم شين معجمة وراء جمع شرفة كعرفة وغرفة اه .

ببالك تكون بباله فذاك أول قدم تضعه في السلوك ، انظره (ولا تعدون) بنون خفيفة أى لا تتجاوزن (عينيك) أى عين الباصرة وعين البصيرة (عنه) إلى غيره من الشيوخ (فإنه) رضى الله عنه وعنايه آمين (غيور) بفتح معجمة صيغة مبالغة . أى كثير الغيرة ، والغيرة من الإيمان والمؤمن يغار والله يغار (فلا يرضى) منك (يشرك) بكسر معجمة الشركة (المحبة) بأن تسويه مع غيره في المحبة فضلا عن أن تفضله عليه لحديث « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين » ولابن القارظ رضى الله عنه :

ولو خطرت لى في سواك إرادة على خاطرى سهوا حكمت بردى
وفى [جمع] ومن أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده هو أن لا يشارك في محبته غيره ولا في تعظيمه ولا في الاستمداد منه ولا في الانقطاع إليه بقلبه ، ويتأمل ذلك في شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم فإن من ساوى رتبة نبيه مع رتبة غيره من النبيين والمرسلين في المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب والتشريع فإنه عنوان على أنه يموت كافرا إلا أن تدركه عناية إلهية بسبق محبة ربانية .
فإذا عرفت هذا فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه صلى الله عليه وسلم في التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب فلا يعادل به غيره في هذه الأمور ولا يشارك غيره اهـ . ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

وكن مع الشيخ في الاستمداد	والاحترام كالنبي الهادى
والانقطاع له وفى التعظيم	وفى سلوك المنهج القويم
وفى المحبة وفى التجاء	إليه فى البدء وفى انتهاء
وكن مفضلا له على الورى	واجزم بفقد مثله فوق الثرى
واجعله فى القلب مدى الزمان	فذاك عنوان رضا الرحمن
مالى فى الكون سوى الرحمن	والمصطفى وأحمد التجانى
رضيت بالله رب العباد	حيا وميتا وفى المعاد
وبرسول الله ختم الأنبياء	وبالتجاني ختام الأولياء
واجمع بهم شمل بالامتنان	نوما ويقظة وفى التهاني
أمين آمين ختام الحق	جعله على لسان الخلق

وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا تأخذ العهد على فقير بالسمع والطاعة لما تأمره به من الخير إلا إن كان لا يقدم علينا في المحبة أهلا ولا ولدا ورائة محمدية لاستقلاله ، ولولا علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لمحبة الناصح مدخلا عظيما في حصول الهداية والانقياد بسرعة دون بطاء ما قال « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وولده والناس أجمعين » ومعلوم أن جميع الدعاة إلى الله تعالى من هذه الأمة نواب له صلى الله عليه وسلم ، فلهم من الأدب معهم والمحبة لهم بحكم الإرث نحو ما كان له صلى الله عليه وسلم ، وذلك ليحصل للمريد كمال الانقياد ويعتقد في شيخه أنه أشفق عليه من نفسه كما كان صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : - النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم - فافهم ، وإذا علم الشيخ من المريد تقديم أحد عليه في المحبة نفى يده منه ، وفى كلام الشيخ العارف بالله تعالى عدى بن مسافر أحد أركان هذه الطريق رضى الله عنه : اعلم أنك لا تنتفع بشيخ قط إلا إذا كان

اعتقادك فيه بل في أمثاله فوق كل اعتقاد ، وهناك يجمعك في حضوره ويحفظك في مغيبه ويهذبك بأخلاقه ويؤدبك بإطراقه ، وينور باطنك بإشراقه . وإذا كان اعتقادك فيه ضعيفا لم تشهد فيه شيئا من ذلك بل تنعكس ظلمة باطنك عليك فتشهد صفاته هي صفاتك فلا تنفع منه بشيء ولو كان من أعلى الأولياء درجة . وفي كلام سيدي علي بن وفا : إن أردت تسمع قول فرغ لقولي مسمعك من كل ما قال غيري في سائر الأدوار . وقال أيضا في كتابه المسمى [بالوصايا] اعلم أن قلوب الرجال أمثال الجبال ، فكما أن الجبال لا يزيها عن أماكنها إلا الشراك بالله تعالى كما قال تعالى - ونحر الجبال هذا أن دعوا للرحمن ولدا - فكذلك قلب الولي لا يزيله عن مكانه إلا شرك تلميذه معه أحدا في محبته لا يزيله إلا ذلك لا تقصير في خدمة الشيخ ولا غير ذلك فافهم ، ثم لا يخفى أن جميع الأشياخ إنما طلبوا من المريد كثرة الإجلال والتعظيم لهم والرضا بكل ما يأمرونه به تمريناله وطلبنا لترقيه إذ الشيخ كالسلم للترقي يترقى المريد بالأدب معه إلى الأدب مع الله تعالى ، فمن لم يحكم باب الأدب مع شيخه لا يشم من الأدب مع الله تعالى رائحة أبدا ، انظره تردد . وفي [هب] وسمعت رضى الله عنه يقول : لا ينتفع المريد بمحبة شيخه إذا أحبه لسره أو ولايته أو لعلمه أو كرمه أو لنحو ذلك من العال حتى تكون محبته متعلقة بذات الشيخ متوجهة إليها لالعة ولالغرض مثل المحبة التي تكون بين الصبيان فإن بعضهم يحب بعضا من غير أغراض باعثة على المحبة بل مجرد الألفة لا غير ، فهذه المحبة ينبغي أن تكون بين المريد والشيخ حتى لا تزهق محبة المريد إلى الأغراض والعلل فإنها متى زهقت إلى ذلك دخلها الشيطان وأكثر فيها من الوسواس ، وربما تنقطع وربما تقف كما سبق في القسمين الأخيرين والله أعلم . وسألته رضى الله عنه لم كانت المحبة للعلم والولاية والسر ونحو ذلك لا تنفع ؟ فقال رضى الله عنه : لأن الأسرار والمعارف ونحوها كلها من الله تعالى وكل واحد يحب الله تعالى فإلى الآن ما أحب شيخه ، وإنما تتحقق محبته للشيخ إذا أحبه لخصوص ذاته لا لما قام بها من الأسرار ، فقلت وكذا ذات الشيخ هي من الله تعالى وكل شيء منه فلم نفعت محبة البعض دون البعض ؟ فقال صدقت وغرضنا بمحبة الذات السكناية عن كون المحبة خالصة لله تعالى لأن الذات بمجرد ما لا يتصور منها نفع ولا غيره ، فإذا توجهت المحبة نحوها كان ذلك علامة على الخلو من الشوائب ، فقلت إن الناس لا بد لهم من أغراض وإرادات فمن حوثر بقصد القصيل الحاصل له منه فيجب الحرث للقصيل ، لالذاته ؟ فقال رضى الله عنه : نعم ، ولكنه إذا نوى القصيل وقصده في أول الأمر ثم شغل فكره بغيره بحيث إنه لا يبقى له على بال ، فهذا يحصل له القصيل الكثير وتجيئه الإصابة العظيمة ، وأما إن شغل فكره بهذا القصيل ليله ونهاره وجعل يفكر ويقدر كيف يكون وما يفعل به إذا كان فهذا لا يحصل له قصيل بل يركبه الوسواس قبل أن يحصل له القصيل ، فلا يزال يقول في نفسه هل أدرك هذا القصيل ولعل الآفة القلانية تأتي عليه أو يغير عليه بنو فلان ، ونحو هذا من الوسواس بخلاف الأول فإنه مستريح الفكر في أمر القصيل وفي أمر الوسواس ، فهذا حال من أحب الشيخ لذاته ومن أحبه لعله ، وكنت أتكلم معه ذات يوم ونحن في جزء ابن عامر بمحروسة فأسأله عنها الله تعالى فقال لي إن سيدي منصورا في رأس الدرب أنجب أن تلتقي معه وتعرفه ؟ فقلت ياسيدي نعم حيا وكرامة وكيف لا أحب أن ألتقي مع القطب ، فقال لي رضى الله عنه : أما أنا فلو قدرنا أن أباك وأملك ولدا من يماثلك في شكلك وصفتك وعلمك وجميع ما عليه ذاتك باطنا وظاهرا عدد مائة ما نظرت إلى واحد منهم أنت حظي وقسمتي وهم عندي كسائر الناس ، فاستيقظت من غفلتي وانتبهت من

نومتي وعلمت أني ماجئت بشيء فإن المحبة لا تقبل الشراكة والله أعلم . وسمعت رضى الله عنه يقول : إن طالب السر المريد هو ذاته الترابية ومعطى السر من الشيخ هو ذاته الترابية ، فإذا كانت الذات الترابية من المريد تحب الذات الترابية من الشيخ محبة مقصورة عليها أمدتها بأسرارها ومعارفها وإذا كانت ذات المريد تحب أسرار ذات الشيخ وزهقت المحبة إليها وإلى معارفها منعتها الذات الترابية من مطلوبها ثم لا تقدر لها الروح ولا غيرها على شيء ، فليجتهد المريد جهده في محبة ذات شيخه معرضا عن النفع مطلقا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وسألته رضى الله عنه عن المحبة هل لها من أمانة وعلامة ؟ فقال رضى الله عنه : لها أمانتان ، الأمانة الأولى : أن تكون راحة المريد في ذات شيخه فلا يتفكر إلا فيها ولا يجرى إلا لها ولا يهيم إلا بها ، ولا يفرح إلا بها ولا يحزن إلا عليها حتى تكون حركاته وسكناته سرا وعلانية حضورا وغيبة في مصالح ذات الشيخ وما يليق بها ولا يبالي بذاته ولا بمصالحها الأمانة الثانية : الأدب والتعظيم لجناب شيخه حتى لو قدر أن شيخه في بئر وهو في صومعة لرأى بعين رأسه أنه هو الذى فى البئر وأن شيخه هو الذى فى الصومعة ، لكثرة استيلاء تعظيم الشيخ على قلبه بل على عقله ، انظره . قال رحمه الله :

(وَصَلَّ صَلَاةَ الْفَرَضِ فِي الْوَقْتِ بِالْمَلَأَ وَإِلَّا فَصَلَّ بِالْعِيَالِ بِخَيْمَةٍ)

(وصل) من صلى صلاة لاتصلية (صلاة الفرض) أى المفروضة عليك قال تعالى - إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقونا - وفى [حى] وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم ^(١) فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقى من درنه ؟ قالوا لا شيء . قال صلى الله عليه وسلم : فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن » وقال صلى الله عليه وسلم « إن الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر » وفى البخارى عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أرايت لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات يقول ذلك يبقى من درنه ؟ قالوا لا يبقى من درنه شيئا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يحو الله به الخطايا » وفى الترمذى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثم قال - من توضأ وضوئى هذا ثم صلى الظهر غفر له ماتقدم بينها وبين صلاة الصبح ، ثم صلى العصر غفر له ماتقدم بينها وبين صلاة الظهر ، ثم صلى المغرب غفر له ماتقدم بينها وبين صلاة العصر ، ثم صلى العشاء غفر له ماتقدم بينها وبين صلاة المغرب ، ثم لعله أن يبيت ليلته يتمرغ ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء » اهـ . ولبعضهم رحمه الله :

ألا فى الصلاة الخير والفضل أجمع لأن بها الأقارب لله تخضع
وأول فرض كان من فرض ديننا وآخر ما يسبق إذا الدين يرفع
فن قام للتكبير لا قته رحمة وكان كعبد باب مولا يقرع
وصار لرب العرش حين صلاته قريبا فيأطويه لو كان يخشع

وقد قيل : إذا قمت إلى الصلاة فاعلم أن الله مقبل عليك ، فأقبل على من هو مقبل عليك وقريب منك وناظر إليك اهـ (فى) أول (الوقت) المختار « أول الوقت رضوان الله ، ووسط الوقت رحمه الله

وآخر الوقت عفو الله، وفي آخر: «فضل الوقت الأول على الآخر كفضل الآخرة على الدنيا» وفي [جهر] «عليكم بدكر ربكم وصلوا صلاتكم في أول وقتكم فإن الله يضاعف لكم أعمالكم» وفيه «أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها» أي في أول وقتها، وروى «الصلاة في وقتها» أي في أول وقتها «أفضل من الدنيا وما فيها» وروى الطبراني مرفوعا «يقول ربكم عز وجل من صلى الصلاة لوقتها وحافظ عليها ولم يضيعها استخفافا بحقها فله على عهد أن أدخله الجنة» وروى أيضا «من صلى الصلوات لوقتها وأسبغ لها وضوءها وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها خرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظني، ومن صلاها لغير وقتها ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها خرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني، حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه» وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستعد بالوضوء قبل دخول الوقت للصلاة أول الوقت فن لم يستعد لذلك فرمى فاته فضيلة جماعة الوقت، وهذا العهد يخل به كثير من سكان المساجد فضلا عن التجار والصناعية فيفرون في الوضوء أول الوقت حتى تفوتهم صلاة الجماعة، ويقال لأحدهم قم توضأ فيقول الوقت متسع، انظره. واعلم أن إخراجها عن وقتها من الموبقات قال تعالى - فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون - وفيه: أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتهاون بترك الصلاة أو بإخراجها عن وقتها إذا اشتد مرضنا فضلا عن أوقات الصحة بل نصلي بحسب استطاعتنا في الطهارة وفعل الأركان، ولا ننتقل لمرتبة سفلى إلا بعد عجزنا عن العليا، انظره. وفي الحديث «من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان» وفي بعض الكتب: تارك الصلاة «ملعون وجاره إن رضى به ملعون ولولا أنى حكم عدل لقلت كل من يخرج من ظهره ملعون إلى يوم القيامة».

[لطيفة] حلف رجل بالطلاق لا يدخل على زوجته إلا في يوم مشغوم فسأل العلماء عن ذلك فأجابوه بأن الأيام كلها مباركة، ثم سأل بعض العارفين عن ذلك فقال هل صليت اليوم صلاة؟ قال لا، قال فادخل عليها فإنه يوم مشغوم عليك. قال تعالى - فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا - الآية، وفي مسلم عن عبد الله يعني ابن مسعود قال: من سره أن يلقى الله تعالى غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادي بهن فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان رجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف اه: أى تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم حيث خرج للصلاة يهادى بين العباس وعلى رضى الله عنهما ورجلاه تخطان الأرض كما في الصحيحين (بالملا) أى مع الجماعة قال تعالى - واركعوا مع الراكعين - وفي الحديث «أثنان فما فوقهما جماعة» ومن حكمة مشروعتها قيام نظام الألفة بين المصلين، ولذا شرعت المساجد في المحال ليحصل التعاهد باللقاء في أوقات الصلوات بين الجيران، ومنها تعلم الجاهل من العلم ما يجهله من أحكامها، ومنها أن مراتب الناس متفاوتة في العبادة فتعود بركة الكامل على الناقص فتكمل صلاة الجميع، ومنها أنه قد يكون في الجماعة من هو أفضل فيغفر للباقيين بسببه لأن الصلاة ترفع على أتقى قلب رجل من الجماعة، وفي مسلم عن عثمان

رضي الله عنه وعنايه آ. بن قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من توضأ للصلاة فأسبغ الوضوء ثم مشى إلى الصلاة المكتوبة فصلاها مع الناس أومع الجماعة أوفى المسجد غفر الله عز وجل له ذنوبه ، وفي [جص] « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » وفيه « صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وعلى صلاته في سوقه خمسا وعشرين درجة ، وذلك أن أحداكم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد ، فإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه ، وتصلى الملائكة عليه مادام في مجلسه الذي يصلى فيه ، يقولون اللهم اغفر له اللهم ارحمه اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه أو يحدث فيه » وروي أبو داود مرفوعا « عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » [وعن] ابن عباس « لو صام رجل النهار وقام الليل ولكن لم يشهد الجمعة ولا الجماعة فهو في النار » وفي [حى] قال عثمان رضي الله عنه مرفوعا « من شهد العشاء جماعة فكأنما قام نصف ليلة ، ومن شهد الصبح في جماعة فكأنما قام ليلة » وقال صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة » ثم قال : قال صلى الله عليه وسلم « من صلى أربعين يوما الصلوات في جماعة لاتفوته فيها تكبيرة الإحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبرائة من النار » وفيه : روى أن السلف كانوا يعززون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتتهم التكبيرة الأولى ، ويعززون سبعا إذا فاتتهم الجماعة . وقال حاتم الأصم : فاتتني الصلاة في الجماعة فعزأ أبو إسحاق الفنارى وحده ، ولو مات لى ولد لعزأى أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا . وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد ، فقيل له إن الناس قد انصرفوا ، فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب إلى من ولاية العراق ، انظره . وفي [خل] ينبغى لأهل الفضل والدين أن يراعوا للتعزية في الدين أكثر ، كما نقل عن بعضهم أنه قال : فاتتني الصلاة في جماعة فعزأى فيها فلان ولم يعز فى غيره ولو مات لى ولد لعزأى فيه مائة ألف أو كما قال ، وما ذاك إلا أن مصيبة الدين عند أهل الدين أعظم من مصيبة الدنيا عكس ما الحال عليه في هذا الزمان ، وفيه : وقد كان عبد الله بن ممر رضى الله عنهما إذا فاتته تكبيرة الإحرام مع الإمام أعتق رقبة . انظره وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على صلاة الجماعة في الصلوات الخمس وفيما تشرع فيه الصلوات من النوافل ولا نتخلف حتى تفوتنا الجماعة كلها وبعضها أو إن جعل الشارع لمن خرج لها فوجدناها قد انقضت مثل أجرها لأن الشارع إنما جعل ذلك جبيرا وتسكيئا لمن خرج للجماعة فوجد الناس قد فرغوا فتأسف وحزن فكان ذلك كالتعزية لصاحب المصيبة ، وإلا فكيف يجعل من فرط في أوامر الله كمن فعلها وبادر إليها وترك أشغاله كلها لأجله تعالى فافهم انظره ، وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلى مع الجماعة العظمى دون الصغرى ولا نقنع بالصغرى ونترك الكبرى إلا لعذر شرعى ، ومتى خالفنا ذلك استغفرنا الله تعالى من تركنا فعل ما هو الأحب إليه ، فعلم أنه ينبغى أن يكون الباعث لنا على صلاة الجماعة محبة الحق تعالى لها لا طلب الثواب فإن ذلك علة تقدر عندنا في الإخلاص ثم قال : وقد أوحى الله إلى داود عليه الصلاة والسلام : ومن أظلم ممن عبدنى بخنة أو نار؟ لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لأن أطاع اه . واعلم أنه قد يكون للفقراء أعذار باطنية ، فربما تخلفوا عن الخروج لصلاة الجماعة فلا ينبغى لأحد المبادرة إلى الإنكار عليهم إلا بعد أن يتعرف ذلك العذر منهم ، فربما غلب عليهم حال قاهر منعهم عن الخروج ، والمنهى عنه إنما هو تخلف

العبد عن صلاة الجماعة لشغل دنيوى أو مفضول مع قدرته على الخروج ، وهؤلاء لو ضرب أحدهم بسيف ما قدر على الخروج بل يرون ضرب السيف أهون على أحدهم من خروجه من بيته أو خلوته عند غلبة الحال عليه ولا يعرف ذلك إلا من ذاقة : وقد كان سيدى الشيخ مدين لا يخرج من بيته إلا لصلاة العصر فقط مع أن المسجد على باب داره ، وكذلك سيدى محمد الغمرى ، وكذلك سيدى على المرسفى ، فقيل لسيدى مدين فى ذلك فقال : ربما يكون الفقير فى بيته فى حال جمعية قلب مع الله تعالى أقوى من جمعية معه إذا خرج اه . فسلم يأخى للقوم انظره ، وفيه : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تنهون بصلاة الجماعة ونصلى فرادى إلا لعذر شرعى امتثالاً لأمر الله عز وجل بالأصالة لاطلبا الثواب الوارد فى ذلك ، فإن الثواب من لازم من يخدم الله عز وجل لأنه تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، ثم قال : وهذا الأصل يسرى معك فى سائر العبادات فتقصد بفعلها امتثالاً لأمر الله تعالى بذلك لا غير ، فعلم أن من قصر نظره فى عبادته على الثواب فهو دنىء الهمة خارج عن أدب العبودية ، وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول : لا ينبغي لجار المسجد أن يترك صلاة الجماعة فى المسجد ويصلى فى بيته ولو جماعة إلا لعذر من مرض أو حال غالب عليه منعه من الخروج للناس ، انظره : وفى [جمع] وشرط الورد المحافظة على الصلوات فى الجماعات والأمور الشرعية ، وكان رضى الله عنه يحثنا على صلاة الصف إذا سافرنا ويقول : من لم يصل معكم فى الصف لا تركوه يرافقكم ، ويقول المحافظة على صلاة الصف بصرف بها كثرة المصائب اه . وروى « من صلى الصبح فى جماعة فهو فى ذمة الله فلا يمتنعكم الله بشيء من ذمته » ولذا لا ينبغي لمدين أن يؤذى من صلى الصبح فى جماعة بشيء لأنه فى جوار الله وذمته إكراماً لمن هو فى ذمته سبحانه وتعالى . وفى [حى] عن بعضهم قال : كنت سجاناً نيفاً وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بالليل أنه هل صلى العشاء جماعة فكانوا يقولون لا ، وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطى الفحشاء والمنكر اه . وفى [نزهة المجالس للنيسابورى] أن رجلاً راود امرأة عن نفسها فأخبرت زوجها فقال : قولى له صل خلف زوجى أربعين صباحاً ، ففعل ثم دعتة إلى نفسها فقال : إني تبت إلى الله عز وجل ، فأخبرت زوجها بذلك فقال : صدق الله ، قوله الحق - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - اه (وإلا) تجد جماعة تصلى معهم (فصل بالعيال) جمع عيل كجباد جمع جيد بكسر فسكون كفيل العنق (بنجيمة) إن كنت من أهل الخيام وفى بيتك إن كنت من أهل البيوت : قال رحمه الله :

(وَبَسْمِلْ بِأَوَّلِ الصَّلَاةِ لِفَضْلِهَا الْمَوْكِدِ بِالْيَمِينِ أَغْنَى وَعِزَّتِي
وَبِالْحَمْدِ صَلِّ مِمَّ الرَّحِيمِ فَتَطْفَرَا بِمَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ كَثِيرٍ وَفِدَايَةٍ
وَمَنْ لَمْ يَبَسْمِلْ لِلصَّلَاةِ فَقَاتَهُ ثَوَابٌ عَظِيمٌ مَعَ صَلَاةٍ صَحِيحَةٍ)

(وبسم) أى قل بسم الله الرحمن الرحيم (بأول) الفاتحة جهراً فى (الصلاة) الجهرية وسراً فى السرية أو سراً فيهما معا ولا سيما من يؤم غير إخوانه فى الأهمية فإن الألسن تسرع إليه بسوء الظن والاعتقاد وكثرة المراء والجدال والانتقاد ونسبته للجهل والضلال والعناد ، حتى كان بعض المتشبهين يقول لمن تمسك بأوراد أسلافه رحمه الله : من صلى خلف تجانى فلإنما صلى خلف شيطانى لأنهم ييسملون فى الصلاة - إنا لله وإنا إليه راجعون - :

والدعاوى ما لم يقيموا عليها بينات أبناؤها أدياء

بل حسدا من عند أنفسهم من بعدما تبين لهم الحق - الآية ، ومتمسكا بقول ابن هاشم وكرهوا بسملة ، وقول خليل وكرها في فرض ، وقول الرسالة لاستفتح القراءة فيها بسم الله الرحمن الرحيم مطلقا في أم القرآن ولا في السورة لاسرا ولا جهرا إماما كنت أو غيره جاهلا أو متجاهلا ، بما قيد به الشراح بأجمعهم كلام هؤلاء الأئمة وغيرهم ممن ألف في المذهب المالكي رضى الله عن جميعهم وأرضاهم وجعل أعلى علين مأواهم من أن محل الكراهة ما لم يقصد بها الخروج من الخلاف وإلا فلا كراهة ، وفي الزرقاني : والورع البسملة أول الفاتحة للخروج من الخلاف : قال القرافي وغيره : وكان المازري يبطل سرا فليل له في ذلك فقال : مذهب مالك على قول واحد من بسم لم تبطل صلاته ومذهب الشافعي على قول واحد من تركها بطلت صلاته اه : أى وصلاة يتفقان على صحتها خير من صلاة يقول أحدهما يبطلانها . وفي [الحرشي] وكرهت البسملة والتعوذ في الفرض للإمام وغيره سرا وجهرا في الفاتحة وغيرها ابن عبد البر وهو المشهور عند مالك وتحصيل مذهبه عند أصحابه ، وقيل بالإباحة والندب والوجوب لكن من الورع الخروج من الخلاف بالبسملة أول الفاتحة ويسرها ويكره الجهر بها انظره ، وروى ابن حبان أنهم لم يكونوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم ، وروى ابن خزيمة أنهم كانوا يسرون ببسم الله الرحمن الرحيم : أى في أول الفاتحة في الصلاة ، وصحح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم في أول الفاتحة في الصلاة وعدها آية ، وروى أبو هريرة « إذا قرأتم الحمد لله فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم ، إنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها » وفي الصواعق المرسله إلى من أنكر الجهر في الفريضة بالبسملة قال في [المواهب اللدنية] مانصه : روى عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم رواه أبو داود ، وروى الحاكم عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قال صحيح ، وفي صحيح ابن خزيمة عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدها آية ، وروى ابن مردويه في تفسيره عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمد لله رب العالمين سبع آيات إحداهن البسملة وهى السبع المثاني والقرآن العظيم ، وهى أم الكتاب » ، ورواه الدارقطني أيضا عن أبي هريرة مرفوعا بنحوه أو مثله ، ثم قال : وعن نعيم الحجير صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم قرأ بأم القرآن حتى بلغ ولا الضالين فقال آمين ، وقال الناس آمين . وكان كلما سجد وإذا قام من الجلوس في الاثنتين يقول الله أكبر ، وإذا سلم يقول ، والذي نفسى بيده إنى لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي الإتيان عن ابن عباس مرفوعا سرق الشيطان من الناس أعظم آية وهى البسملة ، وفي رواية أغفل الناس . وروى الشافعي بإسناده أن معاوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ البسملة ولم يكبر عند الخفض إلى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والأنصار يا معاوية سركت الصلاة أين بسم الله الرحمن الرحيم أين التكبير عند الركوع والسجود فأعاد الصلاة مع التسمية والتكبير ، ثم قال الشافعي : وكان معاوية سلطانا عظيم القوة شديدة الشوكة فلولا أن الجهر بالتسمية والتكبير كان من الأمر المتقرر عند كل الصحابة من المهاجرين والأنصار لما قدروا على إظهار الإنكار عليه بسبب قوته اه . وهو حديث حسن أخرجه الحاكم في صحيحه والدارقطني وقال إن رجاله ثقات . قال الرازي : وهذا الإنكار

على معاوية يدل على أن الجهر بهذه الكلمة أي البسمة كالأمر المتواتر فيما بينهم اه . وبه أي بالجهر بها قال عدة من أهل العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو هريرة وابن عمر وابن الزبير ، ومن بعدهم من التابعين رأوا الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم وبه يقول الشافعي رضي الله عنه ، وقد صح في الجهر بها أحاديث لامطعن فيها لمنصف كما أنه قد صح في الإسرار بها أحاديث لامطعن فيها لعار من العصبية ، وقيل لبعض العارفين بماذا ترى ظهر الإمام الشافعي وغاب ذكره ؟ فقال أرى ذلك لإظهاره للبسمة بكل صلاة ، ثم قال السيوطي في [حاشية الموطأ] قد كثرت الأحاديث الواردة في البسمة لإثباتها وتقيا وكلا الأمرين صحيح فقد قرأ صلى الله عليه وسلم بها وترك قراءتها وجهر بها وأخفاها اه .

وفي [ع] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ، فإذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال عز وجل مجدي عبدي ، فإذا قال الحمد لله رب العالمين . قال الله تعالى حمدي عبدي ، فإذا قال الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى : أثني على عبدي ، فإذا قال : مالك يوم الدين ، قال الله تعالى : فوَّضَ إِلَىٰ عَبْدِي ، فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين ، قال هذا بيني وبين عبدي ، فإذا قال اهدانا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال الله تعالى هذا لعبدي ولعبدي ما سأل اه (لفضائلها) أي لنيل الفضل الوارد فيها (المؤكد) وأل فيه من المصراع الأول أي المؤكد من الله عز وجل (باليمين) القسم (أعني) بلفظ (وعزتي) وجلالي وجودى ، وقد ورد في فضلها أحاديث منها الحديث المسلسل بالقسم « يا إسماعيل وعزتي وجلالي وجودى وكرمي من قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة شهدوا أنني قد غفرت له وقبيلت منه الحسنات وتجاوزت له عن السيئات : ولا أحرق لسانه بالنار وأجيره من عذاب النار وعذاب القبر وعذاب يوم القيامة والفرع الأكبر اه . وفي [د] عمرى ما تركت البسمة متصلة بفاتحة الكتاب لا في الصلاة ولا في غيرها للحديث الوارد في فضلها المؤكد باليمين ذكره الغافقي ، وقوله متصلة أي من غير فصل بوقف اه وفي [ج] عن سيدنا أبي الفيض رضي الله عنه وعنا به آمين من قرأ الفاتحة يعني مع البسمة متصلة في نفس واحد كانت له بفدية هكذا ورد بسند متصل وعنا به للشيخ الأكبر رضي الله عنه اه (وبالحمد) بالضم على الحكاية (صل) من الوصل ضد الوقف (ميم الرحيم) من بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا تقف عليها لما مر ، ولما نقل من أن القطب سيدي أحمد بن القطب سيدي محمد بن ناصر رضي الله عنهما وأرضاهما وجعل أعلى عليين مأواهما أخذ فاتحة الكتاب بالقراءة الورشية متصلة ميم البسمة بالحمد لله رب العالمين عن سيدي عبد المؤمن الجني الصحابي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك حين التقى به بيدرس حين حج ، وذكر أبو المواهب السامعي رضي الله عنه وعنا به آمين هذه القضية في بغيته وذكر أنه وقف عليها أنظرها (فتظفرا) بألف مبدلة من الخفيفة (عا) ورد (فيه) أي في وصلها بالحمد لله الخ (من خير كثير) وفضل كبير (وفدية) كما مر .

وفي [مح] وأما معتمدنا على قراءتها أول الفاتحة في الصلاة من جهة علم الحقيقة فقد أخبرني سيدي محمد الغالي ونحن بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام بقراءتها أول الفاتحة في الصلاة وغيرها وأذن لي في ذلك وفي إعطائها وهو عن سيدنا ووسيلتنا إلى ربنا القطب المكتوم والبرزخ المختوم شيخنا أحمد بن محمد الحسني التجاني رضي الله عنه وأرضاه وعنا به آمين ، وهو قد أمره بذلك وأذن له فيه سيد الوجود وعلم الشهود سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وذكر لي سيدي محمد الغالي

أيضا ونحن بمكة المشرفة أن من قرأ البسملة متصلة بالفاتحة في نفس واحد في الصلاة وغيرها وهو عن الشيخ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وأطلعني على أسرار في ذلك منها أنه أعطاني ورقة فيها مانصه: «قال الشيخ القاضي مجد الدين الفيروزبادي رحمه الله: «والله العظيم لقد أخبرني الشيخ صفي الدين البعلبكي عن انشيخ القاروني عن محمد بن العربي أنه قال: إذا قرأت الفاتحة فقل بسم الله الرحمن الرحيم في نفس واحد فإني أقول والله العظيم لقد سمعت من لفظ أبي بكر الفضيل بن محمد السكاك، وقال بالله العظيم لقد حدثني أبو محمد على السالسي عن لفظه، وقال بالله العظيم لقد حدثني عبد الله المعروف بأبي نصر الصرخاوي، وقال بالله العظيم لقد حدثني أبو عبد الله الوراق، وقال بالله العظيم لقد حدثني محمد بن يونس الطويل، وقال بالله العظيم لقد حدثني محمد بن الحسين العلوي الزاهد، وقال بالله العظيم لقد حدثني أبو بكر الراجعي، وقال بالله العظيم لقد حدثني عمر بن موسى البرمكي، وقال بالله العظيم لقد حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال بالله العظيم لقد حدثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال بالله العظيم لقد حدثني أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقال بالله العظيم لقد حدثني المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقال بالله العظيم لقد حدثني جبريل عليه السلام، وقال بالله العظيم لقد حدثني ميكائيل عليه السلام، وقال بالله العظيم لقد حدثني إسرافيل عليه السلام، وقال قال الله تعالى: يا إسرافيل وعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة فاشهدوا أنني قد غفرت له، وقبلت منه الحسنات وتجاوزت له عن السيئات ولا أحرق لسانه بالنار، وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب يوم القيامة والفرع الأكبر» انظره (ومن لم يبسم) من إخواننا الأحمديين فضلا عن غيرهم (للصلاة) أي إن لم يقل بسم الله الرحمن الرحيم أول الفاتحة في الصلاة عمدا (فقاته) وذهب عنه بذهب أصابه واقره حديث «إن العبد ليحرم الرزق بذنوب يصيبه» (ثواب عظيم) وخير جسم عند رب كريم في دار النعيم (مع) بسكون العين (صلاة صحيحة) أي مع كون صلاته صحيحة عندنا لكن إذا لم يعتقد فرضيتها ولم يقلد فيها الشافعي وإلا فصلاته باطلة وبمضمن هذا البيت أجاب بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه من سأله من الأحمديين عن تركها أول الفاتحة عمدا وما نقل عن البعض من أن صلاة من تركها باطلة غير صحيح ولا يعول عليه، وفي [مع] وأما حكمها في الصلاة فاعلم أن إجماع الأمة قد انعقد على أن من قرأها أول الفاتحة فصلاته صحيحة ولم يقل أحد بطلان صلاة قارئها، ثم اختلفوا بعد ذلك فقال بعضهم لا تصح صلاة تاركها أصلا وهو مذهب الشافعي وبعض العلماء، وأما مذهب مالك ففي قراءتها أول الفاتحة في الفريضة أربعة أقوال: الوجوب والندب والإباحة والكراهة، لكن محل كراهة البسملة في الفريضة إذا أتى بها على وجه أنها فرض من غير تقليد لمن يقول بوجوبها أما إذا أتى بها مقلدا له أو بقصد الخروج من الخلاف من غير تعرض لفريضة ولا تقليد فلا كراهة بل واجبة إذا قلد القائل بالوجوب ومستحبة في غيرها هذا مذهب مالك رضي الله عنه وكذب غير هذا، أنظره:

وإذا البينات لم تغن شيئا فالتماس الهدى بهن عناء

وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء

قال رحمه الله :

(وَوَفَّ شُرُوطَهَا اعْتِدَالًا طَمِينَةً وَلَا تَقَرُّنَهَا نَقَرًا دِيكَ حَلِيمَةً
وَعَايَةً مَا يُحْزَى رُكُوعًا وَسَجْدَةً ثَلَاثًا مِنَ التَّسْبِيحِ مِنْ غَيْرِ مُرَعَةٍ
وَعُدَّتْ مِنْ آكِدِ الشَّرْطِ بَلْ لَمَّا أَسَاسٌ وَغُدَّةٌ وَمَبْنَى الطَّرِيقَةِ)

(ووف) من وفاه حقه توفية أعطاه إياه (شروطها) صحة وكالا (اعتدالا) بأن لا يكون منحنيا لقوله صلى الله عليه وسلم « لا ينظر الله يوم القيامة إلى العبد لا يقيم صلبه من ركوعه وسجوده » (طمينة) تصغير طمأنينة بخذف إحدى النونين والهمزة والياء لأنها زائدة وهي استقرار الأعضاء زمانا مازيادة على ما يحصل به الواجب من اعتدال وانحناء ، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته ، قيل كيف يسرق منها يا رسول الله قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها » وفي [عف] وذكرت السرقة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أى السرقة أقبح ؟ فقالوا الله ورسوله أعلم ، فقال أقبح السرقة أن يسرق الرجل من صلاته ، قالوا كيف يسرق الرجل من صلاته ؟ قال لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها ولا القراءة فيها » اهـ وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستعد للصلاة قبل فعلها بما يعيننا على الخشوع فيها وذلك بالجوع وترك اللغو وكثرة الذكر وتلاوة القرآن والمراقبة لله تعالى ، فإن كف الجوارح عن القصول إنما يسهل على العبد بذلك فمن شيع ولغى وغفل عن الله تعالى شردت جوارحه عن إمكانها وعسر على العبد كفها ، فاعمل يا أخى على تحصيل الحضور مع الله تعالى فى العبادات كلها فإنه روحها إذ كل عبادة لا حضور فيها فهي إلى المؤاخذه أقرب ولا تطلب حصول خشوع من غير مقدمات سلوك أو جذب فإن ذلك لا يكون لك أبدا انظره ، وفي [جه] إن سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين كان أبدا يؤدي الفرائض والسنن ويحى بها على أحسن سنن لا يغفل ولا يتوانى ويحافظ على إقامة الصلاة فى أوقاتها وأدائها فى الجماعات أبدا يتقنها ركوعا وسجودا على أكمل وجه وأتم وصف فى سكينه وطمأنينة وأدب مع الله عز وجل صلاة الخاشعين العارفين أمثاله لا تسأل عن كثرة خشوع وخضوع وحسن تمت وسمه لا يستطيع من يعرف حاله أن يلاصقه فى الصف مخافة التشويش عليه وكثيرا ما يحض على إيقاع الصلوات فى أوقاتها وفى الجماعات اهـ . وفى الحكم : لما علم الحق منك وجود الملل لولك الطاعات ، وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك فى بعض الأوقات ليسكون همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة ، فما كل مصل مقيم ، الصلاة طهرة للقلوب من أدناس الذنوب واستفتاح لباب الغيوب ، الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة تتسع فيها ميادين الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار ، علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها ، وعلم احتياجك إلى فضله فكثرت أمدادها اهـ . وفى [حص] إذا صلى أحدكم فليصل صلاة مودع صلاة من لا يظن أنه يرجع إليها أبدا قال الحنفى : بأن يجعل الموت نصب عينيه لأجل أن تهون عليه أمور الدنيا فيتصف بالخشوع الممدوح صاحبه فى قوله تعالى - قد أفلح المؤمنون - وعلامته فى الصلاة عدم الالتفات ومداومة بصره محل سجوده لأن الخشوع روح الصلاة اهـ . وفى البخارى عن عائشة قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات فى الصلاة فقال هو اختلاس

يختلسه الشيطان من صلاة العبد اه . وقال الخراز ، ليسكن إقبالك على الصلاة كإقبالك على الله يوم القيامة ووقوفك بين يديه وهو مقبل عليك وأنت تناجيه ، وروى أنه مكتوب في محراب داود عليه الصلاة والسلام : أيها المصلى من أنت؟ ولمن أنت؟ وبين يدي من أنت؟ ومن تناجي؟ ومن يسمع كلامك؟ ومن ينظر إليك؟ وروى : إذا قام الرجل في الصلاة أقبل الله عليه بوجهه ، فإذا التفت قال يابن آدم إلى من تلتفت؟ إلى من هو خير مني؟ أقبل إلى ، فإذا التفت الثانية قال مثل ذلك ، فإذا التفت الثالثة حرف الله وجهه عنه ، ورحم الله ابن المقرئ إذ يقول في قصيدته البديعة [الدرر والغرر] :

نصلي بلا قلب صلاة بمثلها	يصير الفتي مستوجبا للعقوبة
نصلي وقد أتممتها غير عالم	تزيد احتياطا ركعة بعد ركعة
فويلك تدري من تناجيه معرضا	وبين يدي من تحته غير مخبت
تخاطبه أياك نعيد مقبلا	على غيره فيها لغير ضرورة
ولورد من ناجاك للغير طرفه	تميزت من غيظ عليه وغيره
أما تستحي من مالك الملك أن يرى	صدودك عنه يا قليل المروءة
صلاة أقيمت يعلم الله أنها	بفعلك هذا طاعة كالخطيئة
ذنوبك في الطاعات وهي كثيرة	إذا عدت تسكفك من كل زلة
سيملك أن نستغفر الله بعدها	وأن تتلافى في الذنب منها بتوبة
فيا عاملا للنار جسمك لين	فجربه تمرينا ببحر الظهيرة
وجربه في لسع الزناير تجترى	على نهش حيات هناك عظيمة
فإن كنت لا تقوى فويلك مالذي	دعاك إلى إسقاط رب البرية
تبارزه بالمنكرات عشية	وتصبح في أثواب نسلك وصفة
فأنت عليه منك أجرى على الوري	بما فيك من جهل وخبيث طوية
تقول مع العصيان ربى غافر	صدقت ولكن غافر بالمشيئة
وربك رزاق كما هو غافر	فلم لا تصدق فيهما بالسوية
فإنك ترجو العفو من غير توبة	ولست ترجى الرزق إلا بحيلة
على أنه بالرزق كفل نفسه	ولم يتكفل للأثام بخنة
فلم ترض إلا السعى فيما كفيته	ولإهمال ما كلفته من وظيفة
تسوء به ظنا وتحسن نارة	على حسب ما يقضى الهوى في القضية اه

(ولا تنقرها) من نقر الطائر كنصر لقط من ههنا وههنا (نقرديك) بكسر مهملة جمعه ديوك وأدياك وديكة كعنية (لجنة) وفي [جص] نهى عن نقرة الغراب واقتراش السبع ، وأن يوطن الرجل المكان في المسجد كما يوطن البعير : أى لا يلوى من عطنه إلا لمركه ، وينبغي تعدد محال الصلاة في المسجد لتشهد له يوم القيامة ، وروى أن حذيفة رضى الله عنه رأى رجلا لا يتم الركوع والسجود فجعل ينقر ولا يتم ركوعه ، فقال ما صليت ولومت مت غير الفطرة التي فطر الله محمدا صلى الله عليه وسلم عليها (وغاية) ونهاية (ما يجزى) المصلى من الاعتدال والطمأنينة (ركوعا وسجدة) أى في مقدار الركوع والسجود (ثلاث) مرات (من التسبيح) كسبحان ربى الأعلى وسبحان ربى

العظيم وبحمده (من غير سرعة) بضم مهملة : أى بترتيل وتمهل وتؤده. وفى [جص] «سبحوا ثلاث تسبيحات ركوعا وثلاث تسبيحات سجودا» قال العزى : والثلاث أدنى الكمال ، وأكمل منه فى حق المنفرد وإمام محصورين راضين بالتطويل خمس فسبح فسبح فسبح فسبح فسبح عشرة اه : وفى [د] أقل ما يجزىء فى الركوع والسجود مقدار ثلاث تسبيحات مترلات أو ست متسارعات ، قاله لما مثل عن أقل ما يحصل به الإجزاء فى الركوع والسجود ويسمى طمأنينة ، وقال مرة أخرى من لم يحصل ذلك مع الإمام لا يعتد بتلك الركعة ، وصيغة التسبيح فى الركوع والسجود سبحان ربى العظيم وبحمده اه .

وفى [جع] ثم أكد ما يحافظ عليه من أمر الله تعالى الصلوات الخمس بجميع أحكامها وتقتضياتها ولوازمها وهى مضبوطة فى كتب العلماء ، فالواجب لها المحافظة على شروطها واستكمال شرائطها وهى مشهورة ، وتثقيب هيئتها فى الركوع والسجود على الحد الذى حده صلى الله عليه وسلم فى الخبر الصحيح بقوله « ثم تركع حتى تطمئن راکعاً ، ثم ترفع حتى تستوى قائماً ، ثم تسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ترفع حتى تستوى جالساً ، وتسجد حتى تطمئن ساجداً » وقال : وافعل فى بقية صلاتك هكذا ، واحذروا كل الحذر من الوقوع فى الهلاك الذى وقع الناس فيه من عدم الاهتمام بتكميل أمر الصلاة فإنهم يتقرونها بقر الديكة للحب ، وذلك مبطل لما بشاهد قوله صلى الله عليه وسلم فى الخبر الصحيح للذى رآه يفعل ذلك « ارجع فصل فإنك لم تصل » وهو يصلى كذلك ثلاث مرات على تلك الهيئة التى هى الإسراع فى الركوع والسجود ، ثم فى الرابعة علمه الكيفية السابقة ، وقال صلى الله عليه وسلم « صابوا كما رأيتموني أصلى » فإنه صلى الله عليه وسلم يتم الركوع والسجود بالطمأنينة ، وحقيقة الطمأنينة فى الشرع عدم الاضطراب والسكون : ومعناه أن الراكع والساجد إذ بلغ حد الركوع والسجود أن يتراخى فيهما قدر ما يسبح تسبيحات وهو راکع أو ساجد ، أقلهما ثلاث تسبيحات بالترتيل لا أقل من ذلك هذا أقل الطمأنينة ، ومن نقص من هذا القدر فسدت صلاته فإنها هى التى وقع فيها الخبر « إذا صلاها صاحبها يأخذها الملك فيلقها كما يلف الثوب الخلق ثم يضرب بها وجه صاحبها والمطلوب فى الشرع أن يأتى الإنسان لصلاته مثل إتيانه لنومه إذا غلبه فإنه لا يأتيه مستعجلاً بل يلقى عنه جميع أشغاله ، ثم ينام منحنياً مطمئناً للنوم فكذلك حالة الصلاة يأتيها قد ألقى كليته إليها تاركا كل ما يشغله عنها بشروطها المذكورة ، ومن صلاها مستعجلاً لا يطمئن فى ركوعه وسجوده على الحد الذى ذكرناه فإنها غير مقبولة وإليها يشير قوله صلى الله عليه وسلم « أول ما ينظر الله فى أعمال العبد الصلاة فإن قبلت نظر فى سائر عمله » وإن لم تقبل لم ينظر الله فى شيء من أعماله ، ثم الواجب تكميل الطهارة من الحدث والخبث ، وليتعلم العبد كيفية الطهارة بتكميل غسل أعضاء الوضوء والغسل فإن أكثر العامة اليوم متلاعبون بغسل أعضاء الطهارة لا يستكملونها فصلاهم باطلة يعرف ذلك من باشرهم فى هيئة الوضوء فإن من فسدت طهارته فسدت صلاته ، وإن لم يستكمل الطمأنينة فى الركوع والسجود أو لم يستكمل استواء القيام بعد الركوع أو لم يستكمل استواء الجلوس بين السجدين بطلت صلاته أى ولا سيما على رواية ابن ماجه « حتى تطمئن قائماً » وعلى رواية البخارى « حتى تطمئن جالساً » والحذر الحذر من وقوع الخلل فى الصلاة فإن الصلاة فى الإيمان وأعمال الإيمان بمنزلة الروح فى الجسد إذا وجدت الروح وجدت حياة الجسد وإن فقدت الروح منه فقدت الحياة اه . وفى البخارى عن أبى هريرة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل

المسجد فدخل رجل فصلى ، فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فرد وقال : ارجع فصل فإنك لم تصل ، فرجع يصلى كما صلى ، ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ارجع فصل فإنك لم تصل ثلاثا ، فقال والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمنى ، فقال : إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ، وافعل ذلك فى صلاتك كلها » انظره ، وفيه « عن ثابت عن أنس قال : إني لا آلو أن أصلى بكم كما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلى بنا . قال ثابت : كان أنس يصنع شيئا لم أركم تصنعونه كان إذا رفع رأسه من الركوع قام حتى يقول القائل قد نسي ، وبين السجدين حتى يقول القائل قد نسي » وفيه « عن البراء قال : كان ركوع النبي صلى الله عليه وسلم وسجوده وبين السجدين ، وإذا رفع من الركوع ما خلا القيام والقعود قريبا من السواء » وفيه « رأى حذيفة رجلا لا يتم الركوع والسجود قال : ماصليت ولومت مت على غير الفطرة التى فطر الله محمدا صلى الله عليه وسلم » وفى [حى] قال صلى الله عليه وسلم « خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفأ بها بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وأن شاء أدخله الجنة » ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لقي الله وهو مضيق للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته » ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حافظ على الخمسة بأكمل طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ، ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان » ثم قال : قال صلى الله عليه وسلم « من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهى بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتنى ، ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت ^(١) وهى سوداء مظامة تقول ضيعك الله كما ضيعتنى حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه » ثم قال وقال ابن مسعود وسلمان رضى الله عنهما : الصلاة مكىال فمن أوفى استوفى ومن طفف فقد علم الناس ما قال الله فى المطففين ، انظره . قال تعالى - ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون - الآية - فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا - الآية ، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (وعدت) الصلاة فى وقتها المختار مع الجماعة بقدر الطاقة والإمكان (من أكد) أى أوثق وأوجب (الشروط) للورد الأحمدى والنور الحمدي وفى [جه] وشرطه المحافظة على الصلوات فى أوقاتها فى الجماعة إن أمكن اه . وفى [غ] وقد أدركنا من أدركناه من خاصة أصحاب سيدنا رضى الله عنه الذين كانوا يلقنون أوراده إذا أتاهم من يأخذ عنه اشترطوا عليه هذا الشرط قبل كل شيء ، وأمروا غيره من التلاميذ أهل الصدق فى الإرادة أن يعلمه الطهارة قبل كل شيء بأن يرشدوه إلى آداب قضاء الحاجة ويعلموه كيفية الاستبراء والاستنجاء على ما ينبغى شرعا ، ثم كيفية الوضوء كذلك بعد أن يعرفوه الفرائض والسنن والمندوبات فى ذلك ، ثم كيفية الغسل من الجنابة كذلك ومفروضاته ومسنوناته ، ثم كيفية الصلاة أيضا على الوجه الأكمل من إتمام أركانها وتحسين هيئتها على الحد المحدود فى ذلك ، ولا يزالون رضى الله عنهم يتعاهدون المريدن بالملازمة فى ذلك والحض عليه بغاية الجهد ، كما لا يزالون

يمدحون المعنى بذلك ويثنون عليه ويحسنون فعله ليقع التنافس في الخير ويبرؤون من عبدة النصيحة الواجبة في ذلك فجزاهاهم الله خيرا وقدس أسرارهم وأبقى في الأتباع بركاتهم وأنوارهم آمين انظرها (بل إنها أساس) الشريعة المحمدية والطريقة الأحمدية (وعنده) بالضم : ما يعتمد عليه ولا شك أن الصلاة عماد الدين وأساسه كما أنها كذلك للورد الأحمدي ، وعنه صلى الله عليه وسلم « الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين » وقوله « الصلاة عمود الدين » وفي [م] :

وكان يغري في فروض العين لكونها هي أساس الدين
مع كونه يغري بكل أمر أتى عن النبي أوفى الذكر

(ومبنى الطريقة) الأحمدية المحمدية، فإن من أخل بها أو بشيء من أركانها وشرائطها لا يعبا بشيء من أعماله ، وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب به العبد الصلاة يقول الله : انظروا في صلاة عبدي فلن كانت تامة حسب له الأجر وإن كانت ناقصة يقول : انظروا هل لعبدي من تطوع ، فإن كان له تطوع تمت له الفريضة من التطوع » وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « الصلاة مرضاة للرب وحب للملائكة وسنة الأنبياء ونور المعرفة وأصل الإيمان وإجابة الدعاء وقبول الأعمال وبركة في الرزق ، وسلاح على الأعداء وكراهية للشيطان وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت وسراج في قبره إلى يوم القيامة ، فإذا كانت القيامة كانت الصلاة ظلا فوقه وتاجا على رأسه ولباسا على بدنه ونورا يسعى بين يديه وسترا بينه وبين النار وحجة للمؤمنين بين يدي رب العالمين وثقلا في الميزان وجوازا على الصراط ومفتاحا للجنة » اهـ . قال رحمه الله :

(صلاة امرئ في الدار وقتا بأهله لأفضل منها في مساجد كعبة
وقيد ذا يمن هاتيه توقفت جماعة من بالدار من غير مربة
وفي جامع الصغير في فصل صاده لشارحه الحنفى فزت ببغيتي
فدونسكها من غير نول ففرت بها ولا سيما إن كنت صاحب عزلة)

(صلاة امرئ في الدار) أى في داره وبيته ، وروى : « من سعادة ابن آدم ثلاث ، ومن شقاوة ابن آدم ثلاث ، فمن سعادة ابن آدم : الزوجة الصالحة ، والمركب الصالح ، والمسكن الواسع ، ومن شقاوة ابن آدم : المسكن الضيق ، والمرأة السوء ، والمركب السوء » (وقتاً) أى في وقتها المختار (بأهله) وعياله (لأفضل منها) أى من الصلاة (في مساجد) جمع للتعظيم : أى في مسجد (كعبة) زادها الله عزاء وشرفا . وفي [جص] « صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة ، وصلاته في المسجد الذى يجمع فيه بخمسةائة صلاة ، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسة آلاف صلاة ، وصلاته في مسجدي هذا بخمسين ألف صلاة ، وصلاته في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة » قال الحنفى : قوله « بصلاة » أى واحدة إلا إن توقفت جماعة بيته على صلته فهى أفضل حتى من المسجد الحرام اهـ . وفيه أيضا عند « ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حوبا » مانصه : وخص العشاء والصبح بذلك للتكاسل عنهما غالبا لما في حضور المسجد من المشقة ، وعمل طلب حضور المسجد إن لم تتعطل جماعة بيته اهـ . قال تعالى - وأنذر عشيرتك الأقربين - ويستأنس لذلك بقوله صلى

الله عليه وسلم « لأن يهتدى الله على يديك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » والنساء
شقائق الرجال بل من أحوج إلى الهداية والإرشاد لقلة من يعاين في أمور دينهم من العلماء والصلحاء
فضلاً عن غيرهم - إنا لله وإنا إليه واجعون - ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

مصيبة قد عمت البلدان	إهمالنا الولدان والنسوانا
وتركهم سدى بلا صلاة	فضلاً عن الصيام والزكاة
وذلك أقبح من الأباء	كأنهم ليسوا من الرعاء
فكل راع يأخى مشول	عن كل ما استرعى له الجليل
فإنهم أعدا كما في الذكر	فهم أعظم البلا والشر
أول من يقودنا في الحشر	للفصل والحساب قبل الغير
فالابن قاله أد حقى يا أبى	يا ولدى يا ولدى ارفق بالأب
أنت الذى ضيعت حق الأدب	أوقعت نفسك أبى في العطب
يارب خذلى من أبى حقوقى	وليس ذامنى من العقوق
أنت الذى ضيعت حق الله	إذ لم تعلمنا حدود الله
وإنما علمتنا أمر الدنى	وما دعوت أحدا لدينا
أنت الذى خالفت أمر الله	فينا ولم ترد سنوى التلاهى
بكثرة الأموال والأولاد	وقد نسيت الزاد للمعاد
هلا تزودت ليوم الحشر	من العبادات وكل بر
هلا تزودت ليوم العرض	من النوافل وكل فرض
فأد حقى يا أبى بالله	والله أرأف بعبيد الله
هذا كلام الإبن والبنات	فكيف بالعبيد والزوجات
وكيف بالأجانب الأبعاد	وليس من يرحم دون الواحد
كل يود أن له علينا	أعظم ما كان له لدينا
وليس يألو الجهد في الحساب	وفى المناقشة والعتاب
يارب فارحمنا بمحض الفضل	وأد ما للمخلق قبل السؤل
وارضهم عنا بمحض الرضوان	من بحر جودك وبحر الامتنان
يارب فارحم سائر الرعاء	بالغفر والغفران والإرضاء
وأرض عنهم ذوى الحقوق	بجاه خير الخلق والصدى
وبأبى حفص وباقى الخلفا	وبأبى الفيض التجانى ذى الوفا
آمين آمين ختام الله	على لسان المؤمن الأواه

وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود أن نعلم عيالنا من الزوجات والبنات والخدام الآداب الشرعية
ولا نوجههم إلى غيرنا من الأجانب فإننا نحن المطالبون بذلك دون غيرنا قال تعالى - وأنذر عشيرتك
الأقربين - وفى الخروج إلى الأجانب ليتعلموا منهم آفات لا تحصي والله غفور رحيم اهـ . (وبيدذا)
أى تفضيل الصلاة فى البيت على الصلاة فى المسجد الحرام (بمن عليه توقفت) أى إن ذلك مخصوص

بمن توقفت عليه (جماعة من بالدار) من أهل وعيال وحشم وخدم (من غير مربة) أى شك (وفى جامع الصغير) للإمام السيوطى رحمه الله (فى فصل صاده) أى فى فصل الأحاديث المبدوءة وبالصاد لأن ما فيه من الأحاديث مرتب على حروف المعجم (لشارحه) سيدى محمد (الحقنى) رضى الله عنه (فزت) وظفرت (ببغيتى) ومنيتى (فدونكها) أى خذها الله (من غير نول) أى أجر ومن غير منة (فز بها ولا سيما إن كنت) يا أخى (صاحب عزلة) عن الناس ليسلموا من شرك لا لتسلم من شرهم . وحكى عن بعضهم لما انعزل فى خلوته عن الناس وانفرد بنفسه أنه قال : وجدت لسانى كلبا عقورا قل أن يسلم منه من خالطه فحبست نفسى ليسلم الناس من شره وآفته ، ومن عزل بهذه النية فقد فاز بالخير والمنى وسلم من الخيلاء والدعوى ، وإياك أن تنوى بالعزلة سلامتك من شر الناس فإن ذلك هو الداء العضال والعطب فيه موجود إذ فيه تحسين الظن بالنفس الأمانة بالسوء وإساءة الظن بالمسلمين ، وهاتان الخصلتان أقيح كل شر وأس كل ضير ، نسأل الله السلامة والعافية بمنه وكرمه آمين . وكان بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه يقول : إذلیم على عدم الخروج : إنما يسجن الكلب العقور ويسلسل فى قعر الدور ليسلم الناس مما له من الإذابة والشرور ، ومع ذلك يعقر وينبح على من خطر فى الصدور ، فكيف بمن رآه أو خالطه فى الآصال والبكور ، - إنا لله وإنا إليه راجعون - رب إني مغلوب فانتصر - ربنا آتنا من لدنك رحمة وهى لنا من أمرنا رشدا - آمين قال رحمه الله :

(وَلَا زِمَ رَوَائِبَ الْفَرَائِضِ فِي الْمَلَا تَهَجَّدَ بِقُرْآنٍ وَلَوْ حَلَبَ نَفْعَةً
فَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ أَقْرَبُ وَصَلَةٍ وَكَمْ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ جَزِيلٍ وَرَحَةٍ
وَفِيهِ سُؤْيَةٌ لَهَا فَتَعَرَّضًا لِكُلِّ مُصَادِفٍ إِبَاجَةً دَعْوَةٍ)

(ولازم) من لازم الشيء واظب عليه (روائب) جمع راتبة (الفرائض) الخمس سواء كانت قبلية أو بعدية (فى الملا) ضد الخلاء لإظهار شعائر الإسلام وليتأسى بك الأنام (وفى) [ثيق] أخذ علينا العهود أن نعان بأعمالنا المستحبة التى لم نؤمر بإظهارها فى كل موطن يقتدى بنا فيها ، فربما تشبه أحد بنا فيحصل لنا مثل ثواب عمله إن شاء الله تعالى ، وفى الحديث « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » وكان الشيخ أبو مدين التلمسانى رضى الله عنه يأمر إخوانه بإظهار العبادات والكرامات ويقول : أعلنوا بالطاعات كما يتجاهر أهل المعاصى بالمعاصى ، لاسيما فى مواضع المعاصى ، فأظهر يا أخى الأعمال بهذه النية فإن بذلك يظهر شعائر الدين ، انظره : [فائدة] ثلاثة من أعمال البر لا تخرج من عمل السر وإن عملت فى الجهر : من قرأ فى سره فرب بسجدة فمسجد بحضرة غيره ، ومن صام فدعى إلى الطعام فقال إني صائم ، ومن عمل عملا فى داره بحضرة أهله فإن ذلك كله لا يخرج عن عمل السر ، والله رءوف بالعباد فله الحمد فى الأولى والآخرة . وفى [خل] فينبغى له أى للمعلم أن يشديده على مداومته على فعل السنن والروائب وما كان منها تبعا للفرص قبله أو بعده فأظهارها فى المسجد أفضل من فعلها فى بيته كما كان عليه الصلاة والسلام يفعل ما عدا موضعين فإنه عليه الصلاة والسلام كان لا يفعلهما إلا فى بيته وهما الركوع بعد صلاة الجمعة والركوع بعد صلاة المغرب ، انظره . أما فى الجمعة فثلاثا يتوهم أنهما المحذوفتان ، وأما فى المغرب والله أعلم فلشدة ملاصقة بيته بمسجده صلى الله عليه وسلم ، ومن بعد بيته عن المسجد فليصلهما فى المسجد لثلاث تقوته ثمرة مشروعتيهما ، وامثال قوله صلى الله عليه وسلم

«عجلوا بالركعتين بعد المغرب لترفعاً» أى مع عمل النهار وفيه دليل على رفع صلاة المغرب مع سبقتها مع عمل النهار ، وفيه أيضاً : والتنفل في المساجد بتواضع الفرائض أفضل من فعلها في البيوت لئلا يكون ذلك ذريعة لمن لا علم عنده بتأكيدها فيقتصر على الفرائض دونها ، وهذا كله فيما عدى الركوع بعد المغرب وبعد الجمعة ، أما المغرب فلأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يركع بعدها في بيته ، وحكمة ذلك أنه فعل ذلك عليه الصلاة والسلام رحمة بأمته إذ أن من كان منهم صائماً وركع عقب المغرب في المسجد لا ينتظره أكثرهم حتى ينصرفوا بانصرافه ، فقد يكون عند بعضهم الأولاد والعائلة فينتظرونه فيكون ذلك مشقة ، فأزاهلها عليه الصلاة والسلام عنهم بركوعه في بيته ، على أنه لو ركع في المسجد لم يكره لأن ذلك إنما كان خشية من وجود المشقة على بعض الناس ، فإذا أمن منها جاز ، وأما في الجمعة فلا يتنفل بعدها إمام ولا غيره إلا في بيته ، ثم قال : وورد أن عمر رأى رجلاً قام يتنفل بعد الجمعة فجلبده وأقعدده وقال له : اجلس ، تشبه الجمعة بمن فاتته ركعتان من صلاة الظهر ، والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر إليه فلم يقل شيئاً فالتنفل بعد الجمعة في المسجد بدعة لما ذكر حتى ينصرف إلى بيته فيصلي فيه ، فإن كان غريباً أو لا بيت له أو ممن يريد انتظار العصر ، فقليل يخرج من باب ويدخل من باب ، وقيل ينتقل من مكانه إلى غيره من المسجد فيصلي فيه ، وقيل إذا طال مجلسه أو حديثه مما يسوغ الكلام به في المسجد فيجوز له أن يركع في موضعه من غير انتقال اهـ (بخ) وكان سيدنا أبو الفيض رضى الله عنه وعنايه أمين يحرض على ركعتين بعد المغرب لأنهما رغبة وعلى جبرها بخمسين من صلاة الفاتح الخ إذا فاتتا ولكنهما أهملتا اليوم عند الإخوان وما ينبغي لهم ذلك والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، وفي [د] من فاتته الركعتان الواردتان بعد المغرب فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم خمسين مرة من صلاة الفاتح لما أغلق الخ يحصل له فضلها اهـ . وروى النسائي « من صلى في اليوم والليلة اثنتي عشرة ركعة تطوعاً بنى الله له بيتاً في الجنة » أربع ركعات قبل الظهر وركعتين بعده ، وركعتين قبل العصر ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين قبل صلاة العشاء « وفي البخاري عن ابن عمر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين ، وبعدها ركعتين في بيته وبعده العشاء ركعتين وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين » أى في بيته .

وفي [جص] « من صلى قبل الظهر أربعاً غفر له ذنوبه يومه ذلك » وفيه « من صلى الضحى أربعاً وقبل الأولى أربعاً بنى له بيت في الجنة » وفيه « من حافظ على أربع ركعات قبل صلاة الظهر وأربع ركعات بعدها حرمه الله على النار » وفيه « رحم الله امرأً صلى قبل العصر أربعاً » وفيه « من صلى قبل العصر أربعاً حرمه الله على النار » وفيه « من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم كتبنا في عليين » وفيه « عجلوا الركعتين بعد المغرب فإنهما ترفعان مع المكتوبة » وفيه « اركعوا هاتين الركعتين في بيوتكم السبحة بعد المغرب » قال العزيزي : اتفق الأئمة على استحبابهما وهما من الرواتب المؤكدة اهـ . وينبغي للصائم أن يصليهما في بيته رحمة بعباله ولكن إذا توقف أكلهم عليه ألا فيصليهما في المسجد كغير الصائم والله أعلم . وفيه « من صلى ست ركعات بعد المغرب قبل أن يتكلم غفر له بها ذنوب خمسين سنة » وفيه « من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثلثي عشرة سنة » وفي [غص] وسألته رضى الله عنه ماذا أنوى بالست ركعات التي أصلها بعد صلاة المغرب ؟ فقال رضى الله تعالى عنه : انوبائين منها الشكر لله على نعمه لا تستطيع لها شكراً ، وبائتين منها الشكر لله الذي جعلك مسلماً ، وبائتين منها الشكر لله الذي جعلك من أمة محمد صلى الله

عليه وسلم ، ثم قال لي : وهكذا فافعل في سائر النوافل التي بعد الفرائض انوبها الشكر لله على تأدية تلك الفريضة ،
ثم قال : هكذا أو صاني سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه ، وكذلك أو صاني أن نصلي صلاة الغيبة بعد المغرب
على كل من مات وغسل من أموات المسلمين ذلك اليوم ، ثم قال لي : ولا تواظب على ذلك لكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعله والله تعالى أعلم اه . وفي [عف] فإذا دخل وقت الصلاة يقدم المريد
السنة الراتبة في ذلك سر وحكمة ، وذلك والله أعلم أن العبد تشعث باطنه وتفرق همه لما يلي به من المخالطة
مع الناس وقيامه بمهام المعاش ، أو سهو جري بوضع الحيلة أو صرف هم إلى أكل أو نوم بمقتضى
العادة فإذا قدم السنة ينجذب باطنه إلى الصلاة ويتيمأ للمناجاة ، ويذهب بالسنة الراتبة أثر الغفلة والكدورة
من الباطن فينصلح الباطن ويصير مستعدا للفريضة فالسنة مقدمة صالحة يستنزل بها البركات وتطرق
النفحات ، انظره . وفيه : وروى عمار بن ياسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا يكتب
للعبد من صلاته إلا ما يعقل » وقد ورد في لفظ آخر « منكم من يصلي الصلاة كاملة ومنكم من يصلي النصف
والثلث والرابع والخمس حتى يبلغ العشر » قال الخواص : يلغى للرجل أن ينوي نوافله لنقصان فرائضه
فإن لم ينوها لم يحسب له منها شيء ، بلغنا أن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة يقول الله تعالى « مثلكم
كمثل العبد السوء بدأ بالهدية قبل قضاء الدين » وقال أيضا : انقطع الخلق عن الله تعالى بخصلتين إحداها
أنهم طلبوا النوافل وضيعوا الفرائض . والثانية أنهم عملوا أعمالا بالظواهر ولم يأخذوا أنفسهم بالصدق
فيها والنصح لها وأبى الله تعالى أن يقبل من عامل عملا إلا بالصدق وإصابة الحق اه (تهجد) من تهجد
استيقظ ليلا للصلاة والمجود كرسول المصلي بالليل (بقرآن) قال تعالى - ومن الليل فتهجد به نافلة لك
عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا - وروى أن التهجد يشفع في أهل بيته وقال - إن ربك يعلم أنك
تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك - الآية . قيل أوحى الله إلى داود عليه
السلام « يا داود من أحبني يتهجد ويتهجد بين يدي إذا نام البطالون ويذكرني في خلواته إذا لها عن
ذكرى الغافلون » وفي [ثيق] إن أبا يزيد البسطامي كان صغيرا في المكتب فلما وصل إلى سورة المزمل
قال لأبيه : من هذا الذي أمره الله بقيام الليل : فقال : هذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : فلم
لم تفعل كما فعل محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال ذلك أمر شرفه الله به ، فلما قرأ - وطائفة من الذين معك -
قال : من هؤلاء يا أبت ؟ قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : فلم لم تفعل كما فعلوا ؟ قال :
هؤلاء قوامهم الله على قيام الليل ، فقال : يا أبت لا خير فيمن لا يقتدى بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ،
فصار أبوه يصلي بالليل ، فقال يا أبت علمني صلاة الليل ، فنهه وقال له إنك صغير ، فقال إذا جمع الله
الخلائق يوم القيامة وأمر بأهل الجنة إلى الجنة أقول يارب أردت الصلاة بالليل فعني أبي ، فقال يا بني
قم فصل اه . وقال تعالى - كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالألسن هم يستغفرون - ورحم الله من قال :

أطيعوا وجدوا ولا تكسلوا فأنتم إلى ربكم ترجعون
ولا تهجعوا فالأكابر كانوا قليلا من الليل ما يهجعون

وقال تعالى - تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا - الآية ، وفي البخاري « إن
أخا لكم لا يقول الرفث » يعني بذلك عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع

بيت يحافى جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع
وفي [عف] قال ذو النون المصري: رأيت ببعض سواد الشام امرأة فقلت من أين أقبلت ؟ قالت
من عند أقوام تنجافى جنوبهم عن المضاجع ، فقلت : وأين تريدن ؟ قالت : إلى رجال لا تلهمهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله ، فقلت صفيهم لي ؟ فأنشأت :

قوم همومهم بالله قد علقت فإلهم همة تسمو إلى أحد
فطلب القوم مولاهم وسيدهم يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما إن تنازعهم دنيا ولا شرف من المطاعم واللذات والولد
ولا لباس ثياب فائق أتق ولا رواح مرور حل في البلد
إلا مسارعة في أثر منزلة قد قارب الخطو فيها باعد الأبد
فهم رهائن غدران وأودية وفي الشوامخ تلقاهم مع العدد
ورحم الله من قال فيهم :

أفلح الزاهدون والعابدون إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين العليلة حبا فانقضى ليلهم وهم ساهرون
شغلتهن عبادة الله حتى حسب الناس أن فيهم جنونا
ورحم الله العلامة المقدسي إذ قال فيهم :

وإذا بدا ليل سمعت أنينهم وحينهم يتضرع وسؤال
وعيونهم تجري بفيض دموعهم مثل انهمال الواابل الماطال
متفاوتون بقربهم وبحبهم ككفوت العمال في الأعمال
في الليل رهبان لخدمة ربهم وتخالهم في الجود كالأبطال
تأهوا على كل الملوك ولأنهم لهم الملوك بغزة الإقبال
ولرب أشعث حقرتة ذبوله ولدى المليك هو العزيز الغالي
خمس البطون لما بهم من فاقة شعث الرؤوس لروعة الأهوال
ثم قال : لا ينظرون إلى سوى محبوبهم شغلا به عن سائر الأشغال
فهم إليك وصيلتي ياسيدي ألا وصلت حباهم بجبال اه
ومن قال : وربك لو أبصرت فوما تتابع عزامهم حتى لقد بلغوا الجهدا
لأبصرت قوما حاربوا النوم وارتدوا بأردية التسهاد والتزموا السهدا
وصاموا نهارا دائما ثم أفطروا على بلغ^(١) الأقوات واستعملوا الكدا
أولئك قوم أحسن الله فعلهم وأبدلهم من حسن فعلهم الخلداه اه

وفي [عف] نقل عن علي بن بكار أنه قال : منذ أربعين سنة ما أحزنتني إلا طلوع الفجر ، وقيل
لبعضهم : كيف أنت والليل ؟ قال ماراعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وماتأملته . وقال أبو سليمان
الداراني : أهل الليل في ليلهم أشد لذة من أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة
فحلاوة المناجاة ثواب عاجل لأهل الليل ، وقال بعض العارفين : إن الله تعالى يطلع على قلوب المستيقظين

في الأسفار فيملؤها نورا فتزد القوائد على قلوبهم فتستبشر ثم تنشر من قلوبهم القوائد إلى قلوب الغافلين ،
وقد ورد أن الله تعالى أوحى في بعض ما أوحى إلى بعض أنبيائه : إن لي عبادا يحبوني وأحبهم ويشتاقون
إليّ وأشتاق إليهم وبذكروني وأذكروهم وينظرون إليّ وأنظر إليهم ، فإن حدثت طريقة لهم أحببتك
وإن عدلت عن ذلك مقتك ، قال : يارب وما علامتهم ؟ قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى
غنمه ، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها ، فإذا جنهم الليل واختلط الظلام
وخلى كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم واقترشوا إلى وجوههم وتاجوني بكلامى وتملقوا إلى يانعمى
فبين ضارخ وباك ، وبين متأوه وشاك ، بعينى ما يتحملون من أجلى وبسمعى ما يشكون من حجبى ،
أول ما أعطيهم أن أقذف من نورى في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم . والثاني لو كانت
السموات السبع والأرضون وما فيهما في موازينهم لاستقلت لهما : والثالث أقبل بوجهي عليهم أفترى
من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه ؟ فالصادق المريد إذا خلا في ليله بمناجاة ربه
انتشرت أنوار ليله على جميع أجزاء نهاره ويصير نهاره في حماية ليله وذلك لامتلاء قلبه بالأنوار
فتكون حركاته وسكناته بالنهار تصدر من منبع الأنوار المجتمعة من الليل ، ويصير قلبه في قبة
من قباب الحق مسددا حركاته موفرة سكناته ، انظره . وفي [حى] إن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لأبي هريرة يا أبا هريرة : أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا ؟
قم من الليل فصل وأنت تريد رضا بك ، يا أبا هريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء
كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا ، وقال صلى الله عليه وسلم : « عليكم بقيام الليل
فإنه دأب الصالحين قبلكم ، فإن قيام الليل قربة إلى الله عز وجل ، وتكفير للذنوب ، ومطرقة
للداء عن الجسد ، ومنهاة عن الإثم » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن امرئ تكون له صلاة بالليل فغلبه
النوم عليها إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه » ثم قال : قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه :
شيع يحيى بن زكرياء عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح ، فأوحى الله تعالى إليه
« يا يحيى أوجدت دارا خيرا لك من دارى أم وجدت جوارا خيرا لك من جوارى ، فوعزنى وجلالى
يا يحيى لو اطلعت إلى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ، ولو اطلعت إلى جهنم
اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبيست الجلود بعد المسوح » وقيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصلى بالليل فإذا أصبح سرق فقال « سينهاه ما فعل » وقال صلى الله عليه
وسلم « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء » وقال
صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى ، فإن أبت نضحت
في وجهه الماء » وقال صلى الله عليه وسلم « من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من
الذاكرين الله كثيرا والذاكرات » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل »
وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : قال صلى الله عليه وسلم « من نام عن حربه أو عن شيء منه بالليل
فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل » انظره ، وفيه قال مالك بن دينار :
سهوت ليلة عن وردى ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي : أتحنن
أن تقرأ ؟ فقلت نعم ، فدفعت إلى الرقعة فإذا فيها :

ألهتك اللذائذ والأمانى عن البيض الأوانس في الجنان

تعيش مخلدا لاموت فيها وتلهو في الجنان مع الحسن
 تنبه من منامك إن خيرا من النوم التهجذ بالقرآن
 وحكى عن ثابت رحمه الله أنه قال : كان أبي من القوامين لله في سواد الليل قال : رأيت ذات ليلة
 في منامي امرأة لا تشبه النساء فقلت لها من أنت ؟ فقالت حوراء أمة الله ، فقلت لها زوجيني نفسك ؟
 فقالت اخطيني من عند ربك وأمهرني ، فقلت ومأمهرك ؟ قالت طول التهجد ، ورحم الله من قال
 في سريع مطوى مكسوف :

يا طالب الحوراء في خدرها	وطالبا ذاك على قدرها
انهض بجذ لاتكن وانيا	وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم	والتزم الوحدة في وكرها
وقم إذا الليل بدا وجهه	وصم نهرا فهو من مهرها
فلو رأيت عينك إقبالها	وقد بدت رمانا صدرها
وهي تماشي بين أترابها	وعقدها يشرق في نحرها
لهان في نفسك هذا الذي	تراه في دنياك من مهرها

وفي [شب] وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ذهب ثلث الليل قام فقال : أيها
 الناس اذكروا الله اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه »
 وروى « أنه صلى الله عليه وسلم قام الليل حتى تورمت قدماه ولما قيل له هون على نفسك يا رسول
 الله ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال أفلا أكون عبد اشكورا » اهـ (ولو) كان التهجد
 بالقرآن مقدار (حلب) وفي [من] الحلب ويحرك استخراج ما في الضرع من اللبن اهـ (نعجة) بفتح
 نون وكسرهما أنثى الضأن لحديث « من قام من الليل قدر حلب شاة كان من قوام » (١) الليل « وفي
 [جهر] « لا تدعن صلاة الليل ولو حلب شاة ولو ركعتين مامن أهل بيت تعرف لهم صلاة من الليل
 إلا ناداهم مناد بأهل البيت قوموا لصلاتكم » وفيه « ركعتان يركعهما ابن آدم في جوف الليل الآخر
 خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم » وفي [عف] وقد جاء في الخبر
 « قم من الليل ولو قدر حلب شاة » وقيل : يكون ذلك قد أربع ركعات وقدر ركعتين اهـ . وفي [غ]
 والذي عليه العمل في طريقنا قيام ما تيسر منه ولو بقدر ما يصلي ركعتين يسبق بهما الفجر ، ويكون
 بما تيسر من تلاوة القرآن داخل الصلاة أو خارجها ولو سورة أو آية يرددها إن لم يحفظ غير ذلك ،
 وبذكر الله من الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الباقيات الصالحات ونحوها ،
 ولو لم يكن إلا الإتيان بتسبيح ملء ما علم وعدد ما علم الخ ثلثي عشرة مرة وصلاة الفاتح لما أغلق كذلك
 أيضا يسبق بذلك الفجر ، وليس في طريقنا تحديد في هذا القيام بركعات مخصوصة كيفية وعددا بل الأمر
 في ذلك عندنا بحسب ما تيسر ، ثم قال : وقد أخبرني بعض الفضلاء الثقات من خاصة سيدنا الشيخ رضي الله عنه
 وملازميه أن سيدنا رضي الله عنه كان يوصيه ويؤكد عليه في قيام الليل حتى قال له : فإن اعتراك فتور أو مرض
 أو نحو ذلك فاحرص على أن تقوم قبل الفجر ولو بمقدار ما تصلي ركعتين خفيفتين ثم تصلي الفجر والصبح ،
 ثم لا عليك إن أخرت الورد إلى الضحى مثلا ، انظرها (فإن قيام) أي لإحياء (الليل) ويحصل بالثلث
 الأخير منه بل وبصلاة العشاء والصبح في جماعة كما مر (أقرب وصلة) بضم الواو أي بين العبد ومولاه

(وكم فيه) أى فى قيام الليل (من خير جزيل) عظيم (ورحمة) عجيبة ، وفى نسخة :- وفيه تنزل (١)

وفى [جص] «أقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الآخر» فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن» وفيه «إن لربكم فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعل أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبدا» وفى [جه] ويحافظ على قيام الليل لاسيما آخره بحيث عليه ويرغب فيه أتم ترغيب وينشط له ويقول : فيه تنزل الرحمات وعواطف النفحات ، وأن من استيقظه الله فيه فقد استدعاه إلى رحمته اه . وفى [حى] وشكى بعض المريدين إلى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم؟ فقال أستاذه : يا بنى إن الله نفحات فى الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطى القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات ، فقال ياسيدى تركنى لأنام بالليل ولا بالنهار . واعلم أن هذه النفحات بالليل أرحمى لما فى قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل انظره .

[وفى] مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ينزل الله سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذى يدعونى فأستجيب له من ذا الذى يسألنى فأعطيه من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له» فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر» وفيه عنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا مضى شطر الليل أو ثلثه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيقول هل من سائل يعطى هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له حتى ينفجر الصبح» وفيه عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا لشطر الليل أو لثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له أو يسألنى فأعطيه ، ثم يقول من يقرض غير عديم ولا ظلم» أى بالمطل والتسوية وعدم الوفاء ، وفى [جه] وسألته رضى الله عنه عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث «ينزل ربنا فى كل ليلة إلى سماء الدنيا» الحديث ، فأجاب رضى الله عنه بقوله : اعلم أن للحق سبحانه وتعالى فى مرتبة ذاته نسبتان (٢) نسبة الكنه وهذه المرتبة بعيدة عن التغير بالزمان والمكان والنسب والإضافات والجهات والتوجهات لا تقبل شيئا من هذه النسب لظاهرها ولا باطنا ولا حقيقة ولا مجازا ، والنسبة الثانية نسبة التنزل إما بالنيابة وإما بالرحمة والفضل وإما بالغضب والبطش وإما بالاشتراك فأما نسبة النيابة فهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم «السلطان ظل الله فى الأرض» ومعناه ينوب عن الله سبحانه وتعالى بإيقاع الخير والشر لإصلاح الأرض كل بما يختص به من أهله وكقوله سبحانه - إني جاعل فى الأرض خليفة - فهذا تنزل النيابة ، وإما تنزل الرحمة والفضل مثل ما قبل فى الحجر من أنها يمين الله فى الأرض يريد من قبلها كأنما قبل يد الحق سبحانه بمعنى أنه ينغمس فى بحر الرحمة والفضل ، وكقوله «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا» فهو من هذا القبيل تنزل الرحمة والفضل كما يقول فى آخر الحديث «هل من داع يدعونى فأستجيب له هل من مستغفر يستغفرنى فأغفر له هل من تائب يتوب فأتوب عليه هل من سائل يسألنى فأعطيه» وكما فى البيت الحرام حيث جعلها خاصة به معناه أنه يتنزل فيها برحمته وفضله لتكون له حى من لاذ بحماه استوجب رضاه وعفوه من الطائفين به فإنه كساها كسوة عظيمة وجلاله ، فإن من رآها ذل لها وخضع لما كسيت به من العظمة والجلال وكساها كسوة رحمته وفضله لما فى الخبر «أنه ينزل عليها كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين

(٢) قوله نسبتان بألف صحيح على حد قوله تعالى : إن هذان لساحران .

(١) بحذف إحدى التاءين اه .

وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين وكساها كسوة البطش والغضب لمن أرادها بسوء فلما أن يعجل هلاكه في هذه الدار ولما أن يدخر له من شدة العذاب وألم النكال في الآخرة مما لا حد له ولا غاية وهذه تنزلاته فيها « ثم قال : وأما تنزله بالغضب والبطش والعياذ بالله مثل قوله تعالى - وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله - الآية ، ومعلوم أنه ماسط علىهم إلا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وأما تنزل الاشتراك مثل قوله سبحانه وتعالى - وجاء ربك والملك صفا صفا - فإنه في ذلك المقام يظهر فضله ورحمته على طائفة ويظهر بطشه وغضبه على طائفة في مقام واحد فإنه من تنزل الاشتراك ، انظره .

وفي [ثيق] أخذ علينا العهد أن لا تنام قط في الثلث الأخير ، ولا في جميع ليلة الجمعة ، ولا في ليلة النصف من شعبان ، ولا في ليالي القدر ونحوها إلا غلبة ، وذلك لما ورد من تجلي الحق تعالى في هذه الليالي ، وفي تفسير الإمام سنيد : إن الله تعالى يتجلى كل ليلة في الثلث الأخير من الليل إلا ليلة الجمعة فإنه تعالى يتجلى فيها من غروب الشمس إلى خروج الإمام من صلاة الصبح ، ويقبح على فقير النوم في هذه الأوقات فلما أوقات مواكب السلطان الأعظم ، فحكم من نام فيها ثم طلب بعد ذلك حاجته من الله حكم من تأخر من أصحاب الخوارج حتى انفض مواكب السلطان وانفض دست المملكة كله واحتجب الملك ، فتقول له الحاشية ما بقي قضاء حاجة إلا في مواكب آخر ، فيرجع خائبا ، فإن ترتيب المملكة في عالم الغيب كترتيبها في عالم الشهادة ، ثم قال : فعليك يا أخى بحضور الموكب المذكور تصبح حوائجك كلها مقضية وقلبك مستريحاً من أنكد الدنيا عكس من نام فإنه يصبح خبيث النفس كسلان وحوائجه كلها متعطله ، ثم الذى ينبغى لك يا أخى وقت التقريب من تلك الحضرات الشريفة أن يكون السؤال في أمور الآخرة ومصالح المسلمين العامة ، وينبغى للإنسان أن يبدأ بما لا بدله هو منه من غير إسراف إن كان يقينه ضعيفا ، ويؤخر حاجته حتى يسأل لغيره إن كان قوى اليقين ، وكان سيدي ابراهيم المتبولى يقول : إذا وجد أحدكم تقريبا من الحق تعالى فليشفع في أهل عصره كلهم من المسلمين أن يتجاوز الحق تعالى عنهم ، ثم قال : حكى عن أبى يزيد أنه كان يقول سألت الله أن يشفعنى في أهل عصرى فإذا بالهاتف يقول : شفعتك فيهم ، والله غفور رحيم اه .

وفي [غص] وسأله رضى الله عنه عن النور الذى يظهر على وجوه قوام الليل وغيرهم من العباد هل هو علامة خير أو علامة شر ؟ فقال هو علامة شر لأن الله تعالى إذا أراد بعبده خيرا جعل نوره في قلبه ليعرف ما يأتى وما يندر ، فلماذا أراد الله بعبده شرا جعل نوره على وجهه وأخلى قلبه من النور فوقع في كل رذيلة ، وكذلك كان كمال الأولياء الملامية لكونهم على أعمال صالحة لا يقدر أحد على القيام بها ، ومع ذلك لا يتميزون عن العامة بشيء فكانوا مجهولين القيام في الدنيا لا يعلمهم إلا الله وحفظ الله تعالى عليهم رأس مالم فلم ينقص منه شيء ، بخلاف من ظهر عليه أمارات الصلاح فإن الناس يتبركون به ويشنون عليه بذلك فرجما استوفى بذلك حظ عبادته ، والله تعالى أعلم اه (وفيه) أى وفي جميع الليل (سوية) صغرت للتعظيم أى ساعة عظيمة المقدار كثيرة الأسرار والأنوار (لها فتعرضا) بألف مبدلة من الخفيفة الحديث « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها » الحديث (لكل مصادف) وموافق لها (إجابة) كل (دعوة) دعائها له ولغيره من المسلمين لم تكن إنما أوقعية للحديث « يستجاب لأحدكم ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » وفي مسلم عن جابر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة » وفيه عنه أيضا أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال «إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه» قال النووي: فيه إثبات ساعة الإجابة في كل ليلة ويتضمن الحث على الدعاء في جميع ساعات الليل رجاء مصادقتها. وفي [مع] بعد نقل هذا الحديث الشريف ومطلوب القارئ تلك الساعة وهي مهمة في جملة الليل كليلة القدر في شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة اهـ . وفي [هب] لما سئل هل ولد صلى الله عليه وسلم ليلاً أم نهار؟ فقال رضى الله عنه: الذي في الواقع ونفس الأمر أنه عليه الصلاة والسلام ولد في آخر الليل قبل الفجر بمدة ، وتأخر خلاص أمه إلى طلوع الفجر ، والمدة التي بين انفصاله صلى الله عليه وسلم من بطن أمه وانفصال الخلاص منها هي ساعة الاستجابة في الليل التي وردت بها الأحاديث وفخمت أمرها وأشعرت بتعظيمها وانتداد حكمها إلى يوم القيامة. قال رضى الله عنه: وفي تلك الساعة يجتمع أهل الديوان من أولياء الله تعالى من سائر أقطار الأرض، وفيهم الغوث والأقطاب السبعة أهل الدائرة والعدد رضى الله عنهم أجمعين ، ويكون اجتماعهم بغار حراء خارج مكة وهم الحاملون لعمود نور الإسلام، ومنهم تستمد جميع الأمة، فمن وافق دعاؤه دعاءهم ووقوفه وقوفهم في تلك الساعة أجاب الله دعوته وقضى وطره ، وكان رضى الله عنه بدلنا على قيام هذه الساعة كثيراً ويقول لنا: إن الفجر يطلع بمكة قبل طلوعه بمدينة فاس فراقبوا في قيامكم فجر مكة واعملوا عليه ، فسألته عن المقدار الذي يسبق به على فجر مدينة فاس؟ فقال رضى الله عنه: يطلع الفجر بمكة قبل قيام ابن حمو المؤذن بالقرويين ، فقلت: فالساعة إذا وقت قيام الوردى والسلاوى الذي بعده؟ فقال رضى الله عنه: نعم ، قلت: وكذا كنت قبل أن أجمع معه رضى الله عنه أقرأ آخر سورة الكهف - إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها لا يبدلون عنها حولا - إلى آخر السورة لأفبق في ساعة الاستجابة ، وبقيت على ذلك نحواً من ستة عشر عاماً ، فكنت غالب ما كنت أفبق في وقت الوردى، وكنت أفبق في بعض الأحيان في وقت السلاوى بعده ، وكذا سمعت من جماعة ممن اعتنى بأمر هذه الساعة المباركة ممن يسكن في غير مدينة فاس قالوا: فاكنا نفيق إلا في آخر الليل قبل الفجر بمدة يعنون فجر بلادهم ، والله تعالى أعلم ، ولذا طوى هنا: وفي ذهب الإبريز تبين وقتها لعبد العزيز القطب من غير مرية قال رحمه الله:

(وَبِالْفُضْلِ وَالْوُضُوءِ بَعْدَ الْعِشَاءِ امْتَحِنْ وَذَكِّرْ وَقُرْآنٍ وَتَخَفِيفٍ مَعْدَةٍ
وَقِيلُولَةٍ وَتَرْكِ إِنْتِمَائٍ نَفْسٍ وَذَنْبٍ نَهَارًا وَهُوَ أَعْظَمُ هَلَةٍ
سَلَامَةٍ صَدْرٍ عَنْ ضَعِيفَةٍ مُسْلِمٍ وَحُبٍّ وَخَوْفٍ وَاشْتِيَاقٍ لِحُفْنَةٍ
وَرَغَبٍ شَيْخُنَا عَلَيْهِ صِحَابُهُ وَقَالَ إِنَّ أَبِي قَدَغَ عَنْكَ سُبْحَتِي)

[و] إذا علمت مافى قيام الليل من الفضل ورغبت فيه فاستعن عليه (بالغسل) لجميع الجسد ولو بلاموجب وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تؤخر غسل الجنابة في ليل أو نهار إلا لعذر شرعى ، وكذلك تأمر حليتنا بالمبادرة إلى الغسل ، وهذا العهد يخل به كثير من الناس حتى العلماء يجامع أحدهم قبل النوم وبعد العشاء وينام جنباً حتى يطلع النهار ويخرج إلى الحمام ، وربما لم يخرج من الحمام إلا ضحوة النهار كما شاهدنا ذلك من بعض الناس ، وقد وقع لى أنى

نمت مرة على جنبابة فسمعت قائلا يقول لى : من نام على جنبابة تعمست عليه أسباب رزقه فلا يحصل له الرخيف حتى تكاد تزهق روحه ، فمن ذلك اليوم وأنا خائف من النوم على جنبابة ، وربما كان الوقت بردا ولم أجد ما أسخن به الماء فأغتسل بالماء البارد بعد أن أقول بتوجه تام يارب احمل عنى ضرر هذا الماء فإنك تعلم أنى ما تحملت مشقة هذا الماء إلا إجلالا لك يارب وتعظيما أن أجالسك على جنبابة ، فلا يضرنى استعمال ذلك الماء البارد ، ثم قال : وكان سيدى على الخواص يقول : استعملوا ماء البئر فى الشتاء فإنه أنفع من ماء الحمام لأن ماء البئر يعقبه حرارة وماء الحمام يعقبه برودة ، وإذا ألف البدن استعمال الماء البارد ذهب ضرره إن شاء الله تعالى ، فلم أنه لا يقدر على العمل بهذا العهد إلا من صدق فى محبة الله عز وجل ومحبة أهل حضرته من الأنبياء والأولياء ، فإن جنبابة حضرة بعد وجفاء وحجاب عن الله عز وجل وأهل حضرته ، والمحجب لا يصبر على عدم شهود محبوبه طرفة عين ، وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : من كان من أهل الحضرة عرف مقدار الوصل والمهجر . قال : وقد نمت مرة على جنبابة فما استيقظت إلا وجميع أهل الحضرة قد اصطفوا بين يدى الله فى سائر أقطار الأرض فلا تسألوا ما حصل عندى من الخجل من الله تعالى حتى كدت أذوب اه انظره ، وفى [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا ننام قط على جنبابة لاسيما فى الأوقات الفاضلة كليلة الجمعة وليالى القدر ، ونأمر أصحابنا بذلك فيجامعون أو آخر الليل عند استيقاظهم من النوم أو فى النهار ويغتسلون على الفور ، وذلك حتى لا تحتجب روح الإنسان عن السجود بين يدى الله عز وجل إذا نام دائما لأجل قرب الملائكة منه فإنها تتباعد عن الجنب كما ورد ، وإذا بعدت الملائكة حضرت الشياطين ، وأما نومه صلى الله عليه وسلم فى بعض الأحيان على جنبابة فإنما هو تشريع لأمته وذلك أمر يثاب عليه صلى الله عليه وسلم ثواب الواجب فافهم اه . وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على الطهارة عند النوم وننوى القيام للتهجد كل ليلة ولا ننام على حدث إلا لضرورة شرعية أو غلبة نوم ، ثم قال : فإن الروح إذا فارقت الجسد بالنوم وهى على طهارة أذن لها فى السجود بين يدى الله تعالى حتى يستيقظ ، وإذا فارقت الجسد محدثة وقفت بعيدة عن الحضرة ففاتها العبادة الروحية المجردة عن الجسد كالملائكة ، فافهم فهذا من سر النوم على الطهارة انظره .

(و) استعن عليه (بالوضوء) كذلك ولتنو به رفع الحدث إن كنت محدثا لتباح لك به الصلاة . وفى [جص] « طهروا هذه الأعضاء طهركم الله فإنه ليس عبد يبيت طاهرا إلا بات معه ملك فى شعاره لا يتقلب ساعة من الليل إلا قال اللهم اغفر لعبدك هذا فإنه بات طاهرا » وفيه « من بات طاهرا ثم مات من ليلته مات شهيدا » وفيه « الطاهر النائم كالصائم القائم » وفى [خل] والحكمة فى وضوئه عند إرادة النوم تارة يكون من باب الاضطراب وتارة يكون من باب الاختيار كالأكل والشرب منه ما هو اضطراب ومنه ما هو اختيار ، ورأس مال المؤمن إنما هو عمره فإن عمره بالعمل الصالح ربيع عمره وزكى فشرع له الشارع صلوات الله عليه وسلامه الوضوء عند إرادة النوم لكي يختبر به النوم من أى جهة هو فإن كان من باب ضرورة البشرية فهو لا يذهب الوضوء وإن كان من باب الاختيار والراحة فالوضوء يذهب به ، وفيه وجه آخر وهو أن النوم هو الموت الأصغر فشرع له نوع من الطهارة كالليت ، وفيه وجه آخر وهو أنه قد يموت فى ذلك النوم فتشرع له الطهارة لكي يكون على أكمل الحالات ، وفيه وجه رابع وهو أن النوم إذا وقع عقب الطهارة اجتزأ المكلف منه بالقليل لأجل بركة الاتباع فتوفر

عليه رأس ماله وهو عمره كما تقدم، انظره : وفي [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا ننام على حدث أصغر في ساعة من ليل أو نهار وإنما ننام على وضوء أو تيمم خوفاً أن تقبض أرواحنا على حدث ، واعلم يا أخى أن الطهارة تتأكد عليك إذا تعاطيت ناقضاً مجتمعا عليه كالبول والغائط أشد من تعاطيك ناقضاً مختلفاً فيه كالقصد ومس الذكر والدبر ونحو ذلك اهـ (بعد) صلاة (العشاء) قصره للوزن (استعن) وفي [خل] وقد كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته بعد صلاة العشاء وفرغ من ركوعه في بيته جلس يتحدث مع أهله ساعة ثم إذا عزم على الدخول في الفراش فالمستحب له أن يتوضأ للنوم وإن كان على وضوء ثم يركع في الموضع الذي ينام فيه، ولهذا ما لم يوتر فإن كان قد أوتر، فالأولى أن لا يصلي بعد الوتر إلا بعد أن يقوم من نومه على المشهور ورجاء أن تستغفر له الملائكة مادام في مصلاه وإن كان نائماً لقوله عليه الصلاة والسلام « الملائكة تصلي على أحدكم مادام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه » انظره . وفي [عف] ثم تجديد الوضوء بعد العشاء الأخيرة أيضاً معين على قيام الليل حكى لي بعض الفقهاء عن شيخ له بخراسان أنه كان يغتسل في الليل ثلاث مرات مرة بعد العشاء الأخيرة ومرة بعد الانتباه من النوم ومرة قبل الصبح ، فلو وضوء والغسل بعد العشاء الأخيرة أثر ظاهر في تيسير قيام الليل ، ثم قال : ولا يدخل المرید النوم إلا وهو على الطهارة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا نام العبد وهو على الطهارة عرج روحه إلى العرش فكانت رؤياه صادقة وإن لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتسكون المنامات أضغاث أحلام لا تصدق » والمرید المتأهل إذا نام في الفراش مع الزوجة ينتقض وضوؤه باللمس ولا يفوته بذلك فائدة النوم على الطهارة ما لم يسترسل بالتذاذ النفس باللمس ولا يعدم يقظة القلب فأما إذا استرسل في الالتذاذ وغفل فتنحجب الروح أيضاً لمكان صلابته أنظره ، وفيه : فإن ابتلى العبد في بعض الأحيان بكسل وفتور عزيمة يمنع من تجديد الطهارة عند النوم بعد الحدث يسمح أعضائه بالماء مسحاً حتى يخرج بهذا القدر عن زمرة الغافلين حيث تقاعد عن فعل المتيقظين ، وكذلك إذا كسل عن القيام عقيب الانتباه يجتهد أن يستاك ويمسح أعضائه بالماء مسحاً حتى يخرج في تقلباته وانتباهاته عن زمرة الغافلين ، ففي ذلك فضل كثير لمن كثرت نومه وقل قيامه ، انظره . وروى أن أبا حنيفة رضى الله عنه قد صلى للفجر بوضوء العشاء أربعين سنة ومع ذلك كان يكثر البكاء في آخر الليل بعد التهجد ويقول :

فواحزننا أن لا حياة هنية ولا عمل برضى به الله صالح

(وذكر) أى واستعن أيضاً على قيام الليل بذكر عند النوم ولا سيما بالأذكار المروية في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو « اللهم باسمك وضعت جنبي وبك أرفعه » الخ وآية الكرسي الخ - والله ما في السموات وما في الأرض - وأن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض - إلى - المحسنين - وسورة الإخلاص ، والمعوذتين ثلاثاً ، وقل يا أيها الكافرون الحديث « إذا أخذت مضجعك من الليل فأقرأ : قل يا أيها الكافرون ثم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك » وكذا « سبحان الله ثلاثاً وثلاثين والحمد لله ثلاثاً وثلاثين والله أكبر أربعاً وثلاثين » وكذا « اللهم اشفنى بالقليل من النوم واجعله لى عوناً على طاعتك » وفي [شب] فائدة ، روى « أن من قال عند نومه : اللهم لا تؤمننا مكرراً ولا تنسنا ذكرك ولا تكشف عنا سترك ولا تجعلنا من الغافلين ، اللهم ابعثنا في أحب الساعات إليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا : بعث الله إليه ملكاً في

أحب الساعات إليه فيوقظه فإن قام ودها استجيب له . اه . وروى : من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ثم قال اللهم اغفر لي أودها استجيب له فإن توضأ قبلت صلاته . اه . وفي [غ] فائدة ، قد صح أنه ما من ليلة إلا وفيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه ، وقد قال الشيخ زروق قال بعض من لقيناه من الشيوخ : ومن شاء القيام فيها فليقرأ ماورد للقيام في أي وقت شاء كآخر سورة الكهف ونقل عن الهلالي رحمه الله أنه ذكر أن من قرأ قوله تعالى - الله يتوفى الأنفس - إلى قوله تعالى - مسمى - بقيمه الله تعالى متى نوى ويفعل مانوى وشرطها أن لا يتكلم بعدها . قال : وهي مجربة جدا . اه . وفي [عم] وكذلك نواظب على قراءة الأذكار الواردة عند النوم وعند الاستيقاظ لكون الحق تعالى يحب ذلك لا لعل أخرى إلا أن يصرح بها الشارع كالحفظ من الشياطين حتى يصبح ونحو ذلك ، وقد جربوا فوجدوا الأذكار عند النوم من أعون الأمور على قيام الليل وخفته على القلب والجوارح ، انظره ، وفيه : وكان أخى أفضل الدين يقرأ كل ليلة سورة الكهف ويقول : إنها تخفف النوم . اه . وقد جربت أنا ذلك فوجدت قلبي طول الليل كأنه مستيقظ . انظره (وقرآن) أي واستمع عليه أيضا بقراءة القرآن بتدبر وترتيل . قال تعالى : ورتل القرآن ترتيلا . وفي [عف] ومن ذلك : أي مما يستعان به على قيام الليل أن يواصل بين العشاءين بالصلاة أو بالتلاوة أو بالذكر ، وأفضل ذلك الصلاة فإنه إذا واصل بين العشاءين يغسل عن باطنه آثار الكدورة الحادثة في أوقات النهار من رؤية الخلق ومخالطتهم وسباع كلامهم ، فإن ذلك كله له أثر وخدش في القلوب حتى النظر إليهم يعقب كلرا في القلب يدركه من يرزق صفاء القلب فيكون أثر النظر إلى الخلق للبصيرة كالقذى في العين للبصر ، وبالمواصلة بين العشاءين يرجى ذهاب ذلك الأثر ، ومن ذلك ترك الحديث بعد العشاء الأخيرة فإن الحديث في ذلك الوقت يذهب طراوة النور الحادث في القلب من مواصلة العشاءين ، ويقيد عن قيام الليل سيما إذا كان عرباً عن يقظة القلب . اه . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على الصلاة بين المغرب والعشاء بحسب العدد الوارد في الأحاديث لأنها ساعة يغفل الناس فيها عن ربهم ، وقد عمل بذلك مشايخ الطريق وشددوا على التزيد في المواظبة على فعلها ، ولها نور عظيم يجده الإنسان في قلبه ، فاعمل عليه والله يتولى هداك ، انظره (وتخفيف المعدة) بكسر الميم كسدره وبفتحها كنبقة موضع الطعام قبل انحداره إلى الأمعاء . وفي [حى] الأول : أي من الأسباب الميسرة لقيام الليل أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام ، كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول : معاش المريدن لئلا تاكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتتخسروا عند الموت كثيراً ، وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام . اه . وفي [عف] ومن ذلك أي ومن الأسباب المعينة على قيام الليل : خفة المعدة من الطعام ثم تناول ماياكل من الطعام إذا اقترن بذكر الله ويقظة القلب أعان على قيام الليل لأن بالذكر يذهب داؤه ، فإن وجد للطعام ثقلاً على المعدة ينبغي أن يعلم أن ثقله على القلب أكثر فلا ينام حتى يذهب الطعام بالذكر والتلاوة والاستغفار . اه . وفي [جص] أذنبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه فتفسد قلوبكم . وفيه : خففوا بطونكم وظهوركم لقيام الصلاة . أي قللوا الأكل لبسهل عليكم التهجيد فإن من كثر أكله كثر نومه .

(و) مما يستعان به على قيام الليل (قيلولة) من قال يقيل : نام نصف النهار : وفي [جص] استعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبالقيلولة على قيام الليل وفيه « قيلوا فإن الشياطين لا تقيل » والقيلولة مستحبة في حق من يقوم في الليل للتهجد ونحوه كطالعة العلم ونحوه . وفي [حى] الثالث : أى من الأسباب الميسرة لقيام الليل أن لا يترك القيلولة بالنهار فلها سنت للاستعانة على قيام الليل اه .

(و) مما يستعان به على قيام الليل أيضا (ترك إلتعاب نفسه) جسده في الأعمال الشاقة نهارا . وفي [حى] الثاني : أى من الأسباب الميسرة لقيام الليل أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التى تعي بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فإن ذلك أيضا مجلبة للنوم اه . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستعد لقيام الليل بالزهد في الدنيا وشهواتها وعدم الشبع من حلالها ومن هنا صحت المواظبة من الصالحين على قيام الليل ومهاجرة غيرهم ، ثم قال : وإنما جعلنا الزهد في الدنيا معينا على قيام الليل لما ورد في الحديث « الزهد في الدنيا يريح القلب والجسد » ومفهومه أن الرغبة في الدنيا تتعب القلب والجسد فإذا دخل الليل نزل الراغب في الدنيا إلى الأرض محلولة أعضاؤه فنام كالمت ، بخلاف الزاهد في الدنيا ينام وأعضاؤه مستريحة فيقوم بسرعة ، وإذا نام كأنه مستيقظ ، فلم أن من طلب قيام الليل مع ترجيحه الذهب على الزبل فقد رام المحال ، وإن تسكلف ذلك لا يدوم وإن دام فهو في حجاب لا يكاد يتلذذ بمناجاة الحق ولا يذوق لها طعما ، انظره . وفي [عف] ومن ذلك . أى ومن الأسباب الميسرة لقيام الليل أن يغير العادة فإن كان ذا وسادة يترك الوسادة وإن كان ذا وطاء يترك الوطاء ، وقد كان بعضهم يقول : لأن أرى في بيتي شيطانا أحب إلى من أن أرى وسادة فلها تدعوني إلى النوم ولتغير العادة في الوسادة والغطاء والوطاء تأثير في ذلك ومن ترك شيئا من ذلك والله عالم بنيته وعزمته يثيبه على ذلك بتيسير ما رام اه . وفيه : والذي يخل بقيام الليل كثرة الإهتمام بأمور الدنيا وكثرة أشغال الدنيا وإلتعاب الجوارح والامتلاء من الطعام ، وكثرة الحديث واللغو واللفظ وإهمال القيلولة ، والموفق من يغتنم وقته يعرف داءه ودواءه ولا يهمل فيهمل اه .

(و) مما يستعان به أيضا على قيام الليل ترك اكتساب (ذنب نهارا) بقدر الاستطاعة والإمكان قال تعالى - فائقوا الله ما استطعتم - والأبقع خير من الأسود كله (وهو) يسكون الهاء . أى اكتساب الذنب نهارا (أعظم علة) مانعة وعائقة من قيام الليل لأن العبد كما يحرم الرزق الحسى بذنب يصيبه كذلك يحرم الرزق المعنوى به . وفي [حى] الرابع : أى من الأسباب الميسرة لقيام الليل أن لا يحتجب الأوزار بالنهار فإن ذلك مما يقسى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة . قال رجل للحسن يا أبا سعيد إنى أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهورى فما بانى لأقوم ؟ فقال ذنوبك قيدتك . وكان الحسن رحمه الله إذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغومهم يقول أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فلمهم لا يقبلون . وقال الثورى : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته : قيل وما ذاك الذنب ؟ قال رأيت رجلا يبكي فقلت فى نفسى هذا مرء ، وقال بعضهم : دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت أأتلك نعى بعض أهلك ؟ فقال أشد ، فقلت وجع بؤلك ؟ فقال : أشد ، قلت : فذاك ؟ قال باني مغلق وستري مسبل ولم أقرأ حزني البارحة وما ذلك إلا بذنب أحدثته ، وهذا لأن الخير يدعوا إلى الخير والشر يدعو إلى الشر ، والقليل من كل واحد منهما يجر إلى الكثير ، ولذلك قال أبو سليمان الداراني : لاتفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب ، وكان يقول : الاحتلام بالليل عقوبة والحزابة بعد ، وقال بعض العلماء . إذا صمت يامسكين فانظر

عند من تفطر، وعلى أى شيء تفطر؟ فإن العبد لياكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلى حالته الأولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام، وتؤثر اللقمة الجلال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير مالا يؤثر غيرها، ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له، وكذلك قال بعضهم: كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة، وإن العبد لياكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة، وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات، انظره:

آه مما جنيت إن كان يغنى ألف من عظيم ذنب وهاء

ومما يستعان به أيضا على قيام الليل (سلامة صدر) أى أن ينام وقلبه سالم (عن ضغينة) وحقد وحسد كل (مسلم) ومسامحة وكذا عن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وإن قام فلا يتفكر في صلاته وإنما يتفكر في مهماته الدنيوية ولا يحول إلا في وساوسه الشيطانية وأغراضه النفسانية وشهواته الظلمانية. وفي [عم] عن سيدى على الخواص رحمه الله: كل من مرت عليه ليالى التقريب ولم ينقطع صوته من شدة البكاء والنحيب فكأنه نائم، انظره ورحم الله من قال:

يخبرني البواب أنك نائم وأنت إذا استيقظ أيضا فنائم

وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا ننام قط إلا على طهارة باطنة فلإنها كالظاهرة سواء بسواء، وذلك كأن ينام أحدهما والعباد بالله تعالى على غل أو حسداً أو حقد أو غش أو مكر أو خديعة أو تكبراً أو سخطاً على تقدير ربه عليه، ونحو ذلك من الأمراض فربما مات الإنسان على تلك الحالة فتكون خاتمة خاتمة سوء وإن لم يمت لم تمكن روحه من دخول حضرات القرب الخاصة بالملائكة وخواص البشر. واعلم يا أخى أن أعظم منجسات الباطن هو حب الدنيا، ولعلك لا تظن ذلك ذنباً ونسيت قول عيسى عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة فعم الخطيئات ولم تخرج عن محبها خطيئة واحدة. وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول: من مات على حب الدنيا حشر مع مبعوض لم ينظر الله تعالى إليه نظر رضا منذ خلقه. وفي الحديث «يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» فتب يا أخى كل صباح ومساء عن محبة الدنيا ولا تتهاون والله يتولى هداك اه (و) مما يستعان به على قيام الليل أيضا (حب) الله تعالى، وذكر في [حى] إن الحب لله أشرف البواعث على قيام الليل وقوة الإيمان، بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو مناجاة ربه، وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه، وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه، فإذا أحب الله تعالى أحب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة، فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام، انظره. وفي [شب] وقيل: أوحى الله إلى داود عليه السلام: يا داود كذب من ادعأ محبتي وإذا جن عليه الليل نام غنى، أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه اه. وفي [عف] قال أحمد بن أبي الخوارى: دخلت على أبي سليمان الداراني فرأيت يبكي فقلت ما يبكيك رحمك الله؟ قال ويحك يا أحمد إنى إذا جن الليل افترشت أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم، وأشرف الجليل جل جلاله عليهم يقول: بمعنى من تلذذ بكلامى واستراح إلى مناجاتى، وإنى مطلع عليهم في خلواتهم أسمع أنينهم وأرى بكاءهم، يا جبريل ناد فيهم ما هذا البكاء الذى أراه فيكم هل خبركم مخبر أن حبيباً يعذب أحبابه بالنار، كيف يجمل بى أن أعذب قوماً إذا جن عليهم الليل تملقوا إلى، فبى حلفت إذا وردوا القيامة على أن أسفر لهم عن وجهى وأبيحهم رياض قدسى، انظره (و) مما يستعان به على قيام الليل أيضا

(خوف) مزعج وغالب ولازم للقلب فإنه إذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار ثومه وعظم حذرته ، كما قال طاوس من أن ذكر جهنم طير نوم العابدين ، وكما حكى أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيده إن قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار ، فقال إن صهيبا إذا ذكر النار لا يأتية النوم ، وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل ، فقال إذا ذكرت النار اشتد خوفي وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فلا أقدر أن أنام ، وقال ذو النون المصري رحمه الله :

منع القرآن بوعده ووعيده مقل العيون بليتها أن تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه فرقابهم ذلت إليه تخضعا
ورحم الله من قال : يا كثير الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الندمات
إن في القبر إن نزلت إليه لرقادا يطول بعد الممات
ومهادا ممهدا لك فيه بذنوب عملت أو حسنات
أمنت البيات من ملك الموت وكم نال آمنا ببيات
ر قال ابن المبارك رحمه الله :

إذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع (١)
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع (٢)

وفي [ثيق] أخذ علينا العهد أن لا نمكن إخواننا من النوم لغير حاجة ، فمن أكثر النوم جاء يوم القيامة كالمفلس من قلة الأعمال إذ هو أخو الموت لا دنيا تحصل به ولا أخرى ، ولكل جسد معيار يعرفه من يترك التلبس على نفسه ، ونوم سبعين درجة معتدل ويزيد الناس وينقصون ، ومن كلام الجنيد : نوم الفقراء ضرورة ، ونوم الضرورة محمول عن صاحبه ، لأنه من الصدقات التي تصدق الحق بها على عباده وأذن فيها ، وأقبح ما يكون النوم في الأستار وبعد الصبح وبعد العصر ، انظره : (و) مما يستعان به على قيام الليل أيضا (اشتياق لجنة) فإن من علم ما في قيام الليل من الفضل العظيم والثواب الجسيم اشتاق إلى نيل ذلك فبهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنة قال تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون - حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته فهدت امرأته فراشها وباتت تنتظره ، فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى أصبح ، فقالت له زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت إلى الصبح . قال : والله إنى أتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل ، فاسيت الزوجة والمنزل فقامت طول ليلتي شوقا إليها انظر [حى] ، ورحم الله من قال :

فهموا إشارات الحبيب فهموا وأقام أمرهم الرشاد فقاموا
وتوسلوا بمسدمع منهلة تحت الدياجي والأنام نيام
وتلوا من الذكر الحكيم جوامعا جمعت لها الألباب والأفهام
يا صاح لو أبصرت ليلهم وقد صفت القلوب وصفت الأقدام
لرأيت نور هداية قد حفهم فسرى السرور وأشرق الإظلام
فهم العبيد الخادمون مليكهم نعم العبيد وأفلح الخدام
سلموا من الآفات لما استسلموا فعليهم حتى الممات سلام

(١) ركوع : جمع راكم ، كسجود جمع ساجد اه . (٢) هجوع : جمع هاجم كنوم جمع نائم اه .

ومن قال :

حنين قلوب العارفين إلى الذكر
أدبرت كؤوس للمنايا عليهم
همومهم جولة بمعسكر
فأجسامهم في الأرض قتلى بحبه
فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم
وتذكروهم وقت المناجاة للسر
فأغفوا عن الدنيا كما غفاه (١) ذى السكر
به أهل ود الله كالأنجم الزهر
وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسرى
وما عرجوا من مس يؤس ولا ضر

(ورغب) أى حض وأكد سيدنا و (شيخنا) أبو الفيض رضى الله عنه وعنايه آمين (عليه) أى على قيام الليل بأحواله وأفعاله وأقواله (صحابه) رضى الله عنهم وعناهم آمين . وفى [جه] وأما قيام الليل فهو مواظب عليه السنين الكثيرة ولا زال إلى الآن ولم تكن له راحة إلا فيه فهو مستراح العابدين إذ فيه يجدون قلوبهم من التلذذ بالمناجاة وإسبال (٢) العبرات فى محراب التلاوات ، انظره . وعن سيدى على الخواص رحمه الله أن قيام الليل عند العارفين كالفرض فى الاعتناء به فمن ادعى مقام العرفان ونام الليل فى الأسمار فهو غير صادق . وكان سيدى إبراهيم الدسوقي رحمه الله يقول : من قام بالأسمار ولزم فيها الاستغفار كشف الله له عن الأنوار وأطلع فى قلبه شمس المعانى والأفكار ، فيا ولد قلبى اعمل بما قلته لك تكن من المفلحين . وفى الحديث «الليل والنهار مطيتان فاركبوها بلاغاً إلى الآخرة» أى فاقطعوا متونهما وظهورهما بالعمل الصالح لباللهو واللعب ، ورحم الله من قال :

وما الليل للمحب إلا مطية وميدان سبق فاستبق تبليغ المنى

ومن قال : فالليل نعم العون والمطية لراغب فى أشرف العطية

وفى الحديث «أشراف أمتى حلة القرآن وأصحاب الليل» أى الذين يحبونه بالتهجد من صلاة وغيرها . وفى [خل] وفى قيام الليل من الفوائد جملة ، فلا ينبغي لطالب العلم أن يفوته منها شيء ، فنها أنه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة . الثانى : أنه ينور القلب . والثالث : أنه يحسن الوجه . الرابع : أنه يذهب الكسل وينشط البدن . الخامس : أن موضعه تراه الملائكة من السماء كما يترأى الكوكب الدرى لنا فى السماء . وقد روى الترمذى عن بلال وأبى أمامة قالا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطرده للداء عن الجسد» وروى أبو داود فى سننه عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين» انظره ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

وفى قيام الليل حط للذنوب والحسن للوجه وتنوير القلوب

يذهب بالكسل عن كسلان ويحب النشاط للإنسان

وفيه قربة إلى الرحمن مع مناجاته بإخوانى

وفيه أحيا سنة العدنان أحيا الليالى مدى الزمان

وفيه منهاة عن الفحشاء كما أتى مطرده للداء

(٢) قوله وإسبال من أسبل الدمع أرسله .

(١) يقال غفا وأغفا: نام ونس .

وصار كالفرص لدى الأبرار	في الاعتنا به وبالأسحار
فإنه مربع الأولياء	ومرتع الكمل الأصفياء
ومجمع الأخبار والأحياء	في حضرة القدس لدى الوهاب
ياويح مطرود عن الأبواب	ولم يكن يوما مع الأحياء
بكثرة الأوزار والذنوب	وكثرة الزلات والعيوب
يارب إن طردت بالأوزار	مالي من أرجو سوى الغفار
من ذا الذي أرجو سوى الرحمن	والمصطفى وأحمد التجاني
يارب فارحمنا بنحتم الأنبياء	محمد وبخاتم الأوليا
يارب وفقنا لاحيا الليل	أجنى به خير المنى والسؤل
يارب فاهدنا لهذا الفضل	مادام عمرى بخير الرسل
واجعله لي أشهى من أكل الشهد	ولذة الخور بدار الخلد
آمين آمين ختام الله	على لسان المؤمن الأواه

[تتمة] مما ينبغي أن يعتنى به كل عاقل إحياء ليلتي العيدين بالحديث « من قام ليلتي العيدين محتسبا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » رواه ابن ماجه ، وروى الطبراني « من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » اه ، وفي آخر « من أحيا الليالي الخمس وجبت له الجنة : ليلة التروية ، وليلة عرفة ، وليلة النحر ، وليلة الفطر ، وليلة النصف من شعبان » وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحيا ليلة العيدين بالصلاة ذات الركوع والسجود ، وإن كان الإحياء يحصل بكل خير من قراءة وتسييح وغير ذلك كالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سيدي على الخواص : ويجب أن يستعد لقيام كل ليلة أراد العبد قيامها بالجوع سواء ليلة العيدين أو الجمعة أو ليلة النصف من شعبان أو غير ذلك كالثلث الأخير من الليل إذا كان يقومه فإن من شعب قل مدده اه . وسمعت رضى الله عنه يقول : الحكمة في إحياء ليلتي العيدين أنه يعقبهما يوما طويلا ولعب فيكون نور العبادة في هاتين الليلتين منبسطا على العبد ويمتد إلى النهار فيمسك رج^(١) العبد من غير أن يرخي عنانه بالكلية في ميدان الغفلة والسهو ، بخلاف من بات نائما إلى الصباح أو غافلا عن ربه فإنه يصبح مطاق العنان في الغفلات ، فانظر ما أحكم أوامر الشارع وما أشفقه على دين أمته فإذا علمت ذلك فكلف نفسك يا أخى في إحياء هاتين الليلتين ولو لم يكن لك بذلك عادة ، ولا تتعلل بأن السهر يشق عليك فإننا نراك تسهر في ليالي الأعراس كذا وكذا ليلة ، أنظره والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (وقال) رضى الله عنه وعنا به آمين (لمن أبى) واستعذر بعذر أو هن من نسج العنكبوت عن قيام الليل (فدع عنك سبحتى) تشديدا عليه وترغيبا له فيه . وفي [غ] الأمر الأول منهما أى من الأمرين اللذين كادا أن يكونا في الأهمية من أركانها هو قيام الليل ، فقد كان سيدنا الشيخ رضى الله عنه يرغب فيه غاية الرغبة ويذهب من عدم المبالاة به أنهم ترهيب ، ثم قال : وقد أخبرني بعض الفضلاء ممن لازم الشيخ رضى الله عنه مدة طويلة أن رجلا من أصحابه أتاه ، فقال له ياسيدي إننى لأقدر على القيام قبل الفجر ، بل كثيرا ما أؤخر الصلاة إلى أن تطلع الشمس ، وهذه

(١) قوله رج بفتح الراء : التحريك والتحرك والامتزاز .

حالة لازمة لي لا أستطيع الانفكاك عنها وكأنه يريد من الشيخ رضى الله عنه أن يرخص له في ذلك بشيء مما يحكى عن بعض أصحاب الأحوال فلم يساعده رضى الله عنه بشيء بل قال له في جوابه أنت رجل لاتصلح لطريقتنا فأطرح سباحتنا عنك اه .

ظلمت ستة من أحيا الظلام إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم

وفي البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله لاتسكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل » وفيه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : ذكر عند النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقيل مازال نائما حتى أصبح ما قام إلى الصلاة فقال « بال الشيطان فى أذنه » اه وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال فى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما « نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل » فكان عبد الله يصلى من الليل ، وفى [ثيق] وقد بات أبو عصمة عند الإمام أحمد بن حنبل فطلب الحديث فوضع له الإمام إناء فيه وضوء فجاء الإمام قبيل الفجر فوجد الإناء على حاله لم يستعمل قال يا أبا عصمة كيف تريد أن أحدثك الحديث وليس لك ورد من الليل ثم لم يحدثه رضى الله عنه تلك الليلة اه . ربنا آتتنا من لدنك رحمة وهى لنا من أمرنا رشدا - قال رحمه الله :

(وَدَعَّ مُبْغِضًا لَهُ وَلَوْ كَانَ وَالِدًا أَوْ ابْنًا فَلَا تَرْكَنُ لَوُدٍّ وَخُلْطَةٍ
فُبُغْضُهُ يَسْرِي لِلْمُحِبِّ بِسُرْعَةٍ وَذَلِكَ حِجَابٌ مُوجِبٌ لِلْقَطِيعَةِ)

(ودع) عنك أيها الأخ الصادق والحبيب الوامق (مبغضاله) أى لسيدنا الشيخ أبى الفيض أحمد ابن محمد التجانى رضى الله عنه وعنايه آمين (ولو كان) المبغض له (والدا) أو والده لك قال تعالى - وصاحبهما فى الدنيا معروفًا واتبع سبيل من أناب إلى - ولا ريب عندنا أنهم يعمotan كافرين إن لم يتوبوا من بغضه نعوذ بالله من ذلك (أو) أى ولو كان (ابنا) أو بنتا فضلا عن غيرها من الأقارب فضلا عن الأجانب والحب فى الله والبغض فى الله من الإيمان .

[تنبيه] حكم الآباء والأبناء فى الدين كحكم الآباء والأبناء فى الطين ، وكثيرا ما يقع ذلك بين المعلمين ومتعلميهم ولا سيما القراء وعلماء الظاهر قال تعالى - وإن جاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفًا واتبع سبيل من أناب إلى - واخفص لهما جناح الذلى من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا - (فلا تركز) لمن أبغضه ولا تمل لى له (بود و خلطة) ولا بوجه من الوجوه قال تعالى - لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم - الآية ، وعليه أن يتضرع إلى الكبير المتعال بالدعاء بلسان التضرع والابتهال ، ولا سيما بظهر الغيب لمن ابتلى من أقاربه وإخوانه المؤمنين بهذه البلية أن ينقذه من هذه الورطة والوحلة ، وأن يلهمه التوبة والحببة لسيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنايه آمين ، وكم من واحد من الإخوان أخبرنى بأن والده ابتلى بهذه البلية فنحرضه ونؤكد على الدعاء له فى ظهر الغيب بصلاح الحال والمآل ونعينه على ذلك - رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين . واجعل لى لسان صدق فى الآخرين . واجعلنى من ورثة جنة النعيم . واغفر لى إنه كان من الضالين . ولا تخزنى يوم يبعثون . يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم - آمين . وفى [جع] ومن أكبر الشروط المذكورة مجانية المنتقدين على

الشيخ ، فإن شيخنا يحذر أصحابه كثيرا من مخالطة المبغضين ومحبتهم وأكل طعامهم والجلوس معهم ويقول لهم : إن بغضهم يسرى في قلب من جالسهم كالسم ، وقد شاهدناه في بعض من الأصحاب فأتى عليه مدة حتى رجع يبغض أستاذه ، نسأل الله السلامة والعافية من مخالفة أمر القدوة ظاهرا وباطنا . وفي [غ] وقد تلقينا مثل ما في الجامع عن بعض الخاصة مشافهة وفيه التصريح بأن ذلك يقطع المادة من الشيخ على المريد ثم قال ، وإن الصحبة يتوقع فيها الفساد كما يتوقع فيها الصلاح وقد قيل مفسد من فسد إلا بصحبة من فسد اه . أى ولا أفلاح من أفلاح إلا بصحبة من أفلاح ، وفي [م] :

ومن يجالس مبغض الشيخ هلك	وضل في مهامه وفي حلك
وشدد النهي لنا الرسول	في ذاك فلتعمل بما يقول
اختر لنفسك الذى أطاعا	إن الطباع تسرق الطباعا
والشيخ قال هو سم يسرى	يحل من فعله في خسر
وهو عند الصادقين قد وضع	نعم وقد جرب ذلك فصيح
فالهرب الهرب عما قلت لك	نصيحة ولو يكون ولك

(فبغضه) والعياذ بالله من الوبال وما يجر إلى النكال (يسرى) من سرى عرق الشجرة دب تحت الأرض (للمحب) أى لقلب محب سيدنا الشيخ رضى الله عنه وعنا به آمين (بسرعة) دون مهلة أى لأن للمخالطة تأثيرا « فر من الخدوم فرارك من الأسد » ولأن « من جالس جانس » ومن « كثر سواد قوم فهو منهم » - ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها - ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

نعوذ بالله من الخسران	وبغض أهل الله والعرفان
نعوذ بالله من الخذلان	وحب أهل البغض والعصيان
نعوذ بالله من الوبال	ومن مصافاة ذوى الضلال
المبغضين أحد التجاني	وصحبه من جن او إنسان
نعوذ بالله من الحرمان	وكل ما يجر لليران
نعوذ بالله من البلاء	والنفس والشيطان والأهواء
يارب فاحمنا من الشيطان	وحزبه من انس او من جان
آمين آمين ختام الحق	جعل على لسان الخلق

(وذاك) أى مجالسة من يبغض الشيخ ومخالطته (حجاب) بين المريد وشيخه (موجب) من أوجب الشيء ألزمه (للقطيعة) والمجران قال تعالى - ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار - أى نار القطيعة وفي [د] الجلوس مع المبغضين سم يسرى مع صاحبه ، ومن هذا المعنى :

اختر لنفسك من أطاعا إن الطباع تسرق الطباعا اه

وفي لامية سيدى عبيدة رضى الله عنه وعنا به آمين :

ومن يكتسب غلا من الشيخ ينخرط	بسلك الآلى ^(١) سخط الإله بهم حلا
فاشتر بحب منه بالقلب راسخ	وحاذر لبغض منه قد ألزم السفلا

[تتمة] من أبغض طريقته وأصحابه كبغضه «فن أحبه فبجى أحبه ومن أبغضهم فبغضى أبغضهم» وكذلك من يبغضه الشيخ كمن أبغض الشيخ في جميع مامر ، وفي [غص] وسمعتة يقول : إذا غضب شيخكم على إنسان فاجتنبوه ولا تصافوه تغضبوا ربكم فإن الأشياء لا يبغضون إلا بحق ، ولا ينبغي لكم البحث عن سبب غضبه عليه بل سددوا لشيخكم اه . وكذلك من آداب المريء الصادق أن لا يذكر شيخه ولا غيره من أولياء الله عند المنتقدين المبغضين . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لا تذكر أحدا من الأولياء الذين تكلم الناس فيهم إلا بحضرة من يعتقدهم ، وإذا نقلنا عنهم أدبا أو حكمة قلنا قال بعضهم كذا ولا نعيته ، فإن من ذكر كرامات الأولياء بين يدي من ينكر عليهم فقد تسبب لمقت ذلك المنكر وسب ذلك الولي وتنقيصه ، فحكمه حكم من ذكر فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بين الروافض مع عدم أمنه من سبهم لهما ، انظره . قال الله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - قال رحمه الله :

(وَلَا تُوْذِ صَحْبَهُ فْتُخْسَرُ صَفَقَةً وَمَا قَدْ عَمِلْتَ كَالْهَبَاءِ بِكُوءٍ
فَمُوْذِيهِمْ يُؤْذِي النَّبِيَّ وَقُدُوْنِي فَمَكُم مِّنْهُنَّ مَنْ يَّهْدِي الْبَلِيَّةَ)

(ولا تؤذ) من آذاه فعل به أذى يتأذى به (صحبه) من حيث أنهم أصحابه والانتساب إليه رضي الله عنه وعنا به آمين (فتخسر) من خسر كفرح (صفقة) فتكون من الذين اشتروا الضلالة بالهدى فاربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ، وفي الحديث « أخسر الناس صفقة رجل أخاق يديه في أماله ولم تساعده الأيام على أمنيته ، يخرج من الدنيا بغير زاد ، وقدم على الله بغير حجة » (و) جميع (ماقد عملت) من أعمال البر والطاعات صارت (كالهباء) الغبار وصغار التراب ساطعة ومنشورة على وجه الأرض قال تعالى - وقدما إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا - (بكوء) بفتح الكاف وضمها الخرق في الخائط (فمؤذيهم) أي فن يؤذي أصحابه رضي الله عنه وعنا به آمين فإنه (يؤذي النبي) صلى الله عليه وسلم قال تعالى - إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا - الآية ، وقال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم (و) يؤذي أيضا (قدوتي) سيدنا أبا الفيض رضي الله عنه وعنا به آمين : وفي [د] قل لأصحابك لا يؤذي بعضهم بعضا فإنه يؤذيني ما يؤذيهم اه : أي لشدة اعتناؤه صلى الله عليه وسلم بالأحمدية وأهلها ، وقد مر أنه صلى الله عليه وسلم قال لسيدنا رضي الله عنه وعنا به آمين : أصحابك أصحابي وفقراؤك فقرائي وتلامذتك تلامذتي ، وفي الحديث « الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدى فن أحبه فبجى أحبه ومن أبغضهم فبغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » . وفي [م] :

والحذر الحذر أن تؤذي من كان أخاك في الطريقة احذرن

لأنها عن شيخنا التجاني إذابة للمصطفى العبداني

وسيد الوجود في ذا شلدا مصرحا ينهنا مؤكدا

وقال إن من يكون يفعل صار هباء في هواء عمله انظرها

(فكم) من أخ في الله (متهاون) ومستخف (بهذي البلية) والمحنة ، جبر الله حالنا وحاله وأصلح مآلنا ومآله على أن إذابة كل مؤمن من حيث هو مؤمن حرام كتابا وسنة وإجماعا ، قال تعالى - والذين

يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً - وفي الحديث « كل مؤذ في النار » وفي [ثيق] أخذ علينا العهد أن لا نعادي أحداً من المسلمين في هذا الزمان من أجل أحد بغير وجه شرعي ، وذلك لكثرة خصام الناس لبعضهم بعضاً وقلة احتمالهم لبعضهم فيؤدى ذلك إلى أنه لا يصير لنا قط صاحب ، هذا مع أن من نعادية يحب الله ورسوله بيقين ، ومن كان كذلك فيجب علينا أن نفنى بغضه وعداوته لصاحبنا مثلاً في محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : وقد حكى عن الشيخ محيي الدين أنه بغض مرة شخصاً كان يحط على شيخ من مشايخه ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهو يعرض عنه فقال له يا رسول الله ما ذنبى ؟ فقال تكره فلانا لأجل شيخك وأنت تعلم أنه يحبني ، لم لا أفنى بغضه لشيخك في محبته لي ؟ قال الشيخ محيي الدين : فقلت جزاك الله غنى من معلم خيراً يا رسول الله ، ومن ذلك اليوم ما كرهت أحداً من المسلمين إلا لله عز وجل ، فالحمد لله رب العالمين اهـ - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده - وعلى هذا المنوال فانسج ولا تسكن من أبناء التعصب والحمية فتبغض مسلماً أو تأكل لحماً محرماً ، والغيبة أعظم من ستة وثلاثين زنية في الإسلام ، فاحذر وحذر مما عليه أبناء الوقت من حمية الجاهلية فتجد كل واحد يتعصب لملقنه تعصباً فاسداً ويبغض من لم يتقيد بملقنه ظلماً وعناداً ويتجسس عن أحوال الإخوان وينقل بينهم الشنثان والعدوان ويتبجح بأن كل من لم يحب ملقنه فلاحظ له في الطريقة وأنه يبغض كل من يبغضه ، وأنى له العلم بذلك ، ياليتك أمسك عن هذا التشديد الذي يردى بلا تفنيد ، وربما استحسن ملقنه ذلك واستحلاه واستقر به بذلك واستملاه قال تعالى - سبحانه هذا بهتان عظيم - الآية ، وقد عمت البلوى بهذا الامتحان لكثرة الدعاوى والبهتان فشد عضدك وعض بنو جدك يا أخى على محبة سيدنا أبى الفيص وجميع أصحابه شرقاً وغرباً ، عرباً وعجماً ، حمراً وسوداً ، إنسا وجنأ ، برا وبحراً ، واجعلهم عندك كأسنان المشط ولا تجدد على أحد منهم أياً كان وأحببهم ما تحب لنفسك وادع لهم بخير الدارين ، وإياك والتجسس عن أحوالهم واشتغل بنفسك قال تعالى - إن إلينا إيابهم . ثم إن علينا حسابهم - وقال - ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء - ولا يستخفناك الذين لا يوقنون . والذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل - ولا بأس بليثار ملقنك بمحبة خاصة ودعوة صالحة من حيث إجراء الله نعمته عليك على يده ، وأما أن تؤذى مسلماً أو تبغضه من أجله فكلاوحاش ومعاذ الله ، لاسيما في هذا الزمان الكثير الافتتان والامتحان ، فلا ترى فيه إلا من يميل مع هواه حيث مال - ولا تسكن من الغافلين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم - قال رحمه الله :

(وَإِيَّاكَ وَالْأَمَانَ مِنْ مَكْرِ رَبَّنَا وَلَوْ فَقَتَ أَتْرَابًا بِكُلِّ فَضِيَّةٍ

فَلَانَفْسٍ مِنْ عَيْبٍ وَنَقْصٍ وَخِسَةٍ نَقِيرُ كَمَا لَا تِ الْإِلَهَ وَرِفْقَةٍ

فَمَحْضُ الرَّجَاءِ أَمْنٌ وَمَحْضُ مَخَافَةٍ إِبَاسٌ تَوَسَّطَ تَنْجٍ مِنْ قُبْحِ خَصْلَةٍ

فَبَيْنَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ كُنْ مِثْلَ طَائِرٍ وَخَفَ مِنْ عَذَابٍ وَارْجُ مِنْ وَسْعِ رَحْمَةٍ)

(وإياك و) لبس حلة (الأمان) ضد الخوف (من مكر ربنا) تعالى جده وتبارك خيره . وفي

[جه] وسألته رضى الله عنه عن حقيقة المكر فأجاب رضى الله عنه بقوله : حقيقة المكر هو إظهار

النعمة على العبد وبسطها له ، ثم يدرجه إلى غاية الهلاك في تلك النعمة يقول سبحانه وتعالى - أحسبون أنما نمدهم به من مال وبين . نساوع لهم في الخيرات بل لا يشعرون - وصفة العبد أن يكون دائماً خائفاً من ربه لا يأمن على نفسه بحال ولا يطمئن قلبه من خوف عذاب الله تعالى قال سبحانه وتعالى - والذين هم من عذاب ربهم مشفقون . إن عذاب ربهم غير مأمون - والأمان له جناحان كالطائر جناح وهو الأول : وهو الخوف وهو توجع القلب من خشية الوعيد وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام « المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، والمنافق يرى ذنوبه كالذباب مر على أنفه » والجناح الثاني : وهو الرجاء في الله سبحانه وتعالى بأن يغفر له ولا يعذبه ولا يتوقع فيه الأمان ، فإذا تمحض الرجاء وحده بلا خوف كان آمناً ، والأمن من الله تعالى عين الكفر بالله ، وإذا تمحض الخوف وحده كان يأمن بالله عز وجل ، والإياس من الله عز وجل عين الكفر والسلام ، وفي هذا المعنى يقول الشريشي :

ولا ترين في الأرض دونك مؤمناً ولا كافراً حتى تغيب (١) في القبر
فإن ختام الأمر عنك مغيب ومن ليس ذا خسر يخاف من المسكر اه
وفيه : وإياكم والعياذ بالله من لباس حلة الأمان من مكر الله في مقارفة الذنوب باعتقاد العبد أنه آمن من مؤاخذه الله له في ذلك ، فإن من وقف هذا الموقف بين يدي الحق ودام عليه فهو دليل على أنه يموت كافراً والعياذ بالله اه . وفي [مع] وأخبرني سيدي محمد انغالي أن الشيخ رضى الله عنه كثيراً ما ينشد لهم :

وآمن مكر الله بالله جاهل وخائف مكر الله بالله عارف
فلا جاهل إلا من الله آمن ولا عارف إلا من الله خائف
وفيه : وعدم الأمن من مكر الله شرط لازم في طريقتنا هذه ، ومن خالف وآمن ينسلخ عنها ولا يموت إلا كافراً والعياذ بالله تعالى اه . وفي [د] كل ما ذكرت لكم في هذه الطريق حق واقع إن سلمنا من مكر الله ، فالرسل عليهم الصلاة والسلام على جلالة قدرهم وعلو منصبهم ما آمنوا مكر الله - فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون - اه . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نخاف من سطوات ربنا وغضبه علينا ليلاً ونهاراً ولا نأمن مكر الله بنا في ساعة من ليل أو نهار ، وأعلم يا أخي أن أحداً لا يستغنى عن الخوف ولا يسقط عنه ولو بلغ الغاية مادام في هذه الدار ، ثم قال : فإن الإنسان كلما قرب من حضرة الله استعظمه وخاف منه وكلما بعد وحجب بالعكس ، نظير ذلك في الدنيا أصحاب حضرة السلطان فترى عندهم من الخوف منه ومن سطواته ما ليس عند البعداء عن حضرته ، وربما شتمه هؤلاء وتقصوه بخلاف من كان من أهل حضرته ، ثم قال : وكان معروف الكرخي إذا استيقظ من منامه يمسح على وجهه ويقول : الحمد لله الذي لم يغير صورتي صورة كلب أو خنزير لسوء أدبي ، وكان تلميذه السري السقطي ينظر إلى أنفه في اليوم كلها وكذا مرة مخافة أن يكون قد اسود وجهه ، وكانت رابعة العدوية لا تنام الليل وتقول : أخاف أن أؤخذ على بيات ، وكانت تنام وهي تمشي في الدار فإذا قيل لها في ذلك تلشد :

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدبر في أي المنازل تنزل

وأحوال السلف الصالح في الخوف كثيرة، وإياك والاقتداء بأهل هذا الزمان المتمشيعين بأنفسهم فإنك ربما تهلك ثم قال فاسلك يا أخى على يد شيخ حتى يخرجك عن مواطن تلميس النفس والشياطين، وتصير تخاف من الله عز وجل لتأمن عذابه يوم القيامة فإن من خافه هنا آمن منه هناك وبالعكس، انظره. وروى ابن حبان في صحيحه فيما يرويه صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل أنه قال «وعزى وجلالى لا يجتمع على عبدى خوفان وأمان إذا خافنى فى الدنيا أمنتى فى الآخرة»، وإذا أمنتى فى الدنيا أمنتى فى الآخرة» وروى «من خاف الله عز وجل خوف الله منه كل شئ ومن لم يخف الله خوفه من كل شئ» اهـ (ولو فقت) يقال فاق أصحابه علام فضلا وشرفا (أربابا) جمع ترب بكسر فوطة كقرن وأقران وزنا ومعنى (بكل فضيلة) وفاضلة قال تعالى - لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه - وفى الحديث «لقلب ابن آدم أشد انقلابا من القدر إذا استجمعت غليانا» وكثيرا ما يقول صلى الله عليه وسلم «يا مقلب القلوب ثبتنى على دينك» وفى رواية «اللهم يامثبت القلوب» الخ وفى [ثيق] أخذ علينا العهد أن لا تأمن على أنفسنا من الوقوع فى سائر الفتن مادمت فى هذه الدار ولو كان أحدنا شيخ مشايخ، فنأمن على نفسه من الوقوع فى الفتن بناء على إظهار القوة فى نفسه فهو من الجاهلين، ولو أنه مال إلى الضعف والعجز والانكسار لربما كان الحق تعالى يحميه من الوقوع فى كل ما لا ينبغي، والله تعالى أعلم اهـ. وفى [جه] إن الأمان من مكر الله تعالى وإن بلغ العبد من الله ما بلغ فى الاصطفاء والاجتباء فلا أمان عنده من مكر الله تعالى كما فى قضية آدم عليه السلام، وقد كان حين وقع به ما وقع من البلاء حين أنزله الله من الجنة بكى على فراقها مائة عام، وهو فى كرب وحزن وشدة ألم حتى شكت الملائكة من ريح كبده، وقالوا ما حل بهذا المسكين بعد أن أمرهم الله تعالى بالسجود له، انظره. وفى [غص] وسألته رضى الله عنه عن العبد إذا أعطاه الله تعالى الأمان من سوء الخاتمة أعليه ضرر؟ فقال علمه باليقين فى ذلك يوجب الخوف عليه من سوء الخاتمة، فإنه ما علم حقيقة إلا يقين نفسه، فعلمه علم الوقت يذهب بذهابه ولا وصول له إلى يقين ما يحكم فيه الحق تعالى قبل وبعد إذ لا تقييد عليه تعالى، ومن أمان من سوء الخاتمة فقد قيد عليه سبحانه بأنه لا يغير ما فعله، ومن أين للعبد علم بذلك؟ بل لو قدر أن الله كلم عبدا بلا واسطة وأقسم عليه بنفسه تعالى أنه لا يمكر به وأنه سعيد فلا يلغى للعبد أن يركن إلى ذلك، لأنه تعالى واسع عليهم ولا علة لثوابه أو عقابه فى نفس الأمر - كل يوم هو فى شأن - ولولا الأدب لقلنا كل لحظة أو طريقة له شؤون لا تحصى - إن كنت قلته فقد علمته - وهز على كل شئ رقيب اهـ والمراد باليوم فى الآية الزمان الصادق بالقليل والكثير فيشمل اللحظة وغير ذلك، وفيها: وسألته رضى الله عنه عن الكامل هل له الركون إلى عدم مكر الحق تعالى به؟ فقال: الكامل لا يحكم على الله بشئ ولو بلغه أعلى المقامات، وقال له رضيت عنك رضائى الأكبر فبعد ذلك لا يؤمنه تعالى، وذلك ليوفى الألوهية حقها، وتأمل يا أخى ماورد «أن جبريل وإسرافيل لما خلق الله النار طافقا بيكيان فأوحى الله تعالى إليهما ما بيكيكما وهو أعلم فقالا نخوفا من مكرك، فقال لهما الحق تعالى فهكذا كونا لا تأمنا مكرى» والله أعلم اهـ. وفى الحديث «أنا أعلمكم بالله وأشدكم له خشية» وفى [هب] قال أبو طالب المسكى رضى الله عنه: ومن خوف العارفين علمهم بأن الله عز وجل يخوف عباده بمن شاء من عباده الأعلين يجعلهم نكالا للأدنين، ويخوف العموم من خلقه بالتنكيل ببعض الخواص من عباده حكمة له وحلما

منه ، فعند الخائفين في علمهم أن الله تعالى قد أخرج طائفة من الصالحين نكالا خوفاً بهم المؤمنين ، ونكل بطائفة من الشهداء خوف بهم الصالحين ، وأخرج جماعة من الصديقين خوف بهم الشهداء ، والله أعلم بما وراء ذلك ، فصار من أهل كل مقام عبرة لمن دونهم وموعظة لمن فوقهم وتخويف وتهديد لأصحابهم ، وهذا داخل في وصف من أوصافه وهو ترك المبالاة بشيء من العلوم والأعمال فلم يسكن عند ذلك أحد من أهل المقامات في مقام ولا نظر أحد من أهل الأحوال إلى حال ولا أمن مكر الله عز وجل عالم به في كل الأحوال اه . وقال أبو حامد رضي الله عنه : إن الأمور مرتبطة بالمشيئة ارتباطاً يخرج عن حد المعقولات والمألوفات ولا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس وحسبان فضلاً عن التحقيق والاستيقان ، وهذا الذي قطع قلوب العارفين ، إذ الطامة الكبرى هي ارتباط أمرك بمشيئة من لا يبالي بك ، ثم قال : قال بعضهم : لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الإسلام على باب الحجرة لا اخترت الموت على الإسلام ، لأنني لا أدري ما يعرض لقلبي من باب الحجرة إلى باب الدار . وكان سهل يقول : خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله تعالى إذ قال تعالى - وقلوبهم وجلة - قال : وكان سهل يقول : المريد يخاف من المعاصي ، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر . وكان أبو يزيد يقول إذا توجهت إلى المسجد فكان في وسطى زنار أخاف أن يذهب بي إلى البيعة أو بيت النار حتى أدخل المسجد ، فينقطع عني الزنار ، فهذا دأب كل يوم خمس مرات اه . وللشريشي رضي الله عنه :

ولأنك ممن يحسن الفعل عنده فيفسد إلا أن تفر إلى الكسر
ومن حل من صدق الإنابة منزلاً يرى العيب في أفعاله وهو مستبر

وفيه : من علامة من تولاه الله في أحواله أن يشاهد التقصير في إخلاصه والغفلة في أذكاره والنقصان في صدقه والفتور في مشاهدته وقلة المراعاة في فقره فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد فقراً إلى الله عز وجل في قصده وسيره ، وقال أبو عمر إسماعيل بن مجيد رضي الله عنه : لا يصفو لأحد قدم في العبودية حتى تكون أفعاله عنده كلها رياء وأحواله كلها دعاوى ، فالنفس مجبولة على ضد الخير لولا فضل الله عليه ورحمته قال تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمازكتكم من أحد أبداً - وقال عز من قائل - وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي - وقال بعض السادات رضي الله عنه : ما هنالك إلا فضله ولا نعيش إلا في ستره ولو كشف الغطاء لكشف عن أمر عظيم فلذا تبرأ الأكابر من أعمالهم الصحيحة فضلاً عن غيرها حتى قال أبو يزيد : لو صفت لي تهليلة واحدة ما باليت بعدها بشيء ، وقال أبو سليمان الداراني : ما استحسننت من نفسي عملي فاحتسبته ، انظره . وفي [شب] وقد كان السري السقطي يقول : كل من ظن من نفسه أنه محسن فهو من زين له سوء عمله ومن لم يظن من نفسه أنه هالك فهو هالك . وكان سيدي على الخواص يقول لتلميذه الإمام الشعراني : إن لم تخف أن يهلكك الله تعالى بالنقص الذي في أعمالك الصالحة عندك فضلاً عن معاصيك فأنت هالك ، فتأمل ذلك يا أخى وتيقن أن الناجي من اتهم نفسه بالتقصير وباعها في مرضاة المعلم الخبير اه :

ذنوبك في الطاعات وهي كثيرة إذا عددت تكفيك عن كل زلة

(فلنفس) أى فلنفسك الأمانة بالسوء (من عيب ونقص) ضد الكمال (وخسة) ودناءة
وحقارة (نظير) وشبيه (كمالات الإله) جل جلاله (ورفعة) وشرف ومجد فكما لانهاية لكمالاته تعالى
الجلالية والجمالية كذلك لانهاية لعبوب النفس ونقائصها ودسائسها وخسائسها ، اللهم ملكنا أنفسنا
ولا تساطها علينا ولا تكلنا إليها طرفة عين ولا أقل من ذلك بحاجه صلى الله عليه وسلم وجاه القطب
المكتوم سيدنا أبى الفيض رضى الله عنه وعنايه أمين . وفى [جه] وإذا تكلم أحد بما يشير إلى الدعوى
وثناء منه على نفسه قابله بالعكس وجعل يتكلم فى عيوب النفس ودسائسها ، ويظهر له خسائسها ودقائقها
وما اشتملت عليه من العيوب والنقائص والذائل التى هى شأنها ووصفها ، ولا تحب أن تتصف إلا
بأوصاف الربوبية كالكبر والعظمة مع أنها لا تخصى معانيها ، ولها من النقص مثل ماله من الكمالات
يعنى لانهاية لها ، ولولا أن الله يحول بين المرء وبينها لهلك ولو أنه خلى سبيلها لكفر بالله كما كفر بأمنه
ويقول إذا أراد الله هلاك عبده وكله إليها ولم يزد شيئا ، وإذا أراد رحمته عرفه نعمه وأهمه شكرها
وجنبه كفرها وذلك هو أصل كل خير اه . وفيه : فإذا تحقق الإنسان بأوصافه الناقصة علم أن الأوصاف
الكاملة إنما هى لله سبحانه ، فإذا تحقق بعجز نفسه تحقق بوصف القدرة لربه يعلم أنه القوى بقهره
وبين تعريفات الحق سبحانه للعبد فى نفسه ويتلو قوله تعالى - وفى أنفسكم أفلا تبصرون - ويقول : إن
فى كل حال من أحوال العبد دلالة على ربه وإن الله سبحانه خلق العبد وأحاط به العجز فى حركاته
وسكناته وسائر أحواله وتقلباته ، فإذا جلس أعباه الجلوس وإذا قام أعباه القيام ، وإذا أطال النوم مل
وإذا أطال التيقظ اضطرب إلى المنام ، وإذا توكأ أعباه التوكؤ ، وإذا أكل أثقله الشبع وإذا ترك الأكل جاع ،
وقس على هذا ليكون مفتقرا فى كل أحواله إلى مولاه ويعترف بقدرة سيده وغناه وينفض يده عن كل
ما سواه عرفاً منه سبحانه وإليه وجهه له لو شعر عليه ، فسبحان الحكيم العليم الذى أحاط بكل شىء علمه ونفذ
فى كل شىء أمره وحكمه اه . وفى [جد] وسمعت رضى الله عنه يقول : من غوائل النفس شهود العبد أنه مستغن بالله
عن الناس ، لأن ذلك يحجبه عن شهود افتقاره إلى الله تعالى الذى هو صفة الخلق كلهم على الدوام حتى
الملوك كل ذلك تحجبها فى اسم الفناء ومزاحمتها ، ومع ذلك فلم يتنبه أكثر الناس له ولا صغوا إليه ، فالكمال
من أبقى عليه خلعة ربه ولقبه واسمه الذى لقبه به وسماه ولم يخرج عن موطنه والسلام اه . قال تعالى -
يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد - والله الغنى وأنتم الفقراء - وخلق الإنسان ضعيفا -
وفى الحكيم : أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس ، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم
الرضا منك عنها ، ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن
نفسه ، فأى علم لعالم يرضى عن نفسه وأى جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه اه (فمحض الرجا) قصره
لا وزن أى فالرجاء الخالص (أمن) أى أمان من مكر الله قال تعالى - فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون -
(ومحض مخافة) أى وخوف خالص (إياس) من أيس قنط قال تعالى - ومن يقنط من رحمة ربه إلا
الضالون - وقال - ولا تيأسوا من روح الله إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون - وفى [ثيق]
أخذ علينا العهود أن لا نقنط فى هذا الزمان من رحمة الله تعالى لأجل ما نقص من علمنا وعملنا ، وما دام معنا
الإيمان ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلماء والصالحين فالعفو يشملنا إن شاء الله تعالى . ومن
كلام سيدى على الخواص رحمه الله : لا تقبض فى هذا الزمان إلا على الإيمان الكامل فإنه أساس دينك
الذى تبنى عليه ماشئت من الخيرات ، ولأن يأتى العبد ربه يوم القيامة فقيرا من جميع العلوم والأعمال

ومعه الإيمان فقط أحب من أن يأتي ربه بالعلوم والأعمال وفي إيمانه ثلم ، فالكمال والنقص في الإنسان راجع إلى قوة إيمانه وضعفه ، ورب عمل قليل رجع على عمل كثير من حيث ما فيه من قوة الإيمان - والله عليم حكيم - ورحم الله من قال :

وقد بدا النقص في الأحوال أجمعها وبذلت صفوة الأوقات بالكدر
اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة آمين (توسط) بين الأمرين لقوله صلى الله عليه وسلم « خير الأمور أوسطها » ورحم الله من قال :

ولا تعد في كل الأمور توسطاً كلا طرفي قصد الأمور ذم
ومن قال: عليك بأوسط الأمور فإنها طريق إلى نهج الصراط قويم
ولأنك فيها مفرطاً أو مفرطاً فإن كلا حال الأمور ذم
(تنج) تسلّم (من قبح خصلة) أي من خصلة قبيحة وعلة ذميمة ومعضلة (فبين الرجاء) قصره
للوزن (و) بين (الخوف كن مثل طائر) بين جناحيه لكن ينبغي تغليب جانب الخوف في حال
الصحة وجانب الرجاء في حال المرض لأن غلبة الخوف في حال الصحة تحرق نار الشهوة وتوجب
الإقبال على العمل الذي يوصل العبد إلى مولاه الكريم ، وغلبة الرجاء عند الموت توجب المحبة التي ينشأ
عنها الشوق إلى واسع الجود والكرم ، ورحم الله من قال :

أخاف إلهي ثم أرجو نواله ولكن خوفي غالب لرجائيا
ولولا رجائي واتكأ على الذي تكفل لي بالصنع كهلاً وناشياً
لما ساغ لي عذب من الماء بارد ولا لذي نوم ولا زلت باكياً
على أنه قد كان مني جهالة ليالي فيما كنت لله عاصياً

ومن قال : وغلب الخوف على الرجاء وسر لمولائك بلا تناء (١)

لأسباب في هذه الأزمنة التي رقت فيها الديانة وكثرت فيها الجراءة على المعاصي وقلت فيها الأمانة
وكثرت فيها الخيانة واضطربت فيها بحور الفتن وتلاطمت فيها أمواج الخن - إنا لله وإنا إليه راجعون -
اللهم بمحض فضلك وبجاه نبيك صلى الله عليه وسلم اجعلنا من ضنائك خلقتك المصطفين الأخيار الذين
لاخوف عليهم وهم لا يحزنون دنيا وأخرى آمين . وفي الحكم : الرجاء ما قارنه عمل ، وإلا فهو أمنية ؛
وقال الحسن رضي الله عنه : إن قوما ألهمهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنة يقول
أحدهم أحسن الظن بربي وهو يكذب ، إذ لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل ، وتلا قوله تعالى - وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين - وفي [حي] قال يحيى بن معاذ : من أعظم
الاعتزاز عندى التماذى في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة ، وتوقع القرب من الله تعالى بغير
طاعة ، وانتظار زرع الجنة ببذر النار ، وطلب دار المطيعين بالمعاصي ، وانتظار الجزاء بغير عمل ،
والتمنى على الله عز وجل مع الإفراط ، ورحم الله من قال :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليبس انظره

وفي [عف] علامة الرجاء حسن الطاعة ، وقيل الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال ، وقيل قرب القلب
من ملاطفة الرب . قال أبو علي الروذباري : الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطائر

وتم في طيرانه . قال أبو عبد الله بن خفيف : الرجاء ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو . قال مطرف : لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا ، والخوف والرجاء للإيمان كالخناجين ، ولا يكون خائفا إلا وهو راج ولا راجيا إلا وهو خائف ، لأن موجب الخوف الإيمان ومن الإيمان رجاء ، وموجب الرجاء الإيمان ومن الإيمان خوف ، ولهذا المعنى روى عن لقمان أنه قال لابنه : خف الله تعالى خوفا لا تأمن فيه مكره وأرجه أشد من خوفك ، قال فكيف أستطيع ذلك وإنا على قلب واحد ؟ قال أما علمت أن المؤمن لذو قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر ، وهذا لأنهما من حكم الإيمان اه . وفيه قال أبو عمر الدمشقي : الخائف من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان ، وقال بعضهم : ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه ، ولكن الخائف التارك ما يخاف أن يعذب عليه ، وقيل الخائف الذي لا يخاف غير الله ، قيل أن لا يخاف لنفسه إنما يخاف إجلاله ، والخوف للنفس خوف العقوبة ، انظره . وفي [جـ] وما جاء أحد مظهرا للرجاء غافلا عن اللجأ إلا خوفا من سطوة الله وقهره وسرعة نفوذ قضائه وأمره حتى يذهب خائفا مذعورا ، وما جاءه خائف أولا هف إلا سلاه ورجاه وعرفه فضل مولاه حتى يذهب فرحامسورا يريد بذلك جمع العبد في الحالتين على مولاه وأن لا يقف مع شيء سواه ، ثم قال : وإذا ذكر له أحد عن نفسه عملا صالحا لأمه على ذكره ، أو عرفه بما جهل من أمره فأخرج له دسائس ذلك العمل وعلائله حتى يتبين له أنه معلول مدخول لا يترك لأحد شيئا يعتمد عليه ولا عملا يستند إليه ولا حالة يأنس بها ولا الركون إلى شيء إلا لفضل الله ورحمته ، وكثيرا ما يستشهد بقوله ما عندنا إلا فضل الله ورحمته وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم اه (وخف من عذاب) الله وعقابه فإنه عزيز ذو انتقام وهو شديد العقاب . وفي [جـ] « خشية الله رأس كل حكمة والورع سيد العمل » وفيه إذا أقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه خطاياها كما يتحات على الشجرة الثيابسة ورقها » ورحم الله من قال :

الله يعلم ما إثم هممت به إلا ونفصه خوفا من النار
وإن نفسى ما هممت بمعصية إلا وقلبي عليها عائب زار

ومن قال : دموع الفتي عما يحن تترجم وأنفاسه يبدن ما للقلب يكتم

وفي [حـ] وقال عليه الصلاة والسلام « رأس الحكمة مخافة الله » وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود « إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف بعدى » وقال الفضيل : من خاف الله دله الخوف على كل خير . وقال الشبلي رحمه الله : ما خفت الله يوما إلا رأيت له بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط ، وقال يحيى بن معاذ : مامن مؤمن يعمل سيئة إلا ويلحقها حسنتان خوف العقاب ورجاء العفو ، وكنعلب بين أسدين ، ثم قال : وقال صلى الله عليه وسلم « قال الله عز وجل وعزنى لأجمع على عبدى خوفين ولا أجمع عليه أمنين ، فإن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا خافنى فى الدنيا أمنت يوم القيامة » وقال صلى الله عليه وسلم « من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء » وقال صلى الله عليه وسلم « أتمسكم عقلا أشدكم خوفا لله تعالى وأحسنكم فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه » وقال يحيى بن معاذ رحمه الله عليه : مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة ، وقال ذو النون رحمه الله تعالى : من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه ، وقال ذو النون أيضا : ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فإذا غلب الخوف تشوش القلب ، وكان أبو الحسن الضرير يقول : علامة السعادة خوف الشقاوة ، لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده ، فإذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين : وقيل ليحيى بن معاذ : من آمن الخلق غدا ؟ فقال أشدهم خوفا اليوم . وقال سهل

رحمه الله : لا تجرد الخوف حتى تأكل الحلال . وقيل للحسن يا أبا سعيد كيف نصنع ؟ نجالس أقواما يخوفوننا حتى تسكاد قلوبنا تطير ؟ فقال والله إنك إن تخالط أقواما يخوفونك حتى يدركك أمن ، خير لك من أن تصحب قوما يؤمنونك حتى يدركك الخوف ، وقال أبو سليمان الداراني : ما فارق الخوف قلبا إلا خرب ، وقالت عائشة رضي الله عنها « قلت يا رسول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة - هو الرجل يسرق ويذني ؟ قال : لا ، بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه » انظره ، وفي [جد] سألت شيخنا رضي الله عنه عن الخوف من الله عز وجل هل هو حقيقة من ذات الحق تعالى أو بما يكون من الحق ؟ فقال رضي الله عنه : لا يصح الخوف من ذات الحق تعالى لجهل الخائف بها وإنما يخاف العبد مما يكون منه تعالى قال تعالى : يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار - فما خافوا إلا اليوم لما فيه من الشدائد ، فقلت له فما معنى قوله تعالى - يخافون ربهم من فوقهم - ؟ فقال معناه يخافون من الأسباب الخفية التي فوقهم ، فقلت له فهل يحصل عدم الخوف لأحد من المقربين ؟ قال : لا ، ولو بلغ أعلى المراتب في الجنة لعلم المقربين بسعة الإطلاق الإلهي ، فقلت له فتي يزول خوفه ؟ قال يزول خوفه بدخول الجنة ، والله أعلم اهـ . وفيها : سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول : من كمال الرجل أن يخاف مما خوفه الله منه في الدنيا والآخرة ، وهذا أمر قل أن يتفطن له لاسيما القائلون بالوحدة المطلقة بحكم الوهم ، فقلت له قد ذكروا أن من شرط العارف أن يكون على بصيرة من أمره ، ومن هو كذلك فكيف يخاف ؟ فقال رضي الله عنه : ليس أحد على بصيرة من أمره إلا في مرتبة التقيد ، أما مرتبة الإطلاق التي منها - يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء - فالخوف واقع وبتقدير انتفاء الخوف في مرتبة الإطلاق فالأدب أن يخاف من الله تعالى امتثالاً لأمره في قوله تعالى - وخافون إن كنتم مؤمنين - فقلت له قد علق الله تعالى الخوف منه بمن كان مؤمناً ، والإيمان حجاب والعارف قد رفع حجابيه بدخول حضرة الإحسان وصار الأمر كشفاً له ؟ قال رحمه الله : ولو صار الأمر كشفاً له فلا بد من الحجاب ، غاية الأمر أن الحجاب رقيق عند الكشف كما يرى الإنسان ما في الزجاج الصافي مع حجاب الزجاج . وإيضاح ذلك أن الإيمان مصاحب لسائر المراتب كمصاحبة الواحد في مراتب العدد ، وقد أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : يا موسى خفي وخف نفسك وخف من لا يخافني وهم أعداء الله فأمره بالخوف من غيره وهو من أولى العزم من الرسل ، فامتثل الأدباء أمر الله وخافوا من أعداء الله ، كما شكروا غير الله من المحسنين بأمر الله تعالى ، فقلت له فإذا العارف في عبادة إلهه في حال خوفه من الخلق في حال شكره لهم ؟ فقال رضي الله عنه نعم ، وهو صراط دقيق قل سالسكه لاسيما أرباب الأحوال فإنهم لا يعرفون له طعماً ، انظره (وارج من وسع) كقفل السعة (رحمة) الله التي وسعت كل شيء ، وفي [حى] فقد روى أبو موسى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أمتي أمة مرحومة لا غذاب عليها في الآخرة ، عجل الله عقابها في الدنيا بالزلزال والفتن ، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمتي رجل من أهل الكتاب فقبل : هذا فداؤك من النار » وفي لفظ آخر « يأتي كل رجل من هذه الأمة يهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول هذا فداؤك من النار فيلقى فيها » وقال صلى الله عليه وسلم « الحمى من فيسج جهنم وهي حظ المؤمن من النار » وروى في تفسير قوله تعالى « - يوم لا ينزي الله النبي والذين آمنوا معه - أن الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام إنني أجعل حساب أمتك إليك ؟ قال لا يارب ، أنت أرحمهم مني ، فقال إذا لانخزيك فيهم » وروى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

سأل ربه في ذنوب أمته فقال يا رب اجعل حسابهم إلى ثلاث يطلع على مساوئهم غيري ، فأوحى الله تعالى إليه : هم أمتك وهم عبادي وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم إلى غيري لئلا تنظر إلى مساوئهم أنت ولا غيرك ، ثم قال : وفي الخبر « إذا أذنب العبد ذنبا فاستغفر الله يقول الله عز وجل ملائكته انظروا إلى عبدی أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنوب أشهدكم أني قد غفرت له » وفي الخبر « لو أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرتني ورجاني » وفي الخبر لو لقيني عبدی بقراب ^(١) الأرض ذنوبا لقيته بقراب الأرض مغفرة » وفي الحديث « إن الملك ليرفع القلم عن العبد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتبه عليه وإلا كتبها سيئة » وفي لفظ آخر « فإذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب اليمن لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألقى هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة تضعيف العشرة وأرفع له تسع حسنات فتلقى عنه السيئة » ثم قال « وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني لا أصوم إلا الشهر لا أزيد عليه ولا أصلي إلا الخمس لا أزيد عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع أين أنا إذا مت ؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : نعم معي إذا حفظت قلبك من اثنتين : الغل والحسد ، ولسانك من اثنتين الغيبة والكذب ، وعينيك من اثنتين النظر إلى ما حرم الله ، وأن تزدري بهما مسلما دخلت معي في الجنة على راحتى هاتين » ثم قال : وقال صلى الله عليه وسلم « لله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها » وفي الخبر « ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد حتى إن إبليس لعنه الله ليتناول لها رجاء أن تصيبه » وفي الخبر « إن لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعا وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فيها يترحم الخلق فتحن الوالدة على ولدها وتعطف البهيمة على ولدها ، فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه ، وكل رحمة منها طباق السموات والأرض قال : فلا يهلك على الله يومئذ إلا هالك » اهـ . يا أرحم الراحمين ارحمنا بحض فضلك وإحسانك وكرمك وامتنانك وبجاءه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وبجاء سيدنا أبي الفيض رضى الله عنه وعنايه آمين - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - والله تعالى أعلم وأحكم . قال رحمه الله :

[فصل : في شرط الطهارة المائية لجوهرة الكمال في مدح سيد الرجال]

صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم

(وَلَا بُدَّ مِنْ طَهَارَةِ الْمَاءِ فِي الَّتِي بِجَوْهَرَةِ الْكَمَالِ تُدْعَى بِحَضْرَةِ
بِعِشْرِينَ أَبْدَلًا مِنْ صَلَاةِ الْفَرِيدَةِ لِقَرَضِ نَيْمٍ لِأَجْلِ الضَّرُورَةِ
وَعَجْزٍ عَنِ الطَّهَارَةِ الْحَبْنِيَّةِ وَضَيْقِ الْمَكَانِ عَنْ جُلُوسِ لِسْتَةٍ
وَذَا فِي مَكَانٍ وَاسِعٍ غَيْرِ طَاهِرٍ فَتَقْتَلِي بِطَاهِرٍ صَغِيرٍ كَخُلُوفٍ)

(ولا بد أي لا محالة ولا مندوحة) (من) شرط (طهارة الماء) ولا تسكني الترابية (في) قراءة

الصلاة (التي) تدعى وتسمى (بجوهرة الكمال) في مدح سيد الرجال صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهي : اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية الخ (تدعى) بذلك (بحضرة) أحمدية محمدية . وفي [جه] ولا تقرأ جوهرة الكمال إلا بالطهارة المائية لا بالترابية لأن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر عند

قراءتها اه . وفي [د] من تيمم لا يقرأ جوهرة السكال ويجعل مكانها عشرين من صلاة الفاتح لما أغلق الخ لأنها لا تقرأ إلا بالطهارة المائية والفراش الطاهر الذي يسع ستة من الناس لأنه صلى الله عليه وسلم يحضر والخلفاء الأربعة رضى الله عنهم عند السابعة من الجوهرة اه . وفي [مب] وتوب عنها : أى عن الجوهرة عشرون من صلاة الفاتح لما أغلق لغير المتوضى ، ومن أتى بالجوهرة وهو متيمم أو العكس فإن أمكن التدارك أتى بما عليه وإلا استغفر الله اه . وهذا منه رضى الله عنه وعنايه أمين مبنى على أن شرط الطهارة المائية فيها إنما هو شرط أدنى لا غير وليس بشرط صحة فيها والله أعلم ، وعن بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه أن ذلك شرط صحة فيها لا أدنى فقط كما قيل ، ولذا قال إن من تيمم وقرأ جوهرة السكال عمدا أو جهلا أو سهوا فلا بد أن يعيد وظيفته ويجعل مكانها عشرين من صلاة الفاتح لقول سيدنا الشيخ رضى الله عنه وعنايه أمين لا تقرأ جوهرة السكال إلا بالطهارة المائية لا بالترابية ، وكذا من توضأ وقرأ صلاة الفاتح عشرين مكانها فلا بد من إعادة وظيفته لأنه أدخل بركن من أركانها ولإتيانه بالبدل مع تأتى المبدل منه ، ولا يكفي في ذلك الجبر بمائة من الاستغفار والله تعالى أعلم . واعلم يا أخى أن هذا شرط خاص لأمر خاص في مقام خاص لحكم تدق عن الأفهام يعلمها سيدنا الإمام الذى شرط ذلك في هذا المقام بإذن من سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ، ولهذا قال رحمه الله ورضي عنه لمن سأله عن سبب اختصاص الجوهرة بهذا الشرط ؟ لو كان للعقل مجال في ذلك وأمكن القياس على ما هنالك لقبل إن أهيلة يوم الجمعة كان النبي صلى الله عليه وسلم يحضرها ، كذلك فهي أيضا لا تقرأ إلا بالطهارة المائية دون الترابية كالجوهرة لأن النبي صلى الله عليه وسلم يحضرها لكن مالنا إلا اتباع أحمد يسعنا ما يسعه وما أمرنا به نتبعه ، وغيره لا نبتدعه ، وافعل ما أمرت به تعبدنا معتقدا لا منتقدا ، وإياك ولم فتقع في الردى . وفي [جد] سألت شيخنا رضى الله عنه هل الأولى بالمريد البحث عن علل الأحكام قبل فعلها أم الإقبال على العمل بمجرد سماع أمر الشارع بذلك أو العلماء ؟ فقال رضى الله عنه : الأفضل المبادرة للعمل من غير معرفة علة ، لأن الحكم إذا علل ربما يكون الباعث للعبد على العمل حكمة تلك العلة اه . قلت : ومن كلام الشيخ محيى الدين بن العربي رضى الله عنه نحن لانعلل ولا نظرد^(١) العلة لأن الأمر لا يخلو إما أن يكون منظوقا به فهو كما قال ، وإن كان . سكوته عنه فهو على حكم الإباحة والله أعلم . وفي البخارى قال أبو الزناد إن السنن ووجوه الحق لتأتى كثيرا على خلاف الرأى فما يجد المسلمون بدا من اتباعها أى ويوكل الأمر فيها إلى الشارع ويتعبد بها من غير اعتراض كأن يقال لم كان كذا ، من ذلك أن الحائض تقضى الصيام ولا تقضى الصلاة ، ومقتضى الرأى أن يكونا متساويين في الحكم لأن كلا منهما عبادة تركت لعذر لكن الأمور الشرعية الآتية على خلاف القياس لا يطلب فيها وجه الحكمة بل يوكل أمرها إلى الله تعالى لأن أفعال الله تعالى لا تخلو عن حكمة لكن غالبا يخفى على الناس ولا تدركها العقول انظر إرشاد السارى (بعشرين) مرة أو بأربعة وعشرين كما في رواية أو بخمسة وعشرين كما في أخرى (أبدل) أى اجعل بدلها ومكانها ما ذكر (من صلاة) الباقوتة (الفريدة) وهى : اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق الخ (افترض تيمم) بتسكير أى لأجل كون فرضك التيمم للصلاة (لأجل الضرورة) من عدم ماء أو خوف ضرر في استعماله قال تعالى - فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا - (و) لأجل (عجز) عن الطهارة الخبثية أى عن إزالة النجاسة المحققة أو المظنونة

(١) نظرد بقشديد طاء من اطرده اتبع اه .

ظننا قويا وبلغى الشك والوهم ثوبا أو بدنا أو مكانا : وفي [مح] ولا تقرأ جوهرة السكالم إلا بالطهارة المائية من الحدث والخبث وطهارة الثوب والمكان ويكون الذاكر بها جالسا فإن فقد شرط من هذه الشروط فلنأها لا تقرأ في الوظيفة وتقرأ صلاة الفاتح لما أعاق بدلها عشرين مرة اه . وقوله رضى الله عنه وعنا به أمين ويكون الذاكر بها جالسا : أى فى حق غير المسافر ، وأما المسافر فيقرأها قائما ماشيا ، فإذا بلغ السابعة يجلس إن لم يخف ، ولم تحصل مشقة فى فوات رفقته وإلا فلا ، والله أعلم .

[تنبيه] سئل بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه عن كان فى أثناء الجوهرة فذكر النجاسة فى ثوبه أو بدنه أو مكانه هل يكفيه ما قرأ منها ويأتى ببدل مابق منها من صلاة الفاتح ؟ فأجاب بأنه يقطعها ويزيل النجاسة ويعيد وظيفته لأن الطهارة الخبثية شرط صحة فيها ولأن صلاة الفاتح إنما تكون بدلا عن الجوهرة عند العجز عن الطهارة الخبثية وعن قرأ من الجوهرة ستا فلما شرع فى السابعة تلفت له كأنها بحيث من حافظته قال تعالى - سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله - فأجاب بأنه يأتى بالبدل وهو عشرون من صلاة الفاتح ، وعن غلبه الحدث فى الأخيرة من الجوهرة هل تصح وظيفته لأنها كانت فى ابتداء الأمر إحدى عشرة مرة أم لا ؟ فأجاب بأنه يعيد وظيفته لبطانها بانتقاض وضوئه ، ولا وظيفة لمن لا وضوء له أو بدله بشرطه ، ولا عبرة بالأصل لأنه صار نسيا منسيا ومنسوخا : وفى [م] :

وفى حياة شيخنا قد زادوا واحدة فزيدها سداد

قال تعالى - اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً - فافهم ، والله أعلم .

[تنمة] مما تشترط فيه الطهارة المائية الإسم الأعظم والفاتحة بنية . وفى [جه] وسألته رضى الله عنه عن احتلم فى السفر ولم يقدر على الاغتسال بوجه من الوجوه هل يذكر جميع ما عنده من الأوراد أم لا ؟ فأجاب رضى الله عنه بقوله : إنه يتيمم ويذكر جميع أوراده كالسينى وغيره إلا الفاتحة بنية الإسم فلا يقرأها ولو طال الحال إلى الأبد إلا بطهارة مائية كاملة . قال الشيخ رضى الله عنه : سألت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أذكر الإسم الأعظم بالتيمم للمرض إذا أصابنى ولم أقدر على الوضوء ؟ قال لى لا ، إلا أن تذكره بالقلب دون اللسان ، ثم قال سيدنا رضى الله عنه : هذا حكم من احتلم فى السفر وأما من احتلم فى الحضر والصحة فلا يذكر شيئا من ورده إلا إذا اغتسل ، ثم قال : إياك إياك أن تؤخر صلاة الصبح أو غيرها من صلاة الفرض حتى يخرج الوقت لأجل الغسل فإنه لا يحل إلا للمرض أو لعدم القدرة على استعمال الماء ، وأما ذكر الفاتحة بنية الإسم فلا تقرأها بالتيمم لافى السفر ولا فى المرض ولو طال الحال إلى الأبد اه (و) لأجل (ضيق المكان) الذى تقرأ فيه الجوهرة (عن) مقدار (جلوس لسته) أى عن جلوس ستة أنفس (وذا) أى وما ذكر من التحديد بمقدار جلوس ستة أنفس عند ضيق المكان خاص (بمكان واسع) متنجس (غير طاهر) وكثيرا ما يقع ذلك للمسافر ونحوه ، وإذا كان الأمر كذلك (فتلى) الجوهرة (بطاهر) أى بمكان طاهر صغير ضيق جدا عما ذكر بل ولو لم يسع إلا قارئها وحده وذلك (كخلوة) بفتح معجمة معروفة عند أهلها وفى [م] :

فمن يكن عجز عن تطهير ما يلبسه أو حكمه التيمما
أو كان قد عجز عن تطهير بدنه الكثير واليسير

أو عن طهارة مكان وسعه مع النبي والخلفاء الأربعة
فحكم هذا جعله منها بدل عشرين من فريدة كما انتقل

وفي [غ] والمراد أن الذكر إذا كان في مكان متسع مثلاً وأراد قراءة الجوهرة فيه فإنه ينظر فإن
كان محل جلوسه طاهراً وما اتصل به كذلك طاهر بقدر ما يسع ستة نفر على فرض جلوسهم معه فإنه يذكرها
ولا عليه فيما زاد على ذلك إن لم يكن طاهراً ، وإن نقص محل الطهارة عن ذلك كأن يكون الطاهر من
البقعة بقدر ما يسع المصلي لسجوده مثلاً فإنه يصلي به ويذكر الوظيفة ويبدل مكان جوهرة الكمال عشرين
من صلاة الفاتح لما أغلق ، لأن جوهرة الكمال مشروط في قراءتها طهارة المكان المقدر بما ذكر ، وغير
خاف أنه شرط أدبي في بساط خاص فافهم فالتقدير فيما يسع ستة من الناس لذات البقعة التي تطلب
طهارتها للأجل من يحضر بها ، والأصل من هذا القدر في البقعة التباعد عن محل النجاسة أعني تباعد أنفاس
الذاكرين عن النجاسة ، ألا ترى أن من كان في بيت صغير كالبيت المطلوب في الخلوة بحيث لا يسع
إلا واحداً لجلوسه فقط والفرض أنه طاهر له أن يذكر الجوهرة ، بل هو مطالب بقراءتها في الوظيفة
بلاشك والحضور من النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة حاصل قطعاً ، ولا يبحث عن الكيفية
في ذلك لأنه من باب خرق العادة ، ولو كان التطهير المشروط لأجل جلوس من يحضر لما صح ذلك
الحضور في بيت الخلوة مثلاً الذي لا يسع إلا رجلاً واحداً فتأمل منصفاه . قلت : تأملنا فإذا كما قيل :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

ربنا آتتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا شدا - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - والله
تعالى أعلم وأحكم .

[فصل في شرط الاجتماع للوظيفة والهيلة يوم الجمعة]

اعلم أن الاجتماع للذكر حض عليه الشارع ورغب فيه صلى الله عليه وسلم وجرى به عمل أئمة
الطريق من أهل الله شرقاً وغرباً حضراً وبدوا . وفي [مح] وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليبعثن الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ
يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء . قال فبجئنا أعرابي على ركبتيه فقال يا رسول الله صفهم لنا نعرفهم ؟
فقال هم المتحابون من قبائل شتى وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله تعالى ويذكرونه » أخرجه الطبراني
بإسناد حسن ، وعن عمرو بن عنبسة رضي الله تعالى عنه قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : « عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين رجال ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغشى بياض^(١) وجوههم نظر
الناظرين ، يغبطهم النبيون والشهداء بمقعدهم وقرهم من الله عز وجل ، قيل يا رسول الله من هم ؟ قال هم
جماع من نوازع القبائل يجتمعون على ذكر الله تعالى فينتقون أطايب الكلام كما ينتقى من التمر أطايبه »
رواه الطبراني ، انظره . وفي [خل] عن أبي الدرداء « لولا ثلاث ما أحببت أن أعيش يوماً الظمأ لله
بالهواجير ، والسجود لله في جوف الليل ، ومجالسة أقوام ينتقون خيار الكلام كما تنتقى أطايب التمر » اهـ .
وفي [جص] « لأن أذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أحب إلى من الدنيا وما فيها ،
ولأن أذكر الله مع قوم بعد صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إلى من الدنيا وما فيها » وفيه « لأن

(١) بياض : أي إشراق ولحان اهـ .

أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاه «غداة حتى تطلع الشمس» وفي رواية «ثم أصلى ركعتين أو أربعة أحب إلى من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل» ، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلى من أن أعتق أربعة أي من ولد إسماعيل» . وفي [حتى] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده» وقال صلى الله عليه وسلم «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفوراً لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات» وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة» وقال داود صلى الله عليه وسلم «إذا رأيته أجاز مجالس الذاكرين إلى مجالس الغافلين فاكسر رجلى دونهم فلإنها نعمة تنعم بها على» ثم قال : وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن لله عز وجل ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى بغيتكم فيجيئون فيحفون بهم إلى السماء ، فيقول الله تبارك وتعالى : أي شيء تركتم عبادي يصنعونه ؟ فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك ، فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأوني ؟ فيقولون لا ، فيقول جل جلاله : كيف لو رأوني ؟ فيقولون لو رأوك لكانوا أشد تسييحاً وتحميداً وتمجيذاً ، فيقول لهم من أي شيء يتعبدون ؟ فيقولون من النار : فيقول تعالى : هل رأوها ؟ فيقولون لا فيقول الله عز وجل : فكيف لو رأوها ؟ فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هرباً منها وأشد نفوراً فيقول الله عز وجل أي شيء يطلبون ؟ فيقولون الجنة : فيقول تعالى : وهل رأوها ؟ فيقولون لا ، فيقول تعالى : فكيف لو رأوها ؟ فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصاً ، فيقول جل جلاله : إني أشهدكم أنني قد غفرت لهم ، فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم إنما جاء الحاجة ، فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم» اهـ . وفي [جع] وسأله رضي الله عنه عن الذكر جماعة مادليله لأن مذاهب الأئمة مختلفة فيه ؟ فأجاب رضي الله عنه بقوله صلى الله عليه وسلم «إذا مررت برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة ؟ قال صلى الله عليه وسلم حلق الذكر» قلت لسيدنا قال العلماء هي مجالس العلم وكذلك قواه صلى الله عليه وسلم «ما اجتمع قوم يذكرون الله إلا وحفتهم الملائكة وغشيتهم بأجنحتهم» قال : المراد به الذكر وإنما مالك رضي الله عنه حمله على العلم ولم يحمله على الذكر لأن أهل المدينة المنورة لا يفعلونه وعملهم أصل من أصول مذهبه كما هو معلوم ، وأما عند غيره من الأئمة فهو جائز من غير كراهة للنصوص الصحيحة الصريحة عندهم . قال سيدنا أبو العباس التتجاني رضي الله عنه : وهو الحق لأنه لما حثني صلى الله عليه وسلم على ذكر الجماعة تأملت أن أهل المدينة أخذوا بالأعلى فقط وبقيت الأحاديث على ظاهرها لأن ذكر الجماعة لا يكون إلا جهرًا وغيره سرا وهو يفوق ذكر العلانية بسبعين ضعفاً فأخذوا بالأعلى قلت : والدليل القطعي هو ما ذكره سيدنا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : لما حثني على ذكر الجماعة ، لأنه صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا بالحق اهـ . قال تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى - وقال - سنشد عضدك بأخيك - فافهم والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . قال رحمه الله :

(وَأَمَّا اجْتِمَاعُ الْوُظَيْفَةِ وَالَّذِي بُعِثَ صَلَاةُ الْمَصْرِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ
فَشَرَطُ إِذَا الْإِخْوَانُ كَانُوا بِبِلَدَةٍ وَلَا تَتْرُكْنَهُ بِدُونِ مَشَقَّةٍ
وَلَا تَسْتَهْأُونَ فِي اجْتِمَاعٍ لِمَا مَضَى فَتُحْرَمَ سِيرُهُ وَتُجْزَى بِحُسْرَةٍ)

(وأما اجتماع) الإخوان الذكور دون النساء (للوظيفة) المعلومة اللازمة في الأهمية مرة واحدة في كل يوم (و) اجتماعهم للذكر المعلوم (الذي) كان وفي نسخة « والى » أى واجتماعهم للهيلة المعلومة التي كانت (بعيد) صغر للتقريب (صلاة العصر في يوم جمعة) وهو الهيلة وهي أيضا من الأذكار اللازمة في الأهمية كما يأتي ذلك إن شاء الله (فشرط) لازم وأمر واجب في الأهمية ويأثم من تركه لغير عذر إنما عظيما (إذا الإخوان) جبر الله حالنا وحالهم وأصلح مآلنا ومآلهم (كانوا) أى إذا كان الإخوان وأقل الجمع اثنان لحديث « اثنان جماعة » (ببلدة) أى في بلد واحد أو فيها هو كالواحد بحيث لا يشق عليهم الاجتماع ولا ينالهم فيه حرج (ولا تتركه) أى الاجتماع للوظيفة مع الإخوان وكذا الهيلة يوم الجمعة (بدون) وجود (مشقة) معتبرة شرعا فإن وجدت المشقة المعتبرة شرعا فلي لأيسر تكف السكف - يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر - وما جعل عليكم في الدين من حرج - وذلك كالأعذار المبيحة للتخلف عن جماعة وجمعة ، وفي [المختصر] وعذر تركها والجماعة شدة وحل ومطر وجذام ومرض وتقرض وإشراف قريب ونحوه ، وخوف على نفس أو مال أو ضرب ، انظره . وفي [جه] فإن كان وحده مثالا في بلد ولا معه غيره من الإخوان يقرأ الوظيفة وحده وإن كان معه إخوان يجتمع معهم ويقرأونها جماعة وهذا شرط في الوظيفة وإن كان مسافرا قرأها وحده : يعنى إذا لم يكن معه إخوان أو كانوا ولم يتيسر لهم الاجتماع وإلا فلا اجتماع أولى وأفضل . وفي [د] ذكر النصف أفضل من الانفراد لقوله تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص - سببه أنهم كانوا يمتنعون من الدخول في الحلقة يوم الجمعة ، وكان رضى الله عنه يحضهم عليه ويرغبهم لما فيه من محبة الله لفاعله اه : أى ومن التعاون والتعاضد على البر والتقوى المأمور به كتابا وسنة ، لكن محل ذلك حيث كانت الحلقة حلقة وأما اليوم ففيها ما تشتمل منه القلوب ولا يرضى به علام الغيوب جبر الله حالنا وأصلح مآلنا أجمعين بجأه صلى الله عليه وسلم آمين ، وفيها : لو علمتم ما في الوظيفة من الفضل لأتيممتوها حبوا سببه أن بعض الإخوان نقل عليه المحبىء للوظيفة لكبر سنه وثقل بدنه وبعد داره وكان الزمن إذا ذلك زمن الشتاء فاستعذر عن حاله لسيدنا رضى الله عنه فذكره اه . وفي [مب] ويشترط في ذكر الجمعة والوظيفة الاجتماع إلا لعذر ، وفائدة ذلك تعاضد أنوار قلوب الذاكرين وإظهار آية الإسلام عند دروسها ، وإعانة لضعفاء المسلمين على الذكر مع ماورد في الحديث من نزول الرحمة والسكينة وذكر الله لهم فيمن عنده اه .

[تنبيه] سئل بعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه عن إخوان في بلد تركوا الاجتماع للوظيفة والهيلة اختيارا من غير عذر ولا حرج فصار كل واحد يقرأ وظيفته وهيلته وحده هل تبطل وظيفتهم وهيلتهم بترك هذا الشرط المشروط فيهما أم لا ؟ فأجاب بأن وظيفتهم صحيحة وكذا هيلتهم لأن الاجتماع ليس شرط صحة فيهما بحيث يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم ، وإنما هو شرط واجب وأمر لازم فيهما بحيث يأثم من تركه إنما عظيما وعصى وصحت ، وبعد من فعل ذلك متهاونا ويخاف عليه ويتخول بالموعظة الحسنة - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - وفي [عم] ويلبغى للشيخ معاتبة كل من غاب من

الفقراء عن صلاة الجماعة أو عن مجلس الذكر ولو بالنوم في البيت لاصيبا فيمن يرجى خيره ويؤمن شره ، ورحم الله من قال :

أعائب من أحبيت في كل زلة ليحتمى الأمر الذي معه العتب
فلاني أرى التأديب عند وجوبه بمغزلة الغيث الذي معه الجذب

وفي [ثيق] وينبغي للشيخ الزاوية أن يمنع من المجاورة عنده كل كسلان لا يحضر مع الفقراء أو رادهم وأذكارهم وصلاة جماعتهم ، لأن إقامة مثل هذا مما يفسد أحوال إخوانه في الزاوية حتى يصيروا مثله عن قرب كما جرب ، وليكن الشيخ أول حاضر للمجلس وصلاة الجماعة تقوية لعزم الفقراء واتباعا لسنة الأشياخ السابقين ، وكان سيدي مدين رحمه الله لا يخرج إلا لصلاة العصر فقط ، فقيل له في ذلك فقال : للفقراء أعذار ، وكان رضى الله عنه يخرج كل من لم يحضر مجلس الذكر من الزاوية ، فقال له شخص ياسيدي أنا بحمد الله قلبي حى يقظان لا أحتاج إلى من يقوينى وينشطنى ، فقال له رح جاور بيقظتك بعيداً عنا لئلا تتلف علينا الجماعة ويدعى كل واحد مادعيت فيتلف نظام الزاوية ويموت شعارها وينبغي للشيخ أن يفتقد المجاورين كل حين فمن لم يجد عنده نهضة وانتقالا من حالة لأعلى منها فليخيره بين الخدمة وبين الخروج لئلا يتلف الإخوان بالنكسل والخمول. انظره (ولا تتهاون) من تتهاون بكذا استخف به ولم يبال به (في اجتماع) مع الإخوان (لما مضى) من الوظيفة والهيللة يوم الجمعة ، وفي نسخة « مع إخوة » أى لما ذكر . وفي [م] .

وتركه لغير عذر شرعى أوكل الأوقات له ذو منعه

وفي [غ] أراد بهذا أن ترك الجمع للوظيفة لغير عذر شرعى يعرض في الوقت وكذلك تركها كل الأوقات للعذر الشرعى ممنوع عندنا في الطريق بمعنى أن فاعل ذلك ترك ما هو لازم له لزوما مؤكدا في الطريق فيعد متهاونا بها ولا يخفى وخامة مرتع المتهاون والعياذ بالله تعالى انظرها (فتحرّم) وتمنع (سره) ونوره وبركته وثمرته (وتجزى بحسرة) وندامة دنيا وأخرى لأن البركة مع الجماعة ، ويد الله مع الجماعة ، وقد يكون فيهم من هو مقبول ومغفور له فيغفر للباقيين بسببه فإن الأعمال ترفع على أتقى قلب رجل من الجماعة . قال أبو مدين رضى الله عنه :

واستغنم الوقت واحضر دائما معهم واعلم بأن الرضا يخص من حضرا

ولأن القاصية عن الغنى يأكلها الذئب قال تعالى - واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه - وفي [مح] ومن كلام سيدي على الخواص : فينبغي للمريد أن يذكر بقوة تامة مع الجهر فإنه أشد تأثيرا في جمع شتات قلبه ، وينبغي له أيضا أن يذكر مع جماعة فإن ذكر الجماعة أكثر تأثيرا في رفع الحجب لكون الحق تعالى شبه القلوب بالحجارة ، ومعلوم أن الحجر لا ينكسر إلا بقوة جماعة ، فكذلك قساوة القلب لا تزول إلا بذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد لأن قوة الجماعة أشد من قوة شخص واحد ، وأما من حيث الثواب فلكل ثواب نفسه وثواب سماع رفيقه اه . وعن ابن عطاء الله في [مفتاح الفلاح] قال بعضهم : مثل ذكر الواحد وحده وذكر الجماعة كمؤذن واحد ومؤذنين جماعة ، فكما أن صوت المؤذنين جماعة يقطع جرم الهواء أكثر مما يقطعه صوت مؤذن واحد كذلك ذكر جماعة على القلب أكثر تأثيرا وأشد قوة في رفع الحجب عن القلب من

من ذكر واحد وحده اه . قال رحمه الله :

(وَشَرْطُهُ تَحْلِيقُ كِدَارَةٍ هَالَةٍ أَوْ الصَّفِّ فِيهِ أَوْ تَرْبِيعُ حَلَقَةٍ
عَلَى ذَا تَمَادَى أَهْلُ قَائِسٍ وَغَيْرُهُمْ بِشَرْطِ التَّرَاصُّ فِي الْجَمِيعِ لِئُكْنَفَةِ
وَحَيْثُ انْتَهَتْ بِكَ الْمَجَالِسُ فَاجْلِسَا وَلَا تَقْصِدِ الْأَذَى يَخْلُوفُ دَسِيسَةً)

(وشروطه) أى الاجتماع للوظيفة والمهيلة (تحليق) أى كونهم محلقين ومحدثين (كدارة هالة)
فهو من إضافة الشيء إلى نفسه فإن الدارة هى الحالة ، ورحم الله من قال :

والأدب التحليق فى المجالس فى الذكر والعلم لكل جالس

وفى [د] إن سيدنا رضى الله عنه وعنا به آمين قال لرجل حضر ذكر الجمعة ولم يدخل الحلقة
أما فأنك من خير ! اه ولو أدرك الشيخ رضى الله عنه وعنا به آمين زماننا لحذر عنها كل التحذير ونقر
منها كل التنفير لأنها صارت ضحكة ولعبة وسمعة ورياء ، هذا ما حكم به الوقت نعوذ بالله من المقت ،
وقل يا أخى كما قال العارف بالله ابن العارف بالله ابن العارف بالله سيدى محمد البشير ابن سيدى محمد
الحبيب ابن القطب المكتوم والختم المحمدى المعلوم سيدى أحمد بن محمد التجانى رضى الله عنهم
وعناهم آمين فيما كتب به لإخواننا الفاسيين أصلحهم الله وأصلح بهم ، ونصه : فالنهي الصادر منا
ليس عن حلقة الذكر نفسها فإن جوازها واضح كمنار على علم ، بل النهى إنما هو لأجل ما يقع فيها
حالة الذكر من المفاسد كما قدمنا هذى نصيحتى إليكم الخ ، ولبعض الإخوان رحمه الله ورضى عنه :

هذا لمن يهذى إلى الرشاد	بفضله من شاء من عباد
ثم يضل من يشا بعده	وما له من سائل عن فعله
ثم صلاته على محمد	والآل والصحب وكل مهتد
وبعد فالحلقة صارت ضحكة	ولعبة ومثلة ووصمه
فلا يرى فيها سوى الغناء	والرقص والسمعة والرياء
فلا يغرنك من يفعلها	ومن يصيح بالغناء وسطها
قد غره الشيطان بالغناء	والرقص والشطح بلا حياء
إياك والصياح بالأشعار	أنحس به فى حلقة الأذكار
ولا تقس كلمة الإخلاص	بمئشدة يا رآثم الإخلاص
واليوم قد قيس على الأشعار	توافقا لنغمة الشعار
ولا تقس اسم الجلالة على	نغمة شاعر فذا قد حظلا
فالله لا يعبد بالترويق	ولا التصنع ولا الترفيق
لنغمة (١) كأنها من النساء	فبئسما يفعل صبيحا ومسا
وهل أتى عن النبي العدنانى	والصحب أو عن أحمد التجانى
أن لهم مدندلا (٢) يدندن	فى حلقة وبالعناء يعلن

(٢) دندن القباب دندنة : صوت .

(١) نظم وظم وظم وظم : طرب فى الغناء .

أو نصب من يصبح عند الذكر
كلا وحاش ومعاذ الله
ومن مراده عن الملامى
فلا تجالسهم على ذا الحال
ولا تغنهم على الصباح
ولا تكثر لهم سوادا
بل فدهم في الخوض يلعبونا
إذ زعموا أنهم على الهدى
واعتقدوا أنهم على التقى
فكيف ترجى لهم الإنابة
قد لعبوا في الذكر بالأغاني
فابك على الضلال والإضلال
ولست منكرا لنفس الحلقة
والرقص والشطح ببیت الله
وما أتى عن سيدى حسان
فكان في التأثير مثل النبل
وما أتى عن أحمد التجاني
لا تكذبوا لا تكذبوا عن النبي
فليتبوا مقعدا في النار
كذلك مفتر على التجاني
نعوذ بالله من النيران
هذا صراط مستقيم قد بدا
يارب فاشهد أنني بلغت
واسترقوا ما مر من أجانب
سميتها بنصرة الطريقة
فإنها بكت وأبكت الورى
فقام بعض صبية التجاني
مستنصرا بالله والعدنانى
ينهى عن الغناء وسط الحلقة
لأنك مغترا بهذا الزمن
كما تلاطمت به موج الفتن
واستلطف الرحمن بالعدنانى
وقل إلهى أطف بكل الناس

بأنكر الصوت لهم بالشعر
فتلك شيمة ذوى الملامى
ومستخف بمحدود الله
ولا تمل إليهم بالبال
فإنه ليس من الفلاح
إذ ليس ما هم به سدادا
قل إننا إليه راجعون
مع انهم من حزب من قد مردا
مع ان ما هم عليه يتقى
أو توبة من هذه المصاية
وهتكوا طريقة التجاني
واستنصرون بالله ذى الجلال
بل للصباح والغنا والزعة
والخيلا والفخر والتباهى
به ينافع عن العدنانى
في مشركى الوقت وأهل الجهل
فذاك يوم العرس للولدان
وصحبه والعلماء النجب
من اقترى على النبي المختار
مقعده يكون في النيران
وما لها يجر من بهتان
من شاء فليؤمن ومن شا أهدا
وأنتى بالحق قد صدعت
ذوى الهوى والدود والتلاعب
في حسم ماقد أبدعوا في الحلقة
فاستنصرت بنصر بارى الثرى
ينصرها بصارم الرحمن
وبالتجاني مدى الزمان
بذا الكتاب نصرة الطريقة
تراكت فيه بحور الفتن
وقل برى هلكت من شر الزمن
وصحبه واحمد التجاني
واحفظ جميعنا من الوسواس

يارب فارحمنا بمحض الفضل وشفعن نبينا في الكل
صلى عليه ربنا وسلمنا وآله ومن له قد اتها
آمين آمين استجب دعائى يامالسكا للأرض والسماء

وفى [مب] والأولى في ذكر الجماعة التحليق اه . وفى [جص] « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قيل وما رياض الجنة ؟ قال حلق الذكر » قال العزيزى : وهى جماعة من الناس مستديرون كحلقة الباب وغيرها اه . (أو الصف فيه) أى فى الاجتماع للذكر لقوله تعالى - إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص - وفى [د] وأى قتال يعنى الذكر بالصف وإذا قاله لمن يدخل الصف يوم الجمعة واستشهد عليه بقول الله عز وجل إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا قيل له وهذا قتال فذكره ، وكان بعضهم يذكر فى غير الصف فيقول له أما فأتلك من خير ؟ اه وذلك حيث كانت الحلقة حلقة ، وأما اليوم ففيها ما فيها جبر الله حالنا وأصلح مالنا ، فلا ينبغي لعاقل فضلا عن فاضل أن يقر بها فضلا عن أن يدخلها عسى ربنا أن يبد لنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون ، ورحم الله من قال :
فلا يغرنك ^(١) من فى الناس يفعلها فالناس فى غفلة عن واضح السفن

يغنى على المرء فى أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

(أو تربع حلقة) بفتح مهملة ، وقيل بكسرهما ، وحكى عن أبى عمرو أن الواحد حلقة والجمع حلق كقصبة وقصب (على ذا) أى على هذا الوجه الأخير وهو تربع الحلقة للتقابل والتواجه لقوله تعالى - إخواننا على سرر متقابلين - ولأن استقبال المؤمن أخاه أفضل من استقباله القبلة لأنه مرآة فإن لم يجد من يستقبله فليستقبل القبلة ، وإن أمكن الجمع بينهما فهو الأولى والأفضل والإنسان على نفسه بصيرة (تمادى) واستمر ساداتنا (أهل فاس) رضى الله عنهم وعنا بهم آمين - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده - وعلى منوالهم فانسج إذ هم أدرى بأحوال سيدنا أبى الفيض رضى عنه وعنا به آمين وأفعاله وأقواله فهم عندنا فى الأهمية بمنزلة أهل المدينة فى المذهب المالكي ما أقاموا الدين وإلا فحسبنا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هما ميزاننا وقسطا سنا دنيا وأخرى وغيرهم من أهل الخواضر والبوادر تأميا بهم فى ذلك النادى ، ولكن (بشرط التراص) من تراص القوم تلاصقوا وانضم بعضهم لبعض للآية السابقة ، ونقل أن ثياب السلف رضى الله عنهم كانت تقطع أولا من جهة المناكب لشدة تراصهم وتلاصقهم فى الصلاة ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : « راصوا الصفوف فإن الشيطان يقوم فى الخلال » وقوله صلى الله عليه وسلم : « راصتوا صفوفكم وقاربوا بينها ، وحاذوا بالأعناق » وقوله صلى الله عليه وسلم : « أقيموا الصفوف فإنما تصفون بصفوف الملائكة وحاذوا بين المناكب ، وسدوا الخلل ، ولينوا بأيدي إخوانكم ولا تذروا فرجات ^(٢) للشيطان ومن وصل صفا وصله الله ، ومن قطع صفا قطعه الله عز وجل » وصفوف الذكر كصفوف الصلاة فى التسوية والتراص والإتمام . قال تعالى : - ولذكر الله أكبر - وفى مسلم هن جابر ابن سمرة رضى الله عنهما وعنا بهما آمين « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآنا حلقا فقال ما لى أراكم عزين ؟ : أى متفرقين جماعة جماعة : قال : ثم خرج علينا فقال ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ فقلنا يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال يتمون الصفوف الأول

(٢) يضم فاء كعرفات اه .

(١) بنون خفية اه .

ويُراصون في الصف « اه . وقد قال صلى الله عليه وسلم في حق من يتأخر عن الصف الأول « لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله » وهذا وعيد شديد نسأل الله السلامة والعافية (في الجميع) أى في جميع هيئات الذكر (لنسكتة) بضم النون جمعها نككات بكسرها كقبة وقباب . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسوى صفوفنا وتراص فيها ونقدم الوقوف في ميامنها على غيره من الوسط أو المياسر وفي ذلك أسرار لاتذكر إلا مشافهة ، وينبغي أن لا يكون بين أحد من أهل الصف وبين من هو في صفه شحنة ولا حسد ولا غل ولا مكر ولا خديعة ليوافق الباطن صورة الظاهر فإن اختلاف القلوب أشد من اختلاف الجوارح ، ثم قال : ومن الأسرار الظاهرة في ذلك أن الله تعالى أمرنا بإقامة الدين ولا يقوم إلا إذا كنا على قلب رجل واحد ، وفي القرآن العظيم - ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم - يعنى قوتكم . ومن الأسرار أيضا أن الشيطان لا يدخل بين الصفوف ويوسوس لأصحابها إلا إذا رأى بينها خلافا فتنى قرب من أنفاسهم احترق كما في حديث « يد الله مع الجماعة » أى تأييده وهذا الأمر لا يكاد يسلم منه أحد من المحبين للدنيا ومناصبها ووظائفها فإن كل من سعى على وظيفة شخص صار عدوا له ، ثم قال : فلا ينبغي لأحد من هؤلاء أن يقف في صف من بينه وبينه عداوة ويطابق باطنه ظاهره ، ويخرج عن صفة النفاق المشار إليها بقوله تعالى - تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى - اللهم إلا أن يقف بعد التوبة ناويا التقرب إليه تميلا لحاظه ، انظره . وفي مسلم عن أبي مسعود قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول استنوا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليلاني منكم أولو الأحلام والنهي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال أبو مسعود : فأنتم اليوم أشد اختلافا أى لأن اختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن ، ومتى اختلفت البواطن وتنافرت فلا عبرة بالاجتماع والاتصال في الظاهر لأن ذلك نفاق والنفاق من أعظم الذنوب عند علام الغيوب قال تعالى - إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار - الآية - رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين .

(وحيث انتهت بك المجالس) التى يباح لك الجلوس فيها (فاجلسا) بألف مبدلة من خفيفة كيفما كان ولا تتخط رقاب الناس لصدر المجلس أو وسط الحلقة للحديث « إن من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت وترد على من سلم عليك وترضى بالدون من المجلس وأن لا تحب المدحة والقرينة والبر » وفي [جص] « إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فإن وسع له فليجلس وإلا فينظر إلى أوسع مكان يراه فليجلس فيه » قال العزيزى : ولا يستنكف أن يجلس خلف القوم بل يخالف الشيطان ويجلس حيث كان اه . قال الحنفى : فإن لم يجد موعضا إلا عند النعال جلس وخالف الشيطان لأنه إن كان صدرا أى مرفوع الرتبة انتهى المجلس إليه فى أى موضع جلس ، ولذا كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل على أصحابه جلس حيث انتهى به المجلس ولو آخرهم فينتهى المجلس إليه ، فإن لم يجد موعضا أصلا خرج ولا يجلس وسط الحلقة لأنه ورد أن المجلس وسط حلقة القوم ملعون انظره . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نجلس وسط الحلقة فى ذكر أو علم أو نحو ذلك مما يشرع له الاجتماع ، وذلك هروبا من التمييز على إخواننا فى المجالس ، وقد روى أبو داود مرفوعا « لعن الله من جلس وسط الحلقة » انظره ، وفيه أيضا : أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نتخطى رقاب الناس وقد اصطفا جالوسا ينتظرون الصلاة أو يستمعون الخطيب أو الواعظ أو تدريس العلم ونحو ذلك أدبا مع الله تعالى ومع إخواننا المسلمين

ولو زبالين ، فإن هذه الحضرات فيها الملوك الجبابرة فضلا عن غيرهم فمن تخطى رقاب الناس فيها فهو
معدود من قسم البهائم ، فمن الأدب للطالب أن يحضر قبل الناس أو يتخلف حتى يقوموا للصلاة فيخرق
الصفوف لسد تلك الفرجة إن كان من أهل الموقوف في الصفوف المتقدمة أو يصلي أو آخر الصفوف وليحذر
من إظهار نعله إذا دخل وهو في يده بل يستره بردائه ونحوه انظره ، وهذا في حق من يجعله محفوظا
في كيس أو نحوه وإلا فليظهره ولينحه من ثيابه خوف التنجيس وليحمله بيساره دون يمينه ولا يجمع
معه السبحة كما عمت البلوى والمحنة بجميع ذلك - إنا لله وإنا إليه راجعون - وروى « من تخطى حلقة
قوم بغير إذنه فهو عاص » وفي البخاري « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في المسجد
والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب واحد ، قال
فوقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها وأما الآخر
فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهبا ، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم عن
النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم فأوى إلى الله تعالى فأواه الله إليه ، وأما الآخر فاستحيى فاستحيى الله منه ،
وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه » اهـ (ولا تقصد) المكان (الأدنى) أي الذي في الصورة لتجلس
فيه (لخوف دسيسة) من دسائس النفس والشيطان . وفي [د] لا يقصد يجلس فوق ولا تحت يجلس
حيث وجد . سببه أن رجلا تنازع مع آخر على موضع في الوظيفة كان أحدهما يجلس فيه فسمع بذلك
فقال يقول الله تبارك وتعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا
والعاقبة للمتقين - فقال أحدهم الرجل هو الذي يجلس تحت ، فذكره فسل هل هو علو ؟ فقال هو
علو اهـ . وفي [غ] ومن أدب المريد في هذا التحليق أن لا يقصد يجلسه أعلى المجلس ولا أسفل لما في
ذلك من رؤية النفس حسبا هو ظاهر في قصد الأعلى ، وأما قصد الأسفل فقد يكون من دسائس
النفس حيث تظهر أنها اختارت الأدنى وهو أعلى في الحقيقة من حيثية أخرى كما لا يخفى لأنها تثبت
بلسان حالها لنفسها مزية بقصد الأسفل . وبالجملات فحب العلو ظاهر في القصدين إلا أنه في الأول جلي
وفي الثاني خفي ، ولهذا تلا سيدنا رضى الله عنه بعد نهيه عن القصدين معا - تلك الدار الآخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - الآية ، فقليل له رضى الله عنه أهذا علو ؟ قال رضى الله
عنه وأى علو اهـ . وفي الحكم : حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي ومداداة
ما يخفى صعب علاجه اهـ . ولذا حكى أن بعضهم حدثه نفسه بالخروج إلى الجهاد وأظهرت له أن ذلك
لله تعالى وأنه خير مما هو فيه ، فقال يارب نهني لمقصدها فإني متهم لها وقتش فإذا هو لأجل أن
تستريح من تعب مجاهدته لها فإنه كل يوم يقتلها مرات عديدة يمنعها من شهواتها فأرادت أن تقتل مرة
واحدة فتستريح فتترك الخروج إلى الجهاد واشتغل بما هو فيه ، وهكذا شأن أهل البصائر والنهي
يتممون نفوسهم إذا مالت إلى عبادة من العبادات فإذا رأوا فيها حظا لها تركوها اهـ .

[تنبيهان : الأول] من قام من موضعه في نحو المسجد بنية أن يرجع فهو أحق به لاسيما إن ترك فيه
لبدته أو سجنته لقوله صلى الله عليه وسلم « إذا قام الرجل من مجلسه من المسجد ثم رجع إليه فهو أحق
به » وفي [الفتح الرباني] الشيخ بناني عند قول خليل والسابق كمسجد الخ [فائدة] إذا جلس في موضع
من المسجد ثم قام لقضاء حاجة أو تجديد وضوء فهو أحق به إذا رجع إليه لما في صحيح مسلم أنه صلى
الله عليه وسلم قال « إذا قام أحدكم من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به » اهـ : ولا ينبغي لأخ صادق إذا

قام من موضعه فوجد أخاه المسلم قد جلس فيه أن يغضب عليه ويكرهه على ذلك فضلا عن أن يخاصمه أو يقيمه فيه بل يفرح بذلك ويؤثره به كرامة منه - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - الثاني : من قام له غيره من موضعه لدنياه أو لدينه فلا يجلس فيه لاسيا في بيوت الله وزوايا أهل الله لأن الحضرة حضرة الله فلا ينبغي أن يعظم فيها غير الله ، ومن عظم فيها يدركه المقت في الوقت إن أحب ذلك واستحلاه بتسويات نفسه وهواه فكيف بمن يدخلها بطرا فرحا مرحا متبخترا مسبلا للإزار خائضا في بحر الأوزار قال تعالى - ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها - هذا ما حكم به الوقت في أبناء المقت - إني عدت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب - . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجلس في موضع من قام لنا من مجلسه سواء كان بأمرنا أو لأجل حرمتنا عنده أو لغير ذلك ، وهذا العهد يقع في خيانتة كثير من الراغبين في الدنيا المعظمين لأهلها من الفقراء فترى أحدهم يقوم من مجلسه في علم أو لصلاة أو في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ويجلس ذلك الغني بماله في مكانه ويتخلف هو إلى وراء ولا يفعل ذلك مع فقير مثله ، انظره . وفي الحديث « لا يقيم أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم » وكان أبو بكره وابن عمر إذا قام لهما أحد من مجلسه لم يجلسا فيه ويقولان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ، انظره . وفي [إرشاد الساري] نعم لو قام الجالس باختياره وأجلس غيره فلا كراهة في جلوس غيره ولو بعث من يقعد له في مكان ليقوم عنه إذا جاء هو جاز أيضا من غير كراهة ولو فرش له نحو سجادة فليغيره تنجيتها والصلاة مكانها لأن سبق بالأجسام لا بما يفرش ، ولا يجوز له الجلوس عليها بغير رضاه ، نعم لا يرفعها بيده أو غيرها لئلا تدخل في ضمانه ، انظره . قال رحمه الله :

(وَمِنْ شَرْطِهِ اتِّفَاقُ لُسْنٍ وَصِيغَةٍ
وَلَا تَجْهَرُ الْأُنْثَى بِكُلِّ عِبَادَةٍ
وَجَمْعُ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ مُحَرَّمٌ
وَجَا بَيْنَ أَنْفَاسِ الْفَرِيقَيْنِ بَاعِدُوا
كَذَا الْجَهْرُ فِي حَقِّ الرِّجَالِ وَصِيغَةٍ
إِذَا الصَّوْتُ عَوَزَ مُثِيرَةً لِسَهْوَةٍ
بِزَاوِيَةٍ لِلذِّكْرِ أَوْ لِلْوُطَيْفَةِ
فَهْنٌ مِنْ أَنْبَالِ اللَّعِينِ الْمُصِيبَةِ)

(ومن شرطه) أي الاجتماع للوظيفة أو الهيلة يوم الجمعة (اتفاق لسن) بضم لام فسكون مهملة تخفيفا جمع لسان ككتاب وكتب (و) اتفاق (صيغة) وفي [ثيق] أخذ علينا العهود أن نكون هينين لينين في يد إخواننا المسلمين ما لم يدعونا إلى مذموم شرعا ، وفي الحديث في الأمر بتسوية الصفوف « ولينوا في يد إخوانكم » اه . واعلم يا أخى أن من اللين إذا دخلت على جماعة يذكرون الله تعالى على طريقة المغاربة أو العجم أو الصوفية أو المطاوعة أو الشناوية أو الرفاعية أن تذكر كأحدهم في اللغة والصوت ولا تخالفهم فتشوش عليهم ولا تسكت فيفوتك أجر الذكر اه (كذا) يشترط في الاجتماع لما ذكر (الجهر) بالذكر أقله أن يسمع نفسه ومن يليه وأكثره لاحد له : المطلوب إسماع نفسه ومن يليه والزيادة على ذلك حتى يعقر حلقة وصوته من البدع المذمومة لقوله صلى الله عليه وسلم « أربعوا على أنفسكم فإنكم لاتدعون أصم ولا غائبا وإنما تدعون سميما بصيرا » أو كما قال صلى الله عليه وسلم « ولأن ذلك يخرج على حد السموت والوقار والسكينة وربما أدى ذلك إلى اضطراب الأطراف المتناق

للخشوع والخضوع المطلوب في الذكر كما هو مشاهد بالعيان في هذا الزمان من جل الإخوان ، حتى كان بعض من يشار إليه بالبنان يحرضهم على رفع الصوت جدا في الوظيفة والهيلة وأن من لم يفعل ذلك لا وظيفة له ولا هيلة ، وأنى له العلم بذلك - إنا لله وإنا إليه راجعون - بل الذى ينبغى أن يذكر الإنسان بسكينة ووقار وتذلل ومسكنة ، كأن على رأسه الطير أو كالمهر عند اصطياده للفأر لا تتحرك منه شعرة فضلا عن غيرها فضلا عن اضطراب الأطراف ومن غلب عليه الحال فهو وحاله - والله عليم بذات الصدور - وأخبرني من أثق به أنه رأى كأنه يذكر الوظيفة مع الإخوان بصوت عال فالتفت إليه بعض الإخوان فقال له أنت في الأرقه ؟ فرفع له صوته بهمة ممدودة جدا فعند ذلك تاب إلى الله فصار يسمع نفسه ومن يليه إذ خير الأمور أوسطها . وفي [خل] وكثيرا ما تجد من الفقراء الذين يقعدون لقراءة هذه الأحزاب تنعقر أصواتهم لشدة انزعاجهم في جهرهم ويخرجون بذلك عن حد السميت والوقار وهذا أمر عمت به البلوى هذا إذا لم يكن ذلك في المسجد فكيف به في المسجد ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « جنبوا مساجدكم رفع أصواتكم » الحديث ، وقوله « مسجدا هذا لا ترفع فيه الأصوات » والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (في حق الرجال و) في حق (صبية) جمع صبي غير المخشى الفتنة وإلا فحكمه حكم الأنثى ، بل هو أعظم منها فتنة . وفي [م] :

وشرطه التحليق والجهر كذا عدم تخليط فراع المأخذ

وفي [غ] ومن شروط الجمع للوظيفة أيضا الجهر فلا معنى للاجتماع وذكر كل واحد على حدة سرا مثلا . وفائدة ذلك وجدواه شهيرة عند أهل الطريق حتى كادت أن تكون من الأمر الضروري عندهم وهذا في حق الرجال فقط اه . وفي [مع] عن ابن عطاء الله في مفتاح الفلاح^٩ : وينبغي للذاكر إذا كان وحده إن كان من الخاصة أن يخفض صوته بالذكر وإن كان من العامة أن يجهر به ، وإن كان الذاكرون جماعة فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر مع توافق الأصوات بطريقة واحدة اه ثم قال : وفي شبهة السماع : ومنه يعنى ومن أنواع الآداب التي يجتمع للمتصفي بها خصال الخير الفرار من الإسرار في الذكر اه . وفي شرحه كشف القناع : وذلك لأن الذكر مع الإسرار لا يؤثر في قلب السالك ولا يرقه كذكر الجهر ، ثم قال : ومن كلام بعضهم إذا ذكر المرید ربه بشدة وعزم مع الجهر طويت له مقامات الطريق بسرعة من غير بطء فربما قطع في ساعة مالا يقطعه غيره في شهر وأكثر ، لكن ينبغى أن يكون الجهر برفق فإنه إذا كان بغير رفق ربما يؤذى فيتعطل جهره بالسكينة اه .

قلت : ومن هنا يظهر لكل موفق سعيد بعض أسرار قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين حين كانوا يجهرون بالذكر جهرا شديدا يؤدي إلى الداء العضال الذي يبطل بحدوثه جهرهم بالسكينة « اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا » ولم ينههم صلى الله عليه وسلم عن الجهر ولا عن الذكر ، ولو نهاهم عن الجهر لقال اخفضوا أصواتكم وأسروا ذكركم ولا تجهروا به ، ولو نهاهم عن الذكر لقال اسكتوا ، ولكنه صلى الله عليه وسلم ردهم إلى الرفق على أنفسهم بالجهر الذي لا يلحقهم معه ضرر يتأذون به لأنه صلى الله عليه وسلم سيد الأطباء وأعقل العقلاء وأرحم بأمته من الآباء والأمهات : وفي [ثيق] أخذ علينا العهود أن نجهر بالأذكار وسائر ما يوجد منا من الأفعال والأقوال حيث كان الجهر أفضل شرعا وفاء بحق الملائكة الكرام المكاتبين ، فإنهم رسل الله إلينا يكتبون أقوالنا وأفعالنا فنجهر بنية لإدخال السرور عليهم ، فإن الملائكة يتباهون بكثرة أعمال

صاحبهم ، فهذه النية تجهر بها ليقتنى بنا فيها والله على كل شيء شهيد اهـ . وفي [عم] وقد وقع للجنيد أن الإمام أحمد بن سريج قال له إن رفع أصواتكم بالذكر يؤذى حلقنا في العلم ، فقال له ينبغي مراعاة أقرب الطريقين إلى الله تعالى ، فقال ابن سريج فإذا وجب مراعاة طريقنا لأنها أقرب إلى الله تعالى من طريقكم ، فقال الجنيد وما علامة القرب ، قال ابن سريج أن يكون الغالب عليه شهود الحق فقال الجنيد هذا عليكم لا لكم لأن الغالب عليكم إنما هو شهود أحكام دين الله لا الله ، فقال ابن سريج نريد حالة يقع الامتحان بها ؟ فقال الجنيد يا فلان خذ هذا الحجر وألقه في حضرة هؤلاء الفقراء ، فألقاه فصاحوا كلهم الله ، ثم قال له خذ هذا الحجر وألقه بين هؤلاء الذين يطالعوا في العلم فألقاه فقالوا له حرام عليك ، فقال ابن سريج الحق معك يا أبا القاسم ، ثم ذكر أن مولاي عبد اللطيف التوريزي سمي في إبطال مجلس الذكر المتعلق بالشيخ عمر الروشني وقال له إن المسجد إنما جعل بالأصالة للصلاة وكان يحضر ذلك المجلس نحو خمسة آلاف نفس فقال له الشيخ عمر إذا ذكرنا بخفض الصوت تمنعنا من ذلك ؟ قال لا ، فقال الشيخ عمر معاشر الفقراء اخفضوا أصواتكم في الذكر ومن قوى عليه وارد برفع الصوت فليرده ويكتمه ما استطاع ففعلوا ، فحمل من المجلس ذلك اليوم نحو خمسمائة نفس مرضى واحترقت أكباد نحو أربعة عشر نفسا وخرجت من أجنابهم فأتوا ثم قال : فأرسل الشيخ عمر إلى مولاي عبد اللطيف وجماعته وقال هل يقول عاقل إن مثل هؤلاء الذين ماتوا لهم تفعل في الموت ، ولكن سبهم الله تعالى في البعيد ، قال : فتطبقت دار مولاي عبد اللطيف تلك الليلة عليه وعلى أولاده وعياله وبهائمهم وغلماهم فلم يسلم أحد منهم وماتوا أجمعين ، انظره - جزاء وفاقا - إن في ذلك لعبرة لمن يخشى - فاعتبروا يا أولى الأبصار - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - (ولا تجهر) من جهر كمنع أعلن (الأثني) كيفما كانت ، إذ كل ساقطة لها لاقطة ، وكذا من ألحق بهن من الأمر المخشى الفتنة والمفسدة (بكل عبادة) من صلاة وذكر وقراءة وغير ذلك وأعلى جهرها أن تسمع نفسها فقط دون من يليها (إذ الصوت) أي لأن صوتها (عورة) والعورة يجب سترها ما أمكن وهو (مثير) من أثاره : هيجه (لشهوة) وهي اشتياق النفس إلى الشيء والميل إليه . وفي [غ] وأما النساء فلا يجهرن بالذكر في وظيفة ولا في غيرها ، فقد ذكر العلماء في الجهر المطالب في حق المرأة أن تسمع نفسها خاصة وكذا الحكم في تليتها في الحج ووجهوه بأن صوتها عورة وربما كان فتنة ، ولذلك لا تؤذن اتفاقا حكاها في شرح الحصن . وقال بعده ما نصه : وعلى هذا فلا يكون ذكرها إلا سرا في الأحزاب المرتبة والوظائف وغير ذلك اهـ (وجمع الرجال بالنساء) أي معهن سواء اعتزل كل فريق بناحية أم اختلطوا (محرم) ومن أباح لمن ذلك فقد قسط وعدل وضل وأضل (بزواية) من زوايا سيدنا أبي الفيض رضي الله عنه وعنا به أمين فضلا عن غيرها (للذكر) أي لقراءة الذكر أولا سماعه كما عمت البلوى بذلك في الهيلة بعد عصر يوم الجمعة ونحوها . وينبغي لناظر الزاوية أن يخرجهن ويؤدبن بقوله صلى الله عليه وسلم « آبر بدن » (أو للوظيفة) كذلك ، وكذلك لا يجوز انفرادهن بمحل في الزاوية وغيرها بحيث يتوسمن وجوه الرجال أو يتوسمن الرجال ، وإن كان بينهما حاجز حصين وحائل متين فلا بأس ، لكن قراءتهن ذكر يوم الجمعة وكذا الوظيفة في قعر بيوتهن هو الأولى والأفضل في حقهن لفساد الزمن وتلاطم أمواج الفتن وعموم الخيانة وفقد الأمانة - إنا لله وإنا إليه راجعون - والحاصل أن الذي تجب به الفتوى للسلامة من الفتنة والبلوى أن تقرأ كل واحدة منهن ما ذكر وحدها في قعر بيتها سرا ولا تجهر بشيء في ذلك لما مر من أن صوتهن

هورة والعورة يجب سترها ما أمكن. وذكر في [خل] أن من المنكر الشنيع ما يفعله من يتسمى منهم بالشيخة من الذكر جماعة بأصوات النسوة وفي أصواتهن من العورات مالا ينحصر بسبب ترخيم أصواتهن وندائتها ، انظره . وفيه : لهن زدن على ذلك محرما فظيحا وهو قيامهن برقصن ويعبطن وتأخذهن الأحوال على زعمهن ، وفي رقصهن من العورات مالا يخفاء فيه من وقوع الفتن وفساد القلوب والتشويش على من فيه دين أو خيرية ، فإننا لله وإنا إليه راجعون على خسف القلوب واتباع الهوى واستعمال العوائد الرديئة وقلة الحياء من عمل الذنوب ، انظره . وفيه : وقد حدث في هذا الوقت أن بعض النساء يأخذهن الحال على ما يزعمن فتقوم المرأة وتقع وتصبح بصوت ندى وتظهر منها عورات لو كانت بيتها لمنعت ، فكيف بها في الجامع بحضرة الرجال فنشأ عن هذا مفاصد حمة وتشويشات لقلوب بعض الحاضرين ، انظره . هذا في زمنه رضى الله عنه في القرن الثامن فكيف برزمتنا انذى هو آخر عجب الذنب في الرابع عشر فلو أدركه لبكى دما أو مات غما - إنا لله وإنا إليه راجعون - ولا يحل المؤمن بالله وباليوم الآخر أن يبيع لمن الخروج للاجتماع على ما ذكر من الوظيفة والهيئلة سدا للذريعة :

درا المفاصد مقدم على جلب المصالح لدى من عقلا

ومن أباح لمن الخروج لما ذكر فقد قسط وعدل وضل وأضل قال تعالى - ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا - الآية :

كم من خلاف ماله من عبرة ما كل سوداء أنقى بتمرة

ومما كتبه سيدنا محمد البشير ابن سيدنا محمد الحبيب ابن سيدنا أبي الفيض أحمد بن محمد التجاني رضى الله عنهم وعنا بهم آمين لأحبتنا بفاس صانهم الله من كل باس : إني كنت أمرتكم قبل بذكر الهيئلة الشريفة يوم الجمعة سردا لأجل ما وقع من البدع بالزاوية كحضور النساء وأحداث السن بحلقة الذكر ، وهذا لا يتأتى من له أدنى معرفة فضلا عن أمثالكم لكون بلدكم مقر أسرار الشيخ وعلومه ، ويلحق بهذا أيضا ما بلغنا أن بعض الأحباب يتحدثون حال الذكر بكلام الدنيا والبعض يخرجون ولا يحضرون حلقة الذكر حتى كأنها غير لازمة في حقهم كل هذا لا يسوغ أما حضور النساء وأحداث السن بالقرب من خلق الذكر بحيث النساء يسمعن نغمة الحادى وينظرن إلى الرجال الذاكرين لما في ذلك من المفسدة المحققة ، ولا سيما في هذا الزمان الرذيل الذى تراكت فيه الفتن وعظمت فيه الخن ، فلا يقر على هذا الفعل إلا من لم يشفق على نفسه ودينه والعياذ بالله ، وفي الحديث « باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء » أو كما قال صلى الله عليه وسلم . والعجب ممن يقرهن على الحضور بالزاوية وجلوسهن بحيث يتوسمن وجوه الداخلين والخارجين منها وبحيث يسمعن صوت الحادى وهو يعلم ما في ذلك من المفسدة المحققة مع ما يعلمه من سيرة سيدنا الشيخ ولو لم يكن إلا ما ثبت عنه ليلة وفاته حيث أمر بإحضار بعض خاصة أصحابه للمبيت معه عنده ثم بعد حين تركه وقال إني لأستغنى عن الخدم ، والرجال والنساء لا يمكن اجتماعهم في مكان واحد ، ويغلب على الظن أنه رضى الله عنه ذكر الحديث السابق آنفا اه اراد منه هنا (وجا) قصره للوزن عن النبي صلى الله عليه وسلم باعدوا (بين أنفاس) جمع نفس بفتح تين (الفريقين) الرجال والنساء (باعدوا) أو كما قال صلى الله عليه وسلم (فهن) أى النساء (من أنبال) جمع نبل أى من سهام الشيطان (اللعين) الطريد من رحمة الله أى من سهامه التى يصيدها الرجال (المصيبة) كل من رماه بها

ولا تكاد تخطئ ، حمانا الله منها وعافانا والمسلمين عنها وجعلنا ممن قال فيهم - إن عبادى ليس لك عليهم سلطان - آمين - .

وفى [جص] « اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن إبليس طلاع رصاد وما هو بشيء من فخوخه بأوثق لصيده فى الاتقياء من النساء » قال العزيزى : فهن أعظم مصائده يزينهن فى قلوب الرجال ويغريهن بهن فيقعون فى المخذور اه وفيه « ما تركت بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء » ويؤخذ منه أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن ويشهد لذلك قوله تعالى - زين للناس حب الشهوات من النساء - الآية ، فجعلهن الخبير العليم عين الشهوات وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل فى ذلك : قال بعض الحكماء : النساء شر كلهن وأشر ما فيهن عدم الاستغناء عنهن ، ومع أنها ناقصة عقل ودين تحمل الرجل على تعاطى ما فيه نقص العقل والدين لشغله عن طلب أمور الدين ، وتحمله على التكالب على طلب الدنيا وشهواتها النفسانية وأغراضها الشيطانية قال تعالى - إن كيدكن عظيم - قال الحنفى : والنساء يشغلن عن الله تعالى خصوصا إذا استولى جهلن على القلب فيكدرن معاش الرجال ولذا لما خلق الله حواء قال لها سيدنا آدم ما اسمك ؟ قالت : حواء ، قال لم تسميت بذلك ؟ قالت لأنى أحتوى على ظاهرك وباطلك ، قال لها غيرى هذا الاسم ، فقالت : تسميت امرأة ، قال لم ؟ فقالت : لأنى أمرر معاشك وأكدرك ، فقال لها غيرى هذا الاسم ؟ فقالت : لا غيره . والمراد أن شأن جنسها من ذريتها مع ذرية آدم ما ذكر ، ورحم الله من قال :

منع الحياة من الرجال ونفعها حديق يقلبها النساء مراض (١)
وكان أفئدة الرجال إذا رأوا حديق النساء لنبلها أغراض

وقال بعض العارفين ، ما أيسر الشيطان من إنسان قط إلا أنه من قبل النساء ، وقال سفيان : قال إبليس : سهمى الذى إذا رميت به لم أخطئ النساء ، وروى « النظر إلى محاسن المرأة من سهام إبليس » ، وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه وعنايه آمين : أيها الناس لا تطيعوا للنساء أمرا ولا تدعوهن يدبرن أمر عيش فإنهن إن تركن وما يردن أفسدن الملك وعصين المالك ، وجدناهن لادين لهن فى خلواتهن ولا ورع لهن عند شهواتهن ، اللذة بهن يسيرة والحيرة بهن كثيرة ، فأما صواالحهن ففاجرات ، وأما طواالحهن فعاشرات ، وأما المعصومات فهن المعدومات ، فهن ثلاث من خصال اليهود يتظلمن وهن الظالمات ويتمنعن وهن الراغبات ويخلفن وهن الكاذبات فاستعينوا بالله من شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن ، والسلام ، ومما نسب له رضى الله عنه وعنايه آمين :

لأنامتن إلى النساء ولا تثق بيمينهن
فرضاؤهن وسخطهن معلق بفروجهن
يظهرن ودا صافيا والقدح حشو قلوبهن
فن المهيمن لعنة تعلو النساء بجمعهن
الحالقات الفاجرات ت الخائنات بعوطن

- ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم - والله تعالى أعلم وأحكم .

(١) مراض كغراب : داء يصيب الثمار فيهلكها اه .

[فصل في شروط الورد الأحمدى والنور المحمدى]

وفي نعت البدايات للشيخ ماء العينين رضى الله عنه وأرضاه وجعل أعلى عليين مأواه : اعلم يا أخى وفقى الله ولياك لأقوم طريق وجعلنى ولياك من أهل التحقيق أن كل ما يروى ويرى من الشروط والآداب كلها عن القوم في العبادة إنما هي التزامات مما لا يلزم أصلاً ، إلا أنه لما كان أدل الدنيا ضبطوا أمر دينهم ورتبوا فيها لأنفسهم أموراً مكملة لأغراضهم ومتممة لأهوائهم ، كذلك أهل الآخرة ضبطوا أحوالهم في وجهتهم إلى الله تعالى بأمور مكملة لمقاصدهم متممة لأحوالهم ، ولكل فريق شرب معلوم - كلا نعمة هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك - وكيف يكون ذلك ما ترمي أصلاً وقد قال تعالى - فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم - فما كان من الشروط والآداب وإنما هو على جهة الكمال لأعلى جهة اللزوم فمن استدأ ذكر الله على أى حال كان وبأى وجه أمكن ابتغاء فضل الله ومرضاته لا بد من نجح وظفره بالمقصود إلا أنه مع الشروط والآداب أسرع للنجاح وأولى للفضل ، انظره . وهذا في حق من لم يتقيد بشيخ ولا بطريقة وبقي في سعة الإطلاق وإلا فيلزمه اتباع من تقيد به في كل شيء ومتى حاد عن نهجه خسر الدنيا والآخرة . وفي [جه] ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحر فيه أعطاه الله عز وجل هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الإلهية الظاهرة على حد سواء فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات وآداباً ومحرمات ومكروهات ، وخلاف الأولى نظير ما فعله المجتهدون ، وليس لإيجاب مجتهد باجتهاده شيئاً لم تصرح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب ولي الله تعالى حكماً في الطريق لم تصرح الشريعة بوجوبه كما صرح بذلك الياقنى وغيره ، وإيضاح ذلك أنهم كلهم عدول في الشرع اختارهم الله عز وجل لدينه فمن دقق النظر علم أنه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة ، وكيف تخرج علومهم عن الشريعة والشريعة هي وصلتهم إلى الله عز وجل في كل لحظة ، انظره : قال رحمه الله :

(وَأَمَّا شُرُوطُ الْوَرْدِ فَاِبْدَأْ بِنِيَّةٍ طَهَارَةٍ أَحْدَاثٍ وَسُتْرٍ لِعَوْرَةٍ
طَهَارَةٍ أَخْبَاطٍ بِذِكْرِ وَقُدْرَةٍ وَمِنْهَا الْجُلُوسُ مَعَ تَوَجُّهِ قِبَلَةِ
لَيْفٍ مُسَافِرٍ وَغَيْرِ ضَرُورَةٍ وَصُحَّحَ أَنْ لَيْسَ مِنْ أَرْكَانِ صِحَّةِ
وَتَرْكُ الْكَلَامِ عِنْدَ فَقْدِ الضَّرُورَةِ وَإِلَّا فَبِالْقَلِيلِ مِنْهُ كَكَلِمَةِ
سِوَى مَا إِذَا قَدْ خَاطَبْتَ أُمَّ أَوْ أَبًا وَزَوْجَ أَخَاهُ فَلْيُجِيبْهُمْ بِسُرْعَةٍ
فَمَنْ لَمْ يَبْرِّ وَالِدَيْهِ وَزَوْجَهَا فَلَيْسَ بِصَالِحٍ لِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ)

(وأما شروط) جمع شرط وهو ما شرط صحة أو شرط كمال (الورد) الأحمدى والنور المحمدى ، (نابداً بنية) وهي القصد والوجه الذي يذهب فيه وهي شرط صحة في كل عبادة وأصل كل خير وسعادة حديث « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » الحديث ، وفي [حصص] « لأجر إلا عن حسبة ولا عمل إلا بنية » ومن صفة النية على الكمال أن ينوى بورده التقرب إلى الله وأداء ما التزمه على نفسه من ذلك الورد بعينه ابتغاء لرضا الله ورغبة فيما عنده وما عند الله خير للأبرار - وإنه ورد صباح ذلك اليوم أو مساءه ، ومحل النية القلب وهو الأفضل وإن تلفظ بها فواسع ، ومنها (طهارة أحداث) جمع حدث

وهو رفع الحدث الأكبر أو الأصغر وهي من شروط الصحة في وردنا الأحدي : وفي [جص]
« لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة فيها غاؤل » وفيه « لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر
اسم الله عليه » وينبغي للذاكر أن يكون في حال وجهته إلى الله على أكمل حال وأنتم إقبال بتطهير ظاهره
من الأدناس وباطنه من الأغيار ، وللساحلي رضى الله عنه :

وأما شروط الذكر صاحب فخمسة
فتركك للإسراف في الأكل واحد
وثاني شروط الذكر إثبات خلوة
ومن بعدها استقبال بيت إلها
وخامسها بامظهر الجسد مقصد
ولبعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

فهاك ما للذكر من آداب
ثم الطهارة من الأحداث
ثالثها السكوت والسكون
بهمة لشيوخه من النبي
فهذه قبل شروع الذكر
أولها الجلوس أى جلسة
تطيب مجلس من الأقدار
وأطيب الثياب حسا معنى
ووضع كفيه على الفخذين
وفي مكان مظلم وخال
والصدق والإخلاص في الأعمال
كذا تلمح لمعنى الذكر
وذكره بهمة قوية
وغسل قلبه من الأكوان
وعدم الشرب بأثر الذكر
وراقب الوارد بعد الذكر

أولها التوبة للتواب
ومثلها طهارة الأخبات
رابعها استمداده يكون
خير الورى من عجم او من عرب
وبعده فهاكها بالحصر
مستقبلا إن لم يكن في حلقة
وكل ما يكره للأبرار
بكونه من الحلال مقتنى
مغمضا عينيه دون مين
من كل ما يشغله في البال
يعملها لوجه ذى الجلال
وصورة لشيوخه بالفكر
لكن مع الوقار والسكينة
وكل مشغول عن الرحمن
والأكل نحو ساعة في القدر
عساه يأتيك بخير السر

وفي [جه] شرطه المحافظة على الصلوات في أوقاتها في الجماعة إن أمكن ، والطهارة البدنية
والثوبية والمكانية واستقبال القبلة وعدم الكلام إلا لضرورة له . وفيه : ومن ورعه رضى الله عنه
أنه لا يستعمل في عبادته وأمور ديانته إلا ما خلصت ^(١) طهارته خلوصا تاما كاملا مبالغا في الاحتياط
لدينه ، وإتقان عبادته التي هي وصلة بينه وبين ربه كما هو شأن الخواص من المخلصين فيتحرى من
البقعة والماء أطيب محلا وأصفى حالا . وعن النووى في حليته . وينبغي أن يكون الموضع الذى يذكر
الله فيه يكون خاليا نظيفا فإنه أعظم في احترام الذكر والمذكور ولهذا مدح الذكر في المساجد والمواضع

الشريفة وعن أبي مبصرة رضى الله عنه : لا يذكر الله تعالى إلا في مكان طيب ، وعليه فينبغي للعاقل أن يتجنب الذكر في الأزقة المتنجسة وعليه بالتفكير أو يذكر بالقلب بدون حركة لسان إذ ينبغي للذاكر أن يكون على أطيب الحالات وأجمل الصفات وأنظف الهيات - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - وفي [ثيق] أخذ علينا العهد أن لا يجلس قط لقراءة أو ذكر إلا ونحن على طهارة ولو بالتيمم بشرطه وذلك لأن من تأمل الذكر والقرآن والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد حكمها حكم الصلاة بجامع المناجاة للحق وقياسا على صلاة الجنائز في اشتراط الطهارة لها مع أنها لا ركوع فيها ولا سجود وإنما هي قراءة وذكر ودعاء ، ومن عظم الله عظمه الله ، وقد رأى بعض الصالحين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله : هل الصلاة عليك مقبولة على الدوام غير مردودة ؟ فقال : نعم هي غير مردودة إذا كان المصلي على طهارة ، فعلم أن من خاطب الله تعالى وهو محدث كان قليل الأدب ، والله أعلم اه .

(و) من شروط صحته أيضا (ستر) بفتح مهملة مصدر ستره غطاه وبالكسر ما يستر به من ثوب ونحوه (لعورة) واجبة الستر في الصلاة لكن يذكر وقدره : وفي المختصر : وهي من رجل وأمة وإن بشائبة وحرمة مع امرأة ما بين سرية وركبة الخ وورد « أنه صلى الله عليه وسلم مر على بعض أصحابه كاشفا فخذه فقال له : غط فخذك فإن الفخذ عورة » وأنه أتى بصبي لم توار عورته فقال لهم صلى الله عليه وسلم غطوا حرمة عورته فإن حرمة عورة الصغير كحرمة عورة الكبير ولا ينظر الله إلى كاشف عورة » وفي البخاري ويذكر عن ابن عباس وجرهدو محمد بن حبيش عن النبي صلى الله عليه وسلم « الفخذ عورة » وقال أنس : « حسر النبي صلى الله عليه وسلم عن فخذه » وحديث أنس أسند وحديث جرهدو أحوط حتى يخرج من اختلافهم ، وقال أبو موسى : « غطى النبي صلى الله عليه وسلم ركبتيه حين دخل عثمان » انظره . وفي [جص] « احفظ عورتك إلا من زوجتك أو مملكت يمينك قيل إذا كان القوم بعضهم من بعضهم قال : إن استطعت أن لا يرينها أحد فلا يرينها قيل إذا كان أحدنا خاليا قال الله أحق أن يستحيا منه من الناس » ومن شروط الصحة أيضا (طهارة أخبات) جمع خبث كسبب وأسباب وهي إزالة النجاسة ثوبا ومكانا وبدنا (بذكر وقدره) أى مع الذكر والقدرة لأمع نسيان وعجز لكن يستحب إعادة الورد مادام وقته قياسا على الصلاة . وفي [مع] وفي تحفة الإخوان : ولذا ذكر آداب لا بد من ملاحظتها أن يكون على طهارة كاملة من حدث وخبث وأن يستقبل القبلة إن كان وحده وإلا تحلقوا وإن ضاق بهم المجلس اصطفوا اه . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تتهاون بترك المبادرة إلى غسل النجاسة التي تصيبنا في بدننا أو ثيابنا بحيث يدخل وقت الصلاة ونحن لم نتطهر منها وكذلك القول في الحدث الأصغر والكبير لاسيما إن عصي به كأن قبل أجنبية أو باشر حائضا فينبغي المبادرة للطهارة كما نبادر بالتوبة ، ثم قال : وربما أضر الإنسان الغسل وغسل النجاسة عن بدنه حتى دخل وقت الصلاة فلا يفرغ من ذلك حتى تفوته صلاة الجماعة وهذا العهد معقود لإزالة النجاسة الحسية ، ويقاس على ذلك النجاسة المعنوية المتعلقة بالباطن كسوء الظن بأحد من المسلمين أو حدوث رياء أو حسد أو غل أو حقد أو عجب أو كبر أو نحو ذلك من المعاصي الباطنة ، ولذا ورد أن عامة عذاب القبر من البول مع أنه معدود من النجاسة الظاهرة والباطنة أو لأن القلب محل نظر الرب كما يليق بجلاله قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم » الظاهر ،

(ومنها) أى من شروط الصحة أيضا (الجلوس) لتلاوته ، وينبغي أن يكون على هيئة تقتضى الذل والانكسار وإظهار العجز والافتقار للملك الغفار فإن الظاهر عنوان الباطن (مع توجه) قبله بجميع بدنه من حين الشروع فى ورده إلى أن يختمه قال تعالى - وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره - (لغير مسافر) نطاق سفر ولو قرب جدا وإذا قرأه المسافر حال تلبسه بالطريق فيقرؤه قائما متوجها لثأية سفره مستقبلا كان أم لا ، ولا يخالف نعليه لضرورة الحفاء إلا إذا كان راكبا فيخلعها . وفى [مع] والموفى عشرين الجلوس واستقبال القبلة إلا لسفر ولو قريبا جدا اهـ . وفى [م] :
واستقبل القبلة إلا للضرر مثل مسافر على ظهر السفر

وعن ابن عمر رضى الله عنهما وعنا بهما أمين : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على الراحة قبل أى وجه توجه ويوتر عليها غير أنه لا يصلى عليها المكتوبة (وغير ضرورة) ومشقة ولو فى النفس . وفى [غ] والذى أدر كنا عليه عمل الصادقين وأهل الجدة والاجتهاد من المريدين المحققين هو تأكيد أمر الاستقبال حتى كأنه شرط صحة عندهم ، ولا يخفى أن عملهم فى ذلك هو الأليق والأنسب بل هو المطلوب فى بساط التربية والسلوك ، وقد قال بعضهم : ما فتح الله على ولى إلا وهو مستقبل القبلة . وذكر أن رجلا علم ولدين القرآن على السواء فكان أحدهما يقرأ وهو مستقبل القبلة فحفظ القرآن قبل صاحبه بسنة ، وفى الخبر : « لكل شئ زينة وزينة المجالس استقبال القبلة » وفيه : « إن لكل شئ شرفا وإن شرف المجالس ما استقبال به القبلة » وفيه « إن لكل شئ عسيذا وإن سيد المجالس قبالة القبلة » : واعلم أن ما تقدم من الترغيب فى استقبال القبلة هو فى حق من كان فى غير مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد نص العلماء على أن استقبال القبر الشريف فى الذكر والدعاء لمن كان فى مسجده صلى الله عليه وسلم أفضل من استقبال القبلة ، وتذكر ما تقدم لنا فى قول إمام الأئمة مالك رضى الله عنه للخليفة العباسى وأبن تصرف وجهك عنه وهو قبلتك وقبله أبيتك آدم صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آل كل اهـ : وفى [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعل جلوسنا دائما للقبلة عملا بعموم قوله تعالى - وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره - أى نحو الكعبة اللهم إلا أن يكون أحدنا جالسا فى حافلة فقبله أحدنا حينئذ وجوه أصحابنا من حيث أن المؤمن مرآة المؤمن ، ولا يخفى أن توجه العبد لأخيه فى غير الصلاة أفضل من توجهه للكعبة فإن لم نجد من نستقبله من المسلمين استقبلنا القبلة لأنها تليه فى المرتبة - والله عليم حكيم - انظره (وصحح) أى صحح بعض الخاصة رضى الله عنه وعنا به أمين (أن ليسا) أى الجلوس والاستقبال حال قراءته (من أركان) أى من شروط (صحة) بل إنهما من شروط الكمال . وفى [م] :

كذا جلوسك إذا استطعتا تفعله وعنه ماشغلنا

وفى [غ] من شروط الكمال الجلوس فلا يذكره مضطجعا إلا إذا لم يستطع الجلوس ولا قائما إلا إذا شغل عن الجلوس كأن يكون مسافرا جادا فى السير راجلا فيذكره حيث ما توجه بشرط أن لا يبطأ نجاسة وأن لا يلبس نجسا مع الإمكان هكذا ذكر الناظم رحمه الله ، وهو من آداب المريدين السالكين ، لكن المحفوظ عندنا من عمل أصحاب الشيخ رضى الله عنه يدل على أن الأمر فى ذكره مضطجعا أو قائما أخف مطلقا وخصوصا للاستراحة فى الاضطجاع والتفادى من النوم ونحوه فى القيام اهـ . والتفادى من تفادى الشئ تماماه وتوقاه واجتنبه .

(و) من شروط الصحة أيضا (ترك الكلام) الأجنبي حال قراءة الورد الأحمدي (عند فقد الضرورة)
المعتبرة شرعا لأن الذاك متى توجه لأداء ورده فهو بين يدي ربه سبحانه وتعالى يخاطبه ويناجيه فقيح
على العاقل أن يقطع مناجاة سيده بعارض أو يشتغل عنه بشاغل . وقد نقل أن سفيان الثوري دخل على
رابعة العدوية زائرا فأعرضت عنه ولم تجبه ، فقيل لها في ذلك فقالت لاشك عندي أنني مقبلة على الله
وأن الله مقبل على فكيف أكون مقبلة على سفيان وأنا على ذلك الحال (وإلا) تفقد الضرورة بأن وجدت
(فبالقليل) أي فليتكلم بالقليل (منه) أي من الكلام (ككلمة) كسفرة أي كلام مختصر إذا لم
تغن عنه الإشارة وإلا فلا . وفي [غ] والذي كان عليه كافة من أدركناه من أصحاب سيدنا الشيخ رضي
الله عنه ترك الكلام إلا لعذر فيشير برأسه أو يده أو نحو ذلك فقط ، وينبغي أن يكون العمل عليه
إلا حيث لم تفد الإشارة فيعمل على الآخر فيأتي بالقليل كالكلمة والكلمتين انتهى (سوى ما إذا قد
خاطبت أم) دنية لاجدة (أو) خاطب (أب) كذلك ابنهما حال تلاوة الورد (و) أي أو إذا خاطب
(زوج) زوجته (أخاه) أي أخا الورد من ابن أو زوجة (فليجبهم) أي الأم أو الأب أو الزوج
(بسرعة) أي دون مهلة ولا تراخ جبرا لخاطرهم والتماسا لرضا الله في رضاهم فإن رضا الله في
رضاهم وفرارا من سخطه في سخطهم ويستأنس لذلك بقضية جريج مع أمه ، وفي البخاري قال
أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نادى امرأة ابنها وهو في صومعته قالت :
يا جريج قال : اللهم أمي وصلائي قالت : اللهم لا يموت جريج حتى ينظر في وجه المياميس ، وكانت تأبى
إلى صومعته راعية ترعى الغنم فولدت فقيل لها من هذا الولد قالت من جريج نزل من صومعته قال
جريج ابن هذه التي تزعم أن ولدها لي قال : يا بابوس من أبوك قال راعي الغنم » اهـ . والمياميس : الزواني ،
وبابوس بموحدين الرضيع بالرومية (فمن لم يبر) بفتح موحدة من بره ضد عقه (والديه) دنية قال
تعالى - وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا
تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما
ربياني صغيرا - الآية ، وعنه صلى الله عليه وسلم « من أدرك أبويه أو أحدهما ولم يغفر له لاغفر
الله له » .

وفي [جص] « رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما » وفيه « طاعة الله طاعة الوالد
ومعصية الله معصية الوالد » قال الحنفى : فينبغي الحرص على طاعتها حتى لو أمره أحدهما بطلاق
زوجته طلب منه المبادرة لذلك حيث لم يكن أمر الأبوين لأمر نفساني فقد أمر سيدنا عمر ابنه عبد الله
رضي الله عنهما بذلك وكان يحب زوجته وسيدنا عمر يكرهها ، فذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأخبره بذلك فقال له طلقها أي لطلب رضا أبيه اهـ . وفيه « بر الوالدين يزيد في العمر والكذب ينقص
الرزق والدعاء يرد القضاء والله في خلقه قضاءان قضاء نافذ وقضاء محدث وللأنبياء على العلماء فضل
درجتين ، وللعلماء على الشهداء فضل درجة » وفيه « بزوا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا عن النساء تعف
نساؤكم » البخ : وفي [حى] قال صلى الله عليه وسلم : « أن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه
فيه تقة » وقد قال صلى الله عليه وسلم « بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة
والجهاد في سبيل الله » وقد قال صلى الله عليه وسلم « من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان
إلى الجنة ومن أمسى فثل ذلك وإن كان واحدا فواحد وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما » وقال صلى الله عليه وسلم

« إن الجنة يوجد ربحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ربحها عاق ولا قاطع رحم » وقال صلى الله عليه وسلم « برأملك وأباك وأختك وأحاك ثم أدناك فأدناك » وروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : لأنه من بر والديه وعقنى كتبته باراً ومن برنى وعق والديه كتبته عاقاً . ثم قال : قال صلى الله عليه وسلم « ماعلى أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه إذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء » وقال مالك بن ربيعة : « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاء رجل من بنى سلمة فقال يا رسول الله هل بقي على من بر أبوى شيء أبرهما به بعد وفاتهما ؟ قال : نعم : الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقتهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما » وقال صلى الله عليه وسلم « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى الأب » وقال صلى الله عليه وسلم « بر الوالدة على الوالد ضعفان » وقال صلى الله عليه وسلم « دعوة الوالدة أسرع لإجابة » قيل يا رسول الله ولم ذاك ؟ قال هي أرحم من الأب ودعوة الرحم لا تسقط » اه وقال صلى الله عليه وسلم لمن استشاره في الجهاد « ألك والدة ؟ قال نعم ، قال فالزمها فإن الجنة عند رجلها » وفي رواية « ففيها فجاهد » وروى « من قبل بين عيني أمه كان له ستر من النار » وروى « إذا دعاك أبواك فأجب أمك ثم أباك » وإنما قدمت عليه لأن لثنتين من البر ولأنها أرحم وأشفق منه . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نرغب إخواننا في بر والديهم وصلاتهم والإحسان إليهم وبر أصدقائهم من بعدهم ونبين لهم تأكيد طاعتهم ، ويقاس على ذلك بر والد القلب من المشايخ وصلاته والإحسان إليه وبر أصدقائه من بعده وبيان تأكيد حقه ويحتاج العامل بهذا العهد إلى توفيق زائد في هذا الزمان مع مصاحبة أستاذ يطلعه على مقام الوالدين المذكورين وذلك لا يكون في أب الروح إلا بعد إطلاع المريد على نفاسة الطريق ونفاسة ما بدعوه إليه الشيخ كشفاً وبقينا وإلا فمن لازمه كثرة الإخلال بتعظيمه وعصيانه . وسمعت أخى أفضل الدين رحمه الله يقول : لا يتحرك عند مريد داعية التعظيم والإجلال لشيخه كما ينبغي إلا بعد الفتح عليه وأكثر المريدين قد عدموا الفتح في هذا الزمان فلذلك كان من لازمه غالباً عقوق الأستاذين وعدم احترامهم . وقد تقدم أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه منذ وعى على نفسه لم يأكل مع والدته خوفاً أن تسبق عينها إلى لقمة أو قطعة لحم أو رطبة أو عنبه فيأكلها وهو لا يشعر ، وقد كان الطلبة والمريدون في الزمان الماضى يحلون أشياخهم في الطريق وآباءهم من الطريق ولو صار أحدهم شيخ الإسلام وذلك لنظرهم إلى الدار الآخرة ، وقد صار غالب الناس اليوم بصره مقصوراً على أحوال الدنيا وزينتها ، ثم قال : فعظم يا أخى والدك وقم بواجب حقهما طلباً لمرضاتهما وإن طلباً منك غداً فأعطهما ولهما واطو ذلك اليوم وإن ضعفاً فاخدمهما وإن شئ بطنهما فاغسل النجاسة عنهما بيديك ولا تقل لهما قط أف كما أنهما كانا يمسحان عنك البول والغائط وتحرؤ عليهما وتبول على ثيابهما ويتحملان ذلك منك كما أشار إلى ما ذكرناه قوله تعالى - ولا تقل لهما أف - بل من الأدب إذا طلباً من الولد جميع ما يملكه أن يعطيه لهما ثم قال : وروى الطبرانى « أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن أبى يأخذ مالى ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اذهب فأتنى بأبيك ، فنزل جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله إن ربك يقرئك السلام ويقول لك إذا جاءك الشيخ فاسأله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه ، فلما جاء الشيخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما بال ابنك يشكوك تريد أن تأخذ ماله ؟ قال أسأله يا رسول

الله هل أنفقته إلا على إحدى عاتيه أو خالاته أو على نفسه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إياه دعنا من هذا ، أخبرني عن شيء قلته في نفسك ماسمعتة أذنك - فقال الشيخ والله يارسول الله ما يزال الله يزيدنا بك يقينا لقد قلت في نفسي شيئا ماسمعتة أذنأي فقال قل وأنا أسمع فقال وأنشد رحمه الله :

غذوتك مولودا ومنتك يافعا	تعل بما أجنى عليك وتهل
إذا ليلة عاقبتك بالسقم لم أبت	لسقمك إلا ساهرا أتمامل
كأنى أنا المطروق دونك بالذى	طرقت به دوني فعبني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنما	لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي	إليها مدى ماكنت منك أومل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة	كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوي	فعلت كما الجار الجاور يفعل
فوافيتني حق الجوار ولم تكن	على بمالي دون مالك تبخل
تراه معدا للخلاف كأنه	برد على أهل الصواب موكل انظره

وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود أن لانا كل مع والدينا ولا نشرب معهم في إناء واحد إلا إن كنا متحققين بمقام الإيثار الكامل أو كان ذلك الطعام متساوي الأجزاء لاتفاضل فيها وذلك خوفا أن تسبق عين والدنا أو والدتنا أو شيخنا إلى قطعة لحم مثلا أو رطبة أو عنبية تم نضيجها وحلاوتها فأكلها نحن ولا نشعر فنكون بتقصيرنا عن كمال الإحسان المشار إليه في قوله تعالى - وبالوالدين إحسانا - ويلحق بالوالدين العم لما ورد أن العم أب وكذا يلحق بهما ما عطف عليهما في الآية من ذوى القربى واليتامى والمساكين وغيرهم للأمر بالإحسان إليهم ، ثم قال : فإن كانت الوالدة أو الوالد أو من عطف عليهما لا يبصر بأن عمي مثلا أو كان في ظلمة أو ذهب تمييزه لكبر أو كان اليتيم ونحوه صغيرا لا تميز عنده لأطياب الطعام ، فلا بأس بالأكل معه على وجه الإيثار جهدنا والناقد بصير فاعلم ذلك واعمل عليه تجد بركته والله يتولى هداك اه (و) من لم تبر من النساء (زوجها) أو سيدها . وفي [جص] « أعظم الناس حقا على المرأة زوجها وأعظم الناس حقا على الرجل برأه » وفيه : « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت الجنة » وفيه : « إذا قالت المرأة لزوجها مارأيت منك خيرا قط فقد حبط عملها » وفيه : « استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا » ورحم الله من قال :

هي الضلع العوجاء لست تقيمها ألا إن تقويم الضلوع انكسارها
أجتمع ضعفها واقتدارا على الهوى أليس عجيبا ضعفها واقتدارها

وفيه : « أما ترضى إحداكن أنها إذا كانت حاملا من زوجها وهو عنها راض أن لها مثل أجر الصائم القائم في سبيل الله ، وإذا أصابها الطلق لم يعلم أهل السماء والأرض ما أخفى لها من قرة أعين فإذا وضعت لم يخرج من لبنها جرعة ولم يمض من ثديها مصة إلا كان لها بكل جرعة وبكل مصة حسنة ، فإن أسهرها ليلة كان لها مثل أجر سبعين رقبة تعقهم في سبيل الله ، سلامة تدرين من أعنى بهذا ؟ المتمنعات الصالحات المطيعات لأزواجهن اللواتي لا يكفرن العشير » اه . وفي [حى] والقول الشافى فيه أى

في حق الزوج على الزوجة أن النكاح نوع رق فهي رقيقة له فعليها طاعة الزوج . طلاقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه ، وقد ورد في تعظيم حق الزوج عليها أخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » وكان رجل قد خرج إلى سفر وعهد إلى امرأته أن لا تنزل من العلو إلى السفلى وكان أبوها في الأسفل ففرض فأرسلت المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول إلى أبيها فقال صلى الله عليه وسلم أطيعي زوجك فمات واستأمرته فقال أطيعي زوجك فدفن أبوها ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يخبرها أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها ، وقال صلى الله عليه وسلم « إذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها » وأضاف طاعة الزوج إلى مبادئ الإسلام ، وذكرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « حاملات والداك مرضعات بأولادهن لولا ما يتبنين إلى أزواجهن دخل مصلياتهن الجنة » وقال صلى الله عليه وسلم « أطلعت في النار فإذا أكثر أهلها النساء ، فقلن لم يارسول الله ؟ قال يكثرن اللعن ويكفرن العشير » يعني الزوج المعاشر ، وفي خبر آخر « أطلعت في الجنة فإذا أقل أهلها النساء ، فقلت أين النساء ، قال شغلن الأحمران : الذهب والزعفران » يعني الحلل ومصبغات الثياب . وقالت عائشة رضي الله عنها « أت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله : إني فتاة أخطب فأكره التزويج فما حق الزوج على المرأة ؟ فقال لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره ، قالت أفلا أتزوج ؟ قال بلى تزوجي . فإنه خير » قال ابن عباس « أنت امرأة من خثعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إني امرأة أيم وأريد أن أتزوج فما حق الزوج ؟ قال إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها على نفسها على ظهر بغير لا تمنعه ، ومن حقه ، أن لا تعطى شيئا من بيته إلا بإذنه فإن فعلت ذلك كان الوزر عليها وله الأجر ، ومن حقه أن لا تصوم تطوعا إلا بإذنه فإن فعلت جاعت وعطشت ولم يتقبل منها ، وإن خرجت من بيتها بغير إذنه لعنتها الملائكة حتى ترجع إلى بيته أو تتوب » وقال صلى الله عليه وسلم « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ثم قال : « ومن حقها على الوالدين تعليمها حسن المعاشرة وآداب العشرة مع الزوج » كما روى أن أسماء بنت خزيمة الفزاري قالت لا بنتعا عند الزوج : إنك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت إلى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه ، فكوني له أرضا يكن لك سماء ، وكوني له مهادا يكن لك عمادا ، وكوني له أمة يكن لك عبدا ، لا تلحنى عليه فيقلاك ولا تباعدى منه فينسأك ، إن دناءتك فاقربى ، وإن نأى فابعدى عنه ، واحفظى أنفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك إلا طيبا ولا يسمع إلا حسنا ولا ينظر إلا جميلا ، وقال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستدعى مودتى ولا تنطقى فى سورتى حين أغضب
ولا تنقرينى نقرك الدف مرة فإنك لا تدرين كيف المغيب
ولا تسكثرى الشكوى فتذهب بالهوى ويأبأك قلبى والقلوب تقلب
فإني رأيت الحب فى القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

(فليس بصالح لهذا الطريقة) الأحمدية لأنها مؤسسة على الكتاب والسنة ، وقد مر عن [جه] أن من شروط الورد المحافظة على الصلوات والأمور الشرعية ، لكن القدر محتوم والعبد غير معصوم ، فمن وقع فى شيء من المخالفات الشرعية لا يلزمه تجديد الورد وإنما يلزمه تجديد التوبة لكل ذنب

أفترقه ، قال تعالى - وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات - إن الله يحب التوابين - أى كلما أذنبوا تابوا ، وفى الحديث « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » وفى [غ] ولا يؤمر بتجديد التقيد بالعهد لأنه لا تنفسح عقدة عهده بارتكاب الذنب كما قد يتوهم ، وهذه طريقة الكمل من العارفين . فقد رأيت فى [النزهة] للشيخ أبى العباس التستاقى رحمه الله تعالى أن بعض إخوانه عهد إليه مرة عند إرادته الوفاة على شيخه الشيخ ابن ناصر رضى الله عنه أن يبلغه سلامه وأن يذكر له أنه يقع فى الذنب الفلانى . قال : وهو مما يقتل فاعله ، ثم يعود وقد تعذر عليه أمر التوبة منه : يعنى بحيث لا يعود إليه أصلاً قال : فأجابنى الشيخ بأن قال لى : قل له ليس عليه إلا أن يجدد التوبة منه كلما جرى عليه القدر به ، والحبل متصل بينى وبينه اه بمعناه مع طول عهده به . وحدثنى بعض الخاصة من أصحاب سيدنا رضى الله عنه أن بعض أصحابه رضى الله عنه وقع فى كبيرة ، ثم أتى سيدنا رضى الله عنه خائفاً مذعوراً أفذكر ذلك له رضى الله عنه ، فقال له : ليس عليك إلا أن تتوب إلى الله عز وجل وأنت منى وأنا منك اه وطوى هنا :

وليس عليه أن يجدد ورده بذنوب يصيبه ولكن بتوبة
وما يوجب التجديد إلا تقيد بغير التجانى ورفض الوسيلة

قال رحمه الله :

(وَتَارِكُ بَعْضٍ ذَا بَوَاقٍ يُعِيدُهُ وَيَقْضِيهِ بَعْدَهُ وَلَوْ بَعْدَ مُدَّةٍ)

(وتارك بعض ذا أى الذى تقدم من شروط الصحة المتفق عليها وأخرى من تركها كلها (بوقت) اختيارى أو ضرورى (يعيده) من الإعادة أى يعيد ورده مرة ثانية وجوباً (ويقضيه) أى الورد وجوباً (بعده) أى بعد خروج الوقت (ولو) تذكر ذلك (بعد مدة) مديدة لترتبه فى ذمته ولا يبرئه إلا القضاء وقد مر . وإياكم والتفريط فى الورد ولو مرة فى الدهر . وفى [م] :

وتارك لبعض ذا الذى مضى عليه فى الوقت وبعده القضاء

قال رحمه الله :

(وَقَدَّمَ مَقاصِدًا عَلَى الْوَرْدِ إِنَّهَا أَسَاسٌ وَرُوحٌ خَذَ دَوَاءَ الْأَطِيبَةِ)

(وقدم) ندباً (مقاصداً) بالصرف جمع مقصد . وفى [غ] وهى أن يقرأ على قلبه قبل الشروع فى كل ذكر من الأذكار التى هى أركان الورد التى بنى منها آية من القرآن العظيم متضمنة للأمر بذلك الذكر ويستشعر هيئة الأمر بمعرفته بمن صدر منه ، ثم قال : وقد عرفت مما تقدم ما هو عليه الأمر عندنا فى هذه المقاصد ، وما أجاب به الشيخ رضى الله عنه من سأله عن ذلك من قوله له : قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وأشرع فى وردك فالعمل عليه من الآداب الكمالية ثم قال : وكيفية العمل على المقاصد فى وردنا أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يتلو قوله تعالى - وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم - وليستعمل حال قراءتها ما يقدر عليه من الحضور والتدبر ليستشعر قلبه عظمة المولى بالأمر وحقارة العبد المأور حيث تفضل سيده عليه فجعله محل لحظاته وأمره بما فيه طهارة قلبه من أدران مخالفتة لسيده ومولاه ، ولا يخفى ما ينتجه هذا الاستشعار من الحياء من المولى الملك المقتدر الحكيم الغفار ، ثم بعد الفراغ من

تلاوة الآية على ما يمكن من الصفة المذكورة يقول : لبيك اللهم ربى وسعديك والخير كله فى يديك ،
وها أنا ذا عبدك الضعيف الذليل الحقير قائم لك بين يديك ، أقول مستعينا بحولك وقوتك امثالاً لأمرك
وتعظيماً وإجلالاً لك أستغفر الله الخ ، ثم بعد الختم للاستغفار على ما سنبينه قريباً يتعوذ كما مر ويتلو
قوله تعالى - إن الله وملائكته - الآية على نحو ما سبق ، ثم يقول لبيك اللهم ربى وسعديك إلى قوله
وها أنا ذا عبدك الضعيف الذليل الحقير قائم لك بين يديك ، أقول مستعينا بحولك وقوتك امثالاً
لأمرك وتعظيماً وإجلالاً لك وأرسولك صلى الله عليه وسلم اللهم صل على سيدنا محمد الخ ، وبعد الختم
يتعوذ ثالث مرة ويتلو قوله تعالى - فاذكرونى أذكركم - الآية ، ثم يقول مثل ما سبق إلى قوله وها أنا ذا
عبدك الضعيف الذليل الحقير قائم لك بين يديك أقول مستعينا بحولك وقوتك مخلصاً لك من قلبى بما
أهمنى إليه بسابق فضلك ومنتك ذاكر لك امثالاً لأمرك وتعظيماً وإجلالاً لك لا إله إلا الله إلى أن
يختم ، فهذه مقاصد الورد ، وربما وقع بين الأصحاب مخالفة فى الآى المتلوة وبعض الألفاظ
المقروءة والكل صحيح والخطب فيه سهل ، والمدار على ما تقدم من استشعار الحية والحضور فى
الذكر والله الموفق اهـ .

وفى [إرشاد السالك] بفتح الورد بالاستعاذة وبالسمة كنساً لخواطير الشياطين واستنجاحاً باسم الرحمن ،
ثم يختم بالحمد والشكر اعترافاً بنعمة الهداية وإظهاراً لحصول الوقاية ويكون ذلك وتراً ثلاثاً أو خمساً
أوسبغاً اهـ . قوله : ثم يختم بالحمد والشكر أى ينبغى أن يختم الورد بالحمد لله رب العالمين الخ بنية الشكر
لله تعالى أن وفقه إلى إتمامه ، لكن بعد تقديم الاستعاذة بالله من الشيطان والاستعاذة بالرحمن امثالاً بالقرآن ،
ثم بعد الحمد يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن زاد آية - الحمد لله الذى هدانا لهذا -
وآية - الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين - فقد هدى إلى صراط مستقيم (على الورد)
الأحمدى والنور المحمدى ، وكما يفتح بالمقاصد يختم بها كما مر - ولا يستخفئك الذين لا يوقنون - فلا
يصدرك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه - (إنها) أى المقاصد (أساس) كسحاب ما بينى عليه الشئ
(وروح) مابه الحياة (خذ دواء) بثلاث الدال ما يداوى به (الأطبة) جمع طبيب أى لأمراض القلوب
بأدوية علام الغيوب . وفى [مع] اعلم أنه ما من ذكر من أذكار هذه الطريقة اللازمة وغيرها إلا وله
مقصد بنى عليه ذلك الذكر ومنها ما يكون له مقاصد متعددة ، ثم قال : فاعلم أن المقصد هو
ما يحصل به القاعدة التى عليها بناء الذكر ويختلف باختلاف الأذكار وهو أكد شروط الذكر وألزمها
لأنه الذى عليه يجرى معنى الذكر ، لأن الذكر يدور على اللسان ليؤثر معناه اتصافاً فى النفس بما يقتضيه
المعنى ، فإذا لابد من إحضار قصد بين يدي الذكر يبنى عليه الفكر تدبيراً لمعنى الذكر ، وبحسب
تلمح الفكر معنى القصد أثناء الذكر تكون قوة التأثير فى النفس ، وأهل التمكن فى هذا الطريق
لا تخلو حركة من حركاتهم ولا سكنة من سكناتهم عن قصد يتوجهون بمعناه إلى الله تعالى ، فلا أقل
لهم من تواصل معنى قصد الذكر بأبلغ ما يمكنهم وكذلك سائر العبادات ، روى عن طاوس أنه سئل
منه الدعاء فقال : لم أجد له قصداً ، لأن المقاصد هى أرواح الأعمال ولا يستقيم عمل لارواح له . ثم اعلم
أن مقاصد الأذكار تختلف باختلاف المنازل والمقاصد من الأذكار كالأرواح من الأجساد واللعانى
من الألفاظ ، وهى أساس الأذكار ، عليها بناء الذكر وإليها يرجع عند حضور الفكر ، ومن صفحات

معناه تتلمع الثمرات ومن تلقائه تهب نواسم الأسرار والبركات ، ومن أغشى عليه في معنى قصده خاب مسعاه وبعد مأواه ، انظره . قال رحمه الله :

(جُلُوسَ الصَّلَاةِ اجْلِسْ لَهُ أَوْ تَرَبُّعًا أَوْ اقْعَاءَ أَوْ جُنُوءًا أَوْ أَىِّ جِلْسَةٍ عَلَى الْفَخْذِ ضَعْ نَدْبًا يَدَا فِي الثَّلَاوَةِ وَبَيْنَ يَدَيْكَ شَخْصَ الشَّيْخِ وَالْفِي وَكُنْ مُسْتَمِدًّا مِنْهُمَا بِالْوَسَائِطِ وَمَوْلَاكَ رَاقِبٌ وَاعْتَقِدْ أَنَّهُ يَرَاكَ إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ مِنْ عَظَمِ زَلَّةٍ)

(جلوس الصلاة اجلس له) أى اجلس ندبا للورد الأحمدي مثل جلوسك في الصلاة للشهد (أو تربعاً) أى أو اجلس له مترعاً من ترع في جلوسه ضد أقمى وجثا في جلوسه . وفي [مع] أولها أى الآداب المطلوبة من الذاكر حال الذكر الجلوس على مكان طاهر مترعاً أو كجلوسه في الصلاة اه (أو اقعاء) أى أو اجلس له مقعياً ، من أقمى في جلوسه تساند إلى ماوراءه (أو جنوا) أى أو اجلس له جاثياً من جثا كدعا وروى جلس على ركبتيه أوقام على أطراف أصابعه (أو أى جلسة) بكسر الجيم أى أو اجلس له على أى هيئة من هيئات الجلوس والمختار الجلسة الأولى ، ولذا قدمها ولبعض الإخوان حفظه الله ورضي عنه :

آفة كل ذاكر بلا نزاع الاتكاء واستناد واضطجاع
محبلة الكسل والنعاس مضرة التالي بلا التباس
وفي [م] : قلت وعندى حسن من يأتي به كمثل جلسة الصلاة

وفي [غ] ولا شك أن ما استحسنته الناظم رحمه الله تعالى من الإتيان به في مثل جلسة الصلاة أمر حسن ، ولا سيما في بساط الترية والسلوك الخاص ، ولا مفهوم لجلسة الصلاة بل كذلك التربع والإقعاء بمعنى الجلوس على العقبين حسبما نصوا عليه في كلامهم في بيان كيفية الجلوس في الخلوة أعني الأربعينية ونحوها اه (على) آخر (الفخذ) بذال معجمة ككتف مؤنثة ما بين الساق والورك وسكنت خاؤه للوزن (ضع) من وضع الشيء أثبتته (ندبا) أى استحباباً (يدا) المراد بها وبالفخذ الجنس فيصدق بالمتعدد أى ضع يديك معا على آخر الفخذين على جهة الاستحباب (في) حال (الثلاوة) أى عند شروعه في قراءة الورد الأحمدي . وفي [مع] الثاني يعنى من الآداب المطلوبة من الذاكر حال الذكر أن يضع راحتيه على فخذه ، والثالث تطيب مجلس الذكر والبدن والقم وبعد الرائحة الكريهة ، لأن مجالس الذكر لا تخلو عن الملائكة وعن مؤمنى الجن ، والروحانيون لا يقبلون الروائح الكريهة فبانقطاعهم عن مجلس الذكر ينقطع المدد كما هو مشاهد بالدوق ، والرابع لبس اللباس الطيب حلاً ورائحة انظره (وعينيك) ندبا (غضض) من التغميض مخافة التشويش عليك : وفي [مع] والسادس : أى من الآداب المطلوبة من الذاكر حال الذكر تغميض العينين لأنه أسرع في تنوير قلبك ، فتغميض عينيك ينسد عليك طرق الحواس الظاهرة ، وانسداد الحواس الظاهرة سبب لفتح حواس القلب اه . وفيه : وروى الشيخ يوسف الكوراني الشهير بالعجمي في رسالته « أن على بن أبي طالب سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله تعالى وأسهلها على عبادة وأفضلها عند الله تعالى ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا على عليك مداومة ذكر الله تعالى في الخلوات ، فقال على هكذا فضيعة الذكر وكل الناس ذاكرون ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم مه يا على لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله ، فقال على كيف أذكر يا رسول الله : فقال صلى الله عليه وسلم : غمض عينيك واسمع مني ثلاث مرات ، ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته وعلى يسمعه ، ثم قال على رضى الله تعالى عنه لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضا عينيه رافعا صوته والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع « اه . وللأسحلي رضى الله عنه :

كما أن سد العين في الورد لازم وإلقاء رأس الذل في وسط الحجر

(مع) يسكون العين ملازمة (وقار) كسحاب الرزاة ومع ملازمة (سكية) طمأنينة ظاهرا وباطنا كأنه جبل وعلى رأسه الطير ، ومن غلبه الخلال والوجدان يسلم له - والله عليم بذات الصدور - وفي [جص] « السكية معتم وتركها مغمم فلانها من الأخلاق الجميلة » وفيه « عليكم بالسكية » أى الوقار والرزاة « فى كل شيء » (وبين يديك شخص) صورة سيدنا (الشيخ) رضى الله عنه وعنايه آمين وهو أبيض مشرب بحمرة ربعة إذ هو الواسطة بينك وبين نبيلك سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، لكن من الأدب أن تصور نفسك الأمانة بالسوء أنها واقفة بين يديه رضى الله عنه وعنايه آمين . وفي [مع] والرابع : أى من آداب الذاكر أن يستمد بقلبه عند شروعه فى الذكر همة شيخه ويستحضره ويلاحظه ليكون رفيقه فى السير إلى الله تعالى وهذا من أهم الآداب ، ولو نادى شيخه بلسانه بالاستغاثة عند الاحتياج جالاه (والنبي) بتخفيف تحتية أى وشخص أيضا بين يديك صورته صلى الله عليه وسلم الشريفة بحسب الطاقة والإمكان إذ هو الواسطة بينك وبين ربك سبحانه وتعالى ، ومن الآداب أيضا أن تصور أنك بين يديه صلى الله عليه وسلم (بذلك) أى بتشخيص نفسك بين يديهما مع أدب ووقار وسكية (يكون فتح) أى انفتاح (عين البصيرة) وهى قوة للقلب المنور بنور القدس يبصر بها حقائق الأشياء كما يبصر الإنسان بعين انباصرة ، بل عين البصيرة أقوى فى الإدراك لأنها شفافة دراية خارقة للحجب لا يحجبها شيء ، وليس الخبر كالعيان وصدق فى التصديق سر الطريقة . وفى [جه] وشرطه الخاص به لمن قدر عليه استحضار صورة القدوة بين يديه وأنه جالس بين يديه من أول الذكر إلى آخره ويستمد منه . وأعظم من هذا وأرفع وأكمل وأنفع أن يستحضر صورة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأنه جالس بين يديه صلى الله عليه وسلم بهيبة ووقار وإعظام وإكبار ويستمد منه بقدر حاله ومقامه اه . وفى [هب] ومنها أى ومن الأسئلة التى سئل عنها رضى الله عنه سيدى هل استحضار صورة النبي صلى الله عليه وسلم فى ذهن المؤمن وتشخيصه إياها هو من عالم الروح أو من المثال أو من عالم الخيال ؟ وهل الصورة الذهنية وما اشتملت عليه من تعقل الحادثة والمكاملة محفوظ صاحبها من الشيطان مثل الرؤيا المتأدية عملا بقوله صلى الله عليه وسلم « من رأى فقد رأى حقا فإن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بى » أو كما قال عليه الصلاة والسلام « أوهى ليست مثلها ؟ أجيبوا ماجورين وعليكم أزكى تحية وسلام . فأجاب رضى الله عنه إن ذلك الاستحضار من روح الشخص وعقله ، فمن توجه بفكره إليه صلى الله عليه وسلم وقعت صورته فى ذهنه فإن كان ممن يعلم صورته الكريمة لكونه صابيا أو من العلماء الذين عنوا بالبحث عنها ثم حصلوها فإنها تقع فى فكره

على نحو ما هي عليه في الخارج ، وإن كان من غير هذين فإنه يستحضره في صورة آدمي في غاية الكمال في خلقه وخلقه فقد توافقت الصورة التي في فكره مافي الخارج وقد تخالفه ، والحاضر في الفكر هو صورة ذاته صلى الله عليه وسلم لا صورة روحه عليه الصلاة والسلام فإن الذي شاهده الصحابة رضى الله عنهم وأخبر عنه العلماء هو الذات لا الروح الشريفة ، ولا يجوز الفكر إلا فيما يعلمه الشخص ويعرفه ، فقولكم هل هو من عالم الروح إن أردتم به الاستحضار فهو من عالم الروح أى من روح المتفكر ، وإن أردتم به الحاضر أى فهل الحاضر في أفكارنا روحه صلى الله عليه وسلم فقد سبق أنه ليس إياها ، وأما المحادثة والمكاملة إذا حصلت لهذا المتفكر فإن كان ذاته طاهرة وتجهاروحه ولم تحجب عنها أسرارها وكانت معها كالخليل مع خليله ، فالمحادثة معصومة وهي حق ، وإن كانت الذات على العكس فالأمر على العكس والله الموفق اهـ . وفي [مح] قلت والمراد باستحضار صورته المذكورة هنا النوع الثاني من التعلق بجنابه صلى الله عليه وسلم ، وهو كما ذكره القطب محمد بن عبد الكريم السمان على قسمين : الأول استحضار صورته صلى الله عليه وسلم والتأدب لها حالة الاستحضار بالإجلال والتعظيم والهيبة والوقار ، فإن لم تستطع فاستحضر الصورة التي رأيتها في النوم ، فإن لم تكن رأيتها قط في منامك ففي حال ذكرك له صلى الله عليه وسلم تصور كأنك بين يديه متأدبا بالإجلال والتعظيم والهيبة والحياء ، فإنه يراك ويسمعك كلما ذكرته لأنه متصف بصفات الله وهو سبحانه جليس من ذكره ، وللنبي صلى الله عليه وسلم نصيب وافر من هذه الصفات لأن العارف وصفه وصف معروفه فهو صلى الله عليه وسلم أعرف الناس بالله تعالى . الثاني من التعلق المعنوي استحضار حقيقته الكاملة الموصوفة بأوصاف الكمال الجامعة بين الجلال والجمال المتحلية بأوصاف الله تعالى الكبير المشرقة بنور الذات الإلهية آباء الآباد ، فإن لم تستطع فاعلم أنه صلى الله عليه وسلم هو الروح الكلى القائم بطرفي حقائق الوجود القديم والحادث فهو حقيقة كل من الجهتين ذاتا وصفات لأنه مخلوق من نور الذات جامع لأوصافها وأفعالها وآثارها ومؤثراتها حكما وعينا ، ثم قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « أنا من الله والمؤمنون مني » فإذا علمت ما ذكرته لك سهل عليك استحضار هذا الكمال المحمدي إن شاء الله تعالى ، ثم قال : وأوصيك يا صفيي بدوام ملاحظة صورته ومعناه ولو كنت في أول الأمر متسكلا في الاستحضار فعن قريب تألف روحك ، فيحضرك صلى الله عليه وسلم عيانا وتحدثه وتخطبه فيجيبك ويحدثك ويخطبك فتفوز بدرجة الصحابة وتلحق بهم إن شاء الله تعالى ، قال صلى الله عليه وسلم « أكثركم على صلاة أقربكم مني يوم القيامة » وإذا كان هذا نتيجة الصلاة باللسان فما نتيجة الصلاة عليه بالقلب والروح والسر ، وهل تكون إلا معه وعنده تعالى لأن نتيجة العمل الظاهر وهو الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الفوز بالمكان وهو الجنة ، ونتيجة الباطن وهو التعلق والإقبال ودوام الاستحضار صورة ، ومعنى الفوز بالقرب بالمكانة فهو عند الله تعالى نزل في مقعد صدق حيث لا أين ولا كيف فافهم الإشارة تقع على البشارة .

واعلم أن الولي الكامل كلما ازدادت معرفته في الله تعالى سكن وثبت لوجوده عند ذكره لأن الله تعالى لا ينساه ، وكلما ازدادت معرفته في رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطرب وظهرت الآثار عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم « وذلك أن معرفة الولي بالله تعالى على قدر قابليته ومحبه في الله تعالى ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم نشأت من معرفة الله تعالى على قدر قابلية النبي صلى الله عليه وسلم ،

ولأجل هذا لا يطبق أن يثبت له وتظهر الآثار ، وكما ازداد الولي معرفة بالنبي صلى الله عليه وسلم كان أكمل من غيره وأمكن في الحضرة الإلهية وأطلق في معرفة الله تعالى على الإطلاق . ثم اعلم أن كل من رأى النبي صلى الله عليه وسلم من الأولياء في تجل من التجليات الإلهية لبسا خلعة من خلج الكمال فإنه صلى الله عليه وسلم يتصدق بتلك الخلعة على الذي رآه بها وهي له هدية من الرسول صلى الله عليه وسلم فإن كان قويا أمكن له لبسها على الفور في الدنيا وإلا فهي مدخرة له عند الله تعالى يلبسها متى يقوى استعداده إما في الدنيا وإما في الآخرة ، فمن حصلت له تلك الخلعة ولبسها في الدنيا وفي الآخرة تكون هذه الفتوة له من النبي صلى الله عليه وسلم ، فكل من رأى ذلك الولي أيضا في تجل من التجليات وعليه تلك الخلعة النبوية فإن ذلك الولي يخلعها ويتصدق بها نيابة عن النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك الرائي الثاني ، وتنزل من المقام المحمدي للولي خلعة أخرى أكمل من تلك الخلعة عوض ما تصدق به عن النبي صلى الله عليه وسلم وهكذا إلى مالا نهاية له ، ولم تزل هذه الفتوة دأبه وعادته لسائر من يراه من الأولياء أبد الأبد ، وهذه كيفية أخرى من التعلق الصوري وهي أن تلاحظ أنه صلى الله عليه وسلم ملء الكون بل عينه وأنه نور محض وأنتك منغمس في ذلك النور مع تغميض عين البصر لا البصيرة ، فإذا حصل لك الاستغراق في هذا النور والتلاشي والعينية فتتصف حينئذ بمقام الفناء فيه ، ومن حصل له مقام الفناء فيه ذاق محبته ، وهو أحد قسمي التعلق الصوري ، وكيفيته أن تتبعه صلى الله عليه وسلم وتلازم الشوق والمحبة له حتى تجد ذوق محبته صلى الله تعالى عليه وسلم في جميع وجودك قلبا وروحا وجسما وشعرا وبشر كما تجد سريان الماء البارد في وجودك إذا شربته بعد الظما الشديد ، هذا وإن حبه صلى الله عليه وسلم فرض على كل أحد قال تعالى - النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم - وقال صلى الله عليه وسلم « إن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده » فإن لم يجد في جميع وجودك هذه المحبة التي وصفتها فاعلم أنك ناقص الإيمان فاستغفر الله تعالى وتضرع إليه وتب من ذنوبك وتولع ، واطلب الحب بدوام ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والتأدب معه والقيام بما أمر مع الاجتناب عما نهى عنه لعلك تنال ذلك فتحشر معه لأنه القائل صلى الله عليه وسلم « المرء مع من أحب » وإذا تحققت مقام الفناء فيه صلى الله عليه وسلم فليكن فناءك عن الفناء هو المقام المحمود ، فعند ذلك تلقى ما يفاض عليك منها : أي من الصورة التي ظهرت من النور . وكيفيته أن تلاحظ عند توجهك إليه صلى الله عليه وسلم أنه المتوجه لنفسه حتى تتلاشى فيه ، وكذلك إذا صليت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لاحظ أنه صلى الله تعالى عليه وسلم هو المصلي لأنك أنت لأن جميع الأشياء خلقت من نوره صلى الله تعالى عليه وسلم ، وفي كل ذرة من الذرات دقيقة منه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتظهر تلك الدقيقة بحسب حال الذي هي فيه ، وأنت شيء من جملة الأشياء ، وفيك سر منه صلى الله تعالى عليه وسلم ، فالمتوجه منك له صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك السر الكامن فيك ، ولم تزل كذلك من مقام إلى مقام حتى ينقلك الله تعالى إلى مقام البقاء به صلى الله عليه وسلم ، فعند ذلك تكون إنسانا كاملا وارثا للحقيقة المحمدية جامعا للكمالات المصطفوية ، فأحد الله تعالى على ما أولاك وأعطاك ، وكن طالبا مقام العبودية غارقا في بحار الأحدية عارفا بتصرفات الواحدية اه (وكن مستمدا) أي طالبا الاستمداد (منهما) أي من حضرة سيدنا أبي الفيض أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه وعنايه آمين ، ومن حضرته صلى الله عليه وسلم (با) لسادات المقربين الذين هم (الوسائط) بينك وبينهما ، ولا تغفل عنهم فضلا عن أن تحاشيهم وتسقط فتفسد عنك الأبواب

وتطرد عن مساحة الأحباب وترد لسياسة الدواب، قال تعالى - وأتوا البيوت من أبوابها - وقال - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة - وقد قيل لولا الواسطة لذهب كما قيل المتوسط . وفي [مب] ثم ليصور مقدمه الأولى به ويشخص القدوة ومقدميه والوسائط بينه وبين القدوة الأعلى واضعها الرجل على الرجل ومحاذيا النعل بالنعل وجاعلا مدده من عندهم ومعتقده كمعتقدهم وألفاظه بارزة من بينهم ، انظره . وفي [مع] قال الشيخ جبريل الخرماني ما يذوقه الله سره العزيز : فإذا ابتداء بالذكر يحضر صورة شيخه في قلبه ويستمد منه إذ قلب شيخه يحاذي قلب شيخ الشيخ إلى الحضرة النبوية، وقاب النبي صلى الله عليه وسلم دائم التوجه إلى الحضرة الإلهية، فالذاكر إذا تصور شيخه واستمد من ولايته تفيض الأمداد من الحضرة الإلهية على قلب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، ثم تفيض من قلب سيد المرسلين على قلوب المشايخ على الترتيب حتى ينتهي إلى شيخه ، ومن قلب شيخه إلى قلبه فيقوى على استعمال الآلة أي الذكر إذ هو في البداية على مثال الطفل ليس له قوة استعمال الآلة على الوجه الذي يورث، ويقع محصلا للغرض وأن بيده سيف الله، وهو الذكر قال صلى الله عليه وسلم «الذكر سيف الله» ولكن أين للسيف ضرب إلا بقوة مستفادة من حضرة نبي السيف فإذا استمد من شيخه جاءه المدد لقوله تعالى - وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر - الخامس : أي من آداب الذكر أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده من النبي صلى الله عليه وسلم اه : أي ويرى استمداده من حضرته صلى الله عليه وسلم هو استمداده من حضرة الله تعالى إذ الحضرات الثلاث في الحقيقة حضرة واحدة - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون - وهو القاهر فوق عباده - وما من إله إلا إله واحد - لا إله إلا هو الواحد الأحد الفرد الصمد - لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد - (فكم) من أخ في الله وفي الأحمدية (مقعد به) أي أقعده ما اقترفه من الأوزار عن وصول منازل الأبرار (بنى الوسيطة) التي بينه وبين سيدنا أبي الفيض رضي الله عنه ، وعنا به آمين . وفي [مب] وإياك ثم إياك أن تحاشي المتقدمين حالة ذكرك إلى الاستمداد من الشيخ فإن ذلك هو الذي قعد بك كثير من المريدين كما قد منا في الترجمة على سبيل الاستعارة فله الحكمة البالغة في وساطتهم بين القدوة والمريد الأدنى، وربط البعض ببعض من الأولى فالأولى إلى ذلك الأعلى، فسبحان من ربط الأسباب بالمسببات اه .

ونص كلامه رحمه الله في الترجمة : فأغفل جل الطبقة الثانية شكر نعمة رؤية الشيخ على الطبقة العليا في اجتماعهم به وتقديمه لهم عليهم ، وأنه أحاط بمالديهم وأن ذلك الأمر إلى الله لا إليهم فطلبوا التجهيز بإسقاط الوسائط بين الخليفة العزيز تاركين الوقوف بأدب ذلك الحائط لنوع من التبريز ، فكانوا بالسنة أحوالهم في شأن المقدم عليهم قائلين للشيخ مستعطفين نحو ما حكي الله تعالى عن إخوة يوسف - يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين - وكان لسان حال الشيخ رضي الله عنه يقول لهم نحو ما قال يوسف - معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده - من المتقدمين فانتبهوا ولكل مؤمن بنور الإيمان بواسطة الشيخ عدد وجيه للمتاع فإذا هو صواع الملك المعطاء قد استودعه رجل الإخاء وكان تفقده تفقدا للأبناء وجاعل من جاء به بما يرضيه، فلهج هذا الجامع المسكين بصواع الملك فطلق يكيد له كيدا من ابتغاه بتوفيق يريه كيفية الأخذ له بالوجه اللائق العزيز ، بعدما توسم انقراض الجليل الذي شاهد الشيخ وأخذ من فيه قائلًا بحضرة الشيخ ومقدميه - يا أيها العزيز مستأوا أهلنا الضر وجنتنا بضاعة مزجاة - خلوها من شكر الوسائط المكرمين - فأوف لنا السكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين ،

فقرره الشيخ ثانيا بما أحدثت طبقته في الحضرة من الغير المفضية إلى دهليز الحيرة ، فقال هل علمتم ما فعلتم بمعدى ومن أنزلته واسطة المكان العلى ، فأقروا للمقدم بالإيثار متضرعين قالوا تالله لقد أترك الله علينا وإن كنا لحاظين ، وبكفران نعم المقدمين المقرين ، وبكون الشكر لهم من قبيل شكر الشيخ المثبتين ، وإن كنا لمدحضين إذ عمينا عن طريقة الشكر حجبنا وكانت به استقامة محجبتنا فاستغفر لهم الشيخ ربه وأدخلهم حزبه فالتفت المقدم إلى المقدم عليهم رافضين سنن الاستعلاء آخذين بطريق الإخاء بينهم على حد السواء ، فأبى المقدم عليهم كل الإباء وقالوا لقد غرنا قولكم إنما نحن لكم إخوة ولكلنا في الشيخ أسوة فنزل بنا اعتقاد المساواة فساقتنا إلى سوق غور المساقاة وصرفتكم خشية التعدي في التصرف عن التصدي لخواص التعرف ، فما هو إلا إن فصلت العير وجاء البشير وهبت ريح القميص ونجيت مخايل الوبيص فارتد متحير وهم بطراء واتخذوا المقدمين سفراء ، فلذلك استعمل هذا الجامع الصواع واستعماله لا يقتضى انصداع ليرتب عليه آخرأ وصل كل ابن قرة عين كان مفارقا لأبيه ، ولتعي شكر الوسائط أذن واعية لم تكن تعب فلم يجد بدا مما حكى إليه في أمر صواع الملك من مبتغيه فيبدأ بأوعيتهم قبل وعاد أخيه ، ثم استخرجها من وعاء أخيه تحقيقا للحكمة التي رتب بها الوجود الأقرب فالأقرب الملك الجليل - سنة الله التي قد دخلت من قبل - وما لمارتب من تبديل ولا تحويل منها لنفسه ولمن شاكله من أبناء جنسه على كيفية استنشاق ما وصله ووصلهم على يده هذا الشيخ من الفضل الجزيل ، بلا كبير مجاهدة من العويل والزويل ، ومعلما لهم بأن المرید للشيخ زميل :

لن يترك ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله انظره

والزويل والعويل : البكاء مع الحركة والزميل الرديف وهي بوزن رغيف (ومولاك) سبحانه وتعالى (راقب) في حر كاتك وسكناتك ولحظاتك وخطراتك - واعبد ربك حتى يأتيك اليقين - وفي [شب] قال ذو النون المصري : علامة المراقبة لإيثار ما أثر الله وتعظيم ما عظم الله ، وقال ابن عطاء الله : أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات ، واعلم أن المراقبة لا تكون إلا بعد المحاسبة فإذا حاسب العبد نفسه على عدد الأنفاس وتحرز من كيد الوسواس الخناس صحت له المراقبة في عموم الأحوال وعلم أن الله مطلع عليه في جميع الأقوال والأفعال وإلا كان بعيدا عن هذا المقام . وقال بعض العارفين : من راقب الله في خواطره عصمه الله في جوارحه ، وقال بعضهم : إذا جلست : للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ، ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله تعالى يراقب باطنك ، وروى أن الواعظ إذا جلس ليعظ الناس قال له كاتباه ياعبد الله عظم نفسك بما تعظ به أخاك واستح من شيدك فإنه يراك : وسئل أبو الحسن بن هندی متى يحفظ الراعي غنمه بعصا الرعاية عن مواقع الهلكة ؟ فقال إذا علم أن عليه رقبيا ، وكان ابن عمر في سفر فرأى غلاما يرعى غنما فأعجبه حسن رعايته لها في الظاهر فأراد أن يختبر باطنه فقال له تبيع من هذه الغنم واحدة ؟ فقال إنها ليست لي ، فقال قل لصاحبها إن الذئب أخذ منها واحدة ، فقال الغلام فأين الله ، فأعجبه حسن مراقبته وصار يترنم بذلك ويقول فأين الله . وكتب بعض الحكماء إلى صديق له أما بعد ، فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك ، واستح من الله بقدر قربه منك ، وخفه بقدر قدرته عليك والسلام ، انظره . وفي [غص] وسألته رضى الله عنه عن المراقبة للحق تعالى على التجريد عن رؤية الأسباب والأكوان هل هي أتم من المراقبة للحق تعالى في جميع الحالات من غير تجريد ولا رؤية ؟ فقال رضى الله عنه

المراقبة لله عينا لا تصح لأن المراقب مراقب إلا ما تخليه في نفسه وتعالى الله عن ذلك ، فما راقب المراقب أو أنس إلا بما من الله لا بالله ، فافهم ، ثم قال : واعلم أن المراقبة من حيث هي تنشأ عن إصلاح الجسد بواسطة القلب كما أن إصلاح القلب بواسطة إصلاح الطعمة وكما أن إصلاح الطعمة بواسطة إصلاح الكسب في الكون مع التوكل على الله تعالى فإن التوكل هو عين المراقبة ، وكان سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول : المراقبة لله تعالى تكون من الله ابتداء ومن العبد في النهاية اكتسابا : ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفلا أكون عبداً شكوراً » ولم يقل شاكراً فلتحققه بالعلم هو شاكر ولتخلقه بالعمل هو شكور وفرق كبير بينهما ، انظره . وفى [جه] وسألته رضى الله عنه عن حقيقة المراقبة والمشاهدة ؟ فأجاب رضى الله عنه بما نصه قال : حقيقة المراقبة في حق أهل الحجاب هي المطابقة عند العارفين وهي علم القلب باطلاع الرب عليه في كل لحظة ، وبدوامها تقع المشاهدة ، وهناك مراقبة أخرى لا تكون إلا للعارفين وهي استغراق العبد في المشاهدة القدسية بمحو الغير والغيرية علماً وعملاً حالاً وذوقاً ومناولة وتحققاً وتخلقاً وإحاطة ، وحقيقة المشاهدة هي مطالعة القلب للجمال القدسي والمشاهدة صفة العبد والتجلى صفة الرب سبحانه وتعالى وهو معنى يتصف به المتجلى ، انظره . وفى [شب] وقد سئل بعضهم عن المشاهدة فقال كشف الحجاب بين القلب والرب ، والمراد كشف الحجاب عن العبد فإن الرب لا يحجب شيئاً : وقال الجنيد : المشاهدة إدراك الغيوب بأنوار الأسرار عند صفاء القلوب ، قالوا ولم يزد في بيان تحقيق المشاهدة على قول عمرو ابن عثمان المكي : هي توالى أنوار التجلى على القلب من غير أن يتخللها ستر ولا انقطاع ، كما لو قدر اتصال البروق في الليلة الظلماء :

وأشدوا : ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس سار
فالناس في سدى^(١) الظلام ونحن في ضوء النهار

وقال الشبلى : استنار قلبي يوماً فشاهدت ملكوت السموات والأرض ، ثم وقعت منى هفوة فحجبت عن شهود ذلك فتعجبت كيف حجبتني هذا الأمر الصغير عن درك الأمر الكبير ، فقيل لي البصيرة كالبحر ، فكما أنه إذا حل أدنى شيء في البصر حجبه عن النظر فكذلك البصيرة اه . وفى [هب] قال رضى الله عنه : وعلامة إدراك العبد مشاهدة ربه عز وجل أن يقع فكره بعد مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم التعلق بربه بحيث يغيب فكره في ذلك مثل الغيبة السابقة في النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم لا يزال كذلك إلى أن يقع له الفتح في مشاهدة الحق سبحانه ، فيقع على ثمرة الفؤاد ونتيجة الفكر ، وإذا كانت ذاته تسقى بجميع أنواع نعيم أهل الجنة عند مشاهدته النبي صلى الله عليه وسلم فما ظنك بما يحصل له عنده مشاهدة الحق سبحانه وتعالى الذي هو خالق النبي صلى الله عليه وسلم وخالق الجنة وكل شيء : قال رضى الله عنه : ثم بعد الفتح في مشاهدة الحق سبحانه انقسم الناس قسمين : فقسم غابوا في مشاهدة الحق سبحانه عما سواه ، وقسم ، وهم أكمل : غابت أرواحهم في مشاهدة الحق سبحانه وبقيت ذواتهم في مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا مشاهدة أرواحهم تغلب مشاهدة ذواتهم ولا مشاهدة ذواتهم تغلب مشاهدة أرواحهم : قال رضى الله عنه : وإنما كان هذا القسم أكمل لأن مشاهدته في الحق سبحانه أكمل من مشاهدة القسم الأول ، وإنما كانت مشاهدتهم في الحق سبحانه

(١) والسدى كسبب : الظلمة واختلاط الضوء مع الظلمة .

أكمل لأنهم لم ينقطعوا عن مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم التي هي سبب في الارتقاء مشاهدة الحق سبحانه ، فمن زاد في مشاهدته عليه الصلاة والسلام زيد له في مشاهدة الحق سبحانه ومن نقص منها نقص له : قال : ولو كان الاختيار للعبد وكان عمره تسعين سنة مثلاً لا يختار في جميع هذه المدة أن لا يشاهد إلا النبي صلى الله عليه وسلم ، وقبل موته بيوم يفتح له في مشاهدة الحق سبحانه فإنه يحصل له في هذا اليوم من الفتح في مشاهدة الحق سبحانه لأجل رسوخ قدمه في مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم أكثر مما يحصل لمن فتح له في المشاهدين معافى تلك المدة من أولها إلى آخرها ، ثم جعل رضى الله عنه مرآة بين عينيه وجعل ينظر في الحروف فقال : أليس أن الذي يظهر في الحروف وصفاتها في النظر يفتح صفاء المرأة وحسن ماها ؟ فقلت نعم ، فقال رضى الله عنه فشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم بمغزلة المرأة ومشاهدة الحق سبحانه بمغزلة الحروف ، فعلى الصفاء في المشاهدة النبوية يحصل الصفاء ويحول القمام في المشاهدة للذات الأزلية سمعت هذا الكلام منه رضى الله عنه . وقد سأله بعض فقهاء الأشراف أيمكن أن يترك الولي الصلاة ؟ فقال رضى الله عنه : لا يمكن أن يترك الولي الصلاة ، وكيف يمكنه ذلك وهو دائماً يكوى بمشهاين ، فذاته تكوى بمشهاين مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم وروحه تكوى بمشهاين مشاهدة الحق سبحانه وتعالى ، وكل من المشاهدين يأمره بالصلاة وغيرها من أسرار الشريعة ، وقال رضى الله عنه مرة أخرى : كيف يترك الولي الصلاة والخير الذي حصل له في المشاهدين إنما حصل له بعد سقى ذاته بأسرار ذات النبي صلى الله عليه وسلم ، وكيف تسقى ذات بأسرار الذات الشريفة ولا تفعل ما تفعله الذات الشريفة هذا لا يكون ، انظره وانظر [مب] فقد ذكر رضى الله عنه وعنايه آمين للمراقبة والمشاهدة أدبا وشروطا (واعتقد) بقلبك (أنه) أى المولى سبحانه وتعالى (يراك) وكاف الخطاب من المصراع الثانى (إن لم تكن تراه) تشاهده ببصيرتك وعين قلبك قال تعالى - لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار - وفى [جص] « اعبد الله كأنك تراه ، وعد نفسك فى الموتى ، وإياك ودعوات المظلوم فلنهن محابات ، وعليك بصلاة الغداة وصلاة العشاء فاشهدهما فلو تعلمون ما فيها لأتيتنهما ولو حبا » وفى [غص] وسأنته رضى الله عنه عن حديث « اعبد الله كأنك تراه » أى الحاليتين أكمل أن يعبد الله كأنه يراه أو يعبد الله على الغيب ؟ فقال رضى الله عنه : عبادة الحق تعالى على الغيب أكمل لما فيها من التنزيه ، قال تعالى - ألم يعلم بأن الله يرى - وأما عبادة العبد لربه كأنه يرى ربه فإن ذلك راجع إلى ما أمسكه فى نفسه من شاهد الحق وأقامه كأنه يراه وهى درجة العوام ، ثم يترقى منها إلى درجة الخصوص وهو كونه تعالى يرى العبد والعبد لا يراه ، وذلك أنك إذا ضبطت شهوده تعالى فى قلبك عند صلاتك فقد أخليت شهودك عن بقية شهود الوجود المحيط بك ، وإذا تحققت ذلك علمت عجزك عن رؤيته لتقييدك وإطلاقه وضيقك ، فإذا عرفت ذلك بقيت مع نظره المحقق إليك لا مع نظرك إليه ، لأن نظرك يقيده فيخرجه عن إطلاقه فيتحدد وهو المنزه عن الحدود ، والله أعلم اهـ (من عظم) كقفل (زلة) وذنب فإن العبد يحرم الرزق الحسى والمعنوى بذنوبه :

إن يكن عظم زلتى حجب رؤيا لك فقد عز داء قلبى الدواء

قال رحمه الله :

(وَوَرَدَكَ رَتَلَنَ وَإِيَّاكَ وَالْهَذَذُ وَلَا تَلَحَّنَنَّ فِيهِ تَفَزُّ بِذَخِيرَةٍ)

(ووردك) الأحمدي (رتلن) بنون خفيفة من الترتيل وهو تأليف الكلام والترسل والتمهل فيه

قال تعالى - ورتل القرآن ترتيلا - وفي البخارى عن قتادة قال « سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال كانت مدأ ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم بمد بالرحمن ويمد بالرحيم » وروى الترمذى « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف مالمك يوم الدين ثم يقف » الخ (وإياك والهذذ) بمعجمتين كسبب سرعة القراءة والعجلة فيها وفي الصحيحين « جاء رجل إلى ابن مسعود قال إني لأقرأ المفصل في ركعة قال عبد الله هذا كهذا الشعر » وعنه أيضا أنه قال « لاتنثروا القرآن نثر الدقل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة » اه وفيه النهى عن الهذ والحث على الترتيل والتدبر . وفي [م] : ومن يكن يرتل الأورادا ينل بما ذكرته المراد

وفي [غ] في ترجمة سيدى محمد الغالى أبى طالب الحسنى رضى الله عنه وعنايه أمين مانصبه : وقد كان له في الجلد والاجتهاد في طاعة رب العباد أحوال بخارقة للعادة ؛ من ذلك ما اتفق له ذات يوم وهو أنه كان جالسا قرب باب بيته من داره بمكناسة الزيتون يذكر أو راده مستقبلا مستغرقا في حضوره ، إذ سقطت بنية له من أعلى حلقة الدار فأتت فلم يلتفت لذلك ولا تغيرت جلسته ولا شيء من حالته التي كان عليها بل بقي على ما كان عليه حتى كمل أوراده ، وكان يرتل العبادة صلاة كانت أو غيرها ترتيلا لم نسمع بمثله عن أحد ، فأخبرني الثقة أنه كان يسبح في السجدة الواحدة خلفه نحو من سبع وعشرين مرة ، وأخبرني آخر أنه صلى العشاء أربع ركعات وذكر بعدها الورد اللازم لا غير في نحو ساعتين من كثرة ترتيله واستغراقه في الحضور رضى الله عنه ، وكان يرى النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الشيخ رضى الله عنه بعد وفاته فيسألهما عما أشكل عليه كحال اليقظة انظرها . وفي [روض شمائل أهل الحقيقة] في ترجمته أيضا أنه كان من عادته رضى الله عنه وعنايه أمين أن يقرأ صلاة الفاتح لما أغلق الخ ثلاثين مرة في كل سجدة حضرا وسفرا أمنا وخوفا ، وأنه صلى الله عليه وسلم أخبره أن كل من رأى وجهه حرم الله جسده على النار ، انظره أى ورائه محمدية :

ليته خصني برؤية وجهه زال عن كل من رآه الشفاء
(ولا تلحن) بنون خفيفة (فيه) أى في الورد الحمدي (تفز) وتظفر (بذخيرة) بذال معجمة عظيمة واللحن الخطأ في العربية ومخالفة وجه الصواب وهو مما يبطل ثواب الأعمال فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله لا يقبل الدعاء المملحون » ورحم الله من قال في ذلك :
يتاجى ربه باللحن ليس لذلك إذا دعاه يجاب
ونقل أن بعضهم دعا الله بدعاء نحو ستين سنة فلم يستجب له ، فسأل بعض العارفين عن ذلك ، فعرض عليه الدعاء فوجده مملحونا ، فأصلحه له فدعا به فاستجيب في الحين - والله عليم حكيم -
قال رحمه الله :

(وَأَصْنَعْ لِلفِظَةِ بِقَلْبٍ وَقَالِبِ وَأَخْفِضْ مَعَارِي الدُّكْرِ دُونَ تَلَفُتِ
وَإِنْ فَاتَكَ الْحُضُورُ فَاتْلُ ثَلَاثَةَ بِجَوْهَرَةِ السَّكَمَالِ جَبْرًا لِفَقْلَةٍ
وَيَنْفَعُ هَذَا الْجَبْرُ فِي كُلِّ طَاعَةٍ خَلَّتْ عَنْ حُضُورٍ وَهُوَ خَاصٌ بِأَخَوَاتِي)
(واصنع) من أصغى الرباعى استمع وإليه مال بسمعه (للفظه) أى لألفاظ الورد الأحمدى (بقلب)

الفؤاد وأخص منه والعقل (وقالب) بكسر اللام وفتحها مثال الإنسان وشخصه فإن سكون الظاهر عنوان سكون الباطن لقوله صلى الله عليه وسلم «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه» (وأحضر) من أحضر الشيء كان بحضرته (معاني) بسكون الياء لإجراء للمنعوص في حالة النصب على حالة الرفع والجر (الذكر) أى أذكركم الوارد الأحمدى (دون تلفت) عن ذلك وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين يدي الرحمن ، فإذا التفت قال له الرب إلى من تلتفت؟ إلى من هو خير مني؟ ابن آدم أقبل إلى فأنا خير لك ممن تلتفت إليه» اه قال تعالى - ولذكر الله أكبر - وقد قيل : كل قلب فيه غير الله تعالى كان في حيز المتروك المطروح ، وكل قلب لم يكن فيه غيره سبحانه وتعالى وقع له الفتح والتجلي والمخاطبة في سره بما يليق بحاله ، وهذا مقام لا يعرفه إلا أهله المختصون به ، جعلنا الله من صفوتهم العليا بجاهه صلى الله عليه وسلم آمين . وفى [جه] ويستحضر مع ذلك أى مع استحضار صورة القدوة وصورته صلى الله عليه وسلم معانى ألفاظ الذكر إن كانت له قدرة على فهمها وإلا فيستمع لما يذكره بلسانه ليشتغل فكره عن الجولان في غير ما هو بصدده ويعينه على هذا الحضور اه . وفى [م] :

ومع ذا استحضار معنى الذكر في القلب من كان لذلك يدري
ومن يكن لم يدره فليستمع لفظ لسانه لكيلا يفتقع

وفى [غ] فإن قيل من لم يقدر على الجمع بين استحضار صورة القدوة مثلا والاستحضار لمعاني لذكر هل يشتغل بالاستحضار الأول ويلغى الأخير أو العكس قلنا يستحضر عند الشروع أنه جالس بين يدي القدوة ويستمع منه ، ثم بعد الشروع يستعمل ما يقدر عليه من استحضار معاني الذكر دواما إن كانت له قدرة على فهم المعاني وإلا استعمل ما يقدر عليه من الإنصات لألفاظ الذكر مع الملاحظة لاستحضار القدوة مرة مرة إن قدر وإلا فيكفيه الاستحضار عند الشروع ، وبالمداومة على هذا وسريان أنوار ألفاظ الذكر ومعانيها في ذاته يصير يقوى على الملاحظة لاستحضار صورة القدوة مرة مرة ، ثم على الجمع بين الاستحضارين معا ثم يترقى من استحضار صورة القدوة إلى استحضار صورة النبي صلى الله عليه وسلم ثم إلى ما هو أعلى من ذلك من دوام مشاهدة الصورة الشريفة صلى الله عليه وسلم بعيني قلبه ، ثم إلى ما هو أقوى من ذلك ، ورأيت للشيخ محيى الدين رضى الله عنه ما يؤخذ منه أن الذاكر لا يكلف بالجمع بين الاستحضارين ، وذلك أنه قال رضى الله عنه في الباب التاسع والستين من [الفتوحات] على قوله تعالى - الذين هم عن صلاتهم ساهون - مانصه : اعلم أن الحق تعالى لم يعلق الوعيد إلا بمن سها عنها لافيتها ، وذلك أن العبد في صلاته بين مناجاة ومشاهدة ، فقد يسهو عن مناجاته باستغراقه في مشاهدته ، وقد يسهو عن مشاهدته باستغراقه فيما يناجيه به ربه من أحكام وقصص وحكايات ووعد ووعيد حال الخاطر في الكلام لدلالة الكلام عليها وهو مأمور بالتدبر في التلاوة اه . وقد عرفت أنه يؤخذ منه ما ذكرناه وليس فيه مصادمة لما أشرنا إليه من الترقى إلى درجة الجمع بين الاستحضارين ، لأنه عام وما أشرنا إليه خاص بدرجة الخاصة من أهل الصفاء فاعلم ذلك .

[تنبيه] يؤخذ من جعل الشيخ رضى الله عنه الإنصات لألفاظ الذكر شرطا أن المطلوب في الذكر إسماع المرء نفسه لآحركة اللسان فقط ، وعليه النووي في الأذكار حسبا نقله غير واحد وباللغة التوفيق اه . وفى [غصن] وسألته رضى الله عنه عن الخواطر إذا تراكت على الباطن في صلاة أو غيرها بماذا

ترد ؟ فقال لا يخلو تعلق الخاطر إما أن يكون بموجود أو ب معدوم ، فإن كان تعلقه بموجود فأخرجه عنك وازهد فيه ينقطع خاطرك عنه ، وإن كان تعلقه بمعدوم فتعلم أن هذا ليس من شأن العاقل أن يعاق خاطره بالعدم فرد خاطرك بالعلم إلى أن يسكن والله أعلم ، وفيها : فقلت له فهل للذاكر أن يشتغل بمعاني الذكر ؟ فقال لا ينبغي له أن يشتغل بمعاني الذكر ، وإنما الواجب الاشتغال بالذكر على وجه كونه تعبدا لا يعقل معناه ، فإذا ذكر كذلك كان الذكر يعمل بخاصيته فيه ، فقلت له فإذا الواجب على الذاكر مراقبة المذكور ؟ فقال نعم ، لأن المذكور ربما أتى الذاكر فلا يجده حاضرا فيحرم مدده لأنه لا يعطى إلا الحاضر معه ، والله أعلم اه . وفي [جد] سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول لقارى " وكان ذلك القارى " من العارفين اقرء القرآن من حيث ما هو كلام الله لا من حيث ما تدل عليه الآيات من الأحكام والقصص فإنها هي الران على قلبك والحجاب ، فقلت له كيف ؟ فقال رضى الله عنه : المراد بتدبر القرآن الذى أمرك الله به أن يجمعك تدبرك على صاحب الكلام ، وأما تدبر الأحكام والقصص فإنه يغرقك فآية تذهب بك إلى الجنة فتشهد ما فيها ، وآية تذهب بك إلى النار فتشهد ما فيها فيحجبك ذلك الشهود عن الحق تعالى ، فرجع تدبرك إلى شهود الأكوان الدنيوية والأخروية ، ومن كان مع الكون لم يحظ يشهود المسكون . وفي بعض الكتب الإلهية يقول الله عز وجل : يا عبدى جعلت النهار لمعاشك وجعلت الليل للسمر والحديث معى ، فاشتغلت بمعاشك فى النهار ونمت عن مجالستى فى الليل ، فمخسرتنى فى الدارين لأنك لا تحشر إلا على مامت عليه انتهى ، فانظر ما يحكيه عنك وما يخبرك به عنه فخذ مالك ورد إليه ماله وتأمل لأى شىء أخبرك عنك وأنت تعلم خبرك ، انظره . وفي [ثيق] أخذ علينا اليهود إذا تلونا القرآن لاسيما فى الصلاة أن نجعل معظم همتنا الحضور مع صاحب الكلام بقلوبنا وملاحظة نظره إلينا دون أن نجعل معظم همتنا منه استنباط الأحكام إلا إن صرنا من أهل ذلك المقام ، لأن ذلك ربما يفرق عن الحق ، وآية تذهب بنا إلى الجنة وما أعد الله فيها لأهلها ، وآية تذهب بنا إلى النار وما أعد الله فيها لأهلها ، وآية تذهب بنا إلى أحكام الطلاق ، وآية تذهب بنا إلى قصة نوح وما جرى له ، وآية تذهب بنا إلى قصة موسى وما جرى له مع فرعون وقومه وهكذا ، وملاحظة الحق تعالى على وجه المراقبة لا يتيسر لأمثالنا الجمع بينها وبين إلقاء البال إلى الأحكام من غير حجاب عن شهود الحق ، وكان سيدى على الخواص يقول : المراد بتدبر القرآن فى الصلاة جمع القارى " على الحق تعالى بالقلب ، وأما استنباط الأحكام منه فله وقت آخر اه .

[قلت] وإيضاح كلام الشيخ أن القرآن من صفات الله تعالى والصفة لا تفارق موصوفها ، بخلاف الأحكام فلذلك كان يحصل بالقرآن الجمعية على الله عز وجل لقرب حضرة صفته تعالى منه انظره (وإن فائق) أى ذهب وغاب عنك (الحضور) أى استحضار القلب عند قراءة الورد وغيره من الأذكار (فائق) من تلا الكتاب قرأه (ثلاثة بجوهرة) أى عددا ثلاثة من جوهرة (السكال) فى حقيقة سيد الرجال صلى الله عليه وسلم لكن بحضور قلب واستقبال قبلة (جبيرا) من جبرت العظم أصلحته (لغفلة) وسهو وذهول فى أى عمل عملته . وفي [د] من فاته الحضور فى عمل فليذكر جوهرة السكال ثلاث مرات عقبه بحضور مستقبلا وينوى بها الجبر فإن ذلك العمل يكتب له بالحضور اه . وسئل بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه هل تقرأ هذه الثلاث بالتيمم أم لا ؟ فأجاب بأن جوهرة

الكمال من حيث هي لا تنقرأ ولو مرة واحدة إلا بالطهارة المائية دون الترابية سواء في الوظيفة أو غيرها ،
وشرط الطهارة المائية فيها غير مختص بمن يريد أن يقرأها سبع مرات فصاعداً أو اثني عشر ، كما في
الوظيفة فالمتميم لا يقرأها بنية الجبر ، وكذا من عجز عن الطهارة الخبثية ، ولا مجال للعقول في شرط
الطهارة المائية فيها راجع مأمور . وفي [عم] اعلم يا أخى أن كل من غفل عن امتثال أمر ربه واجتناب
نهيهِ فقد غفل عن ربه ، وكل من غفل عن ربه ، فقد تلف وعدم العلم الشرعي وعرض جسمه لسائر
الآفات ، وذلك أن الشفاء في الإقبال والمرض في الإدبار فإن روائح الحضرة الإلهية تجلو الصدأ عن
القلب بطيب ريحها ، وكل من توجه لغيرها جاءت الآفات من كل جانب وازداد قلبه ضراً ، ثم قال :
وكان الإمام أبو القاسم الجنيد يقول : تأملت في ذنوب أهل الإسلام فلم أر منها ذنباً أعظم من الغفلة عن
الله - والله عليم حكيم - وفي [غص] وسألته رضى الله عنه عن كثرة النوم ، هل هي من الغفلة ؟
فقال لا تلتفت إلى مثل ذلك إلا بقدر النسبة فقط ، فإن من وقف مع الأسباب مع الحق تعالى أشرك
وما عليك في ذلك بأس ، كن مع ربك كيف يريد هو لأنك ، وفي لمحة يقع الصلح ولا يباس من روح الله
إلا القوم الكافرون ، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، فقلت فكثرة السهر والقلق ؟ فقال إن كان ذلك
في فسر في منفعة فدد وخير كثير ، وإن كان في غفلة فهو بلاء ينزل يوزعه الله تعالى على المؤمنين حتى
يرتفع ، والله تعالى أعلم اهـ (وينفع هذا الجبر) وهو قراءة الجوهرة ثلاث مرات عند عدم حضور
القلب في الورد بنية الجبر (في كل طاعة) أو راداً كانت أو غيرها فرائض أو نوافل (خلعت) من
الخلاء ضد العمار (عن حضور) القلب فيها (وهو) أى الجبر المذكور (خاص) أى يختص (بإخوتى)
في الأحمدية رضى الله عنهم وعنا بهم آمين ، ماهذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر ، ولا ينبغي لعامل أن
يهمل ذلك في سائر تعبداته فإنه من أسرار الله تعالى ، وإنما اختص ذلك بإخواننا الأحمديين لأن الإذن
ليس لغيرهم في الجوهرة فإذا قرأها أجنبي بتلك النية فليس له ذلك لفقد الإذن له فيها وإنما له ثواب - من
جاء بالحسنة فله عشر أمثالها - وفي [غ] ويكون ذكر الجوهرة بالحضور أى يستعمل فيه ما يقدر عليه
من الحضور ، وهكذا بلغنا عن الشيخ رضى الله عنه ، وهذا الأمر الذى هو جبر الحضور بالجوهرة
خاص بأهل هذه الطريق ، إذ لا يوجد الإذن في الجوهرة من غير أهلها اهـ . قال رحمه الله :

(وَلَا تَجْهَرَنَّ بِهِ وَلَا تَزِمِ بِهِ الْخَفَا فَكَيْفَ تَأْتِيهِ مِنَ الشَّرْطِ الْمُهِمِّ)

وَفَرٍّ مِنَ الْأَصْوَاتِ عِنْدَ التَّلَاوَةِ وَمِنْ كُلِّ مَلْهُ بِأَمُودَّبٍ صَبِيَةٍ)

(ولا تجهرن) بنون خفيفة من جهر كمنع أعلى (به) أى بالورد عند تلاوته (ولازم به) أى في
حال تلاوته (الخفا) قصره للوزن من خفى كرضى خفاء لم يظهر ، والمراد به السر مع إسماعه نفسه فقط
إذ لا تنكفى ولا تجزى فيه حركة اللسان كما مر ، وفي الحديث « خير الذكر الخفى » وخير العبادة أخفها
وخير الرزق ما يكتفى « وفي آخر » ذاكر الله خالياً كبارزة إلى الكفار من بين الصفوف خالياً « وفي آخر
« الذكر الذى لا تسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذى تسمعه الحفظة سبعين ضعفاً » وفي [خل] واعلم أن العبد
يعمل العمل في السر فلا يزال به إبليس يقول أظهره ليقتردى بك الناس فيه وتنشطهم على طاعة ربك فلا يزال
به حتى يظهره فإذا أظهره كتب في ديوان العلانية ، فلا يزال به حتى يفتخر به ، فإذا افتخر به كتب
في ديوان الرياء ، فعليك بعمل السر وكتباته وخمول النفس وإسقاط المفزلة واكتم الحسنات كما نكتم

السيئات، وخفف من فضيحة الحسنات كما تخاف من فضيحة السيئات، انظره (فكتانه من الشروط المهمة) التي يهتم بها ويتأكد الاعتناء بها ولا سيما بحضرة الأجانب في الطريقة . وفي [م] :
وتركك الجهر عليه عمل أصحاب شيخنا وذلك الأمثل

وفي [غ] ومن شروط الكمال الإسرار في ذلك الورد من أوله إلى آخره لما كان عليه عمل أصحاب الشيخ رضي الله عنه وإنما قال الناظم : وذلك الأمثل لأن من أكد آداب المريد عند أهل الطريق أن يكتم المريد ورده فلا يخبر بحقيقته من لم يكن أخاه في طريقه ويرون ذلك من كتمان السر الذي هو مركز الحصول النتيجة ، وقد رأيت السلف من الأصحاب يتواصون بذلك فيما بينهم ، وبالجملة فهو من أهم الأمور في الطريق فافهم ذلك ، والله يتولى هدايا جميعا بمنه آمين اه . وفي الحديث « استعينوا على إتمام حوائجكم بالكتمان ، فإن كل ذي نعمة خسود » ورحم الله من قال :

واكتم على الحساد كل نعمة كم فاضل بكأس مكرهم سقى

(وفر) أي اهرب (من) قرب (الأصوات) التي تلهيك عن إحضار قلبك (عند التلاوة) للورد الأحمدي (و) فر أيضا (من كل مله) من ألهاه شغله (بامؤدب) من أدبه علمه (صبية) جمع صبي وبهذا أجاب بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه من سأل عن قراءة الورد حال إقرائه الصبيان أو أواحمهم وأحزابهم وهل يفتح على من استفتحهم منهم أم لا ؟ فقال لا يفتح عليه وإن وقع وزل فلا يبطل ورده إذ ليس كالصلاة في كل شيء ، قال تعالى - ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه - وفي [مب] ومن آداب الذكر الغير المشروطة في لازم الطريقة خلو البطن متوسطا واعزال اه . وفي [غ] عن صاحب تهذيب الأذكار ينبغي تطيب المجلس بالرائحة الطيبة لأجل الملائكة والجن وقطع العلائق المشوشة للفكر بكل ما يمكن قبل شروعه في الذكر ، وقوله وقطع العلائق المشوشة الخ يشير إلى معنى قولهم خاليا إذ الذي ينبغي أن يراد هنا من معاني الخلوة عندهم البعد عما يشوش البال ويشتت الفكر ، والله أعلم اه . وفي [البخاري] قال أبو الدرداء : من فقه المرء إقباله على حاجته حتى يقبل على صلاته وقلبه فارغ أي من الشواغل المشغلة عن الوقوف بين يدي ربه على أحسن حال ، والورد في ذلك كالصلاة قال تعالى - ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون - ولذا قال بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه :

يارب من شغلني عن ذكرى	فاشغله عني بصروف الدهر
وأله عني كل من ألهاني	عن استيفا وردي مدى الزمان
سوى مريد العلم والأذكار	فسقه لي في الليل والنهار
فإنه كرامة الرحمن	ومن وصايا المصطفى العدنان
فالقه بالترحيب والتبشير	وبالتحجب وبالتيسير
وقل له فرحبا وسهلا	بمن به وصي نبي أرسلا
واقض مراده بلا توان	واستوصه خيرا مدى الأزمان

وفي [غصن] وسألته رضي الله عنه هل يصح للذاكر الإقبال على الحاضرين ومكالمتهم ويكون مع ذلك حاضرا في عالم الباطن كحضوره في خلوته ؟ فقال لا يصح ذلك لمبتدئ ولا ملته ، ألا ترى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو سيد المرسلين كان إذا أتاه الوحي يغيب عن الحاضرين إلى أن ينقضي

الوحي ثم يسرى عنه هذا مع كونه في خطاب ملكي فكيف يكون استغراقه في خطاب الحق تعالى اه .
قال رحمه الله :

(تَأْدَبْ وَلَا تَلْعَبْ بِخَتَمِ وَلِحْيَةٍ وَلَا تَقْرَبْ لِلْمَعَالِي الرِّقِيقَةَ
وَلَا تَكُنْ ذَاكِرًا لِلَّهِ حُبًّا لَوَجْهِهِ وَلَا خَوْفَ نِيرَانٍ وَلَا قَصْدَ جَنَّةٍ)

(تأدب) أى تكلف الأدب والزمه حال تلاوة الورد الأحمدى وكذا غيره من الأوراد فإنه عنوان القبول وجماع الخير وملاكه ، وروى عن أنس رضى الله عنه وعنا به أمين : الأدب فى العمل عنوان على قبوله ومن الأدب ترك البزاق والمخاط حال تلاوته اه . وفى [عف] قال بعضهم : الزم الأدب ظاهراً وباطناً فما أساء أحد الأدب ظاهراً إلا عوقب ظاهراً وما أساء أحد الأدب باطناً إلا عوقب باطناً ، ثم قال : قال أبو نصر السراج : أدب أهل الخصوصية من أهل الدين فى طهارة القلوب ، ومراعاة الأسرار ، والوفاء بالعهود ، وحفظ الوقت ، وقلة الالتفات إلى الخواطر والعوارض والبوادر والعوائق ، واستواء السر والعلانية ، وحسن الأدب فى موقف الطلب ومقامات القرب ، وأوقات الحضور . والأدب أدبان أدب قول وأدب فعل ، فمن تقرب إلى الله بأدب فعله منحه محبة القلوب انظره ، وقال بعض العارفين : مددت رجلى فى الحرم فقالت لى جارية لا تجالسها إلا بالأدب وإلا فيمحوك من ديوان المقربين . وقال بعضهم : ترك الأدب موجب للطرد فمن أساء أدبه على البساط طرد إلى الباب ، ومن أساء أدبه على الباب طرد إلى سياسة الدواب ، وقال بعضهم : من تأدب بأدب الصالحين صلح لبساط المحبة ، ومن تأدب بأدب الصديقين صلح لبساط المشاهدة . وقال أبو يزيد : وصف لى عابد فقصدت زيارته فرأيت أنه قد بصق إلى جهة القبلة فرجعت عن زيارته لأنه غير مأمون على أدب من آداب الشريعة فكيف يكون مأموناً على الأسرار : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تفل تجاه القبلة جاء يوم القيامة وتفلته بين عينيه » اللهم أدبنا بآداب نبيك الكريم بجاهه العظيم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم آمين (ولا تلعب) من لعب كسمع لها وأعرض (بختم) كفلس لغة فى الخاتم ، وقد مر مافيه من اللغات حل للأصبع وهو مندوب ، وفى المختصر وخاتم فضة أى وإلا خاتم فضة فيجوز بل يندب إن لسه للسنة لا لعجب واتحد وكان درهين فأقل وإلا جرم وندب جعله فى اليسرى اه الدردير ، وقال المحقق بنانى : قال ابن عرفة : وأما اليوم فلا يفعله غالباً إلا من لاخلاق له أو يقصد به غرض سوء ، فأرى أن لا يباح لهؤلاء اتخاذه لأنه زينة لمعصية أو لمباهاة لا لقصد حسن اه . وفى [الرسالة] ونهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن لباس الحرير وتخم الذهب وعن التختم بالحديد . قال أبو الحسن فى القبس : « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه خاتم شبه -يعنى من النحاس الأصفر- فقال له : إني أبجد منك ربح الأصنام . وجاء إليه آخر وعليه خاتم حديد فقال : ما لى أرى عليك حلية أهل النار : وجاء إليه آخر وعليه خاتم ذهب فقال له اطرَحْ عنك حلية أهل الجنة » انظره . وفى الزرقانى تنمة : يكره تختم بنحاس وورصاص وحديد على الأصح ، وقيل يحرم إلا لتحفظ فيجوز لمنع النحاس الصفراء وكل من الرصاص والحديد الجن ، ولا يتقيد بدرهين كما يمنع من الجن أيضاً حمل أترج أو حبة ، وجاز تختم بجمل وخشب كعقيق ، ويمنع من العين التجميل بخشب الحبط اه (ولحية) بكسر اللام جمعها لحي بكسرهما وضمها شعر الخدين والذقن وفى [عف] « وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يعيث بلحيته

في الصلاة فقال : لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه » وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا صليت فصل صلاة مودع » فالمصلي سائر إلى الله تعالى بقلبه يودع هواه ودنياه وكل شيء سواه ، انظره . وفي [عم] أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نعبث بشيء من جوارحنا في الصلاة كمسح الخصى عن الجهة ومسك اللحية إلا لضرورة أدبا مع الله تعالى ، وهذا العهد لا يصح لأحد أن يعمل به إلا بعد السلوك على يد شيخ صادق يقطع به الحجب حتى يدخله حضرة الله تعالى ويعاشر أهلها وينظر ما هم عليه من الخشية والخرس والبهت حتى لا تكاد تتحرك لهم جارحة من الهيبة ، ولا يحك جسده إذا أكله ، وأما من لم يسلك الطريق ولم يقطع الحجب ولم يخالط أهل الحضرة الإلهية فإنما هو في حضرة الجن والشياطين ، ومن شأنهم كثرة الحركة كما هو شأن اللهب الذي خلقوا منه ، فالعبد وإن كان من أصله قليل الحركة فيصير ذا حركة بسرقة الطبع من الشياطين ، فاسلك يا أخى على يد شيخ إن طلبت العمل بهذا العهد والحق بأهل الأدب مع الله تعالى والله يتولى هدايتك ، روى الترمذى وغيره مرفوعا « إذا قام أحدكم في الصلاة فلا يمسح الخصى فإن الرحمة تواجهه » انظره .

قلت : ومثل الصلاة في طلب الإقبال على الله تعالى والإعراض عما سواه قلبا وقالبا الأوراد والأذكار ، فإن الذاكر إنما يناجي ربه سبحانه وتعالى ، قال تعالى - ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون - .

[فائدة] ينبغي للإنسان أن يختضب لحيته امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم « اختضبوا لحاكم فإن الملائكة تستبشر بخضاب المؤمن » وقوله « اختضبوا بالحناء فإنه يزيد في شبابكم وبها لكم ونكاحكم وأن يسرح لحيته » وفي [شب] وينبغي أن يبدأ في تسريح لحيته بالجانب الأيمن ويقرأ الفاتحة ثم يقرأ - ألم تشرح - عند تسريح الأيسر - قل هو الله أحد - عند تسريح الأيسر فإنه يرى الفتح العظيم والتيسير الجسماني وللنووي في [شرح مسلم] مانصه : وقد ذكر العلماء في اللحية اثنتي عشرة خصلة مكروهة بعضها أشد قبحا من بعض : إحداها خضابها بالسواد لا لغرض الجهاد ، الثانية خضابها بالصفرة تشبيها بالصالحين لاتباع السنة ، الثالثة تبييضها بالكبريت أو غيره استعجالا للشيخوخة لأجل الرياسة والتعظيم وإيهام أنه من المشايخ ، الرابعة نتفها أو حلقها أول طلوعها إثارة للمرودة وحسن الصورة ، الخامسة نتف الشيب ، السادسة تصفيفها طاقة فوق طاقة تصنعها ليستحسنه النساء وغيرهن ، السابعة الزيادة فيها والنقص منها بالزيادة في شعر العذار من الصديغين أو أخذ بعض العذار في حلق الرأس ونتف جانبي العنق أى أو حلقهما وغير ذلك ، الثامنة تسريحها تصنعها لأجل الناس ، التاسعة تركها شعثة ملبدة لإظهار الزهادة وقلة المبالاة بنفسه ، العاشر النظر إلى بياضها وسوادها إعجابا وخيلاء وغرة بالشباب وفخرا بالمشيب ونطاولا على الشباب ، الحادية عشر عقدها وضفرها . الثانية عشر حلقها إلا إذا نبتت للمرأة لحيه فيستحب لها حلقها والله أعلم اهـ (ولا تترقب) من ترقب الشيء انتظره وتشوف إليه (للمعالي) أى للمراتب العلية (الرفيعة) السنية . وفي [مع] إن أهل الطريقة الأحمدية لا يشتغلون بالتشوف إلى ما يشغل عن الله تعالى ولا يلتفتون إلى الكشوفات الكونية ولا إلى الكرامات العيانية فلاجل كونهم محبوبيين لا يحصل لهم شيء منها إلا نادرا ، بل المحبوبون منهم لا يحصل لهم شيء من ذلك البتة لثلاث أسباب : فيجد الشيطان سبيلا إلى إغوائهم وإضلالهم فيريهم من الأباطيل ما يكون استدراجا لهم كما يقع لكثير ممن ركن إلى ذلك فضل وأضل ، وهلك وأهلك نعوذ بالله تعالى من الخسران حتى

إذا أراد الله تعالى أن يفتح عليهم بفضلهم يفتح على شخص من غير شعور منه فتحة يحصل به على مساعدة الدارين جعلنا الله تعالى منهم بفضلهم آمين ، ثم قال : قال في [الوصايا القدسية] وينبغي أن يكون يعنى المريد الذاكر صادقاً يخلص بهيمته نفسه من التعلقات بالكائنات والميل إلى المشتبهات والمستلذات التي هي المعبودات الباطلة ومن الميل إلى الكشوفات الكونية والكرامات العيانية بلا طائل تحتها ويطلب الحق وحده يفزه طلبه من المزج بهوى النفس ، فإن الميل إلى الكشوفات الكونية والكرامات من جملة هوى النفس وهواها ، ومن التفت إليها وكان مقصده ومطمح نظره في ذكره تلك فهو مدرج فيما بين الممكورين ، بل وإن وقعت بلا طلب يخاف عليه من الاستدراج . قال بعض الكبار : إذا دخل السالك في بستان وقالت طيور وأشجار ذلك البستان بألسنتهم السلام عليك يا ولي الله فإن لم يفتن أنه مكر به فقد مكر به وهو لم يشعر ، وجميع المرشدين نفروا^(١) المريدين من الميل إلى الكرامات العيانية وقالوا إنها خيض الرجال ، أنظره . وفي الحكم : ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها الأونادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك ، ولا تبرجت له ظواهر المكونات إلا ونادته حقائقها . إنما نحن فتنة فلا تكفر - اهـ . وللتستري رحمه الله :

ولا تلتفت في السير غيراً فكل ما	سوى الله غير فاتخذ ذكره حصناً
وكل مقام لا تنقم فيه إنه	حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلي	عليك فحل عنها فغن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب	فلا صورة تجلي ولا تحفة تجني

وقال بعض العارفين : من عات هيمته عن الأكوان وصل إلى مكنونها ، ومن وقف بهيمته على شيء دون الحق فاتته الحق لأنه أعز من أن يرضى له بشريك ، ولابن الفارض رحمه الله :

قال لي حسن كل شيء تجلي	بي تملي فقلت قصدي وراكا
لي حبيب أراك فيه معنى	غر غيري وفيه معنى أراكا
وحسد القلب حبه فالتفتاني	لك شرك ولا أرى إلا شراكا

(وكن ذاكراً) لأذكارك وأورادك مخلصاً (لله) فيها قال تعالى - فاعبد الله مخلصاً له الدين - ألا الله الدين الخالص - وقال - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين خفاء - الآية (حبا لوجهه) أي محبة في ذاته - الذي خلقك فسواك فعدلك - في أي صورة ماشاء ركبك - ورحم الله من قال :

وما أنا بالباغى عن الحب رشوة ضعيف هوى يرجو عليه ثوابا

(بلا خوف نيران) جمع نار أعاذنا الله والمسلمين منها بمحض فضله وكرمه آمين (ولا قصد) نعيم (جنة) بوأنا الله والمسلمين أعلاها بمحض فضله وكرمه آمين . وفي الحكم : من عبده لشيء يرجوه منه أو ليدفع لطاعته وروود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه اهـ وكان أبو حازم المدني رحمه الله يقول : إني لأستحي من ربي أن أعبدته خوفاً من العذاب فأكون مثل عبد السوء إن لم يخف لم يعمل ولكن أعبدته محبة له اهـ . وفي [هب] العاشر : أي من الأسباب الموجبة للإنقطاع عن الله تعالى أن تكون أعمال العبد وطاعته بقصد أن يرحمه الله بها ويقصد نفع نفسه وتحصيل أغراضه وحفظه لا بقصد

وجه الله الكريم ووجوده العظيم ، وهذا سبب قد عم أكثر الناس إلا من رحمه الله عز وجل جعلنا الله منهم بمنه وفضله . قال رضى الله عنه : ولو لم يخلق الله الجنة ولا ناراً لتبين من يعبد من لا يعبد له ولكانت عبادة الذى يعبد خالصة لوجهه الكريم ، وحينئذ تحصل المعرفة به تعالى على وجهها الكامل لمن عبده ، ولكن الناس لما سمعوا بذكر الجنة والنار تفرقت أغراضهم نحوهما فضلوا عن السبيل ، ورحم الله ابن المقرئ إذ يقول :

ذنوبك فى الطاعات وهى كثيرة إذا عددت تكفيك عن كل زلة

وفى [ثيق] أخذ علينا العهود أن لا نطلب على أعمالنا ثواباً من حيث عملنا وإنما نطلب ذلك من باب المنة ، وذلك لأن من طلب على أعماله الصالحة ثواباً من حيث عمله هو فلا يبعد أن يقام عليه الميزان فى مجازاته بأعماله السيئة فإن البحر واحد ، وفى الحديث ، يقول الله تعالى « أنا لا أقبل عملاً أشرك فيه غيرى » ونفس العبد غير بلاشك ، فافهم فكل عارف يشهد أعماله كلها بالأصالة لله وبالفرعية له شركة مجاز لا حقيقة وإذا قال - إياك نعبد وإياك نستعين - مثلاً لا يقولها إلا على نية التلاوة للقرآن ، إذا علمت ذلك فاطلب بالأخى من الله كلما تطالبه من باب المنة والجود والاحرج والله واسع عليم اه . وفى الحكم : الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها اه . والإخلاص يختلف باختلاف الأشخاص فإخلاص العباد سلامة أعمالهم من الرياء الجلى والخفى ، وكل ما فيه حظ للنفس فلا يعملون العمل إلا لله تعالى طلباً للثواب وهرباً من العقاب ، وإخلاص المحبين هو العمل لله إجلالاً وتعظيماً لأنه تعالى أهل لذلك لا لقصد شيء مما ذكر ، كما قالت رابعة العدوية رضى الله عنها :

كلهم يعبدوك من خوف نار و يرون النجاة حظاً جزيلاً
أو بأن يسكنوا الجنان فيحفظوا بقصور ويشربوا سلسبيلاً
ليس لى بالجنان والنار حظ أنا لا أبتغى بحبى بديلاً

وأما إخلاص المقربين فهو شهودهم انفراد الحق بتحريكهم وتسكينهم مع التبرى من الحول والقوة فلا يعملون إلا بالله ولا يرون لأنفسهم عملاً اه من [شرح الشرنوبى على الحكم] وسيأتى لذلك مزيد بيان إن شاء الله . قال رحمه الله :

(وَبَعْدَ الْفَرَاغِ اصْبِرْ عَنِ الْأَكْلِ وَالْمَشْرِبِ كَنَصْفِ سُوَيْعَةٍ بِدُونِ ضَرُورَةٍ
وَلَا زِمَ سُكُونًا وَالسُّكُوتَ لَوَارِدٍ فَتَقَفَّرَ بِالْمُنَى بِأَمْرٍ رَجَّحَ لِحَظَةِ)

(وبعد الفراغ) من الورد الأحمدي (اصبر) أى احبس نفسك الأمانة بالسوء (عن) تناول (أكل) أى مأكلاً ومطعم (و) تناول (مشرب) كمقعد ما شرب وذلك (كنصف سويعة) تصغير ساعة للتقليل (بدون) وجود (ضرورة) من شدة جوع وعطش وإلا فلتسد جوعتك وعطشتك بعد الفراغ منه . وفى [مع] والخامس : أى من آداب الذكر عدم شرب الماء إثر الذكر ولا فى أثنائه لأن للذكر حرارة تجلب الأنوار والتجليات والواردات والشوق والتهيج إلى المذكور وشرب الماء يطفى تلك الحرارة وأقل ذلك أن يصبر نحو ساعة فلكية وكلما كثر كان أحسن حتى إن الصادق لا يكاد يشرب إلا عن ضرورة قوية اه (ولازم) بعد الفراغ من الورد الأحمدي (سكوناً) للأعضاء كأنك جبلى راسخ (والسكوت) عن الكلام ، واصنع بظاهرك وباطنك (لوارد) أى لما برد على خاطرك

وقلبك من حضرة ربك الكريم بمحض فضله العميم (فتظفر بالمني) أى بكل ما تمنيته (بأسرع لحظة) وفى
[مع] الأول : أى من آداب الذكر بعد الفراغ منه أنه إذا ختم سكت وسكن واستحضر الذكر بإجرائه
على قلبه متوقفا لوارد الذكر فلعلة يرد عليه وارد فى غنة ، ويعمر وجوده فى لحظة ما لا تعمره المجاهدة
والرياضة فى ثلاثين سنة ، وهذا الوارد إما وارد زهد أو ورع أو تحمل أذى أو سخاء أو كشف أو
حبة أو غير ذلك ، فإذا سكت وسكن وكنم نفسه مرارا دار الوارد فى جميع عوالمه فيجب عليه
التمهل حتى يتمكن وإلا ذهب ، ثم قال : والثالث أن يجمع حواسه بحيث لا تتحرك منه شعرة كحال
الهرة عند اصطياها الفأر ، والرابع أن يزعم نفسه حتى يدور الوارد فى جميع عوالمه لأنه أسرع لتنوير
البصيرة وكشف الحجب وقطع خواطر النفس والشياطين لأنه إذا زعم نفسه وعطل حواسه صار يشبه
الميت ، والشيطان لا يقصد الميت اه : وفى [ثيق] أخذ علينا العهود إذا فرغ أحدنا من مجلس الذكر
أن يبادر إلى دخول الخلوة حتى يسكن وارد الذكر ، فرمما جاء أحد وكلمنا قبل انصراف الوارد
فصحننا به باقعد أو اخرس كما وقع ذلك لسيدى تاج الدين الذاكر مع جاريته كما أوضحنا ذلك فى كتاب
[المنن والأخلاق] والحمد لله رب العالمين اه . والله تعالى أعلم وأحكم . انتهى .

﴿ فهرست الجزء الثالث من الدرة الخريدة شرح الياقوتة الفريدة ﴾

مصحفة

٣	فصل في التحذير من الرياسة
٧	الوقوف بأبواب الظلمة والانتفاء إليهم
٧	الاستجارة بالظلمة لا بأس به
١٠	التحذير من ولاية القضاء
١٠	التحذير من العدالة
١٠	التحذير من الفتيا وذمها
١٠	التحذير من التولية على القوم
١٠	دواء من ابتلى بشيء مما تقدم
١٠	الأمر بالقسط والعدل بين المسلمين
١٩	من ابتلى بمصيبة في دينه أو دنياه فعليه بمائة من صلاة الفاتح والى من يالطيف الخ
٢٢	من كثرت ديونه أو اشتد فقره الخ
٢٢	دواء الخوف من الظالم
٢٢	فضل الصدقة في سبيل الله
٣٠	الحض على الذكر في كل وقت من الأوقات
٣٣	فصل في السبحة
٣٥	الحض على اتخاذ السبحة
٣٦	تسمية السبحة بحبل الوصول
٣٧	التحذير من إعلان السبحة وجعلها في العنق
٣٩	فصل في مسائل شدد فيها سيدنا أبو الفيض أحمد بن محمد التجاني الخ
٣٩	التحذير من اتخاذ الإمام إلا بشرط النكاح أو التسرى الخ
٤٢	التحذير من نكاح الشريفة خوف التقصير بحقها أو تطبيقها
٤٢	فضل آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
٤٨	ما قيل في سكر القالب وشربه
٥٣	ما قيل في القهوة وشربها
٥٤	التحذير من استعمال العشبة المسماة عند متعاطيها بطابة
٥٩	فصل في شروط المقدم لتلقين الورد الأحدي والنور المحمدي

- ٦٠ محبة الشيخ تجذب إلى حضرة الله وحضرة رسوله صلى الله عليه وسلم
- ٦٦ من شروط المقدم أن يكون ذا ديانة وعقل وحلم الخ
- ٧٨ من وظيفة المقدم العفو عن الإخوان وإصلاح ذات بينهم الخ
- ٨٢ تحذير المقدم من تغريم تلامذته دنياهم
- ٨٢ متمشيخو الوقت من أجهل العباد بالسنة
- ٨٢ اتخاذ الزوايا لاصطياد الدنيا والمعاش الخ
- ٨٢ زوايا وقتنا متخذة للتجارة
- ٩٦ النهي عن إثبات المفزلة لنفسه بسبب التقديم
- ٩٧ ينبغي للمقدم أن يتأني في تلقين النور لمن طلبه منه حتى يرى مخايل الصدق والرغبة في الورد
- ١٠٣ مدعى المشيخة بالكذب مستجلب للبلايا الخ
- ١٠٦ تعظيم المقدم والخليفة واجب على المريد الخ
- ١٠٦ حرمة الشيوخ أعظم من حرمة الآباء لأنهم آباؤنا في الدين
- ١٠٦ مقام المقدم في الدعاء للخلق كمقام الشيخ الخ
- ١١٩ فصل في شروط مريد الدخول في الأحمديّة
- ١٢٠ من رام الدخول في الأحمديّة فيختر مقداً تقياً صحيح الإذن
- ١٢٣ من دخل في نظريّة الأحمديّة يتخلى عن جميع الأوراد
- ١٢٥ من شروط الورد الأحمدي ملازمته إلى الممات
- ١٢٧ من أخذ ورداً على الورد الأحمدي ينقطع عن الطريق إلا أن يتوب ويجدد الإذن
- ١٢٨ من خواص الورد الأحمدي غنى اندارين
- ١٣٠ يجب على أخذ الورد الأحمدي ترك زيارة الأولياء مطلقاً
- ١٣٥ ينبغي لأخذ الورد الأحمدي أن يزور قبر أبيه
- ١٣٥ من آداب المريد أن يزور إخوانه في الله تعالى
- ١٤٤ من زار من المريدين غير شيخه يرتفع عنه الإذن في الورد
- ١٤٦ منع زيارة التوسل مطلقاً هو روح الطريق وأساسها
- ١٥٠ محبة الشيخ ومقدميه من أكد الشروط الخ
- ١٥٣ معرفة الشيخ توجب معرفة النبي، ومعرفة النبي توجب معرفة الله تعالى
- ١٥٨ من شروط الورد المحافظة على أداء الصلوات في الجماعة
- ١٦١ البسملة في أول الفاتحة في صلاة الفريضة من أعظم الشروط
- ١٦٥ من شروط أخذ الورد المحافظة على أداء الصلوات مع الطمأنينة والاعتدال
- ١٦٩ صلاة المراء في داره بأهله أفضل من صلاته في المساجد الثلاثة
- ١٧١ من شروط الورد المحافظة على النوافل المرتبة
- ١٧١ فضل التهجد بالقرآن

- ١٧١ فضل قيام الليل
 ١٧٩ الأسباب المعينة على قيام الليل
 ١٧٩ مافي قيام الليل من القوائد
 ١٨٨ من شروط الورد الأحمدي مجانبية من يبغض الشيخ ولو كان والد الخ ،
 ١٩٠ من شروط أخذ الورد ترك إذابة لإخوانه في الطريق
 ١٩١ من شروط الورد عدم الأمن من مكر الله تعالى
 ١٩١ ينبغي للإنسان أن يكون بين الرجاء والخوف كالطائر بين جناحين
 ١٩٩ فضل في شروط الطهارة المائية لجوهرة الكمال الخ
 ١٩٩ من كان فرضه التيمم يبدل الجوهرة بعشرين من صلاة الفاتح
 ٢٠٢ فصل في شروط الاجتماع للوظيفة والهيللة يوم الجمعة
 ٢٠٢ شروط الذكر
 ٢٠٤ شروط اجتماع الإخوان للوظيفة والهيللة يوم الجمعة
 ٢٠٦ شرط التحلق في الاجتماع للوظيفة والهيللة
 ٢٠٦ التحذير من الأمور الواقعة في زماننا في حلقة الذكر
 ٢١١ من شروط الاجتماع للذكر اتفاق الألسن فيه
 ٢١١ من شروط ذكر الجماعة الجهر للرجال مع النسمت الحسن
 ٢١١ منع الأنثى من الجهر في جميع الأذكار
 ٢١٢ آداب الذكر
 ٢١٦ فصل في شروط الورد الأحمدي والنور المحمدي
 ٢١٦ من شروط أخذ الورد الأحمدي بر الوالدين
 ٢٢٢ يجب على المرأة إذا دخلت في الطريقة الأحمدية أن تبر زوجها
 ٢٢٤ مقاصد الورد الأحمدي الخ
 ٢٢٦ كيفية الجلوس لذكر الورد الأحمدي
 ٢٢٦ ينبغي للمريد حالة الذكر أن يشخص بين عينيه أنه جالس بين يدي الشيخ والنبي صلى الله عليه وسلم
 ٢٣٣ ترتيل الورد والنهي عن الإسراع فيه
 ٢٣٤ إصغاء إلى ألفاظها الذكر وإحضار معانيه
 ٢٣٧ من آداب الورد إخفاؤه وعدم الجهر به
 ٢٣٧ النهي عن اللعب بكل مله حالة الذكر الخ
 ٢٣٩ النهي عن ترقب المعالي الرفيعة
 ٢٤٢ ينبغي للذاكر أن يصبر عن الأكل والشرب بعد الفراغ من الذكر نصف ساعة الخ

تم الجزء الثالث من الدرّة الخريدة لشرح الياقوتة الفريدة

ويليه بعون الله الجزء الرابع

(أوله : فصل في أركان الورد الأحمدي والنور المحمدي أعاننا الله عليه)